المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

النقائش والرسوم الصخرية

في الوطن العربي

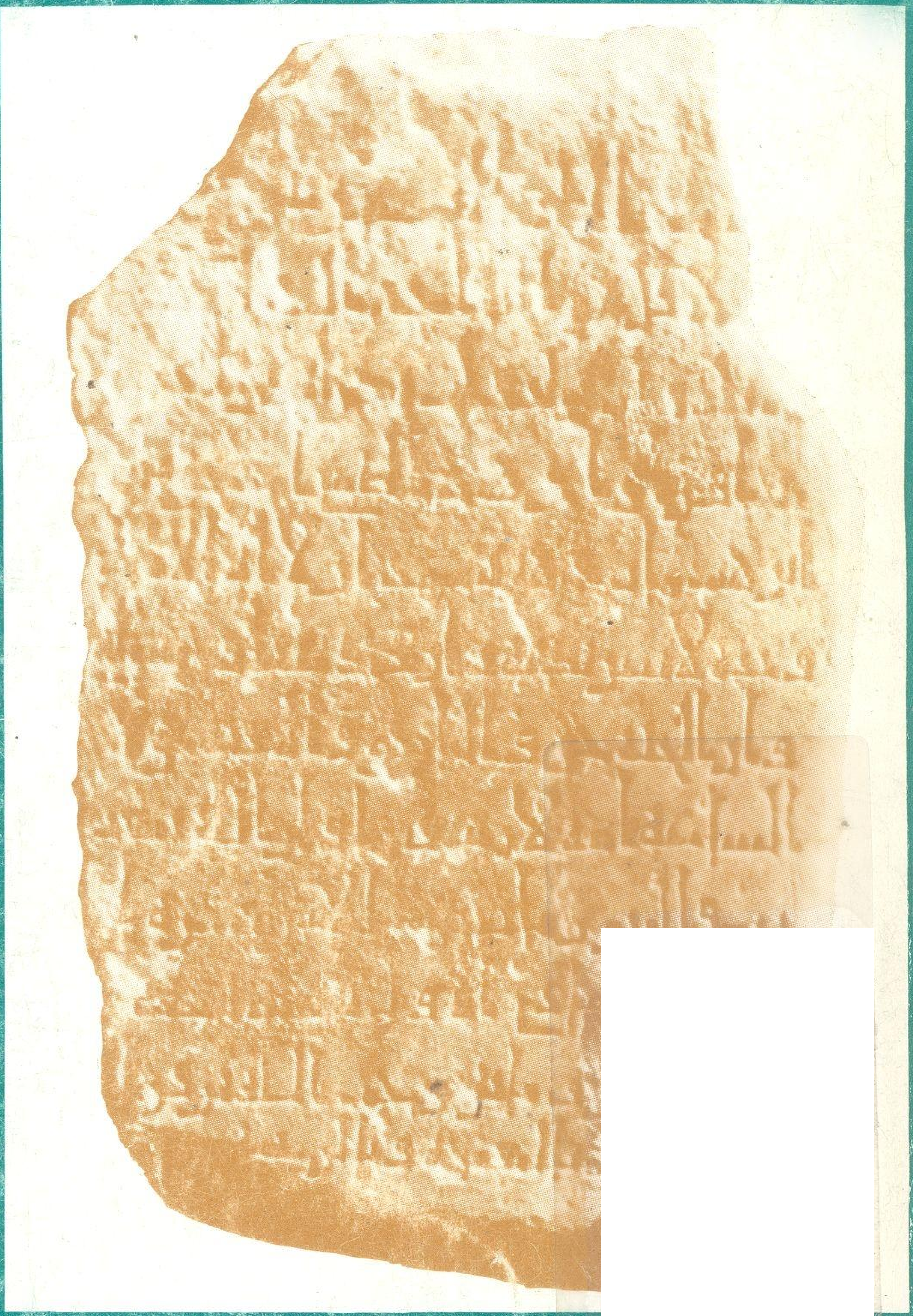

تونس 1997

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
إدارة برامج الثقافة والاتصال

النقائش والرّسوم الصخرية في الوطن العربي

المؤتمر الثالث عشر للآثار ـ الجماهرية العظمى / طرابلس : 1 - 7 أكتوبر 1995

بسم الله الرحمن الرحيم

النقائش والرّسوم الصّخرية في الوطن العربي / المنظمة العربيـة للتربية والثـقـافة والعلـوم، إدارة برامج الثـقافـة والإتصـال، ـ تونس : المنظمـة ، 1997 ـ ـ 398 ص.
(المؤتمر الثالث عشر للآثار. طرابلس : 1 – 7 أكتوبر 1997)

ق / 1997 / 09 / 008

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة للمنظمة

ISBN 9973 - 15 - 044 - 9

الفهرس

تقديم 5

ـ النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية .... أ. منى المؤنن 7

ـ الموانئ البحرية التاريخية في السودان كإحدى المنشآت
المائية في الوطن العربي .... أ. صلاح عمر الصادق 32

ـ الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي .... د. منير يوسف طه 44

ـ المنشآت المائية التاريخية في الجزائر .... د. علي خلاصي 60

ـ نقائش أغلبية جديدة القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي
دراسة تاريخية وأثرية .... د. خالد مودود 80

ـ المنشآت المائية في البلاد التونسية خلال
الفترة الاسلامية .... د. محمد الباجي بن مامي 138

ـ الرسوم والنقائش الحجرية في القديم في تونس .... أ. منصور غاقي 160

ـ بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية .... أ. محمد عطية الله الشلماني 165

ـ مصادر المياه والنشاط الزراعي في إقليم المدن الثلاث .. د. سعيد علي حامد 174

ـ مصادر المياه في المدن الخمس من خلال النقوش ...... د. فضل علي فضل 185
والمخلفات الأثرية

ـ دراسة لنقش قرطاجي ـ ليبي قديم .... د. علي فهمي خشيم 194

ـ نقوش ما قبل التاريخ في الصحراء الليبية .... أ. جمعة محمد العناق 228

ـ الرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا .... أ. القاسم بن محمد كابر 237

ـ النقوش الصخرية المكتشفة في دولة الإمارات
العربية المتحدة .... د. ناصر حسين العبودي 244

- نقوش وادي الكوف .... *أ. صالح ونيس عبد النبي* 256

- المنشآت المائية في مصر الاسلامية من الفتح العربي
حتى نهاية العصر الأيوبي .... *د. عاصم محمد رزق* 274

- ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بافريقية
في العهد الاسلامي المبكّر .... *د. مراد الرماح* 334

- ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة اللاتينية في اقليم طرابلس .. *د. عبد الحفيظ فضيل الميار* 351

- مقررات المؤتمر وتوصياته 386

تقديم :

يتزامن صدور هذا الكتاب الذي يتضمن وقائع وقرارات وتوصيات المؤتمر الثالث عشر للآثار والتراث الحضاري مع مرور نصف قرن بأكمله على انعقاد أوّل مؤتمر للآثار في سنة 1946 . وذلك بحدّ ذاته ليس بالقليل فلم يعهد أنّ مؤسسة قومية ثابرت على التواصل والانتظام والانعقاد مثل مؤتمرات الآثار التي انطلقت قبل ظهور المنظمة الأم الى الوجود في سنة 1970، ثم أصبحت دائرة من دوائرها بل ركنا مكينا من أركانها.

واحتفاء بهذه المناسبة قامت ادارة برامج الثقافة والاتصال باعداد سجلّ حافل شامل مدقق لكل المؤتمرات، ووضعت قوائم بأسماء من شاركوا فيها من علماء وخبراء ومدراء ادارات وأساتذة وفنيين، احياء لذكراهم وللدور الذي اضطلعوا به في ارساء هذه المؤسسة التراثية.

كما اشتمل هذا السجل على كلّ القرارات والتوصيات التي صدرت عن كلّ هذه المؤتمرات، وما نفذ منها وما تعذر تنفيذه، وقد قدم كوثيقة الى الندوة العاشرة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي التي انعقد بتونس في شهر فيفري 1997 التي رحبت بهذا العمل، وحيّت هذا المؤتمر وحثت على مواصلة انتظامه، ودعت الدول العربية الى الاستمرار في احتضانه وتقديم الدعم المادي والمعنوي له.

واحساسا من المؤتمر الثالث عشر للآثار الذي عقد بالجماهيرية الليبية التي احتضنته واستضافته استضافة كريمة سخية بأهمية الدور المناط به والرسالة التي حملها طيلة نصف قرن، فقد انصبت كل قراراته في اتجاه التطوير والتحديث والمراجعة في ضوء وثيقة التطوير والتحديث التي كانت المنظمة العربية قد اعدتها في الآونة الأخيرة، وانسجاما مع المستجدات على الساحة العربية والدولية، والنظرة المتجددة للتراث الحضاري العربي الاسلامي، والآثار حيث يعد الوطن العربي أحد مواطن هذا التراث وأكثر

مناطق العالم ثراءً وغنىً بما يزخر من آثار الحضارات المختلفة والمتنوعة والمتعددة التي تعاقبت عليه.

لقد دأب مؤتمر الآثار منذ دورات سابقة على إفراد كل دورة من دوراته لمعالجة موضوع من الموضوعات العلمية الهامة التي تندرج في طلب اهتمامات المختصين بشؤون الآثار والتراث. ومواصلة لهذا التقليد كان الموضوعان الأساسيان للمؤتمر الثالث عشر المذكور هما : النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي.

فبالنسبة للنقائش والرسوم الصخرية يعدّ الوطن العربي من أكثر المناطق الجغرافية في العالم التي تزخر بهذه النقائش والرسوم، من جباله الى وهاده الى صحارية وكهوفه.

أمّا بالنسبة للمنشآت المائية التاريخية ومصادر المياه، فما كان الموضوع يهدف احياء هذه المصادر والمنابع التي كان الوطن العربي يعج بها إنما أريد بذلك التنبيه الى ما ينبغي التفكير فيه من وسائل لاثراء الثروة المائية التي أخذت تتناقص في العقود الأخيرة :

بالاضافة الى الخلافات والمشاكل التي تثار حاليا حول قضايا المياه على المستوى العالمي . وفي الصراعات الاقليمية.

لا شك أن قارئ الكتاب سوف يجد متعة في قراءة الدراسات العديدة التي أعدها أخصائيون وعلماء عرب... وسوف يشاركهم همومهم واهتمامهم وتطلعاتهم، وسوف يكتشف أن وطننا العربي يتوافر على ثروة من المعالم.. وأن اجدادنا الذين كانوا فنانين وأصحاب ذوق رفيع تركوا بصمات من الابداع فوق كلّ رسم وكلّ صخرة وبكل واد.. وان ما تركوا من ثورة فنية يؤهلنا الى نعدّه مصاف الدول المتحضّرة ويملي علينا واجب مواصلة رسالتهم.

والله الموفق والهادي.

ادارة برامج الثقافة والاتصال

النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية

أ. منى المؤذن(*)

المقدمة:

يقصد بكلمة النقائش الكتابات المدونة على الآثار الثابتة أو المنقولة، وتعتبر من العلوم الأساسية المساعدة لعلم الآثار والتاريخ، لأنّ الوثيقة الكتابية مهما كانت أسطورة أو نصبًا تذكاريًا أو قصة أدبية أو وثيقة شرعية أو رسالة... الخ، تعتبر شيئا مهما جدا بالنسبة للآثاري والمؤرخ، فمن خلالها يستطيع التوصل الى طريقة تفكير الانسان القديم ومعرفة صلاته الاجتماعية ووسطه الجغرافي والتاريخي وحتى حالته النفسية.

ويهتم هذا العلم بتاريخ شكل الحروف وتطوراتها وأساليب نقش الكتابة، ودراسة النصوص لتحديد موضوعاتها وتاريخها ومشابهاتها واكمال الناقص منها عن طريق التوقع والمقارنة.

إن للكتابة أهمية خاصة في تاريخ المنطقة فقد بدأت مع استقرار الانسان وحيث الشروط المناسبة لنشوء الحضارة مثل توفر الأرض الخصبة والمياه والمناخ الملائم للزراعة... وغيره، ويمكن القول إن المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين وبلاد النيل وجنوب شبه الجزيرة العربية كانت الساحة المناسبة لتطورات من هذا النوع.

وأخذ تاريخ الكتابة يحتل مكانة بارزة في تاريخنا ولأهميته فقد قسم تاريخ المنطقة الى مرحلتين فاصلتين:

أ- مرحلة ما قبل الكتابة أو عصور ما قبل التاريخ.

ب- مرحلة ما بعد الكتابة أو العصور التاريخية.

(*) أمينة الآثار العربية الاسلامية بالجمهورية العربية السورية.

ومع فجر الحضارة الانسانية في وطننا كان التطور باتجاه الوثيقة المكتوبة في كل مجال. فالقانون المكتوب حل محل القانون الشفهي، وحل العقد المدون مكان الاتفاق الكلامي، وحلت الديانات السماوية المكتوبة محل العقائد المحكية، والتاريخ لا يعتبر موثقا الا بقدر اعتماده على النصوص المدونة.

وبشكل عام اذا أردنا تعريف الكتابة فيمكننا القول أولا: بأنها الأثر الذي يتركه الخط على المادة. وهي نوعان كتابة منقوشة وتسمى في اللغات الأوربية Epigraphy وهي موضوع بحثنا، وأما أن تكون خطا وعندها تدخل في علم Paleography، ويحدد ذلك الأداة التي تستخدم في التدوين والمادة التي تنفذ عليها الكتابة، وأن للأداة والمادة تأثيرا كبيرا في شكل الحرف وتطوره، فإما أن تكسبه الشكل القاسي أو اللين، ولعل مادة الكتابة تفرضها البيئة المحيطة فقد استخدم الحجر أولا في كل مكان، ثم أخذ الانسان يستخدم مواد أخرى ففي مصر مثلا كتبوا على البردي، وفي بلاد ما بين النهرين استعملوا ألواح الطين، وكان الجلد من أوائل المواد التي دون عليها العرب... وهكذا.

ولعل التعريف الأهم للكتابة أنها التعبير الخطي عن اللغة ووسيلة للقبض على الكلام المنطوق ولدورها الهام أقسم تعالى بها فقال "ن. والقلم وما يسطرون" وقال أيضا "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قيدوا العلم بالكتابة"، ومن الناحية الزمنية فان اللغة أسبق من الكتابة بمراحل طويلة مثال ذلك اللغة العربية التي تستعمل في المنطقة منذ عصور سحيقة، وقد أجمع علماء اللغة والباحثون على أنها من أعرق اللغات السامية فهي تحوي على عناصر ومفردات لغوية قديمة جدا. ومع ذلك فإن بواكير الكتابة العربية تعود الى القرون الميلادية الأولى.

وكما هو معروف للجميع أن هناك خضما واسعا من أنواع الكتابات قد نشأت في وطننا العربي الكبير قبل ظهور الكتابة العربية، وقامت دراسات عديدة في هذا الميدان، تبين منها أن عرب الشمال قد كتبوا أولا بالمسمارية المقطعية التي عرفت في بلاد ما بين النهرين وإبلا والساحل السوري في الألف الثالثة قبل الميلاد، ثم اخترع الكنعانيون -الفنيقيون الأبجدية بشكليها المسماري في اجاريت والخطي اللين في جبيل (بيبلوس) وذلك في الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما بعد تبنى الآرميون الأبجدية

الكنعانية نفسها، ومع الزمن تفرع عن هـذا الخط أشكال متعددة منها النبطي والتدمري والحضري والسـرياني والآرامي المربع والفهلوي وهذا الأخير انتـشر في ايران وأصبح الخط الرسمي للامبراطورية الساسانية.

أما عـرب الجنوب فقد احرزوا تـقدما واسعـا في شتى المجالات مـثل إخوانهم في الشمـال وأسسوا دولا حضـارية لها انتصـاراتها في ميـادين مختلفـة، وظهرت لديهم أبجدية خاصـة بهم دعيت بالخط المسند الذي تفرع عنه عدة خطوط أيضا منهـا الحبشي واللحيـاني والثمودي والصـفائي ولعل الخط الأخير هذا هو المـقصود في بحثنا، فـهو الذي يعبر عن ثقافتنا العربية قبل بزوغ فجرها مع الاسلام.

الـنـقـائـش والـرسوم الصخـريـة في الآثار العربـيـة:

- الـنـقـائـش الصـفـائـيـة:

اهتم المسـتشـرقون بأمـر هذه النقائش القـديمة منذ القرن التـاسع عشـر وأوائل هذا القـرن فجـابوا المنطقـة وأخذوا ينـسخـون هذه الكتـابات ويصنفونهـا ويعكفـون على دراستها، وقد وجدوا الكثير من هـذه النقوش في تلول الصفا فنسبوا هذه الكتابة الى المكان، وقـد وجد حـاليا بأنهـا منتـشرة في شـمال شـبه الجـزيرة العربيـة وفي الاردن وجنوب سورية، لكنهـا تتركز في المنطقة بين جبل الـعرب والرحبة وتمتد شـمالا حتى دورا اوربوس على الفرات.

- الـسـمـات الأساسـيـة لـهـذه الـكـتـابـة:

إن من السمات الأساسية لهـذه الكتابة أنها تنسب الى القلم المسند وتتألف من 28 حرفا، (انظـر الجدول التالي) وأن لغتنا تعـتبر من اللهجـات العربية الأصلية لا سـيما وأن القبائل التي كـتبتها هي من عرب الجـنوب الذين استقروا في شمال شـبه الجزيرة وعلى مفارق الطرق التجارية، ولكن من خلال حـركتهم في المنطقة واحتكاكهم بأهل القرى من حولهم لا سيـما أهل تدمر، فاننا نجد دخول الكثيـر من القواعد والمفردات الآرامية في تعابيرهم.

أما مميزات نصوصـهـم فهي تعتبر رسائل سـريعة محددة تدون على أحجار طبـيعية غيـر مشذبة، منفذة بـأداة حادة دقيقـة أو ثخينة مثل سكين أو خنجـر أو أية أداة حادة مسنونة، وكثيرا ما تتنوع أشكال الحروف باختلاف كاتبها، وربما نجد على الحجر الواحد

كتابة لأكثر من شخص، أما بالنسبة لاتجاه الأسطر وبداية كل سطر فعلى الدارس للنقش التفتيش والمتابعة بصبر وأناة فهي أما من اليمين الى اليسار أو بالعكس أو من الأسفل الى الأعلى أو العكس وكثيرا ما نجد أكثر من اتجاه في النص الواحد. ولكن غالبا يبدأ بالنقش بالحرف لام المقصود به: إلى أو كتب لخلاف أو من قبل فلان.

أما إذا أردنا البحث في أسلوب النقش فاننا نجده كالتالي:

1) التنسيب:

وهي عملية توثيق للاسم، وعلينا أن لا ننسى ما لعلم الأنساب من أهمية خاصة عند العربي، وتتراوح الأسماء المدونة في بداية النص من اسم الى (13) اسما وقد يصل النسب الى القبيلة مثال (ذ - آل - عوذ) أي أنه من قبيلة عوذ، ومعظم الأسماء معروفة لدينا ومتداولة حتى الآن مثل آدم، أمير، حاج، خالد، مطر، غيث، أوس... وهناك أسماء استعيرت من أسماء الحيوانات مثل نمر عقاب أسد سبع... الخ كما نجد أسماء مركبة مثل عبد - إل (عبد الله) خر- إل (خير الله) خل- إل (خليل الله)، سمع-إل (اسماعيل أو الله سميع) عذر-إل (عزرائيل أو عون الله) غير-إل (غيرة الله)... وهكذا.

وهناك أسماء لها صيغة الصفات مثل : سكران - سهران - نازل - فالح - راضي - غاير - حامي... وهكذا.

2) النص:

وهو عبارة عن جملة خبرية مختصرة جدا تبدأ غالبا بفعل ماض ومن هذه الأفعال: نجي (أو نفر (نجى)، وجد (أي أنه وجد أثرا)، وجم (وضع حجرا أو أحجارا على قبر)، دثا (قضى الربيع)، شتي (شتى)، خرص (ترقب)، رعي (رعى)... وهكذا. وفي حالات قليلة يستعمل الفعل المضارع مثل تشوق (يشتاق) يعور (يعمى)، يجور (ينزل الجور والحيف على الآخرين).

3) الدعاء:

ويأتي غالبا باتجاهين للخير والسلامة واعطاء نعمة لمن يدع النص ولا يشوهه وبأنواع الشرور والعقاب وانزال النقمة على من يطمس النص أو يحرفه.

الأبجدية الصفائية

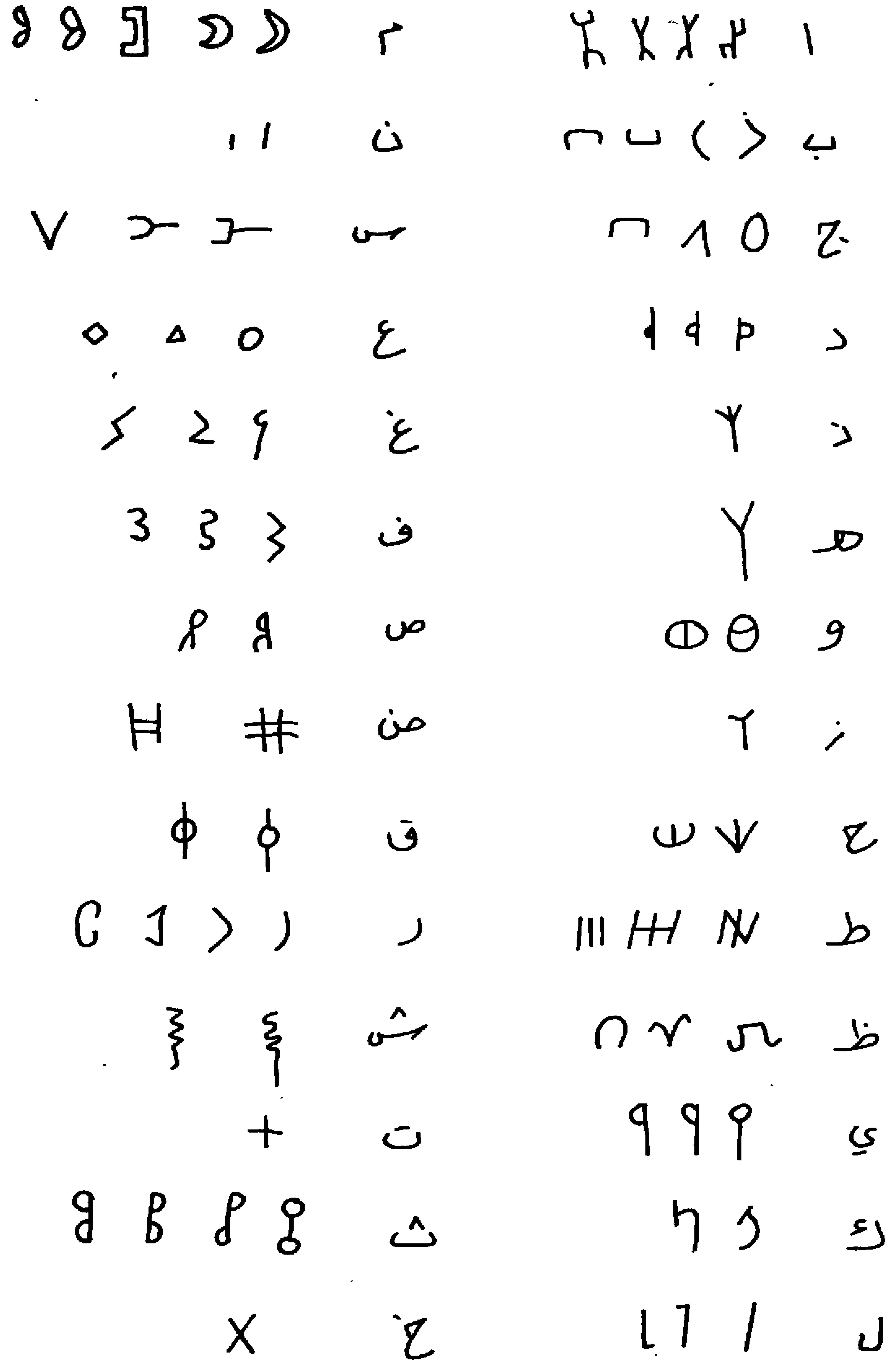

أمثلة عن الاتجاه الأول:

سلم لذ دعي هسفر وغنمت (السلام لمن يدع هذه الكتابة ولا يمسها والغنيمة)

سلم وأركرح لذ دعي هخطط (السلام والحلم لمن يدع هذه الكتابة والرسم)

هنيت لذ دعي (هنيئا لمن يدع الكتابة)

أمثلة عن الاتجاه الآخر:

عور لذ عور هسفر (العمى لمن يطمس النص)

نقأت لذ عور هخطط (الرجم لمن يطمس هذا الخط والرسم)

شجن لذعور هخطط (الحزن للذي يطمس هذا الخط والرسم)

ويصحب هذه العبارات نداء للآلهة المعروفة لديهم وهي إل (اللّه) اللات ورضي ورضو وشيع - القوم. . . وغيرها.

4) التاريخ :

يأتي التاريخ في نهاية النص وتستعمل كلمة سنه للدلالة على العام ويذكر بعد هذه الكلمة رقم أو حدث، ولكن في معظم الأحيان تذكر أحداث تافهة بالنسبة لنا مثل "في سنة رعي القطعان" أو "سنة قتل معن" وفي بعض النصوص تذكر حوادث هامة ولكن غير معروفة لدينا حتى الآن مثال "سنة غزا فيها الملك قبيلة عوذ".

ولكن في بعض الحالات يمكننا التحديد بشكل ثابت فهناك ذكر لرقم معين، وهذه التواريخ تابعة لتأريخ بصرى 106م مثال ذلك لجل بن غنث ونفر من رم فهيلت سلم سنه (من جال بن غانث وهرب من الروم فيا أيتها اللات سليمه سنه 3) فهذا النص يؤرخ بـ 108م وهناك نصوص مؤرخة مجازا وهي معروفة مثل " سنة حرب النبط".

أما النصوص التي يرد فيها اسم ادنيت تؤرخ بالنصف الثاني من القرن الثالث الميلادي لأن هذا الاسم لا يعتبر من الأسماء العربية الأصلية وبدأ يظهر في النقوش الصفائية بعد شهرة الملك أذينة في تدمر.

وبشكل عام يمكن القول بأن هذه النقوش تعود للقرن الأول والثاني والثالث بعد الميلاد أخيرا لا بد من القول أن هذه العناصر الأربعة (التنسيب - النص - الدعاء - التاريخ) نادرا ما تأتي في نص واحد وعندها نعتبره نصا نموذجيا والغالب يأتي عنصر واحد أو إثنان فقط.

- الرسوم الصخرية:

(الشكل 1)

يلحق بهذه النصوص الكثير من الرسوم، ولعل أهم العناصر التي رسمها الفنان الصفائي الشمس والجمل، والسبب واضح جدا، فالشمس ملازمة له طوال النهار والجمل من الحيوانات الصبورة التي تشاركه هذه الطبيعة القاسية، أما بالنسبة للنصوص الكتابية فهي غالبا تحيط بالرسم كالإطار (انظر الشكل 1).

ويدل على الرسم والكتابة في النصوص كلمتا هخط أو هخطط وتعنيان الرسم أو النقش أو كليهما معا، وهناك عدد لا بأس به من النقوش يظهر بها الرسم ويحيط به اسم الراسم أو مصمم المشهد ويعتبر ذلك حاليا وكأنه توقيع الرسام مثال ذلك "لجل بن علهم هأسد" وهناك رسم أسد قرب النص وهنا نترجمه كالتالي: رسم هذا الأسد من قبل جل بن علهم.

أما بالنسبة لأسلوب الرسم فانه يتراوح من رسم سريع يتحدد من خلاله الأشكال والحجوم بدون أية تفاصيل (انظر المجموعة الأولى الشكل أ-ب) الى رسوم لها أسلوبها المتقدم في عرض الأشكال سواء الحيوانية أو الانسانية لكن وبطبيعة الحال يبقى لكل فنان طريقته الخاصة في التشكيل والعرض (لاحظ المجموعة الأولى جـ- د-هـ-و).

أما بالنسبة للمواضيع المطروحة من خلال هذه الرسوم فاننا نجد أولا المشاهد التي تعطينا فكرة عن حياتهم اليومية المألوفة مثل رجال يقومون بقطف التمور، أو ناقة ترضع صغيرها، أو مجموعة من الرجال يقومون بترويض خيل، ويتأثر الفنان بأحداث الحزن والأسى ويصور حالات الشدة بصورة امرأة تشد شعرها بكلتا يديها (انظر المجموعة الثانية أ - ب - جـ - د).

ومن المواضيع الأخرى التي تطرق اليها الفنان، المشاهد الطبيعية لتشكيلات مختلفة من الحيوانات الأليفة التي كانت تسرح معه ضمن مجموعات مثل (الغزلان والنعام والجمال والكلاب وغيرها (انظر المجموعة الثالثة أ - ب - ج - د - هـ).

أما الحيوانات الضارية فانه يسجل صراعه معها ومطاردتها ضمن رسوم رائعة (انظر المجموعة الرابعة أ - ب - ج).

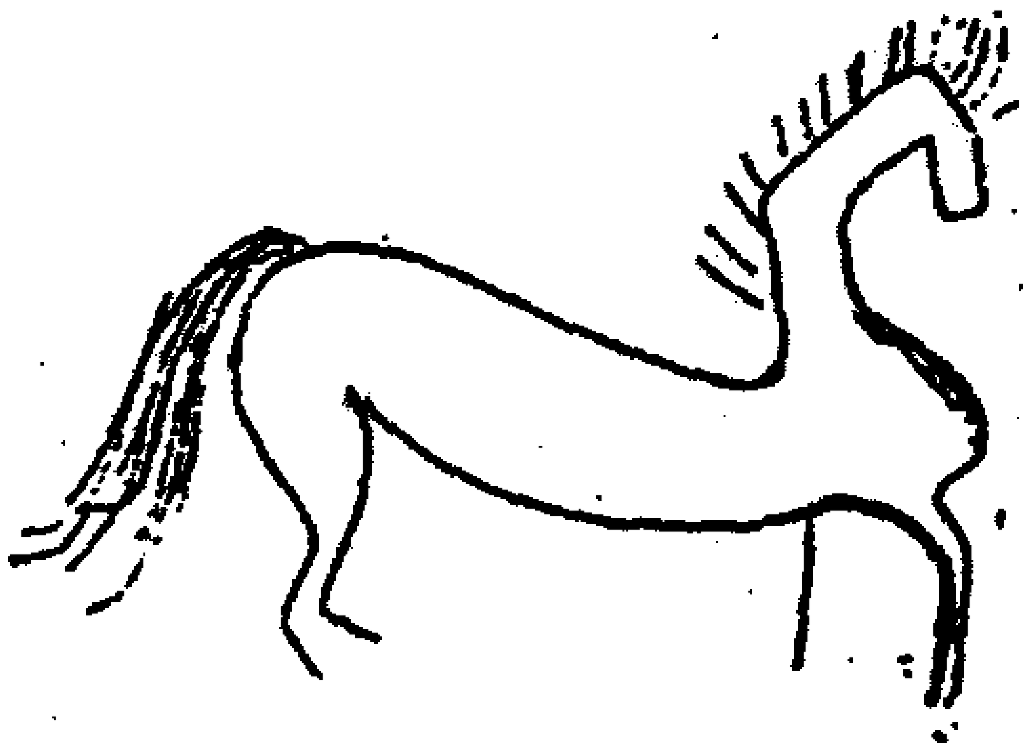

(أ)

(ب)

(ج)

(د)

(ح)

(و)

المجموعة الأولى

(أ)

(ب)

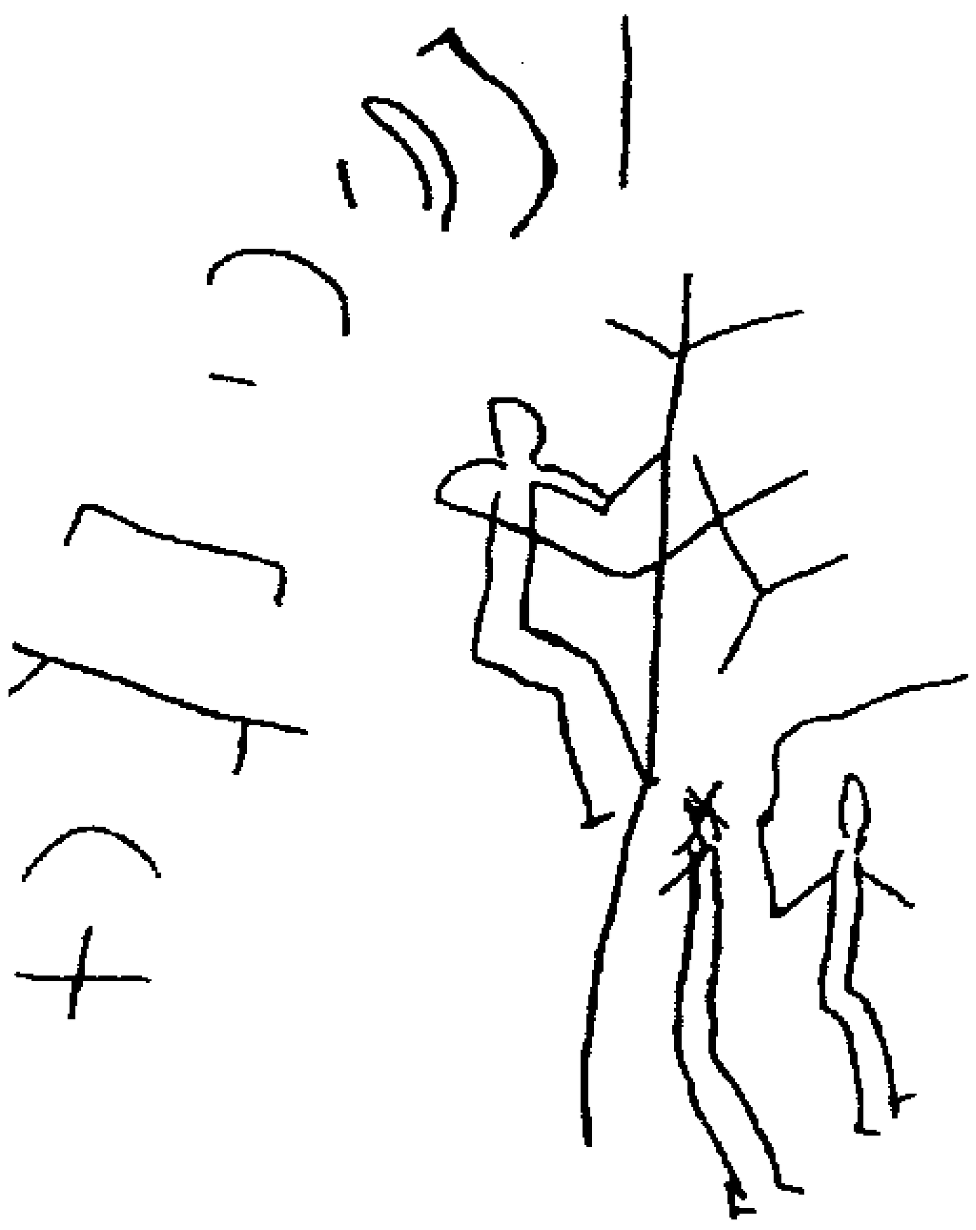

(ج)

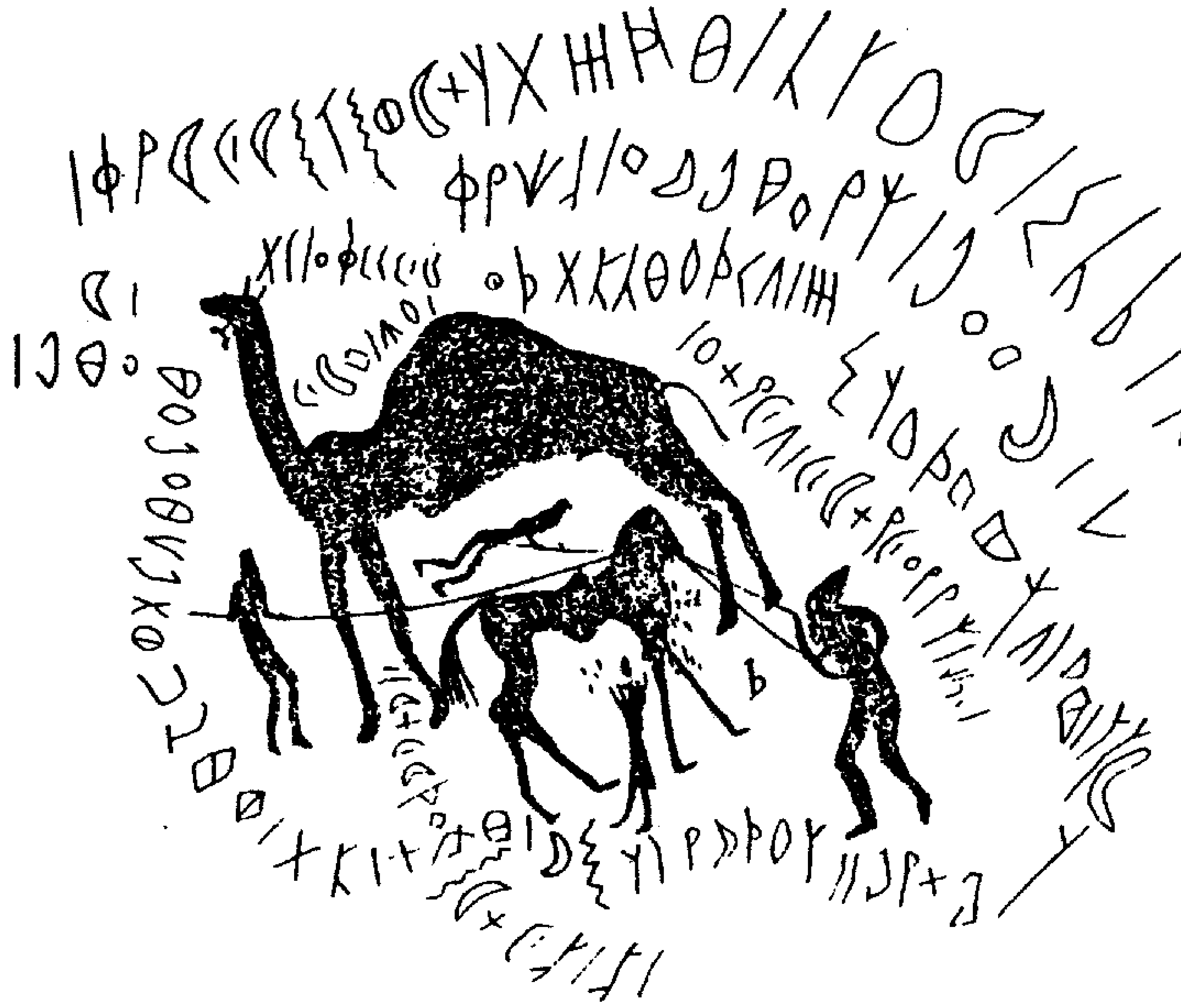

(د)

المجموعة الثانية

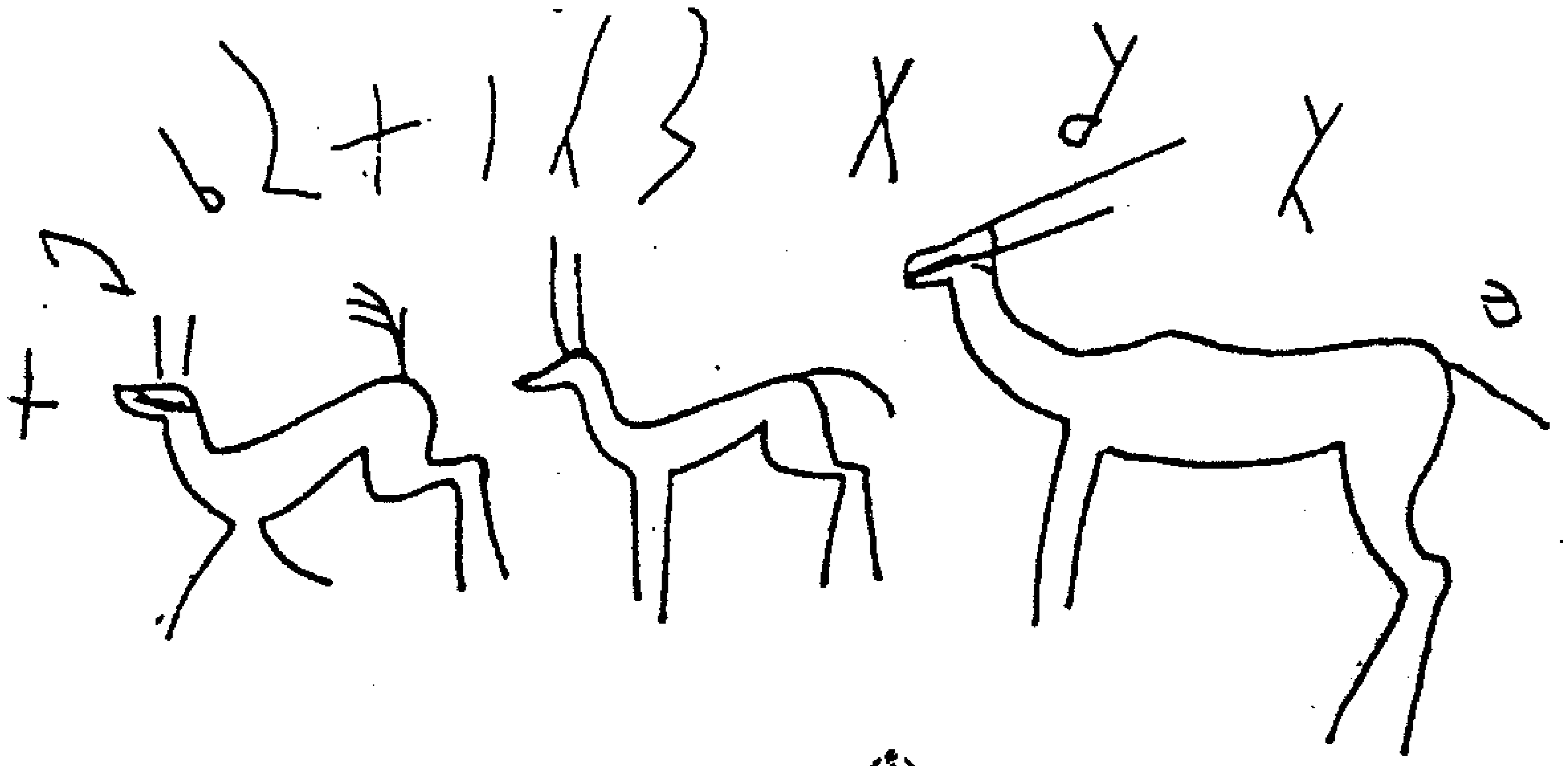

(أ)

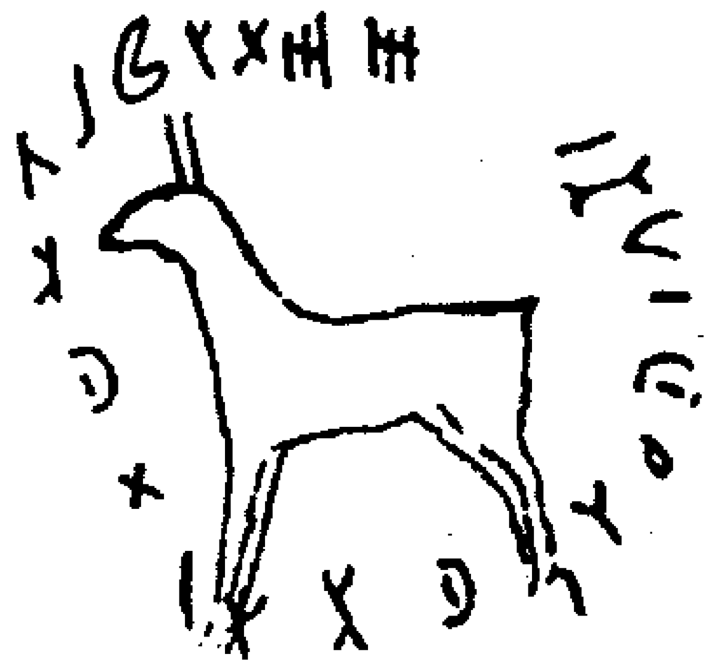

(ب)

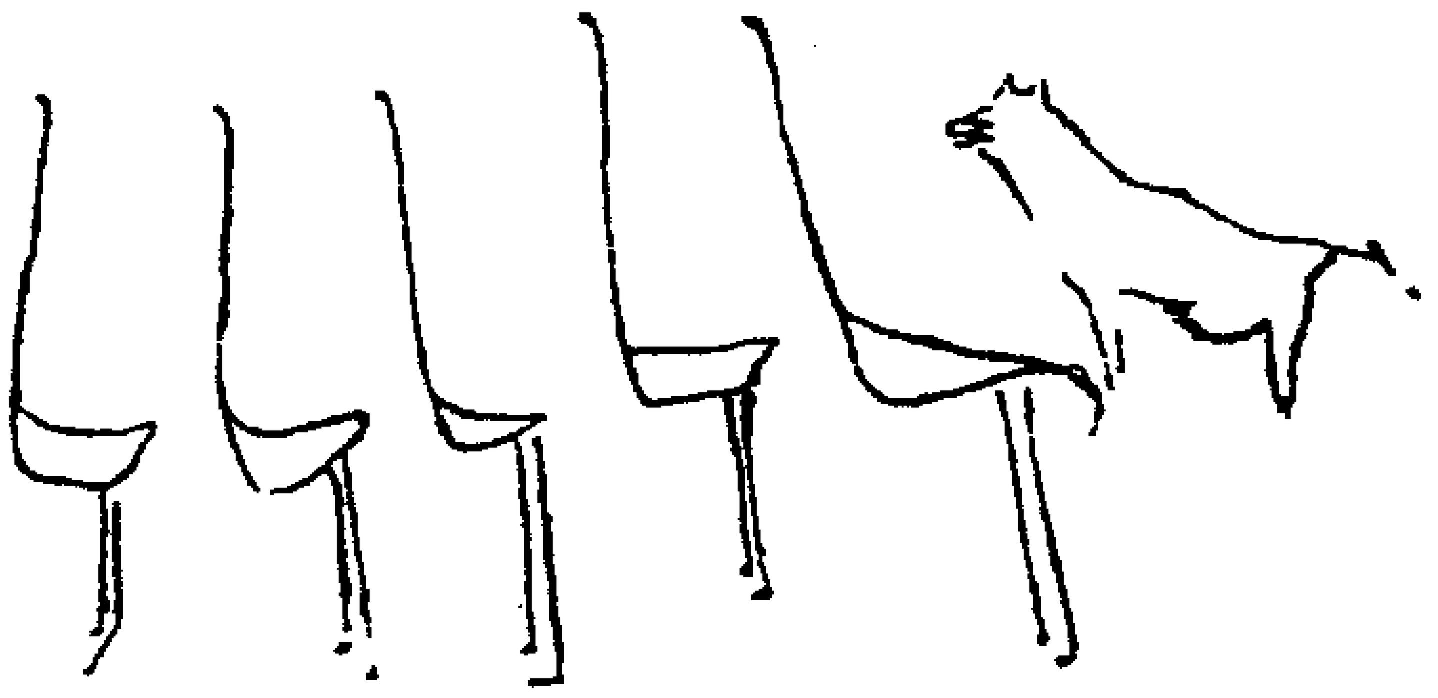

(ج)

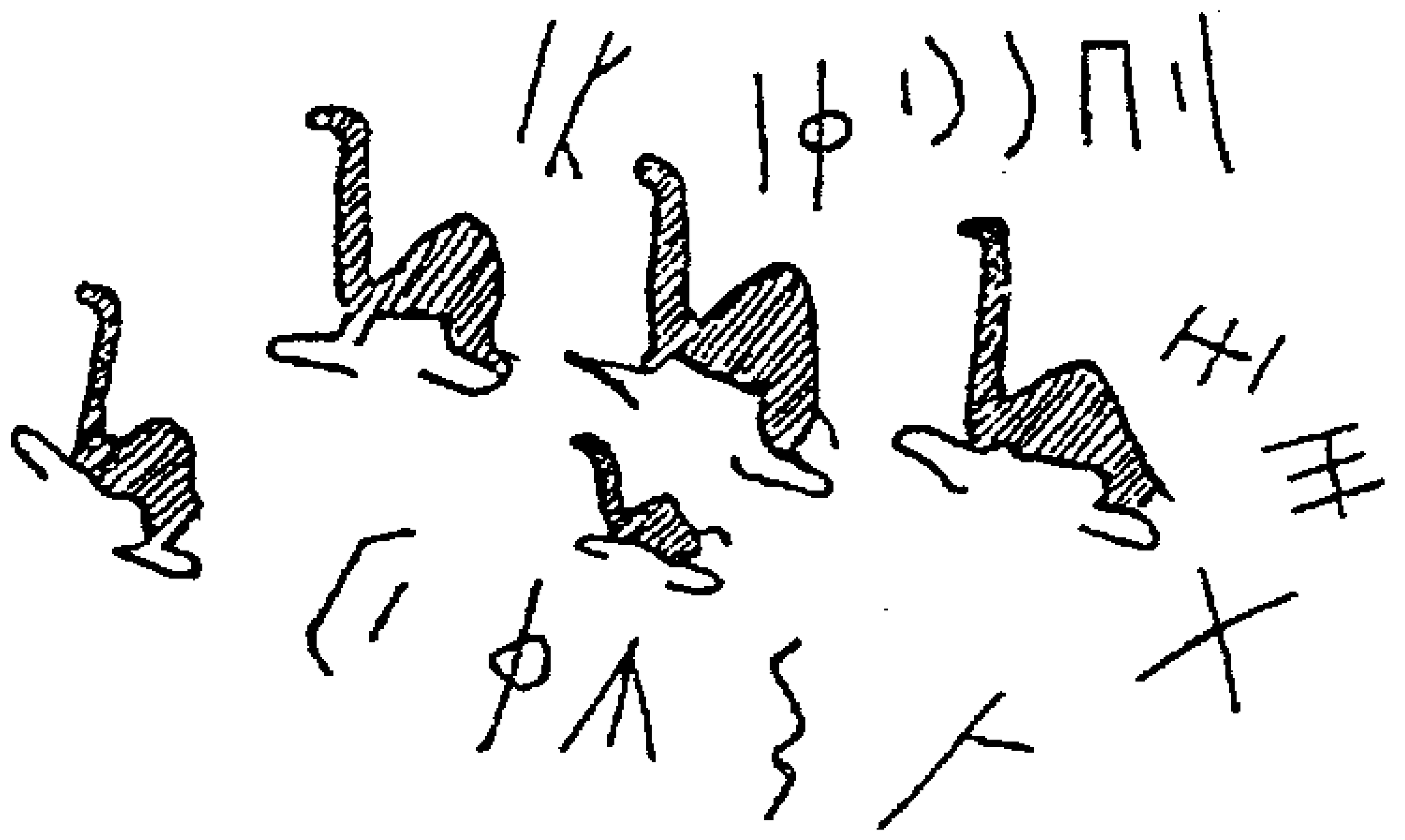

(د)

(ح)

المجموعة الثالثة

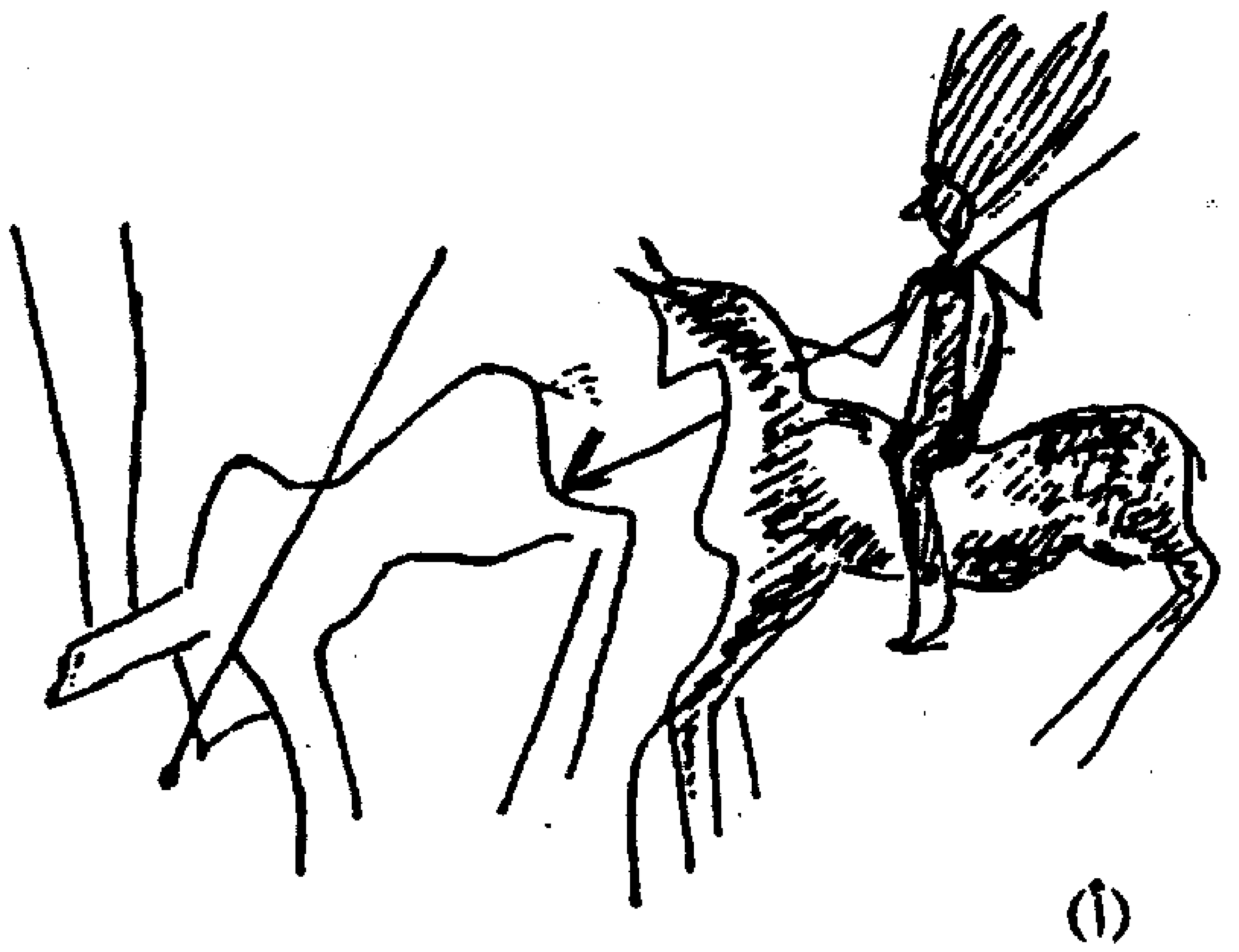

(أ)

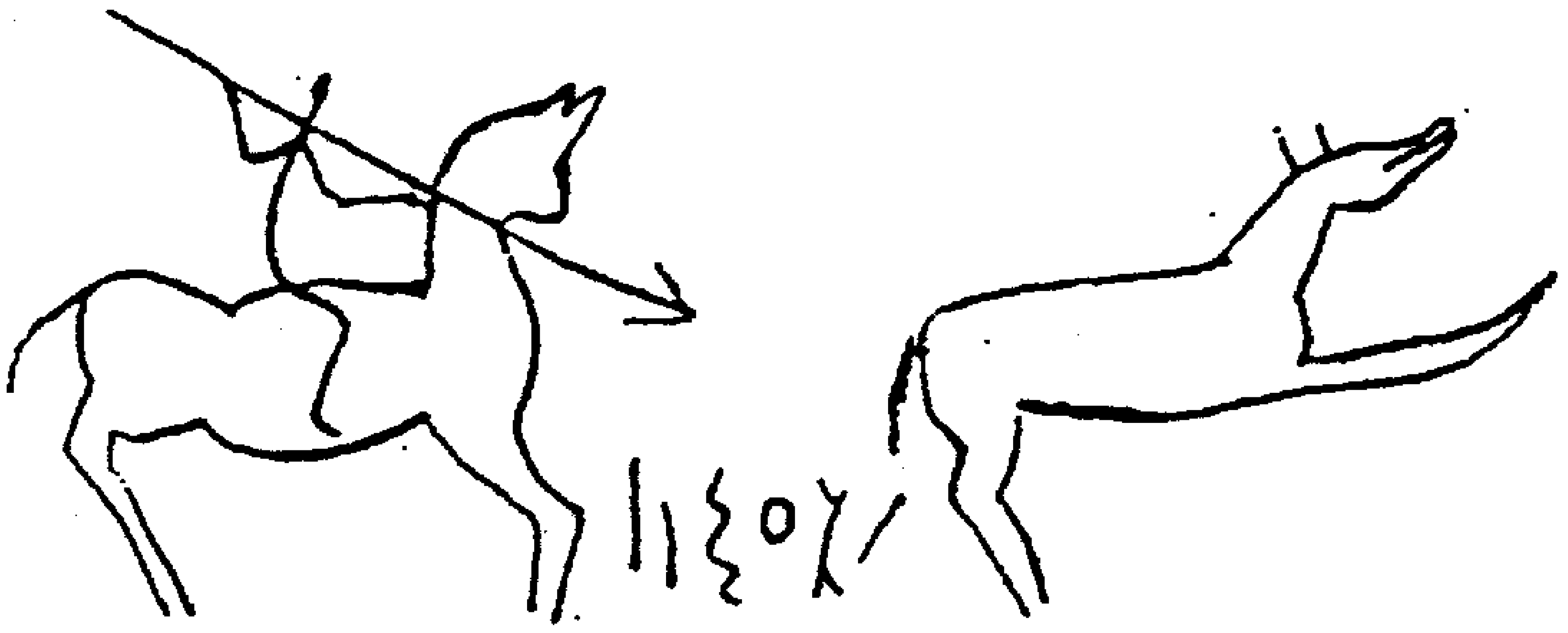

(ب)

(ج)

المجموعة الرابعة

ومن المواقف التي يعتز بها العربي الشجاعة والصمود والبأس عند القتال والغزو ونجد رسوما عديدة لمثل هذه المشاهد، ويتجلى لنا من خلالها أنواع وأشكال الأسلحة التي استعملها في حروبه (انظر المجموعة الخامسة أ-ب-ج-د-هـ).

ولا بد من القول بأنّ هذه الرسوم الصخرية واقعية جدا، فنحن لا نرى أشكالا خرافية أو مشاهد لأساطير مثيولوجية، أو تصويرا لالهة أو غير ذلك، وإن الحركة والحيوية واضحة من خلالها، علما بأنها رمزية جدا فهي لا تتناول التفاصيل لأي شكل من الأشكال فاذا رسم انسان ما فإنه يحدد برأس وجذع وأطراف في وضعية وحركة معينة أما الملابس أو تفاصيل الوجه أو غطاء الرأس فلا نجد شيئا من هذا مطلقا، وبشكل عام فإنها لا تخدم هدفا فنيا أو دينيا أو جماليا بقدر ما تساعد على فهم النص المكتوب.
هذا عن الرسوم والمواضيع التي تطرق اليها الفنان أما مواضيع النصوص فهي:

1) النصوص التذكارية:

وفيها جملة تدل على أن الكاتب أو الذي كتب له النص كان يرعى الحيوانات التي يربيها أو أنه صارع حيوانات ضارية، أو نجا من الأعداء أو من الجيش الروماني أو خرج يبحث عن صديق أو خصم، أو أنه خيم في هذا المكان، أو رحل للتخييم في مكان آخر (بعد هذه الدراسة النظرية ألحقت نموذجين من نصوص صفائية تنشر لأول مرة انظر النقش الأول السطر الأول لأخذ فكرة عن النص التذكاري).

2) النصوص الوثائقية:

ومواضيعها ادعاء ملكية أرض أو مكان معين، ادعاء ملكية مخيم، أو حيوانات أو عين ماء، أو توثيق بيوع (انظر النص الأول السطر الثاني، والثالث) والنص الثاني السطر الأول).

3) النصوص الجنائزية:

ويمكن اعتبارها شواهد قبور حيث يذكر فيها اسم المتوفي والمقتول وكلمة صرح أو نفس فهي من الآرامية نفشا، في السبئية واللحيانية كلمة مقام تعني القبر أما في الصفائية فإنها مقل أو مقيل والمعنى مكان الراحة الأبدية كناية عن القبر أما كلمة نيت فتعني الغاية والهدف المقصود للمسافر ويقصد بها القبر أيضا.

أما كلمة وجم التي ترد كثيرا في النصوص الجنائزية الصفائية فانها تعني وضع حجرا أو أحجارا على قبر المتوفي ويمكن أن يلحق بهذا النوع من النصوص دعوة للثأر. (انظر النقش الأول السطر الخامس)

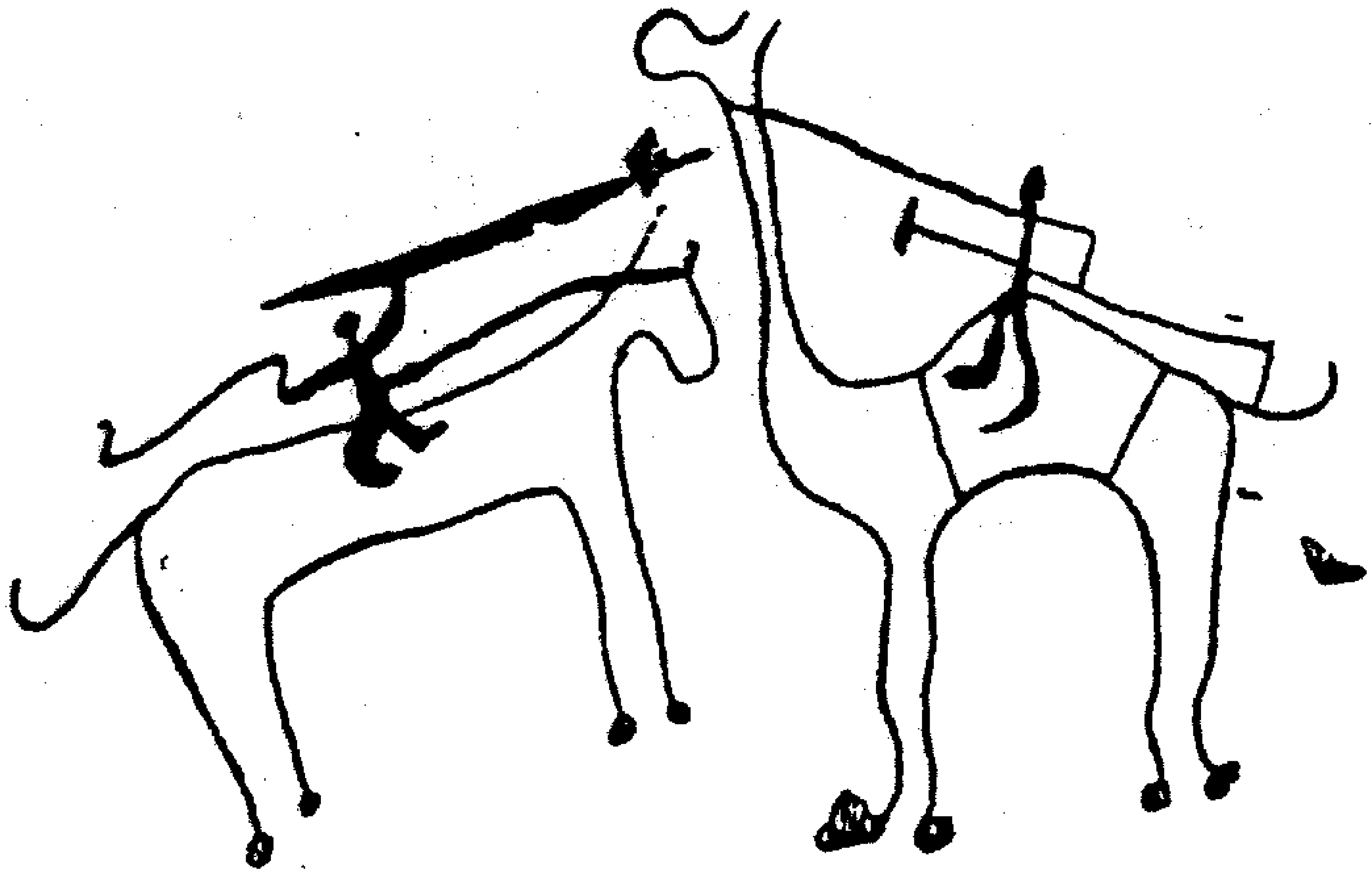

(أ)

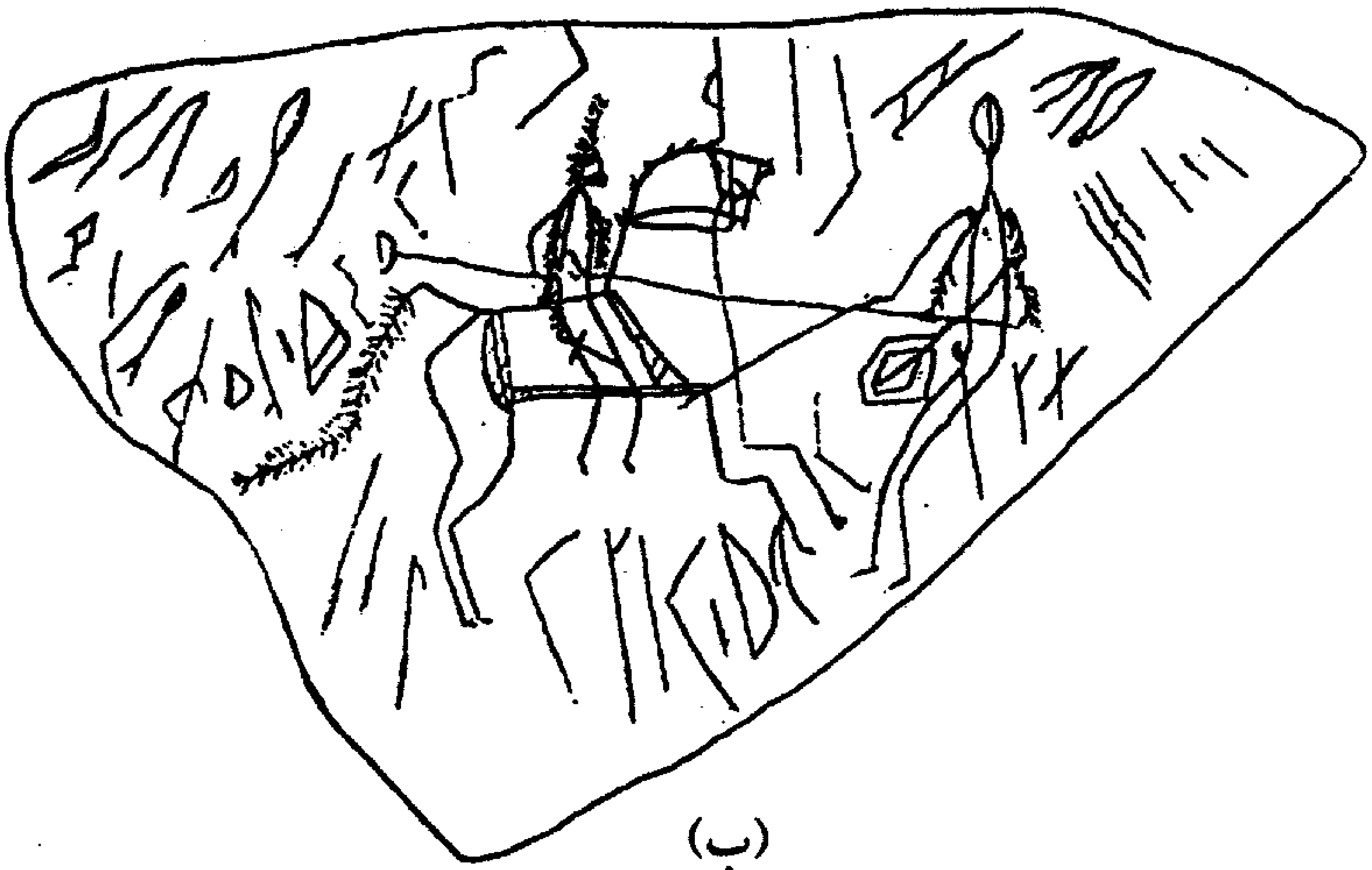

(ب)

(ج)

(د)

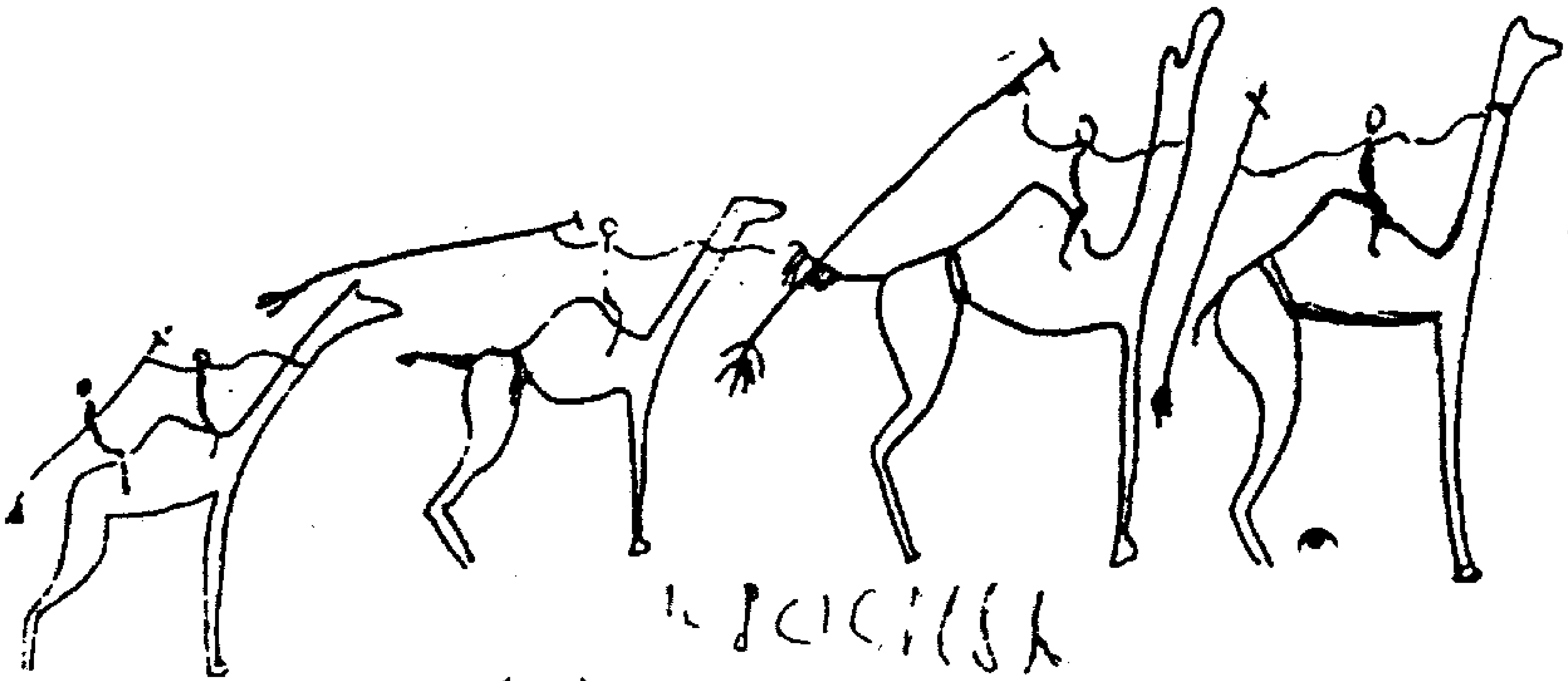

(هـ)

المجموعة الخامسة

لننتقل الآن الى النصوص التي نوهت عنها عند عرضي لمواضيع النقوش.

مطر بن حاج

١ـ
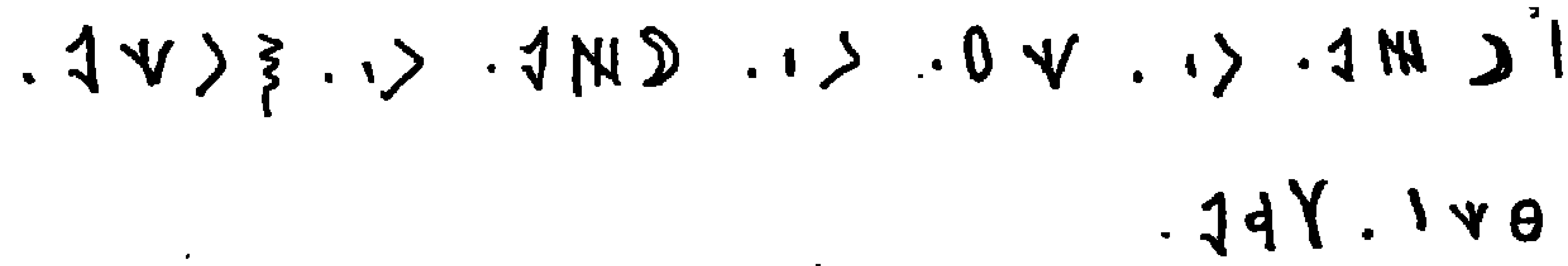

٢ـ
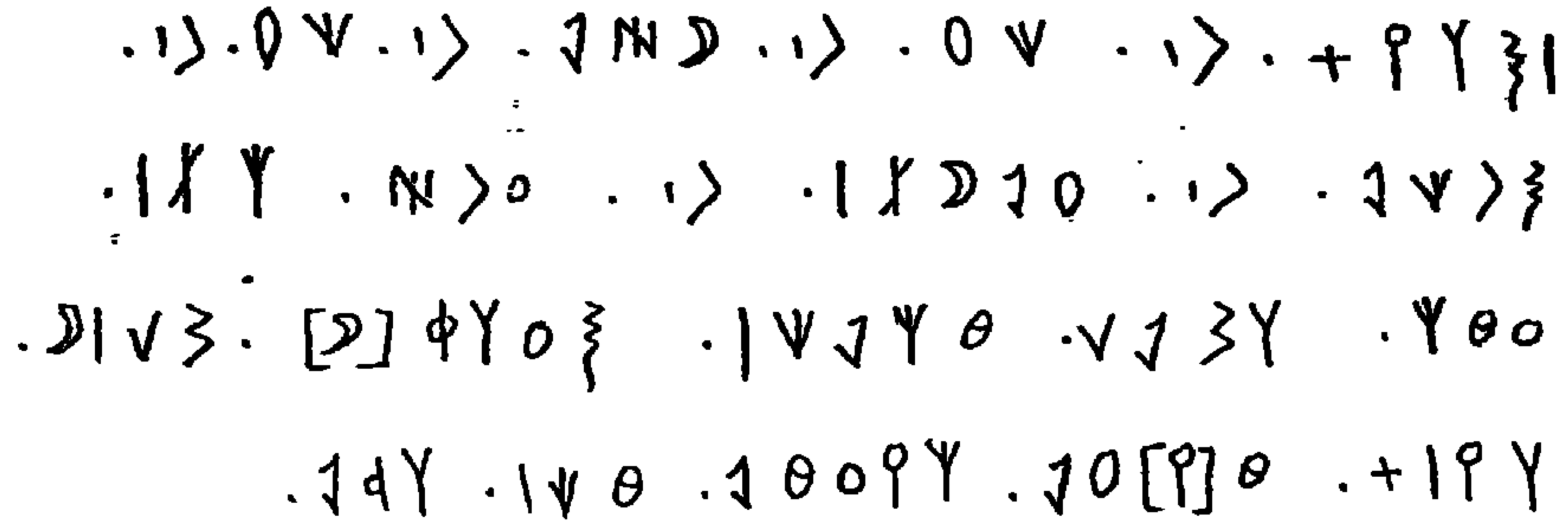

٣ـ
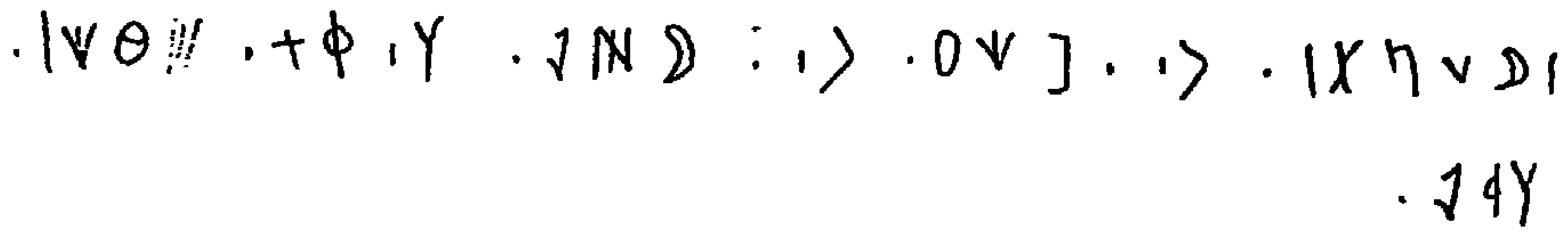

٤ـ
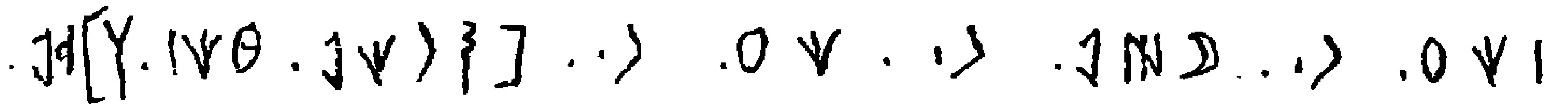

٥ـ
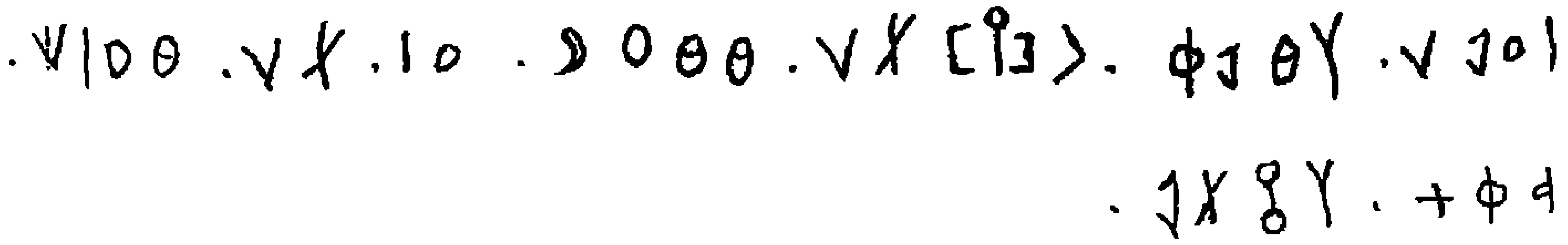

المـعـنـى :

1) لمطر بن حاج بن مطر بن شبحر الذي حل في هذا المكان.

2) لشهـية بن حـاج بن مطر بن حـاج بن شبحـر بن جرمـئيل بن عـبط من قبـيلة عوذ هذه الـفرس وهذه الراحلة فيا أيها الإله شع - القوم سلم ويا أيتها اللات انزلي الجور والعمى على الذي يحل في هذا المكان.

3) لمسكئيل بن (حاج بن مط) وهذه الناقة. . .[و] حل في هذا المكان.

4) لحاج بن مطر بن حاج بن شبحر وحل في هذا المكان.

5) لعرس هذه الورقـاء وبيأس وضع حجـرا على قبـرأوس وحان وقت الانقضـاض (الهجوم) فـيا للثأر.

التعليق :

حجر بازلتي طبيعي عليه نقش صفائي، محفوظ في المتحف الوطني بدمشق فرع الآثار الكلاسيكية برقم 29644، الطول 25سم والعرض 24سم والنص مؤلف من خمسة أسطر ويعتبر من النصوص التذكارية عليه رسم فارس يحمل سهما طويلا أو حبلا ويحاول به مسك أو اصطياد غزال أو مهره، خلف هذا المشهد هناك رسم لجملين بحجم صغير أحدهما خلف ذيل الحصان والآخر في الأعلى، وهناك شكل انسان بحجم صغير جدا تحت الجمل العلوي يحمل بيده اليمنى عصا وفي اليسرى شكل راية.

يتداخل مع هذه الرسوم الكتابة فالأسطر 1-2-3-4 لنفس الكاتب فالأداة وطريقة الكتابة واحدة، أما حجم الحروف فتختلف حسب سعة المكان وهذا يدل على ان الرسوم قد نفذت أولا ونلاحظ ذلك واضحا في السطر الثاني حيث يكون الحرف في البداية واضحا وكبيرا أما في نهاية السطر فتظهر الحروف صغيرة ومتراصة.

بالنسبة للسطر الخامس فله موضوعه الخاص وكتب بأداة تختلف عن أداة الأسطر السابقة وحجم الحروف أكبر لذا فهو لكاتب آخر.

أسماء الأعلام الواردة في النص معروفة مثل عبط ومطر وعرس وغيرهم ويرى د. ليتمان ان اسم حاج يعود الى أن ميلاد هذا الشخص كان في موسم الحج أما شبحر فهو اسم علم مركب من شب - حر أي شاب حر أو ولد حرا أو نشأ حرا، اسم العلم شهية ربما تصغير من الكلمة شهوه في الصفوية كالعربية يردّ الاسم الى أصله ثم يحول الى صيغة للتصغير.

ومن الأسماء المركبة الواردة في النص ولها طابع ديني جرم - إل ويعني كمال اللّه أو الكمال للّه، ومسك -إل ويعني سند اللّه أو منعة اللّه، اسم العلم شع هقوم مركب من شيع القوم وهو اسم إله صفائي ربما مأخوذ من العربية شيع القوم أي ودعهم حتى مشارف الديار وهو اسم إله القوافل عند العرب، وربما شيع آرامية وتعني معين ويصبح المعنى معين القوم ويتضح من النص طلب السلامة منه، اسم الالهة الثاني اللات ويطلب منها أن تنزل الجور والظلم على من يطمس الكتابة ويحل في هذا المكان.

من الناحية اللغوية نرى الكاتب استعمل صيغة الفعل المضارع (يجر - يعور) وذلك ليدل على استمرارية الطلب.

ونجد اسم الاشارة الحرف ذ الوارد في السطر الثاني (ذال) أي ذى آل و(ذ رحل) أي هذه الراحلة.

وهكذا يتبين أن مطر وشهية ومسك - إل إخوه والدهم حاج وجدهم مطر، نزلوا في المنطقة ومعهم حيواناتهم وان عملية تنسيبهم واضحة في السطر الثاني فهم من قبيلة عوذ وهي معروفة في النصوص الصفائية.

ونجد في السطر الأول اغفالا لاسم والد جـدهم (حاج) وأظن بأن الاسم قد سقط سهـوا ويبدو لي بأنهـا عائلة معـروفة فأكـثر من نص صفـائي يتحـدث عن أفراد هذه العائلة[1]، ولكن التنسيب في هذا النص أوثق بحيث يتصل حتى القبيلة.

↓

قبيلة عوذ

↓

عبط

↓

جرمئيل

↓

شبحر

↓

حاج

↓

مطر

↓

حاج

↓ ↓ ↓

مسكئيل — شهية — مطر

السطر الخامس دخيل على النص الأساسي، وله صفة جنائزية وفيه دعوة للثأر.

فـالكاتب يذكر بأن لعـرس هذه الورقـاء وأنه بحزن شـديد وضع حجـرا على قبـر أوس (أي وضع شـاهدة القبـر أو علامـة) وأنه حـان وقت الهجـوم أو الانقضـاض. وتتمة النص فيها تشويه ولكن الكلمة الأخيرة واضحة وفيها نداء للثأر.

1) D. Ennolittmann : Syria, Publication of the Princeton University, Archaelogical Excpeditions to Syrian in 1904-5 and 1909

سكران بن حامي

١-

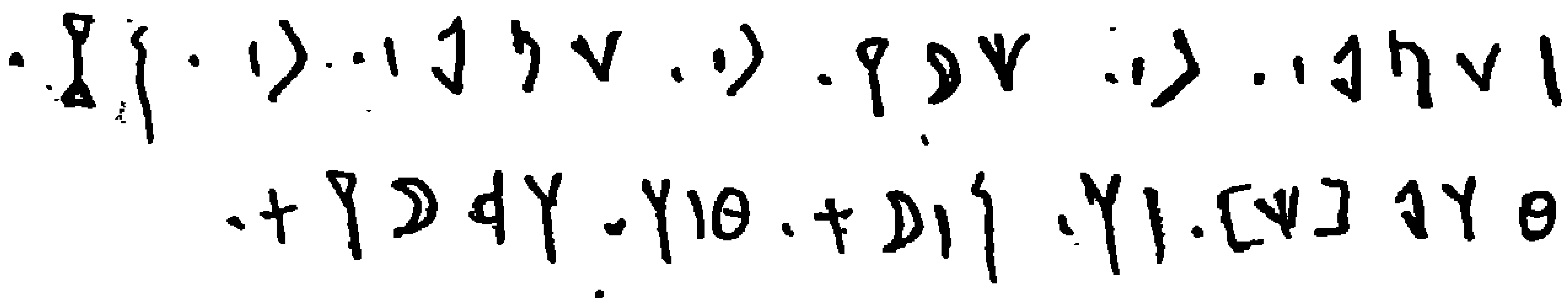

٢-

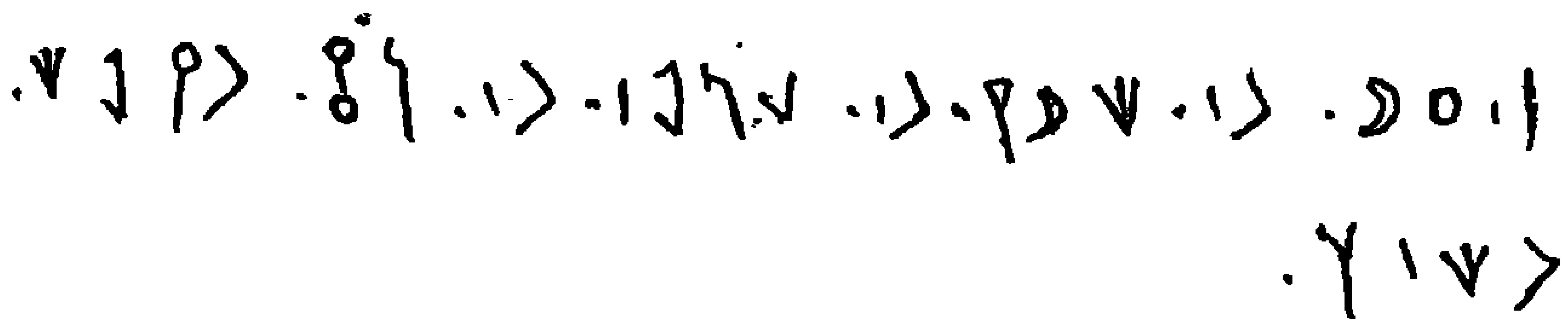

٣-

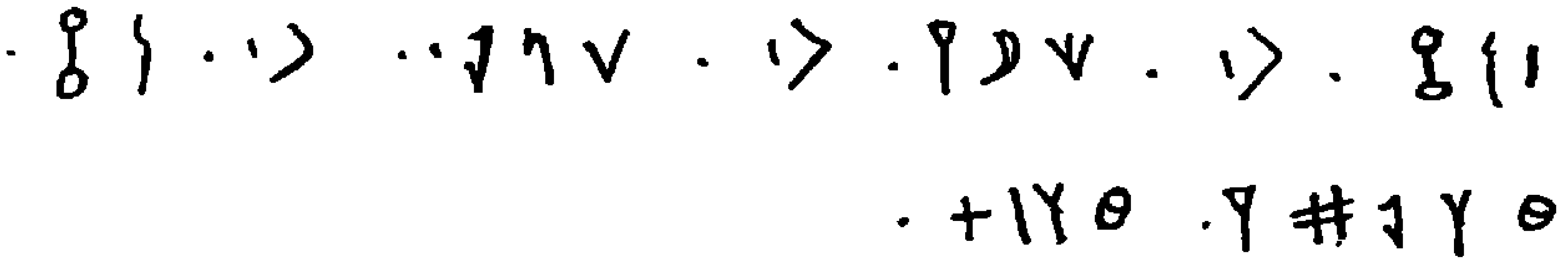

٤-

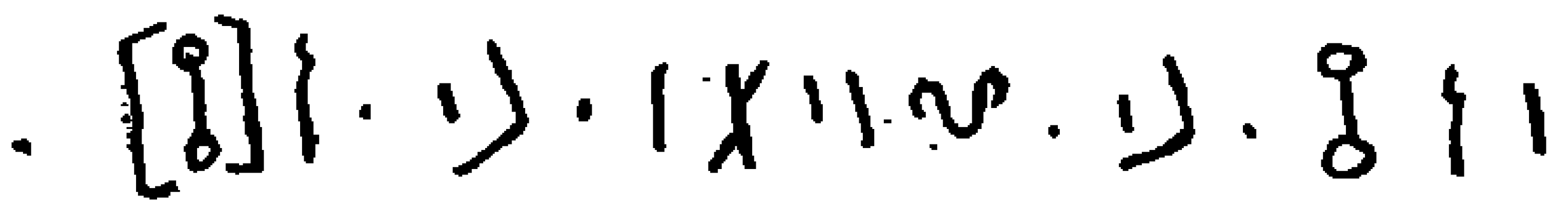

المعنى :

1- لسكران بن حامي بن سكران بن غوث الذي ذهبت اليه الغنيمة والفرس.

2- لنعم بن حامي بن سكران بن غوث الذي سيحل في هذا الشهر.

3- لغوث بن حامي بن سكران بن غوث والرضي واللات.

4- لغوث بن ظنن - إل بن غوث.

التعليق :

حجر بازلتي طبيعي عليه هذا النقش الصفائي، محفوظ بالمتحف الوطني بدمشق قسم الآثار الكلاسيكية برقم 29067، مؤلف من أربعة أسطر، يعتبر من النصوص التذكارية، يتوسطه رسم لفارس على جواده يحمل سهما طويلا أو حبلا يمتد حتى المهرةالتي تعدو أمامه، تحت هذا المشهد هناك رجل يحمل عصا صغيرة يبدو وكأنه راع وأمامه كلبه، أسفل الرسم هناك شكل عقرب، ويظهر لنا بأن الرسم قد تم أولا ثم الكتابة ويبدو ذلك واضحا في أسفل الحجر عندما نلاحظ التداخل بين الكتابة والرسم.

واذا عدنا الى النص فان الكاتب يصرح في السطر الأول عن عملية غزو قد تمت وان الغنيمة قد سيقت الى سكران.

بالنسبة لاسم العلم سكران وارد في النقوش الصفائية ويعني الذي فقد وعيه من الشراب ومؤنث الكلمة سكرى والاسم وارد الى الآن في منطقة حوران والبادية.

أما اسم والده حامي فهو من المصدر الحماية، والمقصود عند التسمية، انه يتوسم بهذا الشخص أن يكون حاميا للقبيلة، يلي ذلك اسم جده غوث وهو من الغوث والمعنى معروف وهو من الصفات العربية الأصيلة، وفي بعض النصوص يأتي اسم غثيل والمعنى الله المغيث وفي النبطية يأتي اسم غوث إل وغوث الهي.

أما كلمة هرج فإنها تعني ذهبت اليه الغنيمة وهدميت وهذه الكلمة تعني أما أنثى الجمل أو أنثى الخيل الخاصة بالعدو والسباق وهناك أسماء أماكن مثل هودوم ودوما نسب اليها هذا النوع من الجمال أو الخيول.

في السطر الثاني يبين الكاتب ان نعم سيحل في المنطقة في هذا الشهر.

أما في السطر الثالث نجد اسم غوث بن حامي بن سكران بن غوث وقد قرن اسمه باسمي الآلهة الرضي واللات ومن المعتاد طلب السلامة له، ولكن اكتفى هنا بهذا الاقران فربما يقوم غوث بمهمة لايود الكاتب التصريح عنها أو ربما هو من الأموات وغالبا عند ذكر أسماء أعلام مع أسماء الآلهة يكون طلبا للتبريك والحماية.

في السطر الرابع تم ذكر ثلاثة أسماء غوث بن ظنن إل بن غوث، إن اسم العلم ظنن إل مركب ومعناه غيرة الله أو حمية الله وجاء حرف النون مكررا إما لتدليل المسمى أو لعدم وجود الشدة في الكتابة الصفائية ونلاحظ هذا السطر جاء ليوضح النسب.

وبعد دراسة النص نرى بأن هناك تصريحا بثلاثة اخوة هم سكران ونعم وغوث ويمكن ملاحظة نسبهم من خلال المخطط التالي:

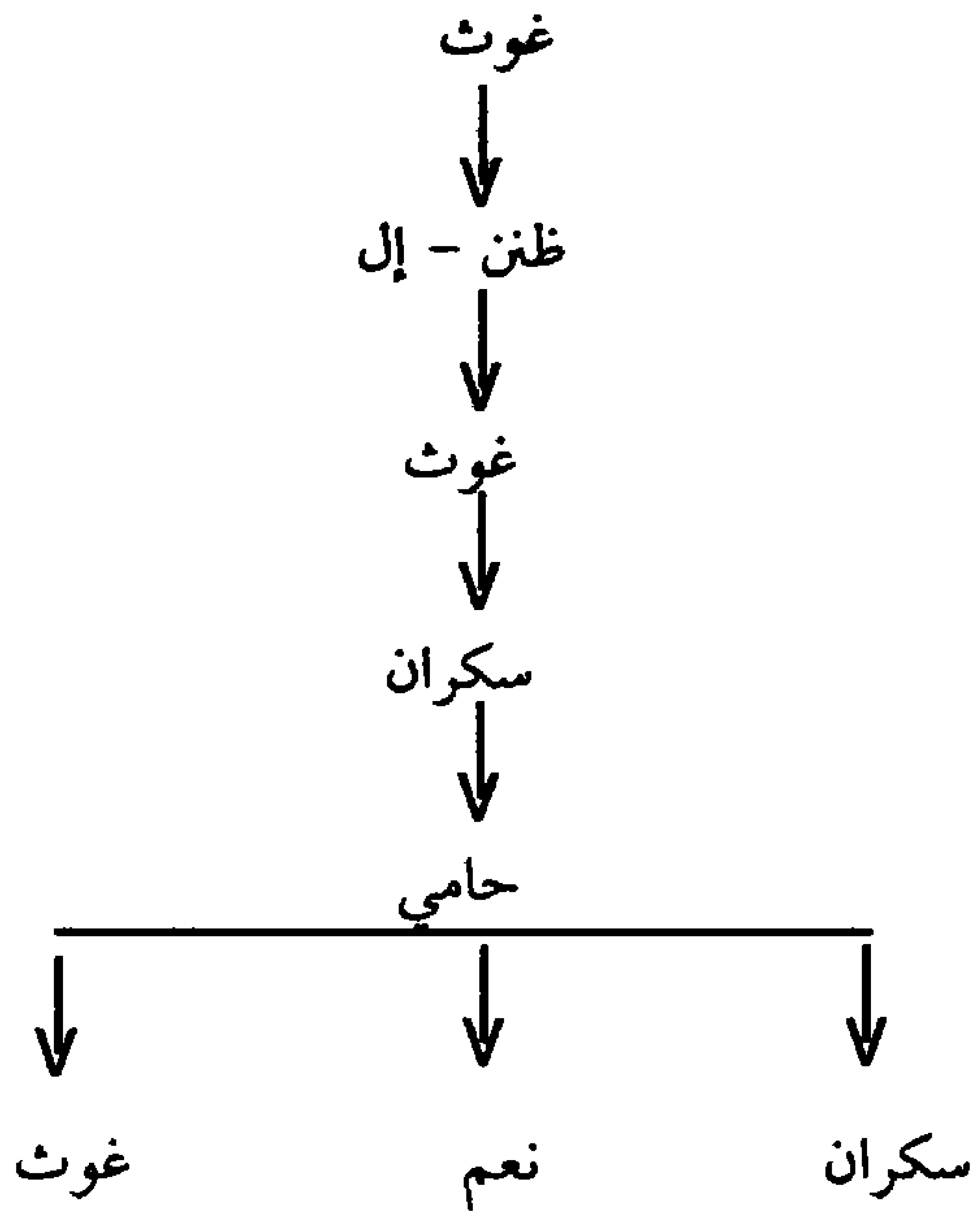

أعود للتأكيد بأن هذه النقائش بكتابتها ورسومها وموضوعاتها وبيئتها ولغتها عربية أصيلة فهي التي تعبر بشكل وثائقي عن الحياة العربية في البادية قبل الاسلام، ويجب أن لا ننسى بأن جميع المؤرخين العرب قالوا بأن الكتـابة العربية قد جزمت أي قطعت من الخط المسند وفي هذه المنطقة بالذات.

إن هذه القبائل التـي استقرت في شمـال شبه الجزيرة وعلى مفـارق الطرق لتحكم قبضتها على الحـركة التجارية، قد عاصرت مدنا ومشيـخات وممالك عامرة مثل مملكة الانباط ومملكة تدمر وكان لهـا اتصالاتها مع الممالك العربية الجنوبية من معنيـة وسبئية وحميريـة قد خلفت لنا نقوشا بالقلم المسند تقدر بالآلاف وهي بحـاجة لدراسة أوسع وأشمل لاستكمال الدراسة الموضوعية لتاريخ الكتابة في المنطقة.

كما ان هذه المجموعات من ثمودية ولحيانية وصـفائية قد أسهمت فيما بعد بوجود أمـارتين عـربيـتين مـن أصل يمني همـا دولة الغـسـاسنة ودولـة المناذرة، وبعـيـدا عن الأحداث الـتاريخيـة المعروفـة لهاتـين الدولتين واتجاها الى النقـوش الكتابيـة التي هي محـور بحثنا نرى أن بوادر الـكتابة العربـية قد ظهـرت في هذه الساحـة، وهذا يعني تفاعلا ثقافيا ناضجا بين الخطين الشمالي والجنوبي أعطى ما يسمى بالخط الجزم.

ولعل أقدم النصوص الارامية النبطية التي ظهر فيها عبارات عربية قريبة من لهجتنا الحالية هو نقش النمارة الذي وجد على قبر أحـد ملوك الحيرة اللخميين ويعود تاريخه الى 328م حيث نشعر بأن الكاتب كان عربيا ويتقن الارامية.

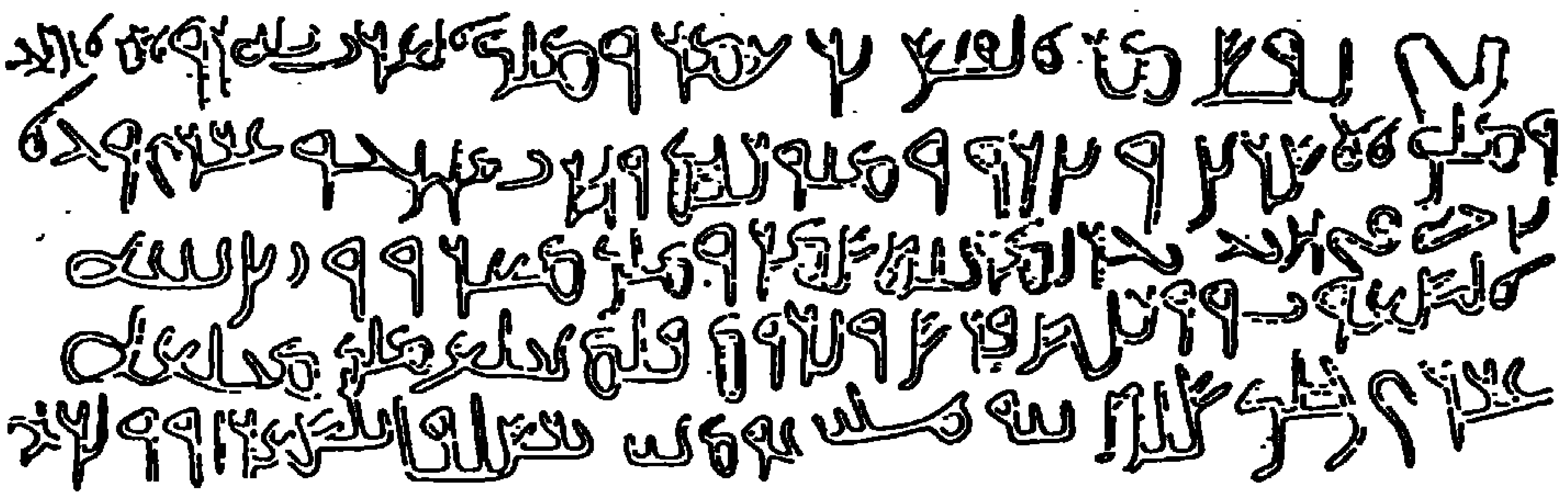

(نقش النمارة)

وذلك لظهور بعض العبارات ذات الاسلوب العربي الصريح لغة وكتابة مثل "فلم يبلغ ملك مـبلغـه" "ملك العـرب كله". وكـذلك الفعـل في جملة "وكلـهم فرسـو لروم" وتعني "وكلهم الفرس (لصد) الـروم" جاء الفعل بصيغة الجـمع العربية وليس الآرامية حيث يجب أن يقول "وكلهن".

ومن النصوص الانتقالية أيضا باتجاه ابجـديتنا بالعربية نقش رم الثاني حيث تظهر كلمات بأحرف عربية وأخرى صفائية أي أنها تعود الى الخط المسند (انظر نقش رم الثاني التالي)

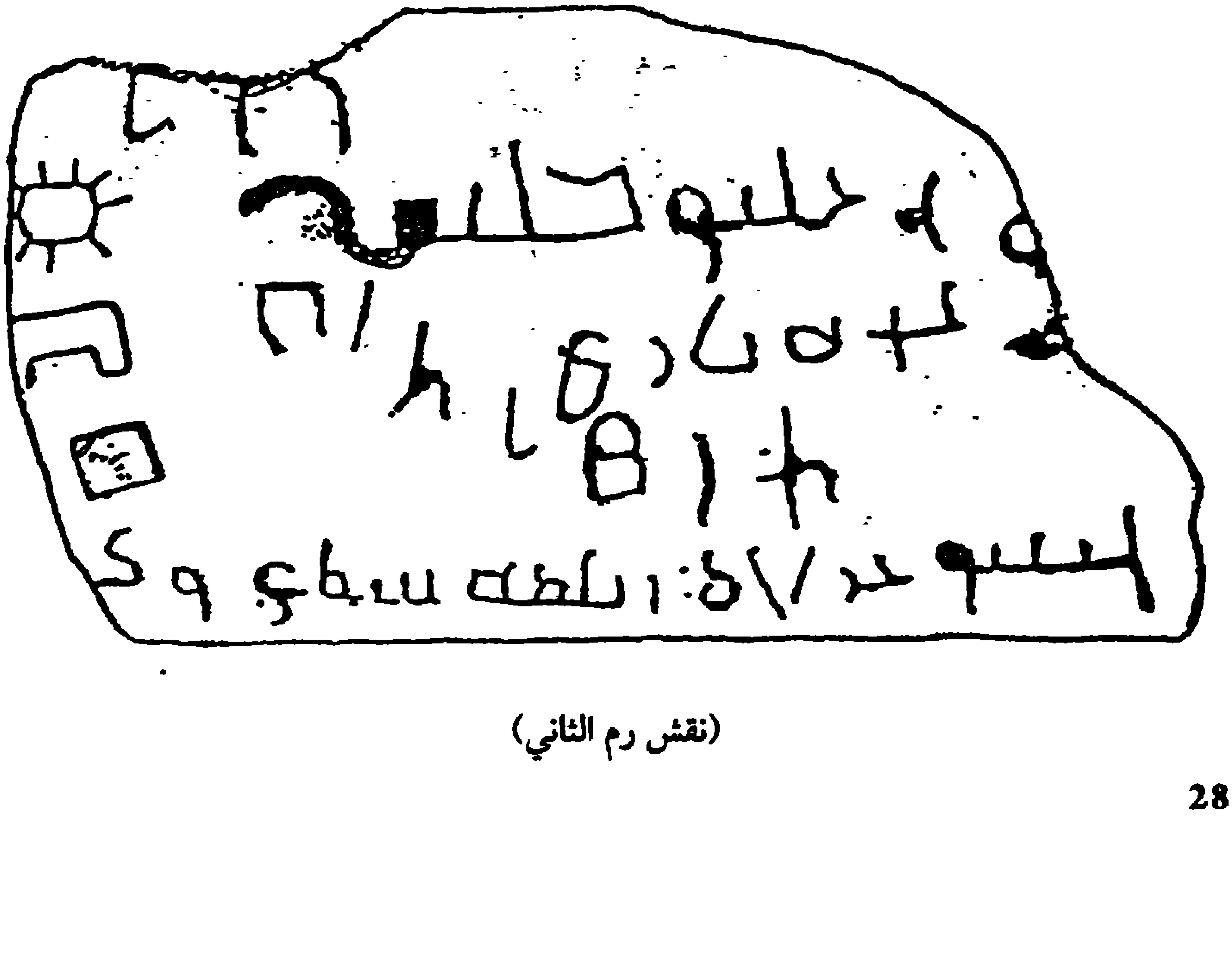

(نقش رم الثاني)

أما النقوش العربية الواضحة والصريحة فهي محدودة جدا تكاد لا تقابل عدد أصابع اليد الواحدة وهي نقش حران وزبد وأم الجمال الثاني ونقش أسيس.

وكما هو معلوم لدينا فإن عرب الحجاز لم يكونوا بمعزل عن الحضارة والفكر والثقافة قبل الاسلام فهم وبحكم صلاتهم التجارية المعروفة بين الشمال والجنوب كانت لديهم معرفة جيدة بالخطين الرامي والمسند وعلى مساس مباشر بظهور بوادر الأبجدية العربية في هذه المنطقة، ونهضت قبيلة قريش واستطاعت أن تعقد الايلافات أي المعاهدات التجارية مع سائر القبائل وأوجدت رحلتين في السنة إحداهما في الصيف الى بلاد الشام والأخرى في الشتاء الى اليمن قال تعالى "لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف".

وظهرت الأسواق العربية المختلفة التي ارتبطت بالتجارة في الحجاز وبمكة بالذات فكان من أهمها سوق عكاظ الذي يعتبر مركز نشاط اقتصادي في ظاهره وهومجمع لغوي في حقيقته فهو يجمع شتى القبائل العربية بمختلف لهجاتها وثقافاتها، وبدأ طغيان لغة الشمال على لغة الجنوب وبالمقابل فإن الخط المسند أخذ بالتراجع ليفسح المجال للخط العربي بالظهور والتداول ولكن الاشراق والانتشار الحقيقي لهذا الخط كان مع الاسلام، ولحكمة إلاهية كان القرآن الكريم هو الكتاب الأول الذي دون بالخط العربي.

التوصيـــات

1- ان هذه النقوش موزعة الآن في عدد من الـدول العربية لذا أرى وضع مشروع مشترك لحصر هذه النقوش وتحديد حركة هذه القبائل في المنطقة.

2-جمع النقوش الهامة وحـفظها وعدم تركها معرضة لعوامل الطبيـعة سيما وأنها على سطح الأرض وغير محفوظة ضمن تلال أثرية كغيرها من أنواع الكتابات.

3- في حال الترخيص لاي بعثة أجنبـية للعمل في هذا المجال يجب أن تكون بعثة عربية - أجنبيـة مشتركة وأن يكون العمل والبحث والدراسـة والنشر من قبل الطرفين بشكل متكافئ وكما يحدث في سورية حاليا.

4-يعتبـر سكان البادية من المواطنين المحافظين على آثار منطقتـهم، لذا علينا حاليا تحديد مواقع النقوش وأماكن تجمعها وفي حال قيام أي مشروع في البادية يجب اعلام السلطات الأثرية لدراسة الوضع في سبيل الحفاظ على هذه النقائش.

5- اقامة متاحف تخصصيـة لعرض النقائش ليتم توضيح تاريخ الكتابة في المنطقة آخذين بعين الاعتبار الأهمية الأثرية القومية لمثل هذا النوع من النشاط الحضاري الذي تم ابداعه في المنطقة وتقديمه للعالـم.

المصادر والمراجع
Reférences

1- Corpus Inscriptionum Semiticarium Tomus I.

2- D. Enno Littmann: Syria - Publication of the Princton University- Archaeological Expeditions to Syria 1904- 5 and 1909, Division IV.

- تاريخ اللغات السامية، د. أ. ولفنسون

- محاضرات الدكتور عدنان البني في علم المنقوشات 1984-1985

- الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد الثالث عشر 1963

كتابات عربية في جبل أسيس، د. أبو الفرج العش

- الحوليات الأثرية العربية السورية، 1973

نشأة الخط العربي وتطوره، د. أبو الفرج العش

كتابات عربية صفوية جديدة، د. علي أبو عساف

الموانىء البحرية التاريخية في السودان
كإحدى المنشآت المائيّة في الوطن العربي

أ. صلاح عمر الصادق

ان اسم السودان مشتق من الاسم الذي أطلقه الرحالة والجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الأراضي التي تقع جنوب مصر "بلاد السودان" أي أرض السود وهو اسم مبني على لون سحنة العنصر البشري الذي كان يقطن المنطقة في تلك الفترة التاريخية.

وتبلغ مساحة السودان حاليا حوالي المليون ميل مربع، وتمتد من قرورة ونملى في الجنوب حتى شلاتين وارقين في الشمال. ويجاور السودان مصر في الشمال وفي الشرق أثيوبيا وارتريا والبحر الأحمر الذي يمتد خط ساحله بطول 80كم ، وكينيا ويوغندا وزائير في الجنوب وافريقيا الوسطى وتشاد في الغرب وليبيا في الجنوب الغربي.

ويشكل الجزء الغربي للبحر الأحمر في السودان ونهر النيل والأنهر التي تصب فيه المسطحات المائية الرئيسية وذلك اذا تغاضينا عن الأودية والخيران والأنهر الموسمية التي تكثر بالسودان (انظر خريطة رقم 1) . هذا الموقع الجغرافي المتميز للسودان كملتقى للطرق التجارية الافريقية وذلك لتوسطه القارة الافريقية وامتداد حدوده بين تسع دول مما أدى الى تداخل بين القبائل في هذه الحدود، اضافة الى امتداد ساحله على البحر الأحمر وتفرد هذا الساحل بكثرة الخلجان مما أدى الى قيام كثير من المراسي والموانئ الطبيعية منذ أقدم العصور فأصبح إحدى بوابات الثقافة والتجارة لدواخل القارة الافريقية. والموانئ البحرية التاريخية الثلاثة هي باضع على الجزء الجنوبي وعيذاب في الشمال وسواكن في الوسط.

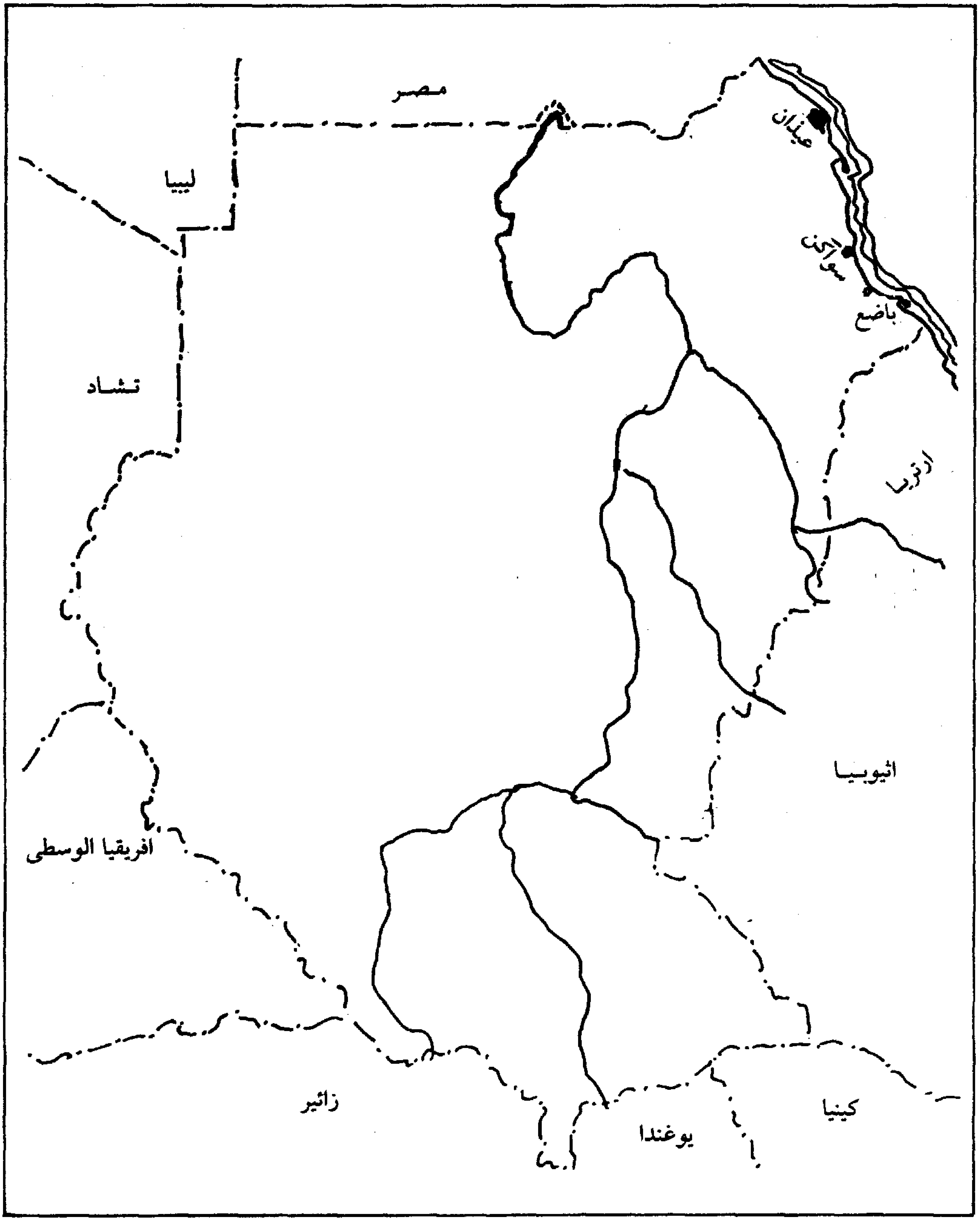

خريطة رقم 1 : خريطة السودان موضح فيها المسطحات المائية والمواني الثلاثة
(باضع وعيذان وسواكن) والدول التسعة التي تحيط بالسودان

كل المعطيات السابقة أدت الى قيام حضارات مزدهرة في كل أنحاء السودان منذ عصور ما قبل التاريخ فقد نشأت في العصور الحجرية حضارات في أماكن متعددة ومن أهم مواقعها خور أبو عنجة ومستشفى الخرطوم والشهيناب في أواسط السودان، وقد بدأت هذه العصور قبل 4500 ق-م. أما منطقة النوبة في شمال السودان في هذه الفترة كانت تواصل تطورها الحضاري فنجد نشوء حضارة المجموعة الأولى والثالثة التي استمرت منذ (3100 ق-م حتى 2150 ق-م) ثم تلا ذلك مرحلة المملكة المصرية الوسطى والحديثة (2150-1100ق-م) والتي ازدهرت حضارة كرمه في الجزء الأول منها، ثم تابع السودان تطوره الحضاري فنجد عصر نبته مروى (750ق-م-350م) ثم العصر المسيحي (450-1450م) وكان بعد ذلك قيام أول سلطنة اسلامية في أواسط السودان وهي سلطنة الفونج الاسلامية (1450-1821م).

هذا ما كان من أمر شمال السودان أما شرق السودان منطقة ساحل البحر الأحمر فقد تفاعل في تطوره التاريخي بالأحداث التي تجري في بقية السودان وان ارتبط في مجريات تطوره التاريخي بالموانئ البحرية على الساحل التي ارتبطت بالتوزيع القبلي، كما لعبت الهجرات العربية الوافدة من الجزيرة العربية دورا هاما في تاريخ هذا الساحل من خلال المواني التي انشئت وقد تميزت هذه الموانئ باستقلالية ذاتية حتى سقوطها مع بقية موانئ البحر الأحمر تحت يد السلطنة العثمانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي [1].

- الموانئ البحرية التاريخية السودانية وتوزيع قبائل الساحل:

لعبت القبائل السودانية القاطنة للساحل والظهيرة دورا أساسيافي تاريخ هذه المواني منذ أقدم العصور فقد ذكر هذه القبائل كثير من الرحالة والجغرافيين العرب ومنهم اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي) - 895م- في كتابه "تاريخ اليعقوبي" فقد ذكر قبائل الحدارب والحباب والأمرار [2].

وأول العناصر البشرية التي قطنت هذه الموانئ التاريخية الثلاثة (باضع وعيذاب وسواكن) ووجدت الآثار الدالة عليهم هم العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية

(1) محمد صالح ضرار. «تاريخ سواكن والبحر الاحمر». دمشق، الدار السودانية للكتب، 1981، ص 53 .

(2) مصطفى محمد مسعد «المكتبة السودانية العربية»، القاهرة، جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972، ص 22 .

وخاصة حضرموت باليمن وعرفوا محليا باسم الحدارية (الحضارمة) وقد عمل هؤلاء على التمازج مع السكان المحليين وقاموا مجتمعين على التنشيط الحركي والعمراني لهذه المنشآت المائية وتبادلوا التجارة مع القبائل في الظهيرة ومع الموانئ الأخرى في البحر الأحمر (3).

لقد شاركت قبائل الساحل في هذا النشاط وتوزيع هذه القبائل حسب النشوء التاريخي للموانئ أي حسب تسلسلها التاريخي (باضع وعيذاب وسواكن). ففي ميناء باضع جنوب الساحل السوداني عند عقيق نجد أن القبيلة التي تقطن هناك هي قبيلة البني عامر الذين يمتدون جنوبا من طوكر حتى الحدود السودانية الأرترية. أما في ميناء عيذاب في شمال الساحل السوداني فنجد قبيلة البشارين التي تمتد من شمال مدينة محمد قول حتى الحدود السودانية المصرية، أما آخر الموانئ التاريخية السودانية فهو ميناء سواكن فتقطنه قبائل الهدندوه التي تمتد مناطقها من سواكن في الساحل باتجاه الداخل أما قبائل الأمرار فهي تمتد من سواكن حتى دنكناب شمال بورتسودان.

ان القبيلة التي تميزت بتوزعها على كافة هذه الموانئ الثلاثة فهي قبيلة الرشايدة والتي تمثل آخر الهجرات العربية الى السودان فقد قدموا من الجزيرة العربية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي (4). (انظر خريطة رقم 2).

التكوين الجيولوجي للساحل السوداني وأسباب نشوء الموانئ البحرية:

إن إبراز التكوين الجيولوجي لساحل البحر الأحمر السوداني يمكن أن يلقي الضوء على الأسباب الطبيعية لنشوء هذه الموانئ البحرية والمواد التي استخدمت في بنائها وبناء السكان لمنشآتهم. ففي عصر البلتوسين تكونت الشعب المرجانية على شكل كورنيش بطول الساحل السوداني الذي يبلغ 800كم وبعرض كيلو ونصف وبسمك مترين فوق سطح البحر.

وتتكون هذه الشعب المرجانية من صخور مرجانية ورسوبيات لحفريات اختلطت ببعضها بواسطة الحجر الجيري الرملي. وتعتبر الشعب المرجانية المصدر الأساسي لمواد

(3) ابن بطوطة. «رحلة ابن بطوطة»، القاهرة، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ، ص 164 .

(4) يوسف فضل حسن «دراسات في تاريخ السودان»، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1975، ص 173 .

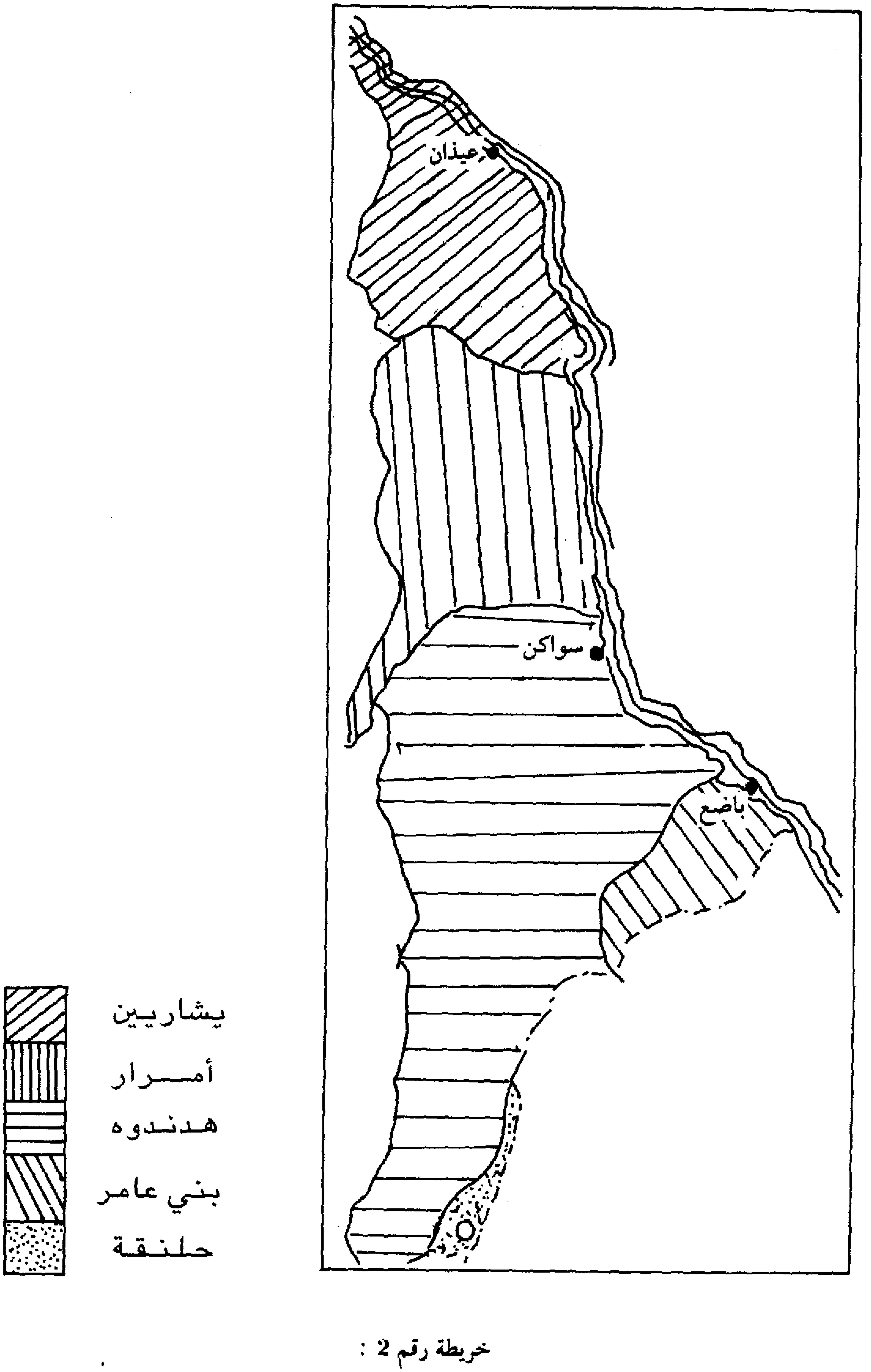

خريطة رقم 2 :

توزيع القبائل السودانية على ساحل البحر الأحمر (الموانى الثلاثة باضع وعيذان وسواكن)

البناء في كل ساحل البحر الأحمر وقد بنيت منها كل الموانئ التاريخية الثلاثة (باضع وعيذاب وسواكن) كما بنيت منها منشآت السكان من منازل ومساجد وغيرها. كما يستخرج الجير من هذه الشعب ويوجد كثير من هذه المحاجر وتسمى محليا (مناقب) اضافة الى ذلك فان الجير يستخدم في الطلاء وأيضا يخلط مع الرملة ويخمر ويستخدم كملاط رابطا لكتل الصخور المرجانية التي تستخدم في البناء وتقف مباني مدينة سواكن شاهدا على هذا الاستخدام ويؤكد ماذكر سابقا قرين لو Greenlaw حينما يقول :

The houses and mosques of Suakin were built of modrepore, or rock-coral, brought from the sea-bed (5) .

ان هناك عدد كبير من الخيران والأودية تأتي من الجبال (جبال البحر) محملة بمياه الأمطار في فصلي الخريف والشتاء وتقطع الساحل لتصب مياهها في البحر وعند فتحات هذه الخيران والأودية تكون مصبات خليجية أو مراسي قاطعة في الشعاب المرجانية ومن هنا تتكون موانئ ومراسي للمراكب والسفن ونسبة لكثرةهذه الخيران والأودية فقد كثرت الموانئ والمراسي الطبيعية (6).

ومن هنا فقد عمل التكوين الجيولوجي والطبوغرافي لساحل البحر الأحمر على نشوء الموانئ وعلى توفير مواد بنائها وبناء مدتها.

الموانئ البحرية التاريخية السودانية (باضع وعيذاب وسواكن):

بدأ نشاط موانئ الساحل السوداني منذ فجر التاريخ فقد ورد ذكرها منذ عهد المملكة المصرية القديمة (2570-2635 ق-م) كما ذكرت في عهد المملكة المصرية الحديثة الأسرة الثامنة عشرة (1550-1305 ق-م) في زمن الملكة حتشبسوت (1490-1468 ق-م) حيث ذكرت أنها أرسلت بعثة بحرية الى بلاد بونت جنوب ساحل البحر الأحمر المصري ويؤكد كثير من علماء المصريات بأنها في السودان.

Jean-pierre Greenlaw. "The Coral Buildings of Suakin. London. Oriel Pres, 1976, p. 87. (5)

(6) احمد محمد علي حاكم ومحمد طاهر «المشروع السوداني الفرنسي للابحاث العلمية في منطقة البحر الاحمر» مجلة آداب، جامعة الخرطوم، العدد 5 لسنة 1983، ص 52 .

ارتبط نشاط هذه الموانئ اضافة الى التجارة بحركة التعدين في الظهيرة وقد وجد هذا النشاط اهتمام فراعنة مصر وخاصة الأسرة الثامنة عشرة (7). واستمر الدور التاريخي للموانئ السودانية وخاصة في العصر البطلمي والروماني وقد أشار المؤرخ الروماني بليني الأكبر الى أن بطلميوس الثاني والثالث أقاما محطات تجارية على الموانئ الساحلية السودانية وخاصة في باضع وكانت هذه المحطات اضافة الى نشاطها التجاري تقوم باستيراد الحيوانات من داخل القارة الافريقية للملوك البطالسة (8) وتواصل الدور التاريخي في العهد البيزنطي المسيحي ولكن قمة ازدهارها وتشكيل تاريخها كان على يد العناصر العربية قبل وبعد الاسلام بصورة أكبر.

بناء على ما سبق ذكره سنركز دراستنا على هذه الموانئ الثلاثة في الفترة العربية الاسلامية ونبدأ بأقدمها وهي:

ميناء باضع:

ألف العرب السواحل الافريقية للبحر الأحمر قبل الاسلام في زمن الخلفاء الراشدين وكانت لهم مراكز وتجمعات هامة حيث وصلوا الى صيغة تعايش مع العنصر المحلي، وميناء باضع كان حجر الزاوية في هذه العلاقة فقد كانت ميناء هاما ومدينة تحت امرة المسلمين نفى اليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل أبا محجن الثقافي في السنة السادسة للهجرة وقد أورد الطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك): " وقال الواقدي: وفي هذه السنة غرب عمر أبا محجن الثقفي الى باضع " (9).

ونستخلص من ذلك أنها كانت تابعة للخلافة الاسلامية وسيطرتها عليها تامة حتى غدت سجنا ومنفى، وعلى ما يظهر فان المسلمين استطاعوا أن يحولوا هذه العلاقة والسيطرة الى علاقة تجارية مزدهرة واتفاق متبادل حتى غدت مركزا تجاريا هاما اذ

---

(7) Zyhlarz, Ernest. "The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom". **Kush** VI, 1958, p. 24.

(8) Pliny the Elder. **"The Natural History"** Book, VI, 34. H, Rackham. M. A. (tran). London. Harvard University Press, 1947, p.465

(9) الطبري، محمد بن جرير **«تاريخ الرسل والملوك»**، مجلد 97، القاهرة، دار المعارف، 1962، ص 28.

صدرت كثير من المنتجات السودانية التي تتوافر في الداخل في أراضي الظهيرة حيث ذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب بنى مسجدا بجدة وجعل له ساريتان من خشب الابنوس. وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان تطور ميناء جدة وأصبح ميناء مكة الرئيسي ليسهل أمر الامدادات والحجاج الوافدين بالبحر الأحمر، وربما كان لهذا أثره في ازدهار باضع حيث انجذب كثير من المهاجرين العرب المسلمين نحو الساحل الافريقي وأصبحت علاقة المسلمين بسكان الداخل ثابتة ومؤسسة.

تقف آثار مدينة باضع هذه شاهدا على العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة، وموقعها اليوم في الطرف الجنوبي لجزيرة الريح على ارخبيل عقيق عند الحدود السودانية الارترية ويشتمل الموقع على مساحة تقدر بحوالي الستمائة متر طولا ومائتي مترا عرضا، تتبعثر على هذه المساحة بقايا أطلال مبان من حجارة المرجان المحلية، بعض هذه المباني كبير في حجمه وهي مرصوصة حول شارع يخترق المدينة وتلتحق به بعض الميادين والساحات [10] أحد هذه المباني يظهر أنه كان مسجدا شبيه بالطراز الحجازي زمن الخلفاء الراشدين، ويشبه المسجد المجيدي الموجود حاليا بجزيرة سواكن والمشيد سنة 1853 [11].

وتغذى المدينة بالمياه بواسطة مجموعة كبيرة من الخزانات متصلة بقنوات مغطاة وعليها طبقة من الجبس والجير[12] وهذا النظام ليس معروفا في دواخل السودان وان وجدت هذه الخزانات في كل من عيذاب وسواكن كما أنه شائع في الجزيرة العربية. تلتحق بهذه الآثار مقبرة واسعة تفوق اعدادها الألف قبر مختلفة في أشكالها وأحجامها بعضها شبيه بقبور البجه وبعضها مندثر تماما وبلا مميزات كمقابر البقيع بالحجاز وكثير منها يتجه نحو القبلة وبعضها لا يتقيد بذلك، ووجدت شواهد قبور مخطوطة بالخط الكوفي وبعضها مؤرخ يشير الى استمرارية هذه المواقع حتى القرن الثالث والرابع الهجريين الموافقين للقرن الحادي عشر الميلادي.

ميناء عيذاب:

لعبت عيذاب دورا هاما بالنسبة للسودان حيث كانت نقطة انطلاق للدعوة الاسلامية الى داخل السودان فمنذ خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي

(10) J.W. Crowfoot. "Some Red Sea Ports In the Anglo-Egyptian Sudan". Geographical Journal, Vol. XXXVII, May 1911, p. 542-4.

(11) Hinkel, F.H. "The Archaeological Map of the Sudan, The Area of The Red Sea Coast and Northern Ethiopan Frontier, VI, Berlin, 1992, p. 319.

(12) H.E. Hebbert. "El Rih - A red Sea Island" S.N.R., Vol. XVII, 1935, pp. 312-13.

الله عنهما تواتر وورود المسلمين عليها - وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه، وكانت مخرجا لمتوجات منطقة المناجم[13] توجد بعيذاب مقابر كثيرة لا تتناسب وحجم المدينة وهذا يشير الى زيادات فجائية مثل الحجاج الموسيميين ومن بين هذه المقابر هناك مجموعات غير اسلامية ويعزى ذلك الى طبيعة مجتمع عيذاب المركب الذي ضم عناصر غير مسلمة كتجار اليهود والنصارى والبجة الوثنيين.

لقد اشتهرت عيذاب بالمباني الكبيرة فقد ذكر ابن بطوطة جامع القسطلاني كأحد المعالم المعروفة في العالم الاسلامي وقتها، كما توجد بها صهاريج حفرت في الأرض وغطت جدرانها بالجبس لحفظ المياه. ومما يؤكد طبيعة ميناء عيذاب التجارية وجود كميات كبيرة من قطع الخزف والزجاج والفخار وكلها من الأنواع الرفيعة الغالية الثمن وفيها الخزف الفاطمي والمملوكي الشهير والذي يشبه انتاج الفسطاط وكذلك أعداد هائلة من الخزف الصيني الذي انتج خصيصا في مصانع اندونسيا وفيتنام والصين وقطع الزجاج الملون التي تشير الى ارتباط عيذاب بسواحل الشام وجمهوريات ايطاليا [14] كل هذا يؤكد حقيقة أن ميناء عيذاب له صلات بعواصم العالم والعالم الاسلامي بصفة خاصة خلال فترة ازدهارها وقد زارها كثير من الرحالة والجغرافيين العرب أمثال ابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون، وقد دمر ميناء عيذاب على يد السلطان المملوكي بارسباى في حدود عام 1426م.

ميناء سواكن:

يقع ميناء سواكن جنوب ميناء بورتسودان وعلى بعد 50كم منها، عند خط عرض 19,06 شمالا وخط طول 37,20 شرقا خريطة رقم NE-37-A مقياس 250,000 1 : (مصلحة المساحة السودانية) وتقع سلسلة جبال البحر الأحمر غرب سواكن على بعد عشرات الكيلومترات منها ممتدة جنوب- شمال.

وكانت سواكن تعتبر أهم ميناء على البحر الأحمر حتى عام 1909م. عندما فتح ميناء بورتسودان [15] وتربط سواحل البحر الأحمر بدواخل السودان وافريقيا، كما

---

(13) بشير ابراهيم بشير. «عيذاب : حياتها الدينية والأدبية» **مجلة الدراسات السودانية** ـ جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد 5، يوليو 1979، ص 74 .

(14) Mutsuo Kawatoko, "Preliminary Survey of 'Aydhab and Badi' Sites" **Kush**, Vol. XVI, 1993, pp. 204, 7,212.F.2,

(15) Roden, D. "The twentieth Decline of Suakin. SNR, Vol. LI, 1970, p. 9.

أنها تتاجر مع الموانئ الشرقية على الساحل الآخر مثل ميناء مخا والحديدة في اليمن وجدة وينبع في السعودية والعقبة في الأردن وقد وجدت كثير من الوثائق الخاصة بالتعاملات التجارية ما بين سواكن وهذه الموانئ وهي تعكس كثيرا من أوجه الحياة في تلك الفترة ولكن هذه الوثائق لم تدرس من قبل الدارسين. وقد أضاف أهمية لموقعها أنها كانت تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عصب ومصوع في ارتريا وعيذاب في السودان وراس بنياس والقصير في مصر. وقد تعاصرت مع عيذاب قبل نهاية عيذاب في العقد الثالث من القرن الخامس عشر الميلادي.

يتكون ميناء سواكن من ثلاثة أجزاء متكاملة بحيث يقع الجزء الأول منها على الأرض الساحلية ثم يأتي الجزء الثاني وهو الرئيسي ويقع داخل الجزيرة وقامت عليه كل مباني سواكن الهامة ومحيط الجزيرة كيلومتران ونصف كيلو متر وتبعد عن البر أو الجزء الأول بحوالي 40 مترا، أما الجزء الثالث فهو جزيرة تعرف باسم الكوندنسر أوجزيرة الكنداسه تبعد حوالي 80 مترا شمال سواكن (الجزء الثاني) وكانت تستعمل الجزيرة في أعمال تتعلق بالميناء مثل مربط للسفن وبعض الأعمال الادارية وترتبط هذه الجزيرة في الجزء الشمالي الغربي منها بالبر وذلك من خلال أرض محاطة ببرزخ يقل فيها مياه البحر، وجزيرة الكنداسة أصغر من الجزيرة الرئيسية.

ويعود تاريخ سواكن الى العصور الفرعونية (16) ولكن مباني المدينة تبرز لنا الفترة الاسلامية (642-1909م) ويعود تاريخ المباني الحالية في الجزيرة الى (1531-1909م). وتتكون المباني من المنازل والجوامع والمنشآت الحكومية مثل مبنى المحافظة والجمارك والمحكمة والرصيف كما تشمل المباني أيضا المنشآت العسكرية مثل الطوابي والأسوار. وقد بنيت المباني على أسس العمارة العربية الاسلامية وهي تنقسم معماريا الى ثلاث فترات هي:

1- الفترة القديمة وترجع الى الفترة التركية (القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر).

2- الفترة الوسيطة وترجع الى أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وتعود المباني الى العمارة التركية، وتعلو المباني الى ثلاثة طوابق بنسب متناسقة.

3- الفترة الثالثة وتتميز بالعمارة التركية - المصرية وترجع الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

(16) ضرار ـ تاريخ سواكن، ص ص 37 ـ 8 .

ان مبانـي سواكن ذات الأشكال المربعة الفنيّة في مـعمارها وزخارفـها ومشربيـاتها البـارزة وخيـر ما يمثل هذا الابداع المعـماري جـوامع الجزيرة وخـاصة الجـامع الحنفي والجامع الشافعي التي تقول الروايات أنه قد بنته الملكة شجرة الدر (1250م) (17) .

لقد لعبت الموانئ البحرية السودانية على ساحل البحر الأحمر دورا هاما في تاريخ المنطقة وعملت على انصهار العناصر العربية والمحلية في تمازج متفرد عاملا على اثراء شعوب المنطقـة العربية برفاهيـة مادية وثقافيّة مما أدى إلى تشكـيل الوجدان الواحد في كلّ حوض البـحر الأحمر ولا زال دور هذه الموانئ حـيويا ومستـمرا لان عند ازدهار هذه الموانئ ازدهرت الأمـة العربيـة والاسلامـية وأبرزت حـضارة لا زالت شـواهدها المادية تقف شامخة الى اليوم.

---

(17) ضرار ــ تاريخ سواكن، ص ص 148 .

المراجـــع

المراجع العربية:

1) ابن بطوطة (أبو عبـد الله محـمـد بن عبـد الله بن محمـد بن ابراهيم اللواتي الطنجي) " رحلة ابن بطوطة" ، القاهرة، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ.

2) احمد محمـد علي حاكم ومحمد طاهر " المشروع السوداني الفـرنسي للأبحاث العلمية في منطقة البحر الأحمر" ، مجلة آداب، جامعة الخرطوم، العدد 5 لسنة 1983م.

3) الطبري (محمد بن جرير) " تاريخ الرسل والملوك" ، مجلد 17، القاهرة، دار المعارف، 1963.

4) بشير ابراهيم بشير " عيذاب: حياتها الدينية والأدبية" مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد 5 ، يوليو 1979م.

5) محمد صالح ضرار " تاريخ سواكن والبـحر الأحمر" الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1975م.

6) مصطفى محمد مسعد " المكتبة السـودانية العربية" ، القاهرة، جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972.

7) يوسف فضل حسن " دراسات في تاريخ السودان" ، الخـرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1975م.

المراجع الأجنبية:

1) Hinkel,·F.H.:"The Archaeological Map of the Sudan, The Area of the Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier VI ". Berlin. 1992.

2) Jean-Pierre Greenlaw :"The Coral Building Of Suakin " London, Oriel Press, 1976. J.W.Crowfoot:"Some Red Sea Ports In the Anglo-Egyptian Sudan ", Geographical Journal, Vol. XXXVII, May 1911.

4) Mutsuo Kawatoko: "Preliminary Survey of 'Aydhab and Badi' Sites " Kush, vol. XVI, 1993.

5) Plinythe Elder: "The Natural History ". Book, VI, 34.H. Rackham.M.A.(tran) London. Harvard University Press, 1947.

6) Roden D.: "The Twentieth Century Decline Of Suakin ", SNR, vol. LI, 1970.

7) Zyhlars Ernest: " The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom ", Kush, vol. VI, 1958.

الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي

د. منير يوسف طه(*)

نظرا لأهمية الترابط الحضاري ما بين بلاد وادى الرافدين، ومنظمة الخليج العربي فان بحثي هذا سيتناول جانب من جوانب النقائش الصخرية في العراق القديم، والرسوم الصخرية في بعض دول الخليج العربي.

ومن خلال متابعتنا لهذين الموضوعين الحيويين تبين لنا أن النقائش الصخرية البارزة تعرف بالتعبير اللاتيني (Relief)، وقد ظهرت هذه النقائش في بلاد وادى الرافدين منذ العصر المسمى بجمده نصر والذي يؤرخ ما بين نهاية الألف الرابع والبدايات الأولى للألف الثالث قبل الميلاد.

أما الرسومات الصخرية والتي تعرف بالكرافيتو (Graffito) فانها ظهرت في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية منذ عصور حضارية مبكرة أيضا يمكن أن تنسب وحسب الاجتهادات الخاصة بهذه الدراسات إلى الألف الثالث، أو الثاني قبل الميلاد.

ولسهولة متابعة البحث فاننا سنقتصر على ذكر أهم النقائش الصخرية والمعروفة بالنحت البارز (Relief)، في بلاد وادى الرافدين، والرسوم الصخرية والمعروفة بالكرافيتو (Graffito) في منطقة الخليج العربي.

1- النقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين

بالامكان تقسيم هذه النقائش إلى مجموعتين هما:

أ) النقائش الصخرية المنقولة، وتشمل المسلات والنصب التذكارية، التي لها عدة مدلولات خاصة كأن تكون مواضيع ملكية، أو مواضيع عامة وقد تكون نقائش تمثل

(*) مدير المركز الاقليمي لعناية الممتلكات الثقافية

عدة جوانب من الحياة الدينية والدنيوية وخير دليل على هذا النوع من النقائش ما يعرف بالاختام الاسطوانية (Cylinder Seals) والألواح الجدارية (Plaques).

ب) النقائش الصخرية الغير منقولة، وتشمل هذه النقائش التي تعكس جنبا من جوانب سيرة أحد ملوك بلاد وادي الرافدين وقد نقشت هذه السيرة على سبيل المثال على سفوح أو أعالي الجبال الصخرية.

أ- النقائش الصخرية المنقولة:

ان انعدام الأحجار التي تصلح لعمل النقائش عليها في بلاد سومرواكد والغنيتان بالفائض الزراعي والمنتوجات الحيوانية والمتاخمتين لمنطقة الخليج العربي التي تزخر بأنواع لا بأس بها من الأحجار التي يمكن استعمالها في النقائش والنصب التذكارية كصخور الكلورايت والهماتيت، والستياتيت، قد أتاح لهما تبادل هذا الفائض الزراعي والحيواني بأنواع عدة من الصخور المتوفرة محليا، أو التي كانت تجلب من مناطق لها علاقات تجارية مع منطقة الخليج العربي.

ان غالبية هذه الصخور وعلى ما يظهر كانت توظب لعمل النقائش الملكية، وان أول دليل لنا للنقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين قد جاءنا من مدينة الوركاء التي كانت احدى مدن بلاد سومر المقدسة.

وقد تبين من الدراسات الاركيولوجية أن نقش مدينة الوركاء الصخري هذا يمثل مشاهد صيد أسود يعزي تاريخها الى العصر المبكر للسومريين وبالتقدير العصر المسمى بعصر جمدة نصر والذي يؤرخ إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وقد عرف هذا النقش الصخري في الأواسط الأثارية باسم مسلة صيد الأسود.

وصف المسلة

نقشت مشاهد هذه المسلة بما يعرف بالنحت البارز (Relief) على قطعة صخرية سوداء اللون بيضوية الشكل تقريبا. يبلغ الارتفاع الكلي المتبقي للمسلة حوالي ثمانين سنتمترا، وقد نقشت المشاهد على سطح محدب مصقول صقلا جيدا.

في أعلى المسلة يشاهد شخصا يقاتل أسدا بالرمح وهو يرتدي مغضنه وغطاء رأس. ان ذات المشهد يشاهد أسفل المسلة الا أنه بحجم أكبر، والشخص في المشهد الأسفل يصطاد الأسد بالقوس والسهم.

ان المتطلع إلى شخوص هذه النقوش يجد ان أسلوبها العام يميل إلى الأسلوب الطبيعي الذي يعمد على اظهار الجوانب البارزة للمواضيع المراد نقشها.

ان هذا الأسلوب تجلى أيضا في نقائش صخرية أخرى ظهرت على اناء معمول من الحجر وصف الاناء النذري.

وصف الاناء النذري

يبلغ الارتفاع الكلي لهذا الاناء حوالي مترا واحدا وهو معمول من حجر أبيض اللون على الأكثر حجر المرمر، وقبل الجوج في اعطاء تفاصيل محددة عن ماهية هذا الاناء لا بد من الاشارة إلى تاريخه الذي حدد إلى العصر المسمى بعصر فجر السلالات الثاني والذي يؤرخ خلال الربع الأول من الالف الثالث قبل الميلاد، وخلال هذا العصر ظهرت كثيرا من النصب والنقائش الصخرية التي تمثلت بما يعرف بالألواح الصخرية التي هي الأخرى تمثل مواضيعها الحياة الدنيوية والدينية في بعض الاحيان في بلاد سومر.

يحوى الاناء النذري هذا أربعة أفاريز تحوى على مشاهد متنوعة يعتقد أنها مشاهد تمثل عطاءا نذريا إلى المعبد لذلك سمي بالاناء النذري.

في الفريز الأول من الأعلى يشاهد رجل عاري حليق الرأس لربما كان كاهنا يحمل في يده سلة أو اناء مخروطي الشكل يحوي على غلات وفواكه، وأمام هذا الكاهن والذي تبدو على ملامح وجهه الصرامة والاصرار، امرأة ترتدي ثوبا طويلا وغطاء رأس تخرج منه على الأكثر ريشة طويلة. يدها اليمنى مثناة على صدرها، أما يدها اليسرى فهي مثناة أمامها. أصابع يدها ملمومة ما عداابهامها الذي يشير إلى فاها. ولا يستعبد أن تكون هذه المرأة التي يشاهد خلفها حزم من القصب احدى الالهات السومرية.

وفي ذات الافريز هذا يشاهد سلال، أو آنية تحوى على غلال زراعية وحيوانية برية، وشخص آخر حليق الوجه، ذو شعر طويل يرتدي مغضنة تصل إلى الركبتين وهو يحمل بيده حزام (الآلهة).

كما يشاهد في هذا الافريز أيضا ثورا، وأشخاص يقفون على منصات وسلال، أو آنية تحوى على غلات زراعية، وحيوانات برية كالأسد، والغزلان مع كأسين يشبهان إلى حد قريب شكل هذا الاناء.

أما الفريز الثاني فيحوى على شريط من (الكهنة)، وهم عراة ويحملون بأيدهم سلال، أو آنية فيها غلات زراعية أيضا، وفي الافريز الثالث يشاهد قطيع من البقر، أما الفريز الرابع والأخير فيحوى على نقوش تمثل بعض النباتات وعلى الأغلب تمثل هذه قمح أو شعير.

يعتبر هذا الاناء الصخري من نفائس الفن السومري لما له من أهمية خاصة لبعض جوانب التقاليد الدينية في العصر السومري المبكر - استمرت تقاليد النقائش الصخرية تظهر في بلاد سومر، وكان معظمها وعلى ما يظهر تمثل الجوانب للحياة اليومية، الدينية في أرض سومر - كذلك لا تخلو تلك النقائش من بعض مواضيع الأساطير الدينية والدنيوية وخاصة الأساطير التي كانت لها علاقة بالآلهة - فعلى سبيل المثال كشف في عدة مواقع تعزي إلى العصر السومري على أواني معلومة من حجر الستياتيت عليها نقائش بهيئة نحت بارز تمثل هذه النقائش جانبا من صراع البطل الأسطوري كلكامش مع وحوش الغاب، أو أنها تصور صراع حيوانات وطيور برية.

وخير دليل على ذلك هو الاناء المعمول من حجر الستياتيت والذي لم يتعرف الباحثين على مصدره الحقيقي لحد الآن، ان هذا النزع من الآنية الذي يحمل نقوشا أو نقائش بارزة قد ظهر أيضا في عدة مناطق في الجانب الغربي للخليج العربي وخاصة في منطقة تاج وفي جزيرة تاروت في المملكة العربية السعودية.

يبلغ ارتفاع هذا الاناء أكثر من عشرة سنتمترات أما قطره فيبلغ حوالي عشريم سنتمترا وبعد مقارنة مواضيع نقائشه اجتهد بعض الباحثين ونسبه إلى العصر السومري المسمى بعصر فجر السلالت الثاني.

ومن نقائش العصر الذي تلا عصر فجر السلالات الثاني، والمعروف بعصر فجر السلالات الثالث مسلة العقبان (Stele of Vultures) وتنسب هذه المسلة إلى الملك السومري أإناتم والذي حكم حوالي 2250 قبل الميلاد.

مسلة العقبان:

ان هذه المسلة تسمى أيضا مسلة النصر (Stele of Victory) وقد عثر عليها في موقع تلو والذي يعرف باسم مدينة (مرسو) ابان العصر السومري القديم. يبلغ ارتفاع هذه المسلة (1،80 مترا)، أما عرضها فيبلغ (1،30 مترا) والملاحظ أن على هذه المسلة

كتابات مسمارية على سطحيها المنقوشين بمواضيع تمثل انتصار إأناتم ملك مدينة لكش على مدينة أوما السومرية، يشاهد على أحد سطحي هذه المسلة وبالنحت البارز نقش الاله ننكرسو وهو يحمل بيده اليسرى شبكة كبيرة الحجم مملوءة بالأسرى وهم عراة، والملاحظ ان هذه الشبكة تنتهي من الأعلى برأسي أسدين يقف عليها نسر والمعروف في الأساطير السومرية باسم الامدكور وهو علامة الاله ننكرسو. وخلف هذا المشهد الذي يمثل الاله ننكرسو وهو يحمل صولجان العرش في يده اليمنى وذو شعر ولحية طويلة يشاهد أعمدة من الكتابات السومرية التي تمجد هذا الانتصار.

وعلى الوجه الآخر من المسلة يشاهد في الأعلى الملك إأناتم وهو يسير على رأس جيشه لملاقاة الأعداء كما يشاهد على هذا الوجه أيضا مشاهد من المعركة التي تزخر بالأعداء وهم عمددين تحت أقدام جيش إأناتم الذي يبدو ورجاله بكامل عدتهم العسكرية المكونة من رماح طويلة ودروع وخوذه تغطي كل رؤوسهم حتى الرقبة. كما يشاهد هنا أيضا نقائش للعقبان وفي منقار كل واحد منهم رأس من رؤوس الأعداء مع أعمدة من الكتابات السومرية التي تمجد أيضا هذه الحملة.

تعتبر هذه المسلة التي تحوى على نقائش بارزة وكتابات أول نصب تذكاري في التاريخ حيث أنها تعطي إلى جانب روعتها الفنية تفاصيل العقلية التاريخية للملك السومري إأناتم والعلاقة ما بين الالهة والملوك مع بعض الطقوس الدينية والعسكرية...

لقد تلا عصر فجر السلالت الثالث العصر الاكدي والذي يعتبر مؤسس السلالة الأكدية سرجون الأول 2225 - 2279 قبل الميلاد أول ملك في التاريخ البشري قام بتكوين امبراطورية تمتد تخومها خارج حدود بلاده. ونظرا للرفاه الاقتصادي والمادي الذي تمتعت به الدولة الأكدية وخاصة خلال عصرها الأول فقد برزت معالم الفنون إلى أوج عظمتها... وظهر أسلوب جديد اتسم بالطابع الذبيعي المتكامل الجوانب والذي لا يضاهيه أي أسلوب سوى الأسلوب الكلاسيكي (اليوناني والروماني) واللذان ظهرا بعد أكثر من عشرين قرنا.

ومن نفائس النقائش على الصخر تعود إلى العصر الأكدي مسلة النصر للملك نرام سن (2389-2353 قبل الميلاد) حفيد الملك سرجون الأول مؤسس الدولة الأكدية. تمثل مواضيع هذه المسلة الحجرية والتي يبلغ ارتفاعها أكثر من مترين للملك

نرام سن هجوم الأكـديين على أحد الأقوام الجـبلية حيث يشـاهد في أعلى المسلة رمز الشمس والذي هو عبارة عن قرص الشمس يـخرج منها شعاع والملاحظ ان هذا الرمز قد أعـيد مرتين في أعلى المسلة. وتحتـها مباشـرة يشاهد قمـة للجبل وهو على شكل مخـروط عليه كتـابات أكدية تنص على تمجـيد الملك نرام - سن على أعـداءه، وأمام هذا لجبل الشامخ يقف الملك نرام - سن وهو بهيئة صعود إلى الجبل وفي يده اليسرى القـوس، والسـهم، وفي اليمنى رمحـا طويلا ويـتردي على رأسـه تاج الالوهيـة ذو القرنين ومغضنه تصل إلى ركبتيه.

وقد ظهـر نقش الملك نرام - سن أكبـر من المجامـيع البشرية التي تظـهر على هذه المسلة والتي تمثل جند الجيش الاشورى وهم ينقـضون على أعدائهم وفي أسفل المسلة تقريبا وعلى الجهة اليـمنى يشاهد شجرة كبيرة ذات أغصان باسـقة للدلالة على طبيعة المنطقة التي غزاها (نرام - سن). هو وجيشه المدجج بالرماح والفؤوس.

للأسف الشديد فـان جزء من أعلى المسلة وأسـفلها قد فـقد أو أصـابه التلف وقد عثـر على هذه المسلة في سـوسه في ايران، حـيث تبين من خلال الكـتابات اللاحـقة عليهـا ان الملك شتـروك - ناخوشي قد أخـذها إلى بلاده عندما غـزا بابل في النصف الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد وبعد نقلهـا إلى سوسه حور في مضامين الكتابات التي عليها.

ومن النقـائش الحـجـرية ذات الأسلوب الطبيـعـي زيضا والتـي تعود إلى العـصـر الأكدي قـسمـا من مسلة تدعى مـسلة الأسرى، وقد عـثر على هذه المسلة فـي مدينة الناصـرية الـواقـعـة جنوب العـراق لذلك يـطلق عليـهـا في بعض الأحـيـان (مـسلة الناصرية). وقد حدد تاريخ هذه المسلة بعد دراستها ما بين (2451-2290 قبل الميلاد) أي ما بين العصر الامبراطوري الثاني والثالث.

يبلغ ارتفاع المتبقى من هذه المسـلة الحجرية حوالي عشرين سنتمتـرا، وهي معمولة من حجـر أبيض اللون شفـاف (شمـعي). في القسم الأعلى من المسلة يشـاهد ثلاثة زسرى مـشدودين بالحـبال من زنودهم وهي عـراة ولهم لحاة أحدهم الذي يـظهر في الوسط حليق الرزس ما عدا ظفيرة من الشعر تتدلى على كتفه... وقد ربطت أعناق هؤلاء الأسرى بخشبتين متوازيتين.

أما أسفل المسلة يشاهد حامل الغنائم وفي يده اليمنى خنجر كبير الحجم يتدلى من حبل طويل. . . وفي يده اليسرى يحمل أشبه ما يكون بالآنية. وهو يرتدي رداء طويل، وذو لحية كثة ويضع على رأسه غطاء يمتد إلى ما دون الرقبة كما يحمل على جانبه فأس خلفه شخص آخر لم يبقى من معالمه سوى جزءا من جسمه ورأسه ويده وذراعه اليمنى الذي يحمل فيها خنجر يشبه الخنجر الذي يحمله الشخص الواقف أمامه.

تعتبر نقائش هذه المسلة ونقائش المسلات الحجرية الأخرى التي تعزى إلى العصر الأكدي من روائع الفن الأكدي الذي اتسمت مواضيعه بالواقعية ذات الأسلوب الفني الطبيعي الخالي من المغالاة. . .

خلال العصر المسمى بعصر أور الثالث جاءتنا نقوش على الحجر معظمها يمثل نقائش على الأواني الحجرية، أو ألواح جدارية عليها كتابات مسمارية وخير ما وصلنا من هذه النقائش كسره من اناء معمول من حجر السيتاتيت عليها نقوش بارزة تمثل مشهد مراسيم دينية حيث يشاهد في هذا المشهد كهنة حليقي الرأس وهم بحالة تعبد وشخص يقرع الطبل بكلتا يديه يقابله شخص آخر يبدو هو الآخر يقرع على الطبل - ان المتطلع إلى هذا المشهد الديني يجده وكأنه صورة فوتغرافية لمراسيم حية.

أما الألواح الجدارية والتي هي الأخرى نقشت بالنحت البارز فقد تمثلت بمشاهد الالهة، أو الحياة اليومية وغالبا ما يكون على هذه الألواح كتابات. ان مواضيع هذه الألواح تغاير في بعض مضامينها الألواح التي ظهرت ابان العصر السومري القديم والتي كانت تمثل مشاهدها كثيرا من الحياة اليومية للمجتمع السومري .

ان ابداع ما وصل الينا خلال العصر البابلي القديم من النقائش الصخرية وهو مسلة الملك حمورابي (1792-1750 قبل الميلاد)، حيث تمثل هذه المسلة إلى جانب (282 مادة) قانونية كتبت بالخط المسماري بكل أبعاده التقنية يشاهد في أعلى المسلة التي يبلغ ارتفاعها المترين الملك حمورابي وهو يتسلم الشرائع من اله الشمس (شمس)، وهو جالس على عرشه الملكي.

يبدو الملك حمورابي الذي يرتدي رداء طويلا ذو عدة طيات وغطاء رزس نصف كروي وذو لحية كثة أمام الاله شمس وكأنه (الملك) المطيع لأوامر الالهة. حيث بدت على ملامح وجهه الانعكاسات النفسية التي طالما تظهر عندما يقف الانسان أمام شخص مبجل.

أما الاله شمس والذي يجلس على عرش ذو منصة تمتد طويلا إلى الأمام، ويحمل في يده اليمنى عصى (الملك)، ويده اليسرى مضمومة قرب صدره قد ظهر وهو يرتدي رداء ذو طيات عدة، ويغطي هذا الرداء كرداء الملك حمورابي جميع مناطق الجسم ما عدا الجزء الأيمن، والذراع الأيمن.

كما يشاهد على رأس الاله شمس تاج الالوهية المكون من عدة قرون على هيئة مخروط، ويخرج من كل جانب من كتفية شعاع الشمس، وله لحية كثة ويضع في كلا معصميه بعض الحلى.

ان الاسلوب الانشائي المستوحى من الأساطير البابلية، والأسلوب الفني الطبيعي التي اتسمت به المدرسة البابلية القديمة قد ظهر في هذا المشهد لذلك يبدو وكأنه من المراسيم الواقعية التي تظهر الملك حمورابي وهو يتسلم القوانين من اله الشمس (شمس). لذلك فان روعة القوانين المكتوبة على هذه المسلة بأسلوب دقيق ومنسق قد تلاشت بسبب قوة الاسلوب الواقعي لهذا المشهد.

النقائش الصخرية في العصر الاشوري

لم تشهد النقائش الصخرية في الرافدين تطورا وتنوعا كالذي شهدته ابان العصر الاشوري وخاصة العصر الاشوري الحديث أو ما يسمى بالعصر الامبراطوري (911-612 قبل الميلاد) فقد كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في العواصم الاشورية أشور، ونمرود، وخرسباد ونينوى مئات من النقائش الصخرية لتي كانت تحلي قصور هذه العواصم الأربعة.

ومن بين النقائش الصخرية التي عثر عليها في مدينة أشور العاصمة الأولى للدولة الأشورية قاعدة صخرية معمولة من حجر رمادي أخضر اللون عثر عليها في معبد عشتار الذي شيده الملك تكولين - ننورتا الأول (1241 - 1205 قبل الميلاد).

يشاهد على أحد جوانب هذه القاعدة والتي يبلغ ارتفاعها حوالي ستين سنتمترا نحت بارز (Relief) لرجلين، احدهما راكعا على كلتا ركبتيه ليتعبد أمام (قاعدة) عليها شعارا وبالأحرى رمز الاله نابو اله الكتابة. ان هذا الشعار هو عبارة عن (قلم) ورقيم طيني. يقف خلف هذا الشخص المتعبد والذي يبدو وكأنه ذات لشخص (الملك) الذي يحمل بيده اليسرى صولجان لحكم وهو يرتدي رداء طويل يغطي كل جسمه ويده اليمنى تشير إلى شعار الاله نابو، وله شعر طويل ولحية كثة طويلة.

كـما يشـاهد على الزوايا العليـا لهذه الـقاعـدة نقش وردتين كثـيـرا ما تظهـر على النقائش الصخرية الأشورية وهي أشبه ما تكون بوردة نبات البيبون أو ما يسمى محليا (بالبابنك).

بعد انتقال العاصمـة الأشورية من أشور إلى نمرود عمل الملوك الاشورين وعلى ما يبدو بتزيين قـصورهم بعشرات النقـائش الصخرية التي نقشت بشتـى المواضيع الدينية والدنوية الا ان أغلبهـا وعلى ما يبـدو مواضيع خـاصة بانتصـارات ملوك الاشوريين على خصومهم...

ففي قصر الملك أشور ناصر بال الثـاني (883-859 قبل الميلاد) في نمرود عثر على عشرات من النقائش الصخرية المنقوشـة بالنحت البارز وهي تمثل مواضيع شتى لمسيرة هذا الملك. وفي أحد النقـائش يشاهد الملك أشور ناصر بال لثـاني وقد نحت بالنحت البارز على صـخرة كبيرة الحـجم مرتين وما بين هذين النحتين البـارزين للملك أشور ناصر بال الشـجرة الأشـورية المقدسة ذات السـعف الذي يشبـه سعف النخـيل وفوق الشجـرة يشاهد شعـار الاله أشور، وخلف كل نقش من نقشي المـلك يقف اله مجنح يحمل في يده اليسرى اناء وفي اليمنى شكل بيضوي زشبه ما يكون بالاسفنج أو ثمرة شجرة الصنوبر يشاهد هذا الاله وكأنه يصب الماء المقدس على ظهر الملك.

كمـا يشاهد في وسط وعلى طول المنحـوتة شريط من الكتـابة المسماريـة التي تمجد الملك أشور ناصر بال الثاني. .

لقد تكررت هذه المواضيع على كـثير من النقائش الصخرية الأشـورية كما تكررت مشاهد الجلسات الملكية أو ما يسمى (بالحـفلات لملكية) حيث يظهر الملك جالسا على كرسي وهو يحتسي الشراب ومن حوله أزواجه وحاشية القصر مع الخدم.

ومن المشاهد الرائعة الأخرى التي اتسمت بها النقـائش الصخرية الأشورية مشاهد صيـد الأسود والثيران الوحشـية... ومـشاهد الحـملات العسكريـة الأشورية وابرام المعاهدات.

وفيمـا يخص مواضيع صيـد الأسود فقد عـثر في القصر الشـمالي في نينوى على منحوتات حجرية عدة تعود إلي المـلك أشور بانيبال (668-627 قبل الميلاد)، ، ومن بين تلك المنحوتات منحوتة عليها نقائش صيد الأسود.

يشاهد في هذه المنحوتة الرهيبة الملك أشور بانيبال وهو يسدد سهامه على الأسود من عربة ملكية يجرها حصان واحد وهي ذات عجلتين ومع الملك سائق العربة واثنان من حاشيته وهما يسددان رمحيهما إلى صدر الأسد الذي يقفز عليها بعد أن ضربه الملك أشور بانيبال بسهمين أحدهما اخترق رأسه والآخر جسمه - وما خلف هذا الأسد يشاهد أسود أخرى ولبوات ممددين على الأرض وفي أجسامهم سهام الملك أشور بانيبال.

ان المتطلع إلى وجوه الأسود واللبوات الجريحة التي تزف الدماء بعد ضربه كل سهم في جسمها وحتى من فمها يتحسس مقدار الالم الذي يعاني منه هذه الحيوانات الفتاكة التي بدت على وجوهها معالم سكرات الموت بكل تفاصيلها المؤلمة... كما يشاهد زيضا كيف ان قواها الجسمية قد انهرت من جراء الاسهم والرماح لتي أصابتها فبدت كأنها أجساد بلا روح... قبل أن تموت.

لقد عني الفنان بهذه التحفة الفنية الرهيبة كل العناية لا من الناحية المضمون الفني فحسب بل في اظهار أدق التفاصيل أيضا لذلك بدت هذه القطعة الصخرية وكأنها صورة فوتغرافية لا ببعد واحد بل بثلاثة أبعاد...

ومثلما يقال هذه المنحوتة يقال عل منحوتة صيد الثيران الوحشية وصيد الحمر الوحشية التي تعزى إلى الملك أشور بانيبال زيضا. والملاحظ أن زغلب هذه النقائش الصخرية عليها كتابات مسمارية تمجد أعمال الملك.

وبعد أفول الدولة الاشورية وانتقال مقاليد حكم بلاد وادي الرافدين الى بابل تناقصت النقائش الصخرية بشكل كبير وذلك بسبب انعام الاحجار في منطقة بابل وكثرت الأعمال الفنية على الاجر وخير دليل على ذلك هو ظهور هذه الأعمال الاجرية في مدينة بابل ابان سلالة بابل الأخير أو ما بعد العصر البابلي الحديث (622-539 قبل الميلاد).

وما وصلنا من العصر البابلي الحديث من نقائش على الصخر هي مسلة على شكل أحجار حدود تؤرخ إلى حكم الملك ماردوخ ابلا ايدينا الثاني (721-710 قبل الميلاد) حيث يظهر أعلى هذه المسلة المعمولة من حجر أسود اللون رموز عدة آلهات بابلية تحتها يشاهد الملك وهو يقدم سند ملكية أرض إلى أحد الأشخاص.

يرتدي الملك البابلي ثوبا يغطي كل جسمه، وغطاء رأس مخروطي الشكل يتدلى منه شريط ويصل إلى نهاية ظهره وله شعر طويل مجعد ولحية كثة مجعدة زيضا، ويحمل في يده اليسرى رمح طويل بينما يحمل في اليمنى سند ملكية الأرض يقف أمامه الشخص المستلم وهو أقصر منه، يحمل في يده اليسرى رمحا، أو عصا طويلة ويرفع يده اليمنى للدلالة على تقديم الطاعة إلى الملك أو زداء التحية. وعلى ظهر المسلة هناك كتابات مسمارية توضح تقديم سند ملكية الأرض ومدى الحياة إلى هذا الشخص من قبل الملك البابلي.

بعد سقوط الدولة البابلية افلت جميع النقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين لحين ظهور مدينة الحضر العربية في البادية الشمالية. ان توفر الأحجار في هذه لمنطقة قد ساعد كثيرا على اعادة أحجار النقائش في بلاد وادي الرافدين إلى جانب انتعاش الفنون الأخرى ذات البعد الثالث.

ومن الأمثلة على النقائش الصخرية التي وصلت الينا من الحضر منحوتة نركول - أو نرجول.

لقد نقشت هذه المنحوتة بالنحت البارز على قطعة من الرخام لرمادي اللون. يبلغ طولها تسعين سنتمترا، وعرضها خمسة وسبعون سنتمترا. وقد عثر عليها في المعبد الأول في الحضر حيث يشاهد عليها شخص واقف يعتقد أنه الاله نرجول اله الحرب والعالم السفلي عند الاشورين - وقد ظهر الاله نرجول هنا بصورة مخيفة جدا حيث ظهر له شعرا أشعث ولحية وشاربان كثان جدا وفي يده اليمنى فأس لها رأس أشبه ما يكون ثعبانا. أما يده اليسرى فتمسك قبضة سيف يمتد غمده إلى الأرض. وفي حزامه من الجهة اليمنى يلاحظ مقبض خنجر.

ويخرج من كلا جانبي رقبته ثعبان ومن جانبي جبينه ثعابين. كما يشاهد نقوش الثعابين على قدمي وعلى الجهة اليمنى من هذا الاله ويرتدي الاله نركول ثوب ذو طيات يغطي كل جسمه وسروال معقودا على القدمين وحذاء مزين باقراص تشبه الأقراص التي تزين سرواله.

وعلى يمين الاله راية من رايات الحضر تتألف من سارية يقف عليها نسر، رابض وهلال، وقرص عليه رأس انسان تخرج من حول رأسه أشعة الشمس وخلف رقبته

هلال. وإلى يمين الاله يشاهد مشاهد لـلثعابين وعـقرب وعلى جـانبها الايـسر نحت للاله اترعـتا وهي جـالسة على كـرسي على جانبيه نحت لأسـدين، وتحت قـدميـها سمكتين، وعلى رأسها تاج اسطواني الشكل عليه نسر باسطا جناحيه.

والملاحظ هنا أن الاله نركول يخـرج من حزاميه سلـسلة على هيئة ظفيـرة مربوطة بطوق حـول رقـبتـه كـاب ذي ثلاثة رؤوس. ان هيـئـة هذا الكلب تـذكـرنا بالكلب المعروف لدى اليونانيين باسم سربيروس والذي حسب ما تذكر الأساطير اليونانية كان يحرس مدخل العالم السـفلي، يمنع الأرواح من الصعود الى الأرض ثانية، وللكلب هذا ذنب على هيئة ثعبان..

ان الشيء الملفت للنظر ان هذه اللوحة لونت بألوان صارخة من بينها اللونين الأسود والأحمر.. كي تعطي حيوية للمشاهد هذه التي يمثل معظمها العالم السفلي..

ان المسيرة الفنية للنقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين لا تقل أهمية عن مسيرة الفنون الأخرى وان الصور في أعماقها يحتاج إلى أكثر من وقفة لذلك فقد تطرقنا في هذا البحث المتواضع على أهم الأعمال الفنية لهذا النمط من الفنون.

ب - النقائش الصخرية غير المنقولة

ومثلما برع سكان وادي الرافدين القدامى بفن النقـائش الصخرية المنقولة التي جاء ذكر البـعض منها انفا، برعوا في مـواضيع وأساليب النقـائش الصخرية الغيـر منقولة والتي تعرف بالمنحـوتات الجبلية... ونظرا لتوفـر مقومات هذه المنحـوتات في شمال العراق التي تتميز بجبالها الصخرية الشاهقة فقد كثرت فيها هذه النقائش.

ان أقدم مثال لهذه لنقائش قد جاءنا من الفترة الأكدية، حيث كشف في الطريق ما بين السليمـانية وكركـوك وبالذات في أحد الممرات المعـروفة بممرات جبـال (قره داغ) والتي يبلغ عـددها عـشـرة ممرات اعتبـارا من الغـرب الى الشـرق ولكل ممر من هذه الممرات العـشر اسم خـاص بها... وفي الممر المسـمى (دربندى كوور) وعلى الجـهة اليسرى من الممر وضمن تجـويف منحوتا نحتا طبيعيا يبلغ ارتفـاعه أربعة أمتار ونصف تقريبـا وعرضه لا يتـجاوز المترين، خلد الملك الأكـدي نرام - سن حملتـه العسكرية على بعض الزقـوام الجبلية المعـروفة باسم (اللولوبـو). حيث يشاهد في هذه المـنحوتة الملك نرام - سن يمشي على جـثث أعداءه وفي يده اليـسرى قوسا مـركبا يضـمه إلى صدره. اما في يده اليمنى التي تنساب إلى الخلف فيحمل فيها فأسا.

كما يشاهد في المنحوتة الملك نرام - سن وعلى رأسه تاج الالوهية المكون من الخوذة الحربية ذات القرنين رافعا رجله اليسرى وكأنه يتسلق الجبال بكل عزم وثبات، وينتعل في قدميه نعلا ذات أشرطة ويشد وسطه حزام عريض مكون من أربعة أشرطة.

أما الأشخاص الذين ظهروا في هذه المنحوتة التي نفذت بأسلوب النحت البارز أيضا (Relief) فقد ظهروا صغار الأجسام بالنسبة إلى حجم الملك نرام - سين وذلك للدلالة على عظمة هذا الملك.

ان موضوع هذه المنحوتة يكرر وبكل وضوح مشاهد مماثلة ظهرت على مسلة النصر المعروفة والتي جاء ذكرها آنفا حيث هي الأخرى تخلد انتصار الملك نرام - سين عل الأقوام الجبلية المعروفة باسم اللولوبو وملكها المسمى (ساتوني).

ومن المنحوتات الجبلية البارزة الأخرى منحوتة تعرف باسم " منحوتة قزقابان"، ويمكن الوصول إلى هذه المنحوتة عن طريق السليمانية - دوكان وعند الوصول إلى منطقة تدعى نحية سورداش الواقعة على يمين الطريق، وبعد الوصول إلى قزقابان يشاعد طريق ترابي يوصل إلى هذه المنحوتة التي تقع بالقرب من ناحية زرزى.

تعلو منحوتة قزقابان عن سطح الأرض المجاور حوالي تسعة أمتار وقد نحت بالنحت البارز على واجهة أحد جبال المنطقة ضمن مساحة مستطيلة الشكل وتمتد إلى عمص الجبل.

ويشاهد في هذه المنحوتة كثيرا من العناصر المعمارية كأعمدة والسقوف والنقوش الهندسية حيث يظهر في وسطها مدخل على جانبيه عمودان ينتهيان بتاج مزخرف. وفوق المدخل هذا مباشرة عناك دكة على كل جانب منها يشاهد رجل واقف مشيرا باحدى يديه نحو الدكة، ويحمل في يده الأخرى قوسا. ويعلو هذه الدكة رموز دينية من بينها دائرة يتوسطها (اله).

ان الأسلوب المعماري والفني لهذه المنحوتة يدل انها نقشت ما بين القرن السادس والرابع قبل الميلاد لاغراض دينية أكثر مما تكون لتمجيد أحد الملوك... وعلى أي حال فان هذه النقائش ان دلت على مدلول فانها تدل على الذوق الفني البارع الذي امتازت به بلاد وادى الرافدين خلال عصورها الحضارية التي امتاز كل عصر فيها بأسلوب فني وانشائي يختلف عن سلفه وسابقه..

ومن النقائش الصخرية الغير منقولة منحوتة الملك الأشوري سنحاريب (681-70±قبل الميلاد) وقد نحتت هذه المنحوتة عند صدر قناة في القرية المسماة خنس في قضاء الشيخان. حيث يشاهد على وجه صخرة شاهقة منحوتات تمثل الالهة الاشورية المختلفة مع كتابات مسمارية توجز مشروع سنحاريب بجلب الماء من المنابع لخاصة بنهر لكومل عبر المرتفعات الجبلية والوديان إلى العاصمة نينوى.

والملاحظ ان قسما من هذه المنحوتة قد سقط في الماء الذي يمر أسفل هذه المنحوتة. ويمثل القسم الساقط هذا ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الاشورية.

كما خلد الملك سنحاريب أعماله على منحوتة جبلية أخرى في مدخلوادى دهوك في منطقة تدعى معلثاى. ويشاهد في هذه المنحوتة أشخاص لعلهم يمثلون آلهة تقف على ظهور الحيوانات وهم يرتدون التيجان والملابس الاشورية ويتربطون أسلحة.

2- الرسوم الصخرية والمعروفة بالكرافيتو (Graffito)

تعرف الرسوم الصخرية بفن الصخور (Rock Art) ذات البعد الواحد بفن الكرافيتو (Graffito) زيضا. وقد كثر هذا الفن في القارة الافريقية وكشف على الكثير منه في الكهوف والملاجئ التي ينسب البعض منها إلى عصور ما قبل التاريخ.

ومن لمعروف ان هذا النوع من الفنون قد كشف عنه وسط صحراء وهضاب اثيوبيا، وكينيا القريتا من مناطق الجزيرة العربية الجنوبية الغربية. وقد تبين ان تلك الرسومت تختلف باختلاف الأقاليم. فعلى سبيل المثال تسود الأشكال الآدمية والحيوانية في مناطق جنوب افريقيا. أما مواضيع شرق افريقيا فقد اتسمت بالبساطة ويكثر فيها صور الأشخاص والماشية.

وقد كشف بعض الرحالة على مثل هذه النقوش في بعض أجزاء الجزيرة العربية وخاصة في المناطق الجبلية منها أي المناطق الجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية. وقد كتب أولئك الرحالة عن هذه الرسومت بعض المعلومات المغتضبة. والملاحظ ان كثيرا من الدارسين قد نسب فن الصخور في الجزيرة العربية إلى الالف الأول قبل الميلاد أي حينما كانت المنطقة الجنوبية للجزيرة العربية في أوج اتصالها الحضاري والتجاري مع بلاد وادى الرافدين والقارة الافريقية وعلى الأخص ساحلها الشرقي، وبلاد وادى النيل.

ونظرا لاتساع، وتشعب فن الصخور في الجزيرة العربية وخاصة في شبه جزيرة عمان فان بحثنا هذا سلط الضوء على منطقة واحدة في دولة الامارات العربية لمتحدة كشف فيها هذا النوع من الفنون.

فأثناء عملنا في موقع " امليحة" في امارة الشارقة في عام (1973) قمنا بزيارة إلى منطقة (مصفوت)، وقرب قرية تعرف باسم حذف تقع عند سفوح جبال عمان التي تمتد من الشمال إلى الجنوب موازية لساحل خليج عمان شاهدنا هناك صخورا متساقطة قرب عيون مياه جرية وبساتين نخيل.

وعلى سطوح تلك الصخور يشاهد رسومات ملونة باللون الأسود، يبلغ طول احدى هذه الصخور حوالي ثلاثة أمتار أما عرض قاعدتها فلا يتجوز المترين والنصف. على يسارها يوجد شروخ كثيرة وعريضة يمتد إلى يمينها ثم تضيق وتتلاشى قبل أن تصل إلى حافتها. في القسم الأعلى منها تقريبا يشاهد بعض النقوش التي تمثل أشخاص عدة، البعض منهم متشابك، والبعض الآخر بمفرده. . . ان المتطلع إلى هؤلاء الأشخاص وحركتهم المتناسقة يجدهم وكأنهم يؤدون رقصة جماعية، أو يقيمون بطقوس دينية أو سحرية.

وفي القسم الأسفل من الصخرة وعلى الجهة اليمنى يشاهد شكلين بيضاوين لكل منهما (راس)، وإلى يمينها شكلين بيضويين آخرين.

ان المتأمل في الرسومات هذه يجدها نقشت بزسلوب فني أشبه ما يكون بالأسلوب التجريدي الرمزي (Abstrac) حيث أراد الفنان من خلال هذه الرسومات التعبير عن مجموعة بشرية تودي رقصة جماعية أو تقوم باداء مراسيم دينية.

أما النقوش الهندسية أي البيضوية الشكل التي هي أسفل مشهد الرقص هذا فلربما تعود إلى (فنان) آخر بدليل أن أسلوب هذه النقوش تختلف كليا عن النقوش الأولى.

وعلى أي حال فان هذه الرسومات الصخرية هي بحد ذاتها رمزا حيويا لا يقل أهمية عن أي قطعة فنية لها وقيمها الحضارية.

وعلى صخرة ساقطة أخرى يشاهد رسما باللون الأسود لهيئة انسان رأسه نقش بهيمة حيوان على الأغلب (عجل)، له ذيل طويل ويحمل عصا طويلة في احدى يدا.

يتبين من خـلال هذا لرسم ذات المواصفات العـالية بأنه انسان يرتدي جلد حـيوان (عـجل أو ثور) ، ويقـوم بأداء بعض الطقـوس الدينيـة أو تزدية بعض الشـعـائر التي كانت سائدة في عصره الذي لا يستبعد كان قبل أكثر من ألفين عام.

والملاحظ أن نقوش مصفوتْ هذه عـملت على الصخور بواسطة آلة حادة الرأس. ثم لونت باللون الأسود الفـاحم، شأنها شأن كـثيرا من النقوش الصخـرية التي تعزى الى العـصـور الحـجـرية القـديمة لا سـيـمـا تلـك الرسـومـات التي عـثـر عليـهـا في فرنـساواسـبانيـا. ومهـما تنوعت مـواضيع فن الصـخور فـانها تبـقى فنون رمزية لـها مدلولت عميقة تعكس قيم المجتمعات لتي عاصرت تلك النقوش.

المنشآت المائية التاريخية في الجزائر

د. علي خلاصي

يعتبر الماء أهم مصادر الثروة وأثمنها وهو أصل كلّ شيء حي لقوله تعالى:

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وقوله أيضا **﴿وننزل من السماء ماء فنحي به الأرض بعد موتها، إن ذلك لآية لقوم يعقلون﴾**(1) كما يقول عزّ وجلّ: **﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم بها الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾**(2) وفي سورة الفرقان يقول تعالى **﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾**(3) كما نجد نفس المعنى في العديد من سور القرآن الكريم تعظيما وتكريما للماء، هذا العنصر الذي ليس له لون ولا رائحة ولا شكل ولا طعم.

اعتنى العرب بمصادر المياه قديما وحديثا، فكان ذلك ايذانا بنشوء حضارات سادت ثم بادت الى أن جاء الإسلام، فربط المسلمون إعتباراتهم العمرانية بتوافر المياه لضمان طهارته وصفائه لأن عماد الدين لا يقوم الا بماء طهور وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم : **﴿لا تقبل صلاة بغير طهور﴾**(4) فالمسلم يتوضأ لصلاته خمس مرات في اليوم، وبه تتم طهارة الجسم والثياب. فكثرت بذلك المرافق ذات الخدمات المشتركة مثل العيون والحمامات والحدائق وقناطر المياه والسدود وحفرت الأبار وشقت الترع، وتفنن العرب في بناء مطاحن الماء، فنشأ بذلك نظام السقاية.

(1) سورة الروم، الآية 24.
(2) سورة النحل الآية 10و11.
(3) سورة الفرقان، الآية 48.
(4) صحيح مسلم ج 3، باب وجوب الطهارة.

والمتتبع لما ذكره الرحالة من أخبار عن المسالك والممالك والنجوع والأمصار التي زاروها يجد حتما وصفا مسهبا للأوضاع الإجتماعية والإقتصادية وعن مصادر المياه.

سنحاول الآن أن نقدم بعض ما ذكر عن أهم المدن الإسلامية الأولى في الجزائر من مصادر للمياه بإختصار شديد قبل أن نتطرق إلى مصادر المياه بعاصمة الجزائر في العصر الحديث وكذا الأنماط المختلفة من طرق الري التقليدية بكل من ولايتي أدرار وغرداية، لنقدم صورة أدق عن المنشآت المائية التاريخية في الجزائر.

إستفادت المدن الإسلامية من المنشآت المائية التي خلفها الفنيقيون والرومان، فكانت أول مدينة يبنى فيها مسجد جامع بالجزائر (ميلة) تتزود من عين تسمى عين الروم أو عين الرومان، ما زالت المياه بها جارية الى اليوم. كما نجد بمدينة طبنة صهريجا يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينهم وجداول الماء العذب(5) كما أن مدينة تاهرت بها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها(6) وبداخل أسوار مدينة أشير كانت توجد ثلاث عيون وهي عين سعود وعين سلمان وعين تلاثبراغ(7) وضربت مدينة مجانة الرقم القياسي في عدد المنشآت المائية إذ أحصى بها البكري ثلاث مائة وستون جبا(8).

ويذكر البكري أن الماء في الصحراء متوفر ويوجد على مسيرة يومين أو ثلاثة من وادي درعة الى وادي تارجا ومن جبل أدرار مجبأة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجبأة الكبرى(9) ويقدم الشيخ الأمين عوض الله شهادة على وفرة المياه في الصحراء التي بها عيون ومياه جارية، أثناء تعرضه لتجارة القوافل بالدراسة(10).

إن المثل القائل بأن زيت التجارة أوقد فتيل الحضارة ينطبق تماما على المنشآت الحضارية المائية التي شهدت تطورا كبيرا بترسيم طرق القوافل التي كانت تربط بين الشمال والجنوب والتي تتبع عادة مجاري الأودية وآبار المياه فتمكن التجار من قطع

(5) البكرى، كتاب المغرب ص50.
(6) الإدريسي، وصف إفريقيا والمغرب ص 70.
(7) بورويبة، الدولة الحمادية : تاريخها وحضارتها، ص 157.
(8) البكرى، نفس المرجع، ص 145.
(9) البكري، المرجع السابق، ص 163.
(10) الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ص 69-106. مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1984.

المسافات وشق الصحراء لتبادل المتوجات الصناعية والفلاحية من جهة ونشر الدين الحنيف من جهة ثانية، فنشأت مدنا وقصورا صحراوية برزت معها أنماط جديدة من طرق الري وجلب المياه لم تكن معروفة من قبل.

وكانت الأساطيل التجارية والحربية تتزود بالمياه الصالحة للشرب من الموانيء التي غالبا ما كانت تربط بشبكة من القنوات تجلب الماء من المرتفعات التي تحيط بها مثل ميناء عنابة وبجاية ودلس والجزائر، تنس، مستغانم وهران وهنين، وكانت هذه المدن تتوفر على مياه دافقة نذكر منها على وجه الخصوص مدينة الجزائر.

مصادر المياه بمدينة الجزائر:

لقد عرفت مدينة الجزائر تطورا كبيرا من الناحية العمرانية والإدارية فمن ميناء صغير إلى مرفأ فينيقي باسم إيكوسيم إلى ميناء روماني (ريكوزيوم) إلى مدينة عربية (جزائر بني مزغنة) إلى عاصمة للدولة الجزائرية، ومن أهم ما يؤكد هذا التسلسل الزمني المنشآت المائية التي عثر عليها سنة 1952 أثناء إعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية إذ عثر العمال على بئر بشارع "أول نوفمبر" حاليا بينما كانوا يحفرون أسس البنايات الجديدة، فعثروا بها على أواني فخارية وطينية ترجع إلى عصور مختلفة وأقوام متعددة قد تداولت النفوذ في هذه المنطقة أقدمها ترجع إلى العهد الفينيقي[11] كان عمق البئر يزيد عن 50،14م.

ومن المؤكد أن تكون عين البحرية الموجودة بأقصى رصيف خيرالدين قد وجدت منذ القديم فنجد ابن حوقل (977) الذي دخل الجزائر على أيام زيري بن مناد يقول... لها عيون على البحر وشربهم منها... ولهم جزيرة تحاديها (المدينة) في البحر إذا نزل بينهم عدو لجؤوا إليها فكانوا في مناعة وأمن ممن يحذرونه[12].

كما يقول أبو عبيد الله البكري المتوفي سنة 487م (1094) وهو يحدثنا عن الجزائر. مرساها مأمون وله عين عذبة يقصد اليها أهل السفن من إفريقيا والأندلس وغيرها[13].

---

(11) عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر... ص 144.
(12) إبن حوقل، المسالك والممالك (صورة الأرض) ص 78.
(13) البكري، المغرب.. ص 66.

ثم إن إختيار الإنسان لهذا المكان بالذات لبناء برج البنيون لم يكن صدفة بل كان بعد دراسة للموقع فبقاء الحامية داخل أسوار البرج طيلة التسعة عشر سنة التي دام بقاؤها به وصمودها أمام ضربات المدفعية والمقاطعة والحصار المضروب عليها من طرف خير الدين وأتباعه يرجع لوفرة المياه[14].

من مميزات فحص مدينة الجزائر الثروة المائية الضخمة التي كانت تسد حاجيات المدينة من مياه الشرب وتوفر ماء السقي الضروري لحدائق وبساتين الأراضي حيث كانت في نهاية القرن السادس عشر تزيد عن (1000) ألف بستان حسب تقديرات الأسير (هايدو)[15] وأصبحت تبلغ ثمانية عشر ألف (18000) بستان حسب الأب (دان) في نهاية القرن 18[16].

ويذكر بيزونيل ودي فونتان: " أنه في سنة 1611 م اقترح أحد الأندلسيين جلب المياه التي كانت على بعد فسحة قليلة من المدينة، قرب حصن الإمبراطور، فبعد هذا المشروع ومن حينها أصبحنا نشاهد عددا من العيون بالمدينة، كانت مزدانة بحنفيات، وكل القنوات كانت تصب في خزان يوجد في بداية الميناء أين كانت المراكب تتزود بالمياه بسهولة[17].

كما أن الجاسوس بوتان (BOUTIN) قد وصف المنشآت المائية في الجزائر سنة 1808 بقوله: " إن المياه في مدينة الجزائر جيدة ومتوفرة وأن المدينة كانت تضم خزانات وأبار عديدة بكل المنازل الميسورة، وبعدد كبير من العيون العمومية تزود بواسطة قنوات آتية من البادية "[18].

أما الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر فيحدثنا عن أعمال آخر الدايات قائلا . . . " صنع الداي حسين طريقا لماء عين الزبوجة[19] واشترى مياها أخرى ضمها للماء الوارد الى المدينة، فكثر الماء بها حتى أعلاها[20].

(14) علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، ص 52-55.

(15) F.D.D. HAEDO, Histoire des Rois d'Alger, p.169

(16) Le Père DAN, Histoire de Barbarie et de Corsaires des Royaumes et de Villes d'Alger et de Tunis, p. 87.

(17) BISONEL et DES FONTAINES, Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger, p. 462.

(18) BOUTIN, Reconnaissance des Villes, Ports et Batteries d'Alger, p.65

(19) الزهار، مذكرات، ص 158.

(20) عين الزبوجة تقع بقرب إبن عكنون بالجهة الجنوبية من الجزائر.

بينما يقدم الطبيب شو (SHAW) ملاحظاته عن الموضوع بقوله "لقد عرفت الجزائر في الفترة الحديثة تطورا في طرق جلب المياه وحفظها في صهاريج وخزانات، أو توزيعها على المساجد والحمامات والمرافق العمومية، فقد استغلت كل قطرة من مياه الأمطار المتساقطة على سطوح القصور والمنازل والأفنية، كما مدت القناطر لجلب المياه من المناطق البعيدة ولو أن هذا العمل ليس وليد القرون الحديثة، إلا أنه عرف أنواعا جديدة من الملاط والمونات العازلة لتسرب المياه عبر الدعائم والقنوات[21].

رغم ندرة الوثائق المتعلقة بالمرافق العمومية فإن الدارس للمنشآت المائية يستدل على أهميتها من كثرة عدد العيون التي أنشئت داخل مدينة الجزائر وبأرباضها والتي كان عددها يزيد عن مائة عين[22].

ثم ان هناك تقديرات أخرى جاءت في ملاحظات وليم سبنسر حول مدينة الجزائر في عهد رياس البحر بقوله " فالتجهيز المائي كان يأتي اليها عادة من خمس خزانات منفصلة عن الآبار وقد إمتدت منها سواقي جوفية بنيت وفق توجيه مهندس مهاجر من غرناطة، كان واحدا من بين الكثيرين الذين استعمل الاتراك حذقهم الفني، وكنتيجة لذلك قد تجهزت البيت الجزائرية جيدا بماء الشرب والغسل زيادة على ما كان ميسرا لها من بئرها الصغير.

وقد وصف بعض الكتاب المصاحبين للجيش الفرنسي في 1830 بأن الفحص كان من أكثر جهات العالم اشراقا وبهجة، وأبدو إعجابهم بتلك المنازل الريفية التي كانت تنتشر على المنحدرات المواجهة للبحر بفحص باب عزون وغيرها[23].

استفادت المدينة أيضا من توفر الحمامات العامة والحنفيات، فقد كانت هناك في أيام (هايدو) حنفية من المرمر كبيرة تمتلئ وتجري مياهها ليلا ونهارا أمام قصر البايلربايات، كما كان هناك عبر المدينة عدة ألاف من الحنفيات الصغيرة التي تجمل المقاهي والدكاكين ومختلف الساحات العامة للمدينة[24]. من بين أهم العيون التي كانت منتشرة في الجزائر في العصر الحديث نقتصر على ذكر:

---

(21) D. SHAW, Voyage dans la Regence d'Alger, p. 64

(22) سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 191.

(23) ROUSSET C. L'Algérie 1830 à 1840, les Commencements d'un Empire T.1,p. 24.

(24) وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، ص 46.

- عين البحرية تم بناءها في 1765 من طرف بابا علي.
- العين الزرقاء بناها علي باشا الملقب بعلي نكسيس 1766.
- عين شارع بابا عزون الموجودة قرب جامع علي بتشين.
- عين سيدي محمد الشريف بنهج المخيل (1541).
- عين بئر جباح بنهج سيدي محمد الشريف.
- عين الهجاجل في نهج الاسكندرية.
- عين سيدي رمضان قرب المسجد.
- العين الحمراء بنهج الإستقلال.
- عين علي مدفع بنهج ابرهيم فاتح.
- عين سيدي الأخضر بنهج الكندور.
- عين سيدي علي زواوي كان منبعها في نهج باتريس لومومبا.
- عين الشابة في نهج القصبة.
- عين زنقة العطش بقرب زقاق سيدي عبد الله.
- عين الشيخ حسين بعلي بنهج الباب الجديد.

ثم هناك عدد من العيون العامة بضواحي المدينة نذكر منها على سبيل المثال:

- عين الحامة بضاحية بالوزداد (1759).
- بئر مرادرايس بالجبهة الجنوبية الشرقية من المدينة.
- بئر الخادم جنوب بئر مرادرايس (1797).
- عين الله غرب مدينة الجزائر.
- تالا أوملي تليملي على بعد كيلومترين من المدينة.
- عين النعجة تقع شرق مدينة الجزائر.

وكانت بهذه العيون صهاريج تملأ وتهيء لشرب القوافل القادمة من الجنوب والشرق والغرب في الوقت الذي كانت براميل المياه الفارغة التي تؤخذ من السفينة عند رسوها تعاد إليها عند الرحيل مليئة وقد عبأها العبيد من عين عذبة المياه تقع قريبا من البحرية[25].

كانت مدينة الجزائر تتزود بالمياه بواسطة أربع قناطر تختلف مصادر مياهها ومنطلقها وهي:

(25) كاتكارت، أسير الداي، مذكرات، ص 78.

1- قنطرة المياه الجنوبية:

تعتبر القنطرة الجنوبية التي كانت تغذي القصبة (القلعة وقصر الداي) أقدم قنطرة بمدينة الجزائر، وقد أسست على مرحلتين ففي المرحلة الأولى ربطت بين القصبة وعنصر قرب حصن الإمبراطور وقد أسس هذا الجزء مصطفى كوسي سنة 1611 وفي عهد الداي حسين أضيف اليها عنصر مياه عين الزبوجة فأصبحت تمتد على مسافة قدرها تسعة عشر (19) كليومتر.

تحيط هذه القنطرة بالقصبة من جهتها الجنوبية والجنوبية الغربية، وتغذي بالإضافة الى القصبة بطاريات وبروج الباب الجديد حتى الجزء الجنوبي من السور الغربي (الشكل1) كما تتصل هذه القنطرة منذ القرن السابع عشر عن طريق قنوات من الفخار مدت فوق أسطح المباني لتصب في خزان يقع بقرب برج راس المول بميناء الجزائر[26] (الشكل2).

تصب مياه القنطرة داخل القصبة في خزانات كبيرة معدة لذلك وتنقسم إلى قسمين:

- الخزان الغربي له شكل مضلع دعمت اقبيته المتقاطعة بدعائم رباعية الشكل تكون خزانا تحت المنحدر الذي كانت ترفع بواسطته المدافع الى احدى بطاري القصبة (الباطرية الخامسة).

أما الخزان الشرقي فهو رباعي الشكل مقبي تبلغ مساحته 52،7+7 مترا مربعا، وإرتفاع قبوه المهدي الشكل 25،2م وبالجزء الخارجي من الجدار يوجد حوض سداسي الشكل يصب فيه الماء الزائد بدون إنقطاع[27] (الشكل 2).

2- قنطرة المياه الشرقية:

تسمى هذه القنطرة بقنطرة الحامة أسست في عهد خضر باشا سنة 1662 من طرف المهندس الشهير أسطى موسى أو المعلم موسى الأندلسي الذي كانت له عدة مآثر عمرانية بمدينة الجزائر. يبلغ طول القنطرة خمسة كيلومترات، وكانت تغذي القسم الأسفل من المدينة من ناحية باب عزون (الشكل 3).

(26) LAYE, (eve) le port d'Alger, p.29.

(27) خلاصي ، قصبة الجزائر ص 34.

المطاحن
قناطر المياه
المساجد
العيون
الحمامات

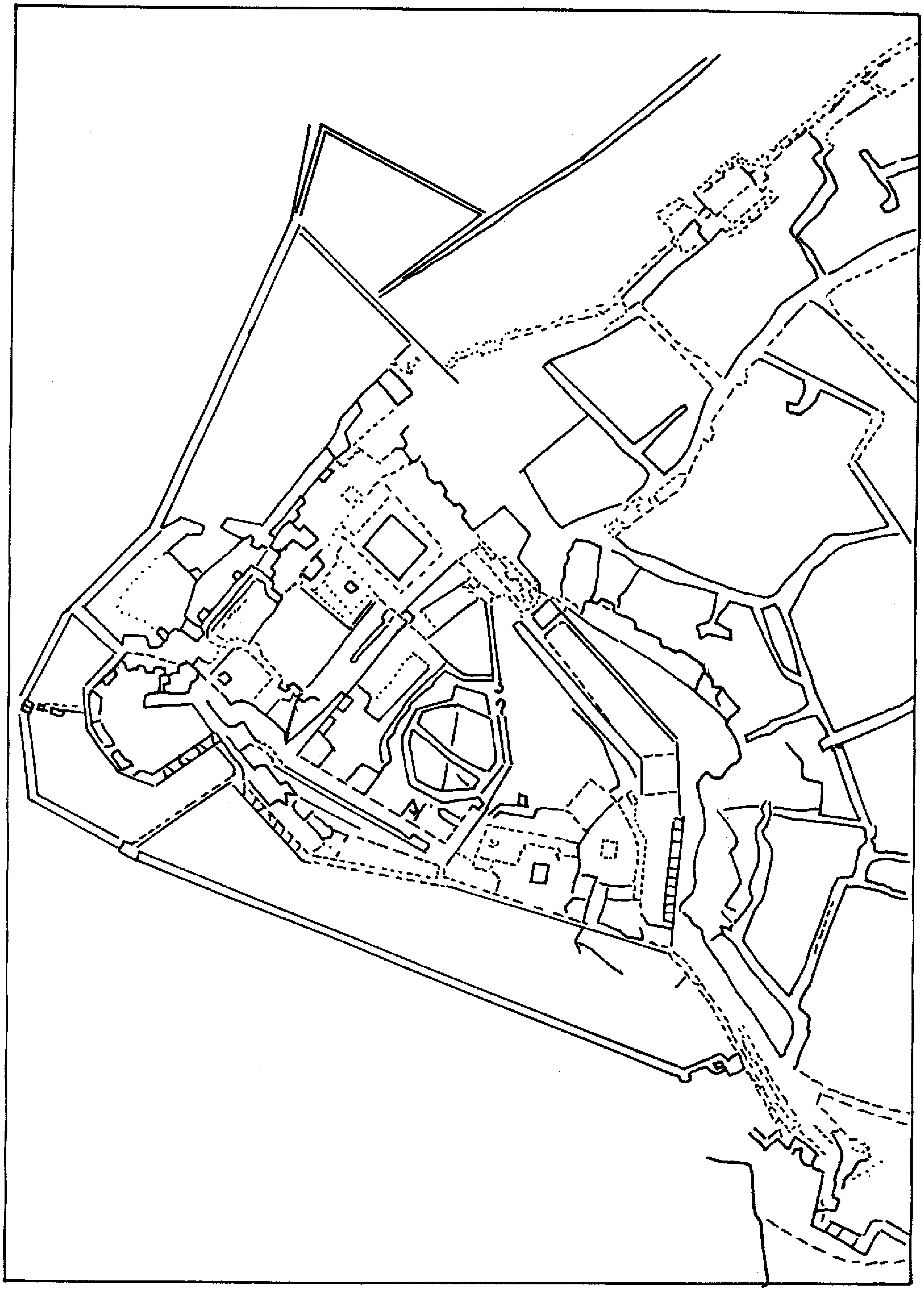

القصبة سنة 1830 م قنطرة المياه

3- قنطرة التيليملي أو تالاوملي:

كانت هذه القنطرة تتغذى من عين قرب جنان مصطفى باشا أي قصر الشعب حاليا، مرورا بوادي بساكرة الذي كانت عليه عدة مطاحن مائية، ليصل الماء الى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وكان طول القنطرة لا يتعدى الكيلومترين، لكن أضيف الى هذا الجزء القناة التي تجلب الماء من وادي القلاي شرق حيدرة فأصبح هذا الجزء يعرف بقنطرة حيدرة وأصبحت القنطرة تبتعد عن المدينة بما يزيد عن خمسة كيلومترات.

4- قنطرة بئر طرارية:

تبتدئ من نبع غرب ربض باب الوادي بالصنانجية أي بالجنوب الغربي من مصنع البارود التابع للداي. وتتواصل عبر قنوات رباعية الشكل مغطاة في جهات عديدة وخاصة بعد إجتياز وادي المغاسل أو وادي قريش ليتزود به الجزء الجنوبي من المدينة (الشكل 1).

وبهذا العمل نلاحظ أن مدينة الجزائر كانت تتزود بالمياه بطريقة جيدة ودائمة وبفضل الاستغلال الأمثل لعناصر المياه والينابيع استغلت هذه الطاقة الهامة في تسيير وادارة المطاحن حيث كانت على وادي المغاسل ووادي قريش ووادي البساكرة ووادي الحراش عدة مطاحن مائية. ويذكر في هذا الشأن "دوغرامون" أنه كان بمدينة الجزائر 25 مطحنة كما كانت هناك مطاحن يديرها البغال بالمدينة(28) .

واستغلت المياه أيضا في صناعة البارود وفي هذا الشأن استغلت مياه العيون السبعة قرب ضريح سيدي يعقوب بباب الوادي، لصناعة البارود بالمصنع الذي أنشأه علي خوجة في 1817 بعد أن صعد الى القصبة ونقل عتاد الصناعة للمكان المسمى ببئر طرارية وبنى مصنع البارود الجديد.

كانت معظم القنوات مبنية بالأجر والحجر والطين وهي اما مكشوفة أو مغطاة، يبلغ عرض الفتحات أو قواعد الأقواس بين مترين 50،2م بينما يبلغ سمك الدعائم والأسوار بين 60،0م و 02،1م حسب قطر القناة المحمولة كما ان قناة بئر طرارية وقناة حيدرة تمتدان على عقود مركبة من صفين(29) .

(28) DE GRAMMONT, Correspondances des Consuls d'Alger, p. 206

(29) نشرة بلدية الجزائر ، عدد خاص 1955.

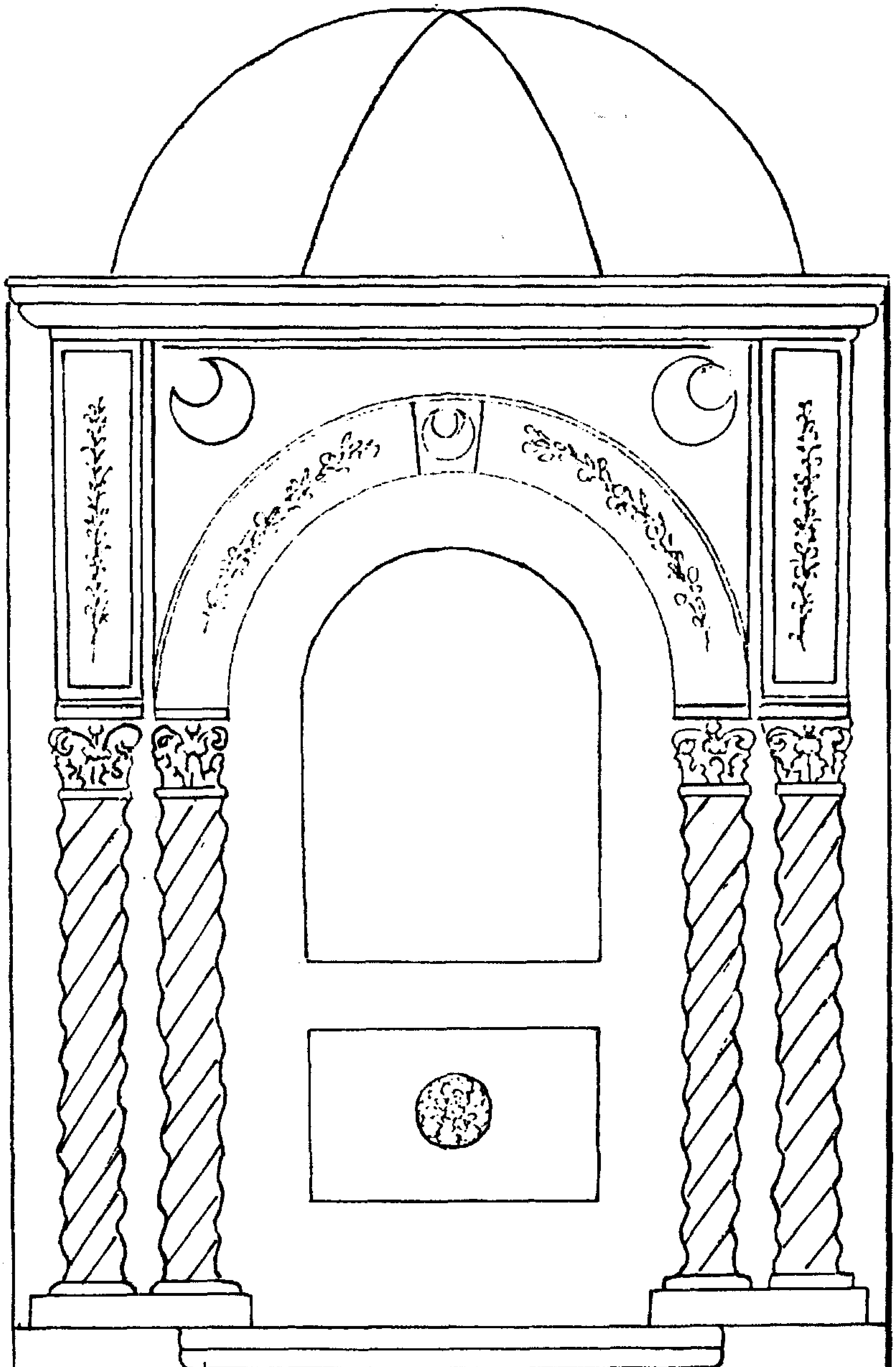

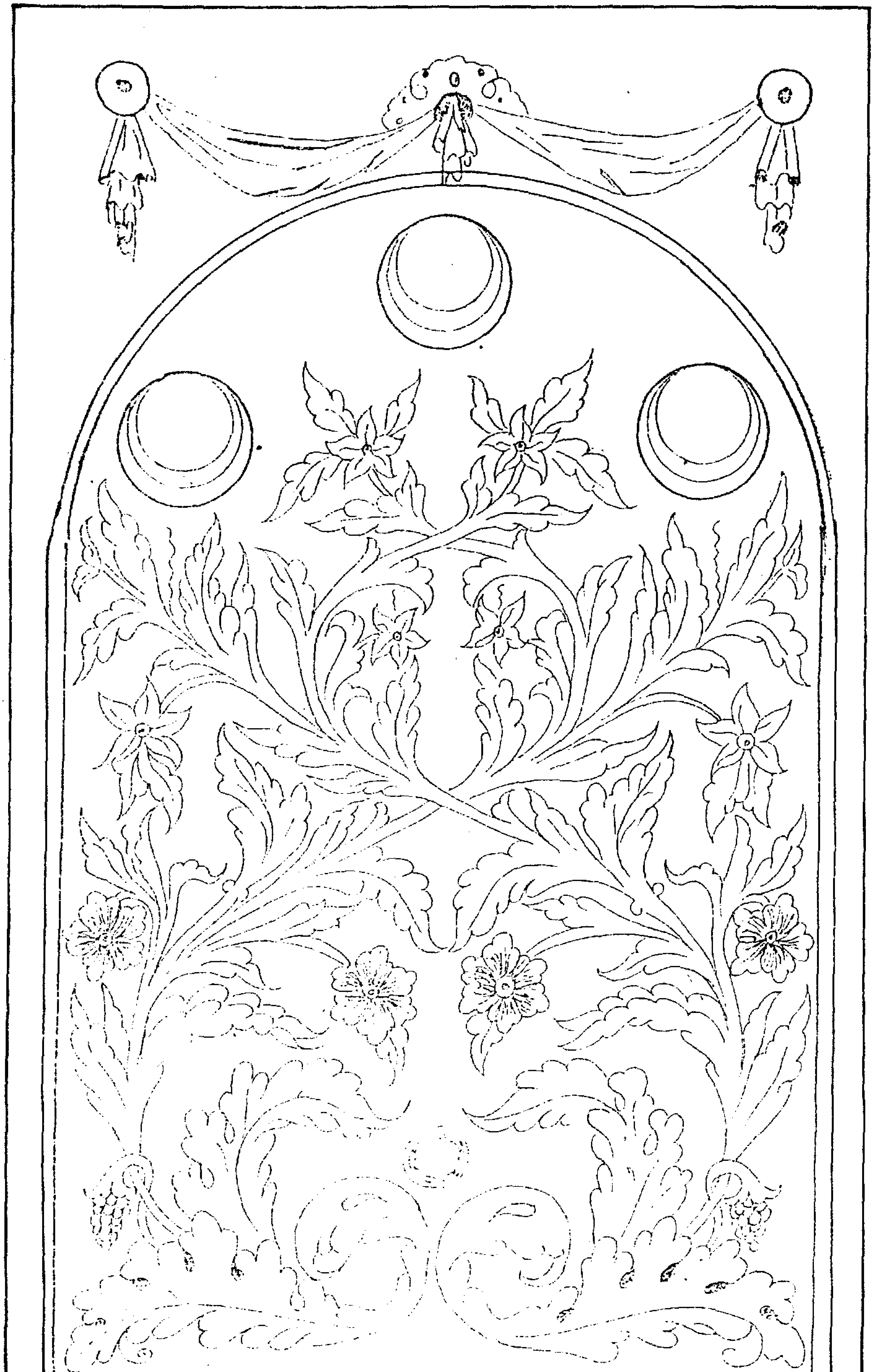

رف عين حرية

أما عن الخزانات أو الصهاريج التي ذكرها بوتان في 1808 فيمكن أن نقدم وصفا عاما لها حسب النماذج التي عثرنا عليها بين شهري سبتمبر ونوفمبر 1983 بالجزء الشمالي من المدينة بنهاية شارع محمد بوراس بالقصبة السفلي ولكي أقدم صورة عن العيون في الجزائر يمكن الاعتماد على الملاحظات التي كانت قد سجلتها حول عين قصر الداي التي أعتبرها من أجمل العيون في الجزائر(30).

تتكون العين من ثلاثة أقسام متباينة:

يتكون القسم الأول من خزان يتزود مباشرة من قنطرة المياه الجنوبية أي قنطرة حصن الإمبراطور الموجود بالتاقران ويتميز الخزان بقبته الإهليلجية الشكل التي تغطي المساحة المضلعة والإطار الرخامي.

أما القسم الثاني أو الواجهة الرخامية التي تتكون من الإطار شبيهة بأطر الأبواب (الشكل 6) وهو مزدان بزخارف نباتية على مستوى العقد التام والجانبين، ثم الزخرفة الرمزية الممثلة في ثلاثة أهلة بالبنيقتين والفقرة الوسطى.

وأخيرا القسم الثالث المتمثل في الحوض الرخامي أيضا وكانت تصب فيه مياه حنفية نحاسية، والجزء المضلع الأسفل وهو مكسو بقطع من الزليج في مجموعات متجانسة.

ترتبط العين بالقنطرة المذكورة بواسطة قناة مبنية بقطع الأجر وعند مستوى العين نجد أنابيب من الرصاص، الأول يغذي العين. والثاني يتجه نحو حمام الجيش والأنبوب الثالث استعمل لصرف المياه المتدفقة الزائدة.

أ) المنشآت المائية الإستحمامية:

أعتبر الحمام قديماوحديثا من أهم المرافق ذات الإستعمال المشترك وقد كانت له حظوة وعناية في كل الحضارات لإرتباط عمليات الإستحمام بالفوائد الصحية والعلاجية بالإضافة الى الأغراض الإجتماعية الهامة المتعلقة بالحياة اليومية للمواطن وكذا بمقوماته الدينية وهو ما يفسر الفروق بين الحمامات الإسلامية والحمامات القديمة.

والحمامات من حيث تزويدها بالمياه نوعان: حمامات طبيعية معدنية وحمامات إنشائية: هذه الأخيرة إمتازت في العصر الحديث على حمامات العصور التي سبقت

(30) لقد قمنا بدراسة تاريخية، أثرية ومعمارية وفنية لمختلف أقسام قصبة الجزائر بين 1978 و 19

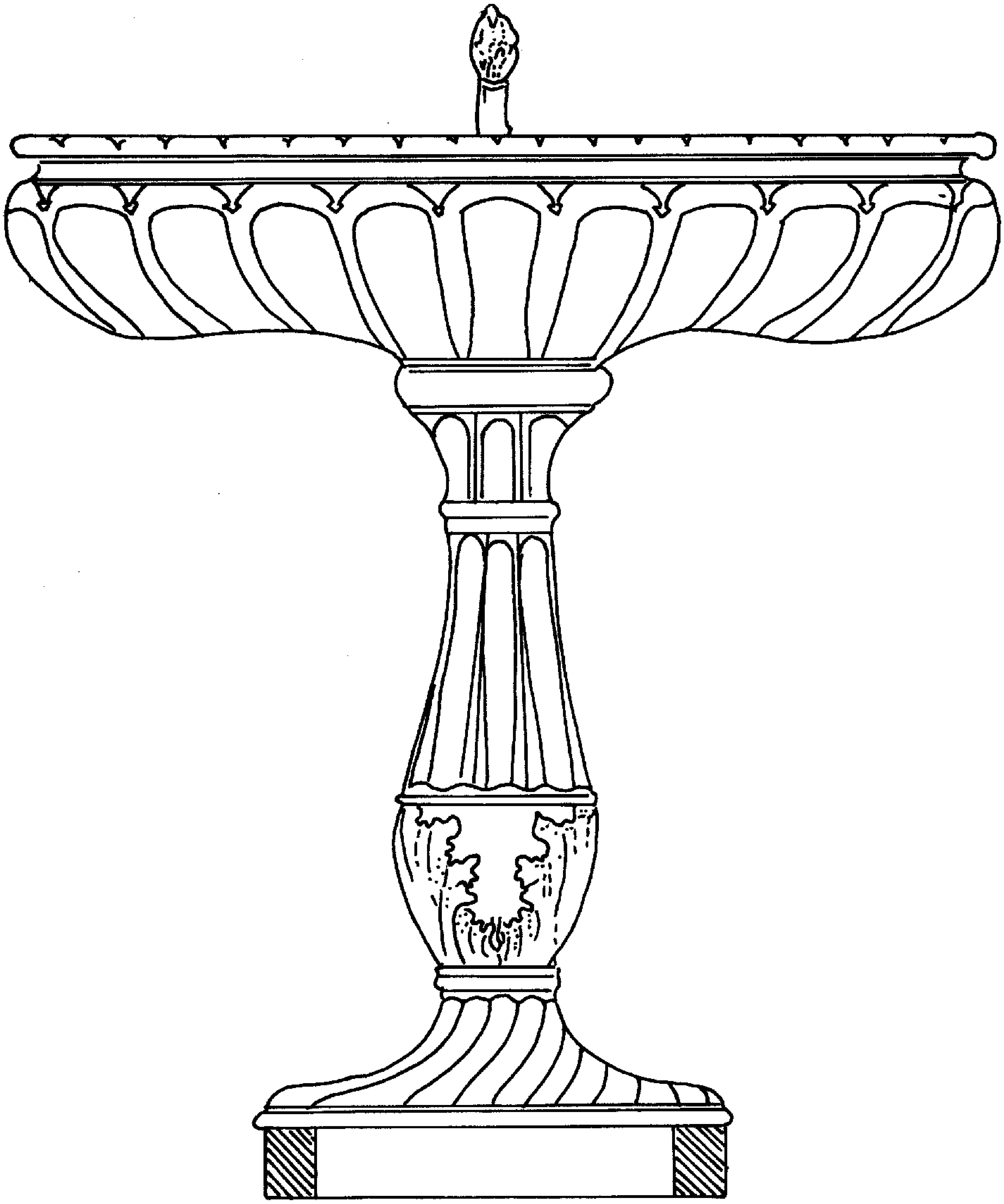

بعدة مميزات معمارية وفنية وفي طرق التهوية والإضاءة. حيث تم الكشف عن ستة خزانات كانت تابعة للمنازل التي غطت هذا الجزء الجنوبي من شارع باب عزون سابقا.

الخزانات في مجموعها متشابهة من حيث التنظيم المعماري والمواد المستعملة في ذلك، يتراوح عرضها بين 2،50م و 2،80م، استعملت في تغطيتها أقبية مهدية الشكل، توجد عادة في إحدى زوايا الشكل الرباعي فتحة اسطوانية تسمح بسحب الماء وتصعد حتى الصحن أو أرضية البناء يتراوح إرتفاع القبوبين 2،50 و 300م ويكون الخزان في مجمله مستوى دون مستوى الأرضية أو الصحن (الشكل 5).

كما أن المواطنين صنعوا مجاري للمياه المستعملة بطريقة بسيطة تتمثل في قنوات رباعية الشكل، يتراوح آرتفاعها بين 0+،0 و 0،50ق م مغطاة بقطع حجرية تنقل الفضلات نحو البحر[31] ومن هذه القنوات ما يبلغ إرتفاعها 1،20م عند الجزء الأسفل من المدنية. أي بالقرب من شاطئ البحر حيث كانت تصب ونظرا لكبر هذه الفتحات فقد كان الفرنسيون يعتقدون أنها كانت عبارة عن أنفاق سرية لكبار رجال الدولة في العصر الحديث.

تنقسم الحمامات العمومية الى قسمين، يخص القسم الثاني القصور والمنازل، في حين يكون القسم الأول من إرتياد العامة سواء من الرجال أو النساء وأهم هذه الحمامات: حمام الداي أو حمام سيدنا يقع بشارع أحمد ومحمد مشري وحمام سيدي بوقدور الموجود قرب مسجد سفير، حمام سيدي عبد القادر الموجود بممر سيدي عبد الله وحمام سركاجي وحمام فويطة قرب دار الصوف.

يتكون الحمام عادة من ثلاث قاعات للاستحمام هي : القاعة الحارة التي تميزها الأرضية الرخامية والعيون النحاسية والبخار الزائد والمتصاعد من الفتحة التي تعلوخزان الماء الحار والقبة الثمانية الاضلاع والنوافذ والمشكوات الجانبية (بجوار القبة).

القاعة الدافئة: وقد فقدت أهميتها في الكثير من الحمامات الخاصة وبعض الحمامات العمومية وتكون بين القاعة الحارة والقاعة الباردة وبها عدد من فتحات التهوية والإضاءة على شكل نجوم أو دوائر.

KADDACHE, la Casbah sous les Turcs, Documents Algérien 1951, p. 209-219. (31)

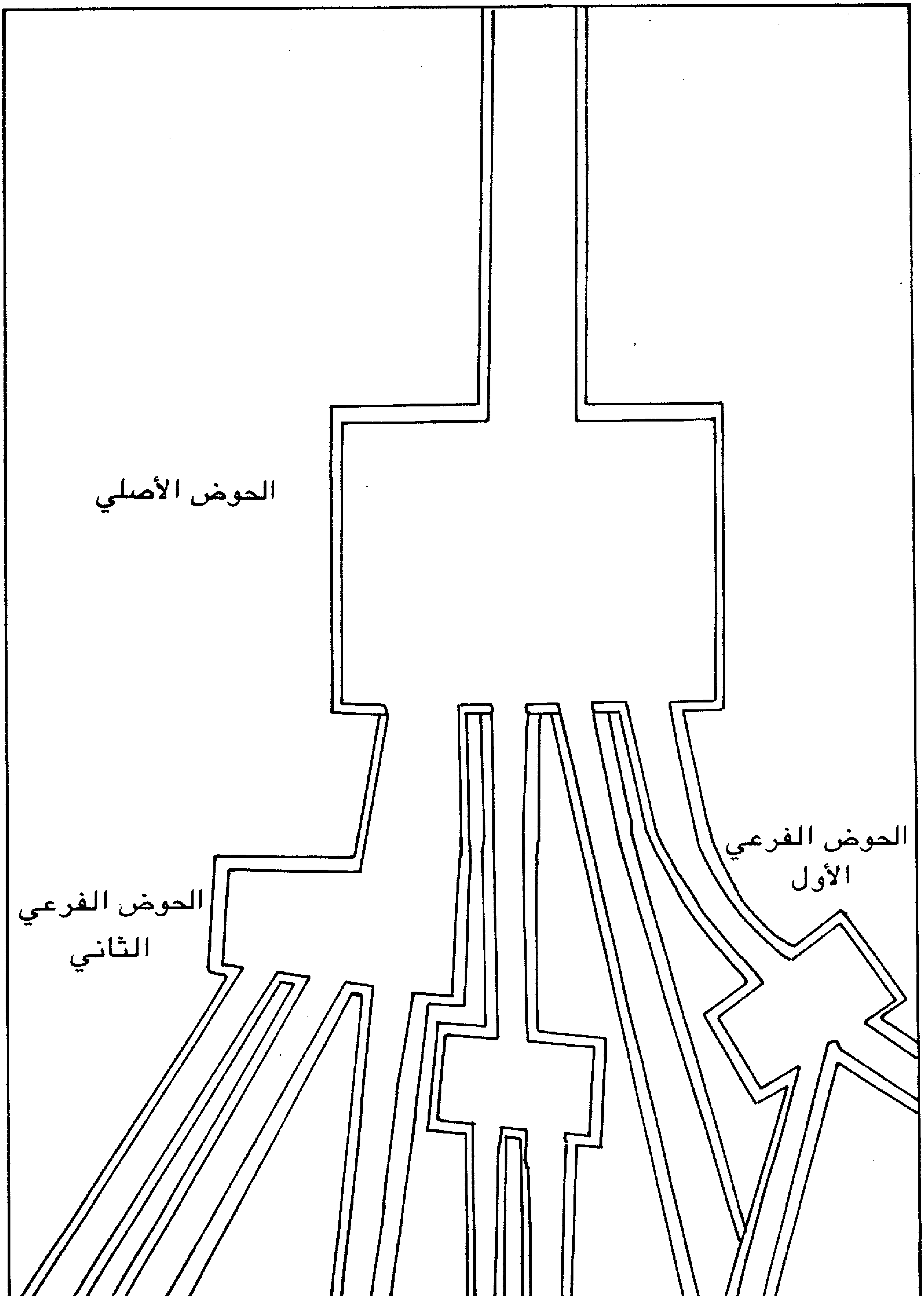
الحوض الأصلي
الحوض الفرعي
الأول
الحوض الفرعي
الثاني

والقاعـة الباردة أو المسـلخ أو قاعة نـزع الثياب وبـها ما يلـزم المستحـم من فراش وغطاء ومشروبات وكذا زخارف معمارية مثل الأعمدة بتيجانها والنافورة المرمرية.

يضاف الـى هذه القاعـات المرجل أو الفرن وخـزانات الماء الحار والبـارد والمخازن وطرق التسخين وصرف المياه المستعملة.

ومن بين المؤسسـات الكبـرى الـتي كـانت الدولة تقـوم على تعظـيم دورها وعلى الإهتمام بها هي المساجد حيث أن بجوار معظم المساجد نجد عينا ناضحة وبكل مسجد نجد ميضأة أو قاعة للوضوء، ثم المقاهي والمخابر والثكنات والبروج وغيرها من المرافق كمصانع البارود ومصنع الأسلحة ومصـانع السفن بالحدائق العمومية والرياض، وبكل قصر نجد نافورة من المرمر تبعث الدفيء والحركة الدائمين في جو المكان.

لم يتـوقف إعـتناء الدولة بعنصـر الميـاه بإيصـاله الى المدن بل شـمل أيضـا التنظيم الإداري حيث عين موظف سـامي للإشراف على المصالح المائية، وهو خوجـة العيون الذي يرعى الأوقاف المحبوسة والمخصصة للإنفـاق على هاته العيون العمومية وقناطر المياه والسواقي والقنوات وكان شيخ البلد يقوم بمراقـبة عملية صرف تلك الأموال من طرف خوجة العيون(32).

كمـا عين لتسيير ومراقبـة الحمامـات العمومـية خوجة الحـمامات ويشـرف الشيخ الناظر على الحمامات والموقوفة على المساجد.

إن العلاقة بين المياه النقية والمرافق الصحـية والصحة علاقـة توافقية عـلاقة قوية، فالأمراض التي تنقلها المياه هي السـبب الرئيسي في الوباء الذي كان يضرب المدن بين الحين والآخر في جميع أنحاء العالم.

ب) المنشآت المائية التاريخية في الصحراء الكبرى (ولاية أدرار):

تخـتلف أساليب جلب الميـاه وتوزيعهـا والإستـفادة منهـا بين العـاصمة (الجـزائر) والقصـور الصحـراوية وخاصـة قصور منـطقة توات وقورارة المنـطقتان اللتـان تكونان ولاية أدرار الموجودة بالجزء الأوسط من الصحراء الكبرى الجزائرية.

اذا حـاولنا أن نقارن بين مـصادر الميـاه في الشـمال والجنوب لوجـدنا أن الشمـال يعتمـد على مياه الأمطار بالدرجة الأولى لملأ الـطبقات الجوفيـة بينما الصحراء تعـتمد

(32) KLEIN H. Feuilles d'Eldjazair, Alger 1909, p.p.37-84.

على المياه الجوفية التي كانت قد استفادت من الكميات الكبيرة التي سقطت منذ عصور بعيدة إمتصتها طبقات الحجر الرملي واختزنتها في جوف الصحراء حيث أثبتت العديد من المصادر والدراسات أنه لاعلاقة للمياه الجوفية في الصحراء بمياه البحار والأنهار(33).

ان الدراسة التي قدمت لنا احصائيات دقيقة في هذا الموضوع هي التقرير الذي وضعته شركة (سوفرات) للدراسات الهندسية في 1961(34) الذي جاء فيه ان عدد الفقارات بمنطقة توات وقورارة كان يبلغ حوالي 700 فقارة حية و96 فقارة ميتة (غير منتجة) يبلغ الطول الاجمالي لهذه الفقارات 1700 كلم تنتج 2،76 متر مكعب في الثانية، وتتراوح درجة حرارة المياه بين 24 درجة و40 درجة مئوية تبعا لفصول السنة، وهي غنية بالأملاح المعدنية والجيرية.

يتطلب انجاز فقارة واحدة عناية فائقة ودراسة علمية تعتمد على حساب دقيق ومعرفة ارتفاع مستوى الأرض وعمق المياه الجوفية ودرجة انسيابها بالاضافة الى التقدير الصحيح لمخزون المياه، وبمجرد ارتكاب خطأ بسيط في التقديرات فان المنشىء لها سيفني ماله وجهده فيها.

بعد عملية الانجاز للفقارة توزع مياهها على المساهمين في الانجاز حسب درجة المساهمة في المصاريف والأعباء وتقسم بطريقة رياضية معقدة تعرف بطريقة (تكييل الماء) أما الآلة التي تستخدم في ذلك فتعرف بالصيارة أو الحلافة ويشرف على عملية توزيع المياه اختصاصي له سجل خاص تضبط فيه حصص كل مستفيد(35).

ويذكر مباركي عبد السلام آلة الصيارة هي عبارة عن صفيحة من النحاس توزع عليها ثقب في ثلاثة صفوف نلاحظ في الصف الأول ثقب متساوية تسمح بادخال راس اصبع الابهام " تسمى بالحبة أو العود".

وفي الصف الثاني هناك ثقب أيضا متساوية تساوي الواحدة منها سبع حبات، أما في الصف الثالث فهناك ثقب غير متساوية تعتبر تجزيئات للحبة، جزء من اثني عشر الحبة وأخيرا جزء من أربع وعشرين الحبة(36).

(33) ميزور محمد، الفقارة ماضيا وحاضرا، مجلة الأحياء ع اص 31- ,37

(34) فقارات توات وقورارة، الشركة الفرنسية للدراسات الهندسية 1961.

(35) ميروز محمد، المرجع السابق، ص 34.

(36) مباركي عبد السلام، حساب المياه بمنطقة تسابيت مجلة الاحياء ص 38-43.

ويسمى هذا الجزء بالفلس أو القراط، وهناك تجزيئات للقراط كذلك والتي هي بمقدار رأس شوكة النخيل وأصغر جزء هو واحد على أربعة وعشرين من الجزء، وتكون الحبة في مجملها تتكون من 576 فلسا.

أما عن طريقة بناء الفقارة، فبعد إختيار مصدر الماء وحفر البئر يوجه الماء في قناة إلى الحوض الأول حيث تستعمل الصحيفة المذكورة سابقا في تحديد الكمية الموجهة لكل بستان أو كل مجموعة عن البساتين في حي واحد، بعدها توجه المجموعات إلى أحواض أصغر لتوزع وهكذا الى أن يصل الماء الى كل بستان على حدة عبر قنوات رباعية الشكل بعضها مغطى والبعض الآخر مكشوف، وهذا الجزء تنظم له في كل مناسبة عمليات تطوعية (تويزة) لتنظيمه وترميمه.

ج) المنشآت المائية بولاية غرداية

إن الإعتماد على المياه الجوفية في ولايات الشمال (بالإعتماد على المياه الأمطار) وعلى المياه الجوفية المختزنة بالطبقات الباطنية التي تجمعت منذ العصور القديمة بولاية أدرار خاصة جعلت منطقة غرداية تنفرد بنوع آخر من طرق الري التقليدية حيث أن القنوات الكبيرة التي تنطلق من الأودية والأخاديد والمنحدرات التي تحدد سير الأمطار بالمنطقة يجلب مياه الأمطار الى البساتين والسدود.

شيدت قنوات الري منذ حوالي عشرة قرون باتجاه التجمعات السكنية وكان أقدمها ما يزود مدينة العطف ثم مدينة غرداية فمدن بنورة بني يزقن، المدن التي تشكل ضاحية وادي مزاب أوما يسمى بالشبكة.

تنتهي هذه القنوات بالشوارع الرئيسية وتغدي الفتحات التي شيدت بإحكام من طرف لجنة المدينة حيث توزع حسب نظام دقيق يستعمل في قياس الفتحات نوعان من الأدوات: الأولى تستعمل فيها نواة التمر الجاف (الكربوش) كوحدة أساسية وتتفرع منها وحدات أصغر بسمك ورقة جريد النخيل حيث أن النواة تتكون من حوالي 10 إلى 12ورقة أو إبرة ويكون نصيب كل فرد حسب عدد النخيل الموجود بالبستان أو حسب مساحة البستان.

يوجه الماء الزائد إلى السد الذي يتكون من حاجز قوي وحوض يربط بين النهر (مزاب)، يوجد بالشبكة ثلاثة سدود أهمها سد العطف الي يعود تاريخ إنشائه إلى القرن العاشر الميلادي ويبلغ طوله 4كلم.

يتميز هذا السد عن غيره بوجوده ضمن الحاجز المبني بالحجر حاجز للإمان (وسط الحاجز) مبني بالتراب ومغطى بطبقة من الملاط تحميه من العوامل الطبيعية العادية، لكن عندما يمتلئ السد وخوفا من صعود منسوب المياه إلى المساكن المجاورة، ينسكب الماء على التراب فيكون فتحة في الحاجز، بطريقة آلية تسمح بخروج كميات من الماء عبر المجرى الطبيعي.

ثم يأتي بعد هذا السد، سد غرداية الذي يعود إلى القرن الثالث عشر ثم سد بني يزقن الذي يعود إلى القرن السادس عشر وهذين الأخيرين لا يختلفان عن السدود التي تعود إلى القرن الماضي إلا من حيث كبر المخزون الاحتياطي وبالتالي كمية المياه المستعملة في السقي يوميا.

أما اعتماد السكان على ماء الشرب فإن عدد الآبار بالمنطقة يقارب عدد المنازل فى المدينة، حيث يبلغ عدد الأبار في مدينة غرداية وحدها 45 بئر.

أما في مدينة مليكة فقد بلغ عددها 24 بئرا، ويفوق هذا العدد ما نجده في مدن بني يزقن، العطف، بونورة، القراراة والبريان ونظرا لجفاف جل الينا بيع صيفا من ناحية ولوجود طبقات مائية مهمة، وهذه الطبقات تبين أنها تعلو طبقة هامة من البترول تم الكشف عنها منذ حوالي سنة 1978م.

هذه بعض المعلومات العامة عن المنشآت المائية التاريخية في الجزائر ورغم أنها بسيطة إلا أنها تقدم نماذج حية عن تطور هذه المنشآت ومواكبتها للتطورات الحضارية التي ظهرت سواء في أوروبا أو آسيا وإستخدام الطاقة المائية في إدارة المطاحن وفي صناعة البارود والأسلحة النارية وفي تأمين النظافة للمدن والأحياء والمنازل كما استعمل الماء في سقي البساتين العديدة التي جعلت الأوروبين يصفون الجزائر بجنة الخلد.

نقائش أغلبية جديدة
القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي
دراسة تاريخية وأثرية

د. خالد مودود(*)

تعد مجموعة شواهد قبور إفريقية من أهم وأجمل المجموعات التي عثر عليها بالمغرب الإسلامي. فقد احتفظت المقابر الإسلامية بمدن إفريقية مثل القيروان، تونس، سوسة، المهدية وصفاقس بما يزيد على ثلاثة آلاف شاهد قبر وهي معروضة حاليا بمختلف متاحف الجمهورية أو محفوظة بمستودعات المعهد الوطني للتراث. تتميز هذه القبريات بتعدد أشكالها وثراء نصوصها مع أناقة كتابتها الزخرفية. وقد نحتت كتاباتها على مرمر نقي متعدد الألوان.

في نطاق مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية قمنا بجرد ودراسة هذه المجموعة الهامة من القبريات. استغرق هذا العمل أكثر من خمس سنوات: 1984-1989، نشرنا نتائجه العامة في كتاب: " النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي" صدر سنة 1988 عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[1].

اتضح من خلال عملية الإحصاء والجرد أن هذه المجموعة رغم الدراسات العديدة والمتنوعة التي شملتها[2] ما زالت تضم عددا هاما (311 شاهدا) من القبريات التي لم تقع دراستها ونشرها.

(*) مكلف بالبحوث بالمعهد الوطني للتراث بتونس

(1) انظر : خالد مودود : النقائش العربية بافريقية وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري. صدر في كتاب : النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1988، ص 39 إلى 52 .

(2) حول هذه الدراسات، انظر قائمة المراجع.

يضم هذا البحث دفعة أولى من هذه النقائش الجديدة تشتمل على 19 شاهدا. وهي تعتبر من حيث تواريخها هامة جدا، إذ تعد من أقدم الشواهد الإفريقية التي تم العثور عليها إلى حد الآن.

يغطي تاريخ هذه الشواهد فترة زمنية هامة تزيد عن النصف القرن (55سنة) أي من سنة 243هـ/ 857م إلى سنة 298هـ/ 911م وهي تهم أساسا الفترة الأغلبية وتعد من أقدم شواهد افريقية. هذا مما يمكننا من دراسة دقيقة لهذه القبريات واستخلاص بعض السمات والتطورات الهامة التي طرأت على نقائش شواهد افريقية من حيث الشكل والمضمون ودراسة أسلوب كتابة هذه القبريات وزخرفتها.

جميع الشواهد نحتت كتابتها على مرمر نقي متعدد الألوان، 12 منها في شكل عمود قبر: (رقم 1، 4، 5، 6، 7، 8، 13، 14، 16، 17، 18، 19) و 7 في شكل لوح: (رقم 2، 9، 10، 11، 12، 15). الشواهد التي تحمل أرقام: 2و3، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 17، 18، 19 تحمل أسماء رجال والشواهد التي تحمل الأرقام: 1، 4، 15 فهي شواهد لنساء، أما الشاهد رقم 16 فهو لطفل. والشواهد رقم: 1، 5، 7، 15، فهي مكسرة وغير كاملة أربعة منها وهي: 1، 5، 15، 16 لا تحمل أسماء.

كل الشواهد تنحصر أساسا في استعمال شكلين: عمودية أو في شكل لوح:

- قبريات في شكل عمود: تعتبر من أقدم الأشكال المستعملة في شواهد قبور افريقية إذ تعود أقدم المشاهد المعروفة بهذا الشكل إلى أواخر النصف الأول من القرن الثالث هجري. وقد وجد هذا الصنف من القبريات بصفة مكثفة بمدينة القيروان حيث احتفظت مقابرها بأجمل الأمثلة.

- قبريات في شكل لوح: كذلك قديمة الإستعمال حيث يرجع تاريخ أول شاهد عثر عليه بهذا الشكل إلى سنة 252هـ. إلا أن شكل هذه القبريات سيعرف تطورا ملحوظا إذ ستظهر بمدينة القيروان انطلاقا من سنة 387هـ مشاهد في شكل سيف[3]. وستعرف مدينة تونس ابتداء من النصف الثاني للقرن السادس هجري شواهد قرصانية الشكل أو في شكل بلاط[4].

(3) حول ظهور هذا الشكل في شواهد قبور إفريقية، انظر : El Habib Mustapha : Stèles funéraires kairouanaises d'époque Fatimide et Ziride.
أطروحة حلقة ثالثة، باريس 1972، شاهد رقم 20، صفحة 59-62

(4) حول ظهور شواهد قرصانية الشكل أو في شكل بلاط : انظر : سليمان مصطفى زبيس : نقائش القرجاني، تونس 1962، شاهد رقم 16، صفحة 15، لوحة III-16، وشاهد رقم 31، صفحة 22، لوحة V-31

- تتضمن نصوص هذه القبريات معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية هامة جدا مكنتنا في أغلب الأحيان من تدارك نقائص جل المراجع التاريخية المتداولة وضبط ما جاء فيها. اذ تمدنا هذه النقائش بشتى المعلومات من أسماء الأشخاص ذوي الحيثية والأهمية الخاصة والمهن أو الوظائف، أسماء الصناع والتجار، أسماء المدن والقبائل... كما توفر لنا معلومات ضافية عن شخصيات من عامة الناس غفلت كتب التراجم أو لم تهتم بتناول سيرهم، بالإضافة إلى إشارات عديدة نكتشف من خلالها دراسة رسم اللغة وأساليب الإملاء والأخطاء الشائعة والواردة بهذه النصوص.

تنحصر مقومات هذه النصوص عامة في عدة محاور أساسية:

* البسملة: نجدها في كل النصوص.

* ذكر آية أو بعض الآيات القرآنية: أهمها سورة الإخلاص الآيات 1 إلى 4: سورة البقرة الآيات 155 و 255.

* ذكر اسم المتوفي تتبعه في أغلب الحالات نسبته ومهنته.

* تاريخ الوفاة مع ذكر اليوم والشهر والسنة تتقدمهم جملة: هذا قبر...

* الشهادة: تعد من العناصر الأساسية ذكرت في كل النصوص بصفة منتظمة أو مطولة تتبعها في أغلب الحالات بعض الآيات القرآنية أو مقتبسة من القرآن الكريم مثل سورة الحج الآية 7 ثم تشفع بالتصلية.

* الدعاء لفائدة المتوفي.

غير أن هذه المحاور الأساسية قابلة للتحوير من حيث الترتيب والصيغة حسب الأساليب الجهوية المتبعة وحسب الفترات التاريخية. إذ تميز كل عصر بأسلوب خاص في تأليف نصوص شواهد القبور الإفريقية بحيث يرتبط ارتباطا وثيقا ويتأثر حسب الظروف الإقتصادية والسياسية والدينية. إذ تنفرد كل جهة بأسلوب خاص في كتابة هذه النصوص، من حيث اختيار الآيات القرآنية أو ترتيب محاور النص الأساسية والصيغ التي ذكرت بها بعض هذه المحاور كالتصلية والشهادة والأدعية. فقد تميزت هذه النصوص القيروانية بالإكثار من العديد من الجمل المقتبسة من القرآن، خلافا لنصوص قبريات مدينة تونس أو سوسة التي يطغى عليها الإختصار والبساطة[5].

(5) حول نصوص قبريات مدينة تونس، انظر: Maoudoud Khaled : L'Art funéraire de Tunis sous les banu-khorasan، أطروحة حلقة ثالثة، باريس 1983، صفحات 82-69 بالنسبة لشواهد مدينة سوسة انظر: M.M. Viré : Inscriptions arabes des tèles funéraires de musée de Sousse ; C.T. 1956.

كما يتأثر مضمون هذه النصوص بالأزمات السياسية والدينية إذ تبرز في فترات معينة بعض الجمل معبرة عن الجدل الفكري والصراع المذهبي التي عرفته افريقية في أواخر القرن الثالث هجري حول موضوع خلق القرآن. يظهر ذلك من خلال بعض نصوص القبريات التي تؤكد أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق: انظر الشاهد رقم 18.

كما أن هذا الصراع التقليدي بين السنة والشيعة لم يقف عند حد قضية خلق القرآن بل شمل عدة مظاهر اجتماعية وفكرية وقد حرص كل مذهب على إبراز انتمائه وشعاراته من خلال نصوص هذه الشواهد حيث ورد في نص الشاهد رقم 15: وصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار. فانتقال الحكم من الأغالبة إلى الفاطميين سيواكبه العديد من الأدعية الشيعية المعتقدة وكذلك الأدعية السنية المعارضة للمذهب الشيعي.

علاوة على الجانب الوثائقي لهذه النصوص، توفر لنا كتابة نقائش هذه القبريات مادة قيمة لدراسة أشكال رسم الحروف وأساليب زخرفتها. فهي تعتبر سجلا ثابتا وأصيلا لدراسة الخط العربي وتطوره.

إن التمرس في دراسة كتابات هذه الشواهد وطرق زخرفتها يمكن من تتبع تطور هذا الخط وتصنيفه. إذ أن كل فترة انفردت بأسلوب خاص من حيث نحت الحروف ورسم أشكالها وزخرفتها. فقد تميزت كتابة قبريات القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي بانتشار الخط الكوفي ذي النحت الغائر، فاتسمت الكتابة ببساطتها وقلة زخرفتها مما أفضى على هذا الخط طابعا رصينا هادئا. أولى النقاشون اهتمامهم بالجانب الوثائقي لهذه الكتابة وذلك يتضح في دقة رسم الحروف وجودة نحتها. كما اتسمت بقلة زخرفتها وعدم التوازن بين الأجزاء العليا والسفلى للأشرطة الكتابية، تعزى هذه العوامل ربما إلى حدودية تقنية الآلات المستعملة وأسلوب الكتابة نفسه إذ أن النحت الغائر يحمل البساطة في ذاته.

انطلاقا من أواخر القرن الثالث هجري، عرف هذا الخط تطورا ملحوظا على المستوى العلمي والفني، تناول في مرحلته الأولى أساسا شكل الحروف نفسها وطريقة نحتها. إذ ظهر ابتداء من العشرية الثانية للنصف الثاني من القرن الثالث هجري الخط الكوفي ذي النحت البارز (أولى الشواهد تعود إلى السنوات: 258هـ، 262هـ، 265هـ) وحل تدريجيا محل الكتابة الغائرة إلا أن رسم هذه الحروف بقي

خاليـا من الدقة والإتقـان إذ تبدو بارزة وكـبيرة الحـجم لا تزال بمرحلتهـا الانتقـالية. (انظر: رقم 7 لوحةVII، ورقم 16 لوحة XVI).

شاهد رقم 1. 243هـ/ 857م

لوحة I

جزء سفلي من شاهد قبر في شكل عمود من المرمـر الأصفر مساحة حقل الكتابة في حالة رديئة إذ تشوبهـا عدة كسور وتآكل. ويتكون حقل الكتابة من أشـرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 13 سطرا كتبت بخط كوفي غائر.

تـتـميـز الكتـابة بدقة رسم الحـروف وأناقـة الشكل رغم بسـاطتهـا الزخـرفيـة التي انحصرت في استعمال أشكال نبـاتية بسيطة تمثلت في براعم أو مشادف تحليان أواخر الأحرف.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان(6).

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.

* الأبعاد: الإرتفاع: 77صم، القطر من الأسفل: 23صم، الحروف الصاعدة 3صم.

* رقم الجرد: 396

* النشر: لم تنشر

النص:

. . . .

الا اله الا الله وحـ[ـده لا]

شريك له وان محمد

اعبده ورسوله صلى الله

(6) تعد مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان من أقدم وأعظم المقابر بافريقية وهي ما زالت تستعمل للدفن. ذكرت في النصوص القديمة باسم مقبرة قريش ثم بمقبرة باب سلم. حول هذه المقبرة انظر خاصة: ابن ناجي: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، الأجزاء I, II, III, IV كذلك حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق، صفحة 20 و R. Brnchivg : La Berbérie orientale sous les Hafsides، ج 1، صفحات 360، 361، 370 و 371

لوحة 1

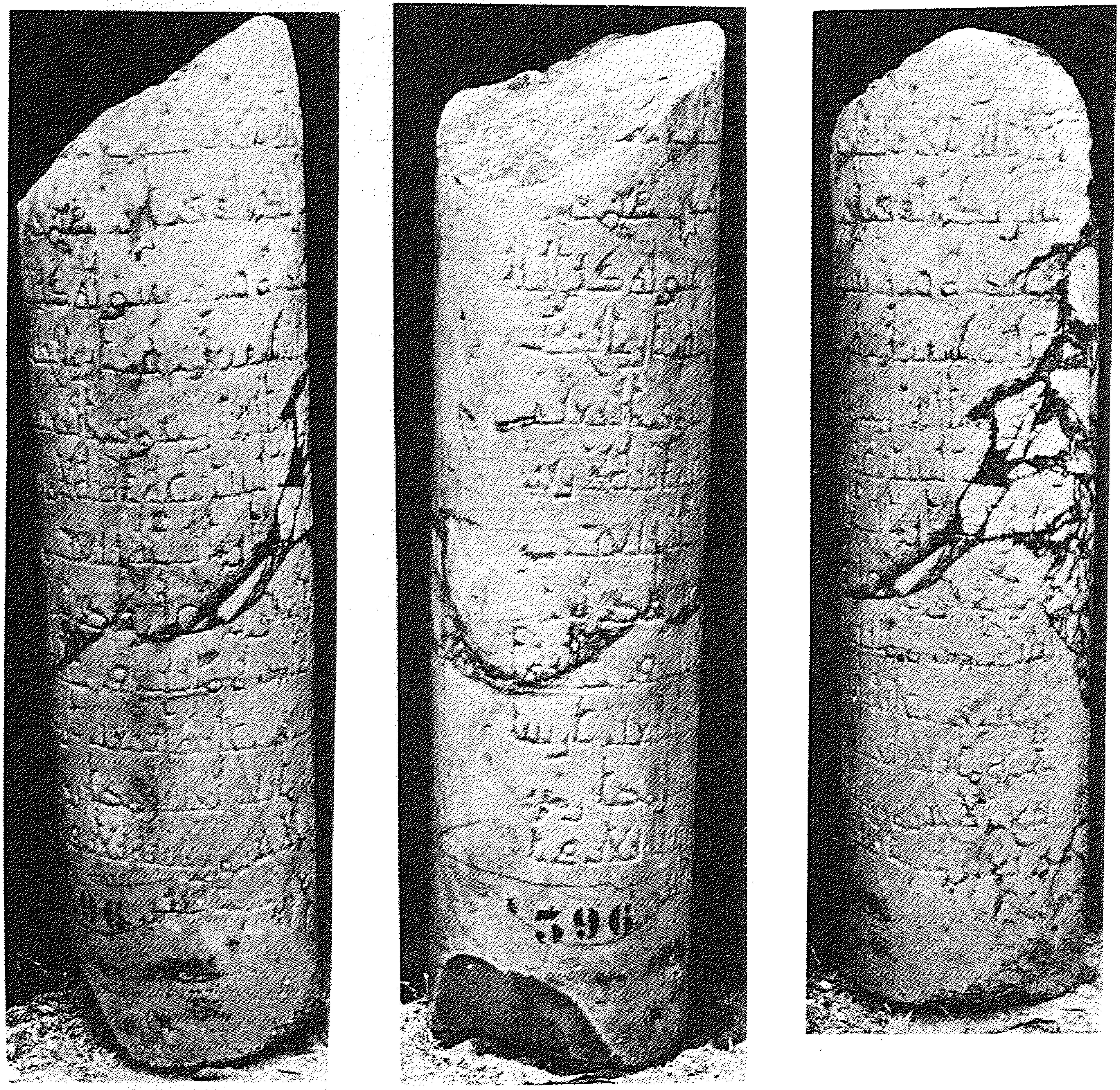

1 ـ شاهد قبر 243 هـ / 857 م

عليه وسلم وان الجنت (هكذا)

حق والنار حق والبعث

حق وان الساعة اتية لا ريب

فيها وان الله يبعث هذه ا

لشهادة ماتت وعليها

حيت وعليها تبعث ان شا

الله ماتت لعشر مضاين (هكذا) من ر

بيع الاخر من سنة ثلاث وار

ربعين ومايتين

شاهد رقم 2. العشرية الأخيرة للنصف الأول من القرن الثالث هجري/ ابتداء النصف الثاني للقرن التاسع ميلادي

لوحة II

يوجد بجامع التوفيق[7] داخل مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان مجموعة من الشواهد كانت مثبتة بالجدار الخارجي لجدار القبلة، تعود تواريخها إلى النصف الأول للقرن الخامس هجري[8]. من بين هذه المجموعة يوجد شاهد قبر في شكل لوح كتب عليه بخط كوفي بارز ويحمل تاريخ 422هـ/ 1031م[9]. إثر عملية ترميم وصيانة هذا المعلم من طرف مصالح المعهد القومي للآثار وقع رفع هذا الشاهد. فاتضح أن ظهر اللوح يحمل نص شاهد قبر ثان كتب بخط كوفي غائر ويحمل ملامح وأسلوب قبريات القرن الثالث هجري. وهو مجال هذا البحث.

- شاهد قبر مستطيل الشكل من المرمر الرمادي اللون، منكسر إلى شطرين.

---

(7) حول هذا الجامع الذي ينسب تأسيسه إلى الفترة الحفصية، انظر خاصة : R. Brunschvig B.O. Hafsides, ج. 1، صفحة 369

(8) توجد بجامع التوفيق مجموعة من القبريات تضم سبعة شواهد وهي على التوالي : شاهد 414 هـ، 419 هـ، 421 هـ، 422 هـ، 438 هـ، انظر : B. Roy et P. Poinssot الكتابات العربية القيروانية، I، شواهد رقم : 220، 221، 249، 258، 265، 268، و II، شاهد رقم 450

(9) حول هذا الشاهد انظر نفس المصدر، I، رقم 265 صفحات 392-393

لوحة 2

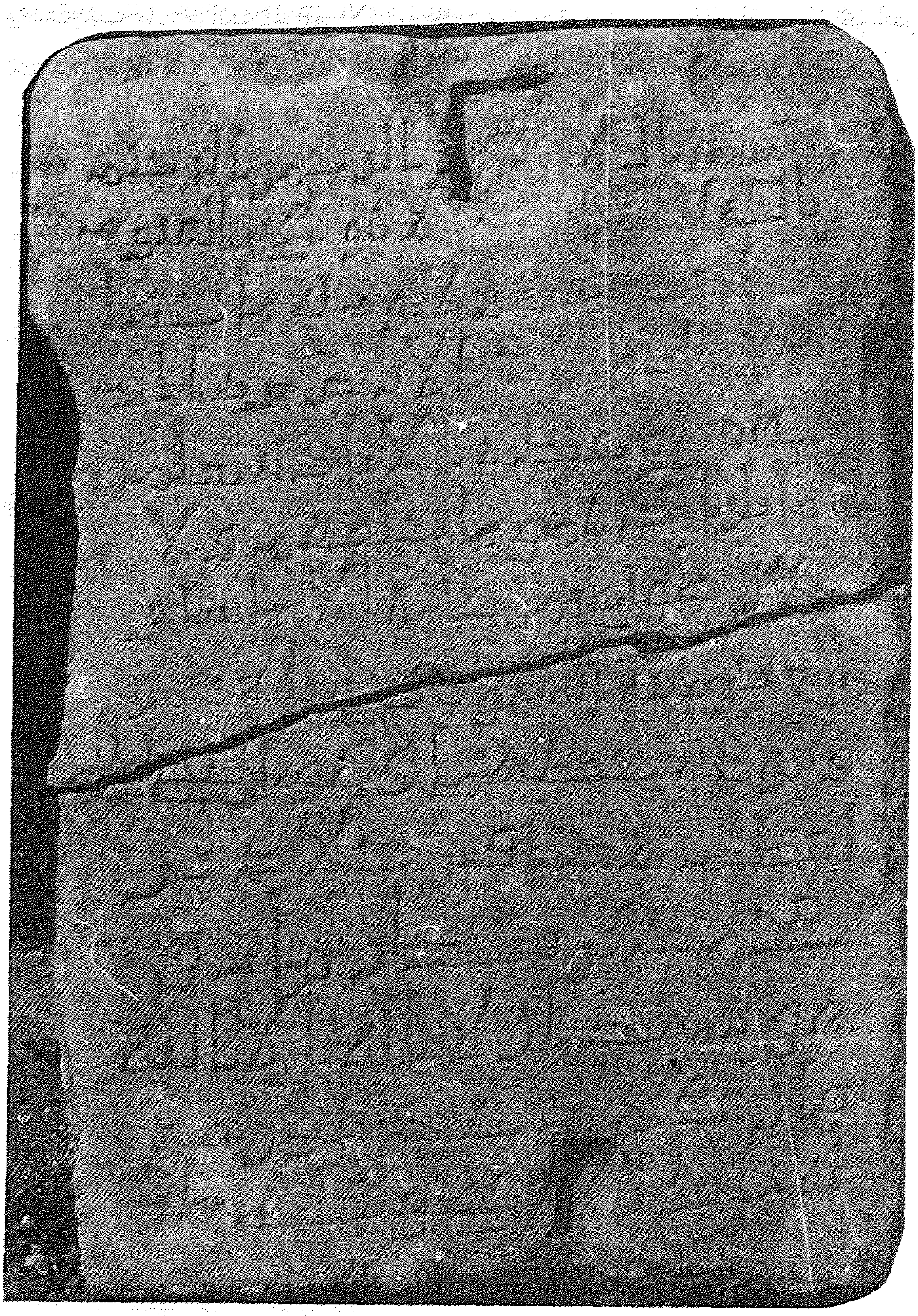

2 ـ شاهد قبر مسجد التوفيق :
القيروان أواخر النصف الأول للقرن الثالث هـ. منتصف القرن التاسع م.

يحمل ثقبين في جانبيهما يدل أنه استعمل في فترة سابقة كساكف لإحدى الأبواب واستجلب من خرائب المواقع الأثرية القديمة التي تعج بها منطقة القيروان ثم أعيد استعماله كشاهد قبر في الفترة الإسلامية[10].

يتألف نص هذا الشاهد من 14 سطرا من الخط الكوفي ذي النحت الغائر.

* المصدر: جامع التوفيق: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان.
* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.
* الأبعاد: الطول: 75,5صم، العرض: في أعلاها: 50 صم، في أسفلها 44,5صم، السمك: 6صم، الحروف الصاعدة: 4صم.
* رقم الجرد: 500.
* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم
2- الله لا اله الا هو الحي القيوم
3- لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في ا
4- [لسمو]ت وما [في] الأرض من ذا الذ
5- ي يشفع عنده الا باذنه يعلم
6- ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
7- يحوطو (هكذا) بشى من علمه الا بما شا و
8- سع كرسيه السموات والأرض
9- ولا يوده حفظهما وهو العلي ا
10- لعظيمْ هذا قبر خلاد بن
11- محمد بن زيدان مات و
12- هو يشهد ان لا اله الا الله
13- وان محمد (هكذا) عبده ورسو
14- له عليها حيى وعليها مات

(10) حول هذا الموضوع، انظر: البكري: المسالك والممالك، صفحات 32، 34، 42، 44، 47، 83، 84، كذلك ابن عذاري: البيان المغرب: ا، صفحة 24

يحمل نص هذا الشاهد اسم المتوفي لكن لا يذكر تاريخ وفاته، وهذه ظاهرة لاحظناها إثر قيامنا بعملية جرد وحصر مجموعة شواهد قبور القيروان. فضمن مجموعة القرن الثالث هجري والتي تضم 112شاهدا؛ وجدنا 13 قبرية أغلبها من الألواح ومستطيلة الشكل، تتسم نصوصها بعدم ذكر تاريخ وفاة أصحابها وفي جل الحالات لا تحمل حتى أسماء أصحابها وتواريخ وفياتهم. بل تقتصر نصوص هذه الشواهد على ذكر البسملة والتصلية ثم بعض الآيات القرآنية خاصة منها: سورة البقرة - الآية 255؛ سورة الإخلاص - الآيات 1-4؛ سورة آل عمران - الآية 182 ثم تختم بالشهادة.

كتب هذا الشاهد بخط كوفي غائر. فاتسمت الكتابة بالبساطة والتناسق. تقتصر الزخارف على مشادف نحيفة تحلي أواخر الأحرف. أما الحروف المنتهية بذيل مثل الراء، الميم، النون... فهي لا تزال غير ممددة وتقتصر على الجزء السفلي لشريط الكتابة. كل هذه الملامح وباستعراض ومقارنة أسلوب كتابات أغلب قبريات إفريقية للقرن الثالث هجري تجعلنا ندرج ونؤرخ هذا الشاهد ضمن شواهد العشرية الأخيرة للقرن الثالث هجري/ أواخر النصف الأول للقرن التاسع ميلادي.

شاهد رقم 3، 252هـ/ 866م

لوحة III

شاهد قبر مستطيل في شكل لوح من المرمر الرمادي اللون. مكسر الجوانب، تتخلل حقل الكتابة عدة ثقوب وتآكل للحجارة مما جعل قراءة النص صعبة.

يتألف النص من 12 سطرا كتبت بخط كوفي غائر بسيط يغلب عليه الطابع الوثائقي، خال من أي عنصر من عناصر الزخرفة. يذكرنا أسلوب رسم كتابة هذا الشاهد بالنقيشة المرسومة على جدار قبلة مسجد رباط سوسة شمال محرابه(11).

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

*مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقيروان

---

(11) انظر : A. Lézine، رباط سوسة، تونس 1956، صفحة 17 . ولنفس المؤلف : سوسة : المعالم الاسلامية، صفحة 27، لوحة 10 .

لوحة 3

3 ـ القيروان : شاهد قبر 252 هـ / 866 م

* الأبعاد: الطول: 65صم، العرض: 37صم، السمك: 15صم، الأحرف الصاعدة: 3,5و 4صم.

* رقم الجرد: 408

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم

2- هذا قبر هارون الدليل [مات]

3- وهو يشهد ان لا اله الا الله

4- وحده لا شريك له وان الجنة حق و

5- النار حق وان الله يبعث من في القـ

6- بور. . . . . على هذه. . . . . ل

7- لشهادة حيى وعليها مات

8- وعليها يبعث وكانت وفاته

9- ليلة الجمعة من شوال سنة

10- اثنين وخمسين ومايتين رحم الله

11- . . . . هذا الكتاب (هكذا) ودعا له

12- بالرحمة ا

يمكن اقتراح كذلك الدليل (السطر الثاني). رغم بحثنا الحثيث في العديد من كتب التراجم المتعلقة بهذه الفترة، لم نجد أي ترجمة لصاحب هذا الشاهد.

شاهد رقم 4. 255 هـ/ 869م

لوحة IV

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر أبيض اللون، يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري، ويتألف من نص يشتمل على 27 سطرا من الخط الكوفي الغائر. تميز برداءة نحت الحروف وعدم الدقة في إبراز ملامحها.

لوحة 4

4 ـ شاهد قبر 255 هـ / 869 م

دراسة أسلوب رسم حروف كتابة هذا الشاهد تبين مقارنة بالكتابات السابقة وجود تطور طفيف طرأ على شكل بعض الأحرف وعلى طريقة زخرفتها. من حيث الشكل، نلاحظ أن عديد الأحرف مثل التاء في آخر الكلمات، الحاء، الدال، الكاف، الهاء في وسط وآخر الكلمات، بدأت أجزاؤها تتمدد إلى الجزء العلوي لحقل الكتابة. أما من حيث الزخارف، نلاحظ ظهور براعم ثنائية الفصوص تنبثق من أواخر الحروف مثل الألف واللام، كذلك حرفي الباء والتاء. أخيرا نشير إلى الورقة الثلاثية الفصوص التي تحلي حرف الهاء في كلمة وحده، السطر الرابع.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: ارتفاع: 105صم، قطر قاعدة العمود: 17صم، قطر رأس العمود: 19صم، الأحرف الصاعدة: 2,5صم.

* رقم الجرد: 305

* النشر: لم تنشر

النص:

1- [بسـ]ـم الله الرحمن الرحيم

2- [هـ]ـذا قبر سكينة ابنت (هكذا) ا

3- بي الجهم ماتت وهي تشهد

4-لا اله الا الله وحده

5- لا شريك له وان محمد (هكذا)

6- عبده ورسوله صل (هكذا) الله

7- عليه وسلم وان الجنة

8- حق والنار حق والبعث

9- حق والساعة اتية لا ريب

10- فيها وان الله يبعث

11- من في القبور على هذ

12- ه الشهادة حيت و

13- عليها تبعث ان شا الله

14- . . . . ماتت . . . . من ا

15- . . . . فرحم الله عبد

16- ا قرأ وترحم عليها

17- جنات عدن يدخلونها

18- ومن صلح من آبايهم

19- وَازواجهم وذر

20- ياتهم والملايكة يد

21- خلون عليهم من كل با

22- ب سلام عليكم بما صبر

23- تم فنعم عقبا (هكذا) الدا

24- ر ماتت في شهر ذو

25- القعدة من سنة خمس

26- وخمسين ومايتين فر

27- حمها اله وغفر لها

شاهد رقم 5. 260هـ/ 874م

لوحة V

جزء سفلي لشاهد قبر عمودي الشكل من المرمر الأخضر. يتألف ما تبقى من النص من 10 أسطر كتبت بخط كوفي غائر. تميز بإتقان ودقة ورسم حروفه مع جودة نحتها.

5 ــ شاهد قبر 260 هـ / 874 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 74صم، القطر من الأسفل: 22صم، الحروف الصاعدة: 4 صم.

* رقم الجرد: 514

* النشر: لم تنشر

النص:

....

....

وان الجنة حق وان

وان (هكذا) النار حق وان

البعث حق وان السا

عة آتية لا ريب فيها

وان الله يبعث من

في القبور مات يوم

الثلاث لاحد يوم (هكذا)

مضين من شهر ربيع الآ

خر من سنت (هكذا) متين (هكذا) و

ستين

شاهد رقم 6. 260هـ/ 874م

لوحة VI

شاهد قبر كتب على عمود من المرمر الأبيض النقي، منكسر إلى جزئين. يتألف نصه من 29 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة وبديعة تنم على قدرة النقاش في حذق رسم أشكال الحروف ودقة نحتها.

لوحة 6

6 ـ القيروان :
شاهد قبر أبي الحسن علي بن أبي إسحاق أحمد بن علي حميد : 260 هـ / 874 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: +17صم، قطر القاعدة: 20صم، الحروف الصاعدة 3صم.

* رقم الجرد: 421

*النشر: لم تنشر

النص:

1- [بـ]ـسم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله احد

3- الله الصمد لم يلد

4- ولم يولد ولم يكن

5- له كفوا أحد شهد

6- الله انه لا اله الا هو وا

7- لملايكة وألو العلم

8- قايما بالقسط لا اله ا

9- لا هو العزيز الحكيم هذ

10-ا قبر أبي الحسن علي ابن ا

11- بي اسحق احمد ابن علي

12- بن حميد مات وهو

13- يشهد الا اله الا الله

14- وحده لا شريك له

15- وان محمدا عبده و

16- رسوله صل (هكذا) الله عليه و

17- سلم وان الجنة حق وا

18- ن النار حق وان الساعة

19- آتية لا ريب فيها وان ا

20- لله يبعث من في القبو

21- ر على هذه الشها

22- دة حيى وعليها ما

23- ت و [عليها يبعث حيا]

24- ان شاء الله مات في

25- جمادي الأول

26- سنة ستين وما

27- يتين رحم الله

28- من قرا ود

29- عا له بالرحمة

ينتمي صاحب هذا الشاهد إلى أسرة عربية عريقة لعبت دورا سياسيا واقتصاديا في كنف الدولة الأغلبية وهي عائلة علي بن حميد.

عرض مؤلفا الكتابات القيروانية جدولا لأنساب بعض أفراد هذه الأسرة المتركبة من كبار الأعيان إثر دراستهما لثلاثة شواهد قبور لأبناء وأحفاد علي بن حميد[12]. كما تناولت كتب التاريخ والتراجم سيرهم وأضافت العديد من المعلومات عن رجالات هذه الأسرة وخاصة ذوي الحيثية والأهمية[13].

(12) انظر : الكتابات العربية القيروانية، صفحة 112، والشواهد رقم 51، صفحات 110-112، رقم 52، صفحة 113-114، رقم 154، صفحة 273-274 .

(13) حول أسرة ابن حميد، انظر خاصة : القاضي أبو الفضل عياض : تراجم أغلبية، تحقيق الدكتور محمد الطالبي، تونس 1968، صفحات : 115، 322، 428، 429 . والدكتور محمد الطالبي كذلك : الدولة الأغلبية 184-296، التاريخ السياسي، ترجمة الدكتور المنجي الصيادي، بيروت 1985، صفحات : 245-249 .

وقد عثرنا في السنوات الأخيرة ضمن المجموعة الجديدة لقبريات مدينة القيروان على ثلاثة مشاهد جديدة تضمنت نصوصها أسماء إضافية لهذه الأسرة أدرجنا دراستها ضمن هذا البحث (انظر الشواهد رقم 6، 13 و17). هذا مما يمكننا من إعادة عرض جدول أنساب هذه العائلة حسب الإضافات الأخيرة.

أ- علي بن حميد: يذكر أستاذنا محمد الطالبي في كتابه " الدولة الأغلبية "[14] كان علي بن حميد تميميا. فكان ينتسب إلى قبيلة الأمير. ولاه زيادة الله الأول 201-223 هـ الوزارة وكان يملك ثروة من أعظم ثروات القيروان، كان قد كسب جزءا منها في تجارة العاج.

ترك علي بن حميد العديد من الأولاد تقلد بعضهم جانبا من مقاليد الدولة كخطة الوزارة وولاية باجة [15]. يذكر البكري في كتاب المسالك: " ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجة. وكان المتداولون فيها لذلك بنو علي بن حميد الوزير. فإذا عزل منهم أحد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادي ويتاحف حتى يرجع إليها...»[16]. جمع أبناء علي بن حميد ثروات فاحشة ربما أثارت حولهم الأطماع والضغائن فعرف جل أبنائه نهاية أليمة ومأساوية.

ب - أبو عبد الله ابن علي بن حميد: قلده الأمير الأغلبي محمد الأول 226-242هـ الوزارة إثر ارتقائه لإمارة افريقية. قتل أبو عبد الله بأمر من أبو جعفر أحمد بن الأغلب شقيق محمد الأول إثر ثورته. وتعرف هذه الحادثة بثورة القصر. قتل أبو عبد الله بن علي بن حميد في 16 شعبان سنة 231هـ[17].

ت- أبو إسحاق أحمد ابن علي بن حميد: ليس لنا أي معلومة عنه إذ لم يرد ذكره في كتب التراجم والسير. لا نعرف كذلك تاريخ وفاته. ورد اسمه ضمن نص شاهد قبر ابنه أبو الحسن علي المتوفي سنة 260 هـ. عثر على هذا الشاهد في السنوات الأخيرة انظر شاهد قبر رقم 6، لوحة VI.

---

(14) نفس المصدر : الدولة الأغلبية، صفحة 245 .

(15) انظر : البكري : كتاب المسالك والممالك، صفحة 57 ونقلها كذلك : الدولة الأغلبية، صفحة 246، التعليق رقم 32 .

(16) نفس المصدر : الدولة الأغلبية، صفحة 245-246

(17) نفس المصدر : 247-248

ث- أبو حميد : شارك أخوه أبو عبد الله الحكم، وربما كان وزيرا مثله. عرف أبو حميد نفس المصير، إذ قتل كذلك اثر ثورة القصر سنة 231هـ. يذكر النويري في كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب و أنه: " تقرر نفي أبي حميد إلى مصر. فعذبه أبو جعفر وسلبه جميع أمواله، ثم سلمه لأبي نصر أحد موالي ابراهيم الأول للخروج به رسميا إلى طرابلس. لكن أبا نصر أمر سرا بقتله عند الوصول إلى قلشانة، خنق أبو حميد. . . "[18].

ج- أبو العباس بن علي بن حميد: ورد اسمه كذلك لأول مرة ضمن شاهد قبر عثر عليه أخيرا بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان. وهو شاهد قبر أحد أبنائه هو : أبو القاسم بن أبي العباس بن علي بن حميد، توفي سنة 283هـ. انظر شاهد قبر رقم 13، لوحة XIII.

ح- أبو الفضل أحمد بن علي بن حميد: دون له القاضي عياض في كتابه المدارك ترجمة تحت رقم 89 جاء فيها: " كان أبوه وزير ابن الأغلب وخاصته، وكذلك إخوته ولم يدخل هو في شيء من هذا" . قال المالكي: كان من أهل الدين والفقه، ورعا متواضعا، ضابطا لكتبه عارفا بما فيها. سمع من أسد، وسحنون، وعليه اعتمد. . .[19]. توفي بين سنة 251هـ وسنة 261هـ.

خ- أبو جعفر محمد بن علي بن حميد التميمي: لا نعلم شيئا عنه وعن حياته وقد عرف بفضل ما كتب على قبره. نشر مؤلفا الكتابات القيروانية نص شاهد قبره الذي يفيد بأن أبا جعفر توفي في شوال من سنة 242 هـ[20].

كما مكنتنا دراسة نصوص شواهد قبور القيروان التي تم نشرها أو الجديد منها إلى التعرف على أسماء العديد من أبناء وأحفاد أبي جعفر محمد نذكر منهم:

* أبو علي محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن حميد. لا نعرف تاريخ وفاته لأن شاهد قبره مكسر وغير كامل[21].

---

(18) أوردها كذلك الدكتور محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، صفحة 248، تعليق رقم 42 .

(19) دون القاضي عياض في كتاب المدارك ترجمة لأحمد بن علي بن حميد التميمي، أبو الفضل تحت رقم 89، صفحات 322-323

(20) انظر : الكتابات العربية القيروانية، شاهد رقم 51، صفحة 110-112

(21) نفس المصدر : شاهد رقم 52، صفحة 113-114

* أبو محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن حميد. عرف هو الآخر نهاية مأساوية إذ يذكر نص شاهد قبره أنه استشهد سنة 290 هـ انظر شاهد قبر رقم 17، لوحة XVII.

* أبو الفضل محمد ابن جعفر بن أحمد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن حميد التميمي. توفي سنة 372 هـ.

شاهد رقم 7. 262 هـ/ 876 م

لوحة VII

قسم من شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري. يتألف ما تبقى من النص من 9 أسطر كتبت بخط كوفي بارز.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 73 صم، القطر: 20صم، الحروف الصاعدة: 2,5 و 3صم.

* رقم الجرد: 361

* النشر: لم تنشر

النص:

....

....

....

... ما اتخذ الله من ولد وما

كان معه من اله ادى (هكذا) لذهب

كل اله بما خلق ولعلى (هكذا) بعضهم

لوحة 7

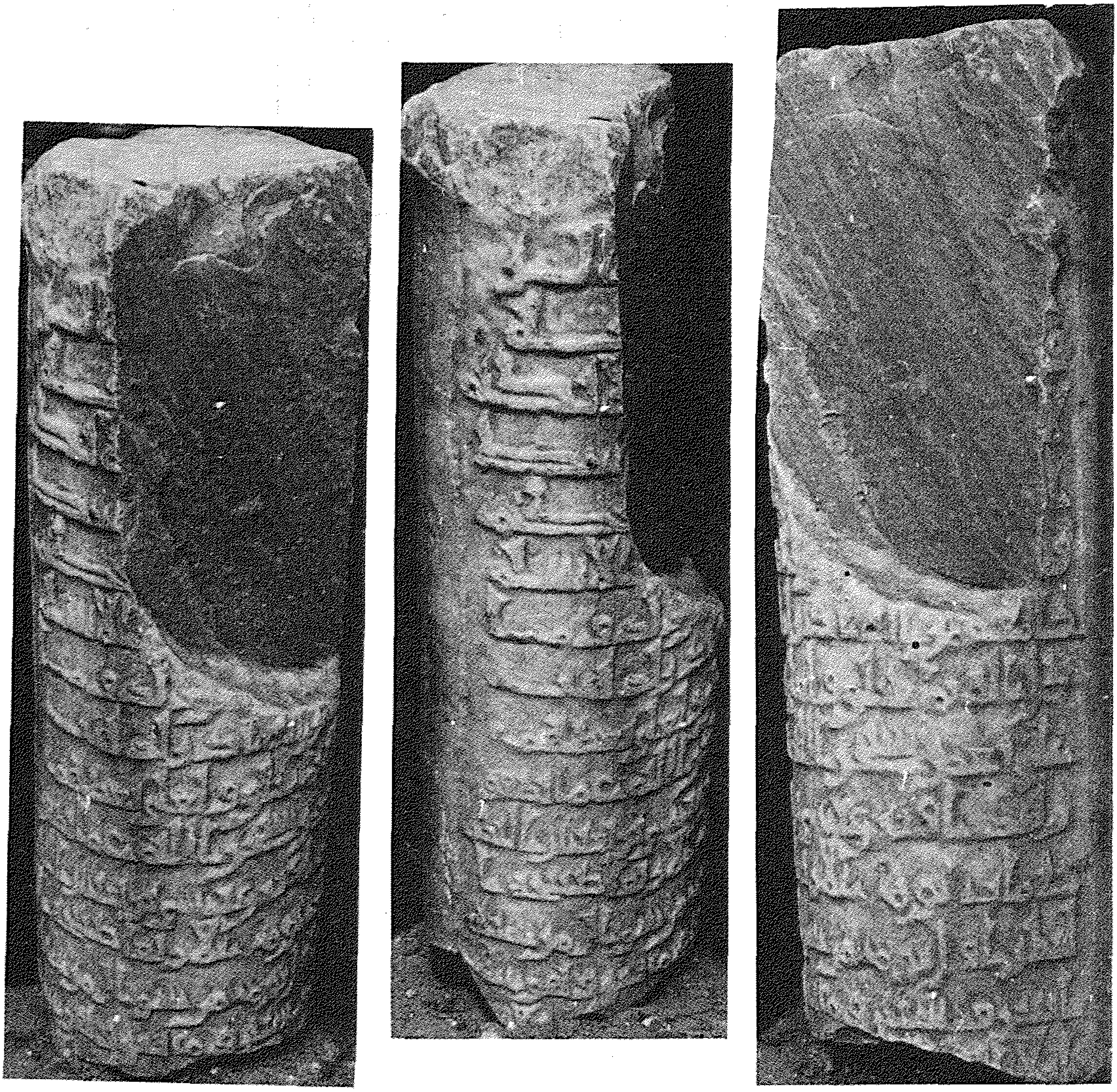

7 ـ شاهد قبر 262 هـ / 876 م

شجرة أنساب أسرة بني حميد

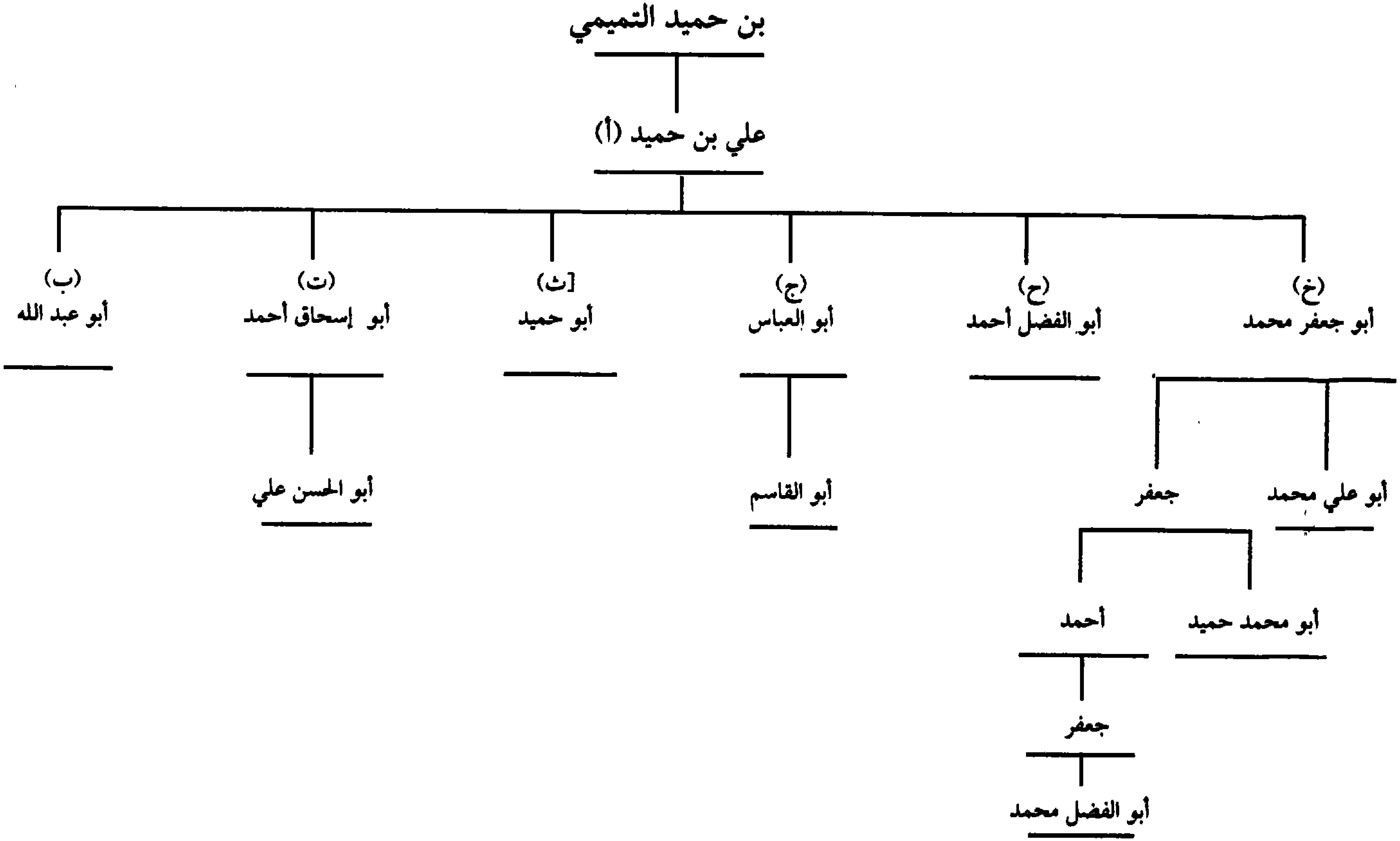

على بعض سبحن الله عما يصفو

ن هذا قبر عيسى بن يعيش البصر

ي مات يوم الاربعاء صبيحة ا

لفطر اول يوم من شوال من سنة

اثنين وستين ومايتين (هكذا) وهو يشهد

ان لا ا[له الا الله. . . . .

كتب هذا الشاهد بخط ذي نحت بارز. وهو يعد من أقدم شواهد إفريقية المستعملة للنحت البارز إذ ظهرت انطلاقا من العشرية الثانية للنصف الثاني من القرن الثالث هجري أولى الشواهد ذات الكتابة البارزة: 258هـ، 262هـ، 265هـ [22]. إلا أن استعمال النحت الغائر هو الذي ساد أغلب قبريات القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي. ويبدأ في الإختفاء في شواهد القرن الرابع هـ/ العاشر م.

كما نلاحظ أن كتابة هذا الشاهد وأسلوب رسم حروفه بقيت خالية من العناصر الزخرفية وتنقصها الدقة والإتقان إذ تبدو كبيرة الحجم لا تزال بمرحلتها الإنتقالية.

شاهد قبر رقم 8. 271هـ/ 884م

لوحة VIII

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الأبيض النقي. يتكون الحقل الذي به الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري، ويتألف من نص يشتمل على 25 سطرا مكتوبة بخط كوفي غائر. تتميز الكتابة بدقة رسم الحروف وأناقة الشكل رغم بساطتها الزخرفية.

*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

*الأبعاد: ارتفاع: 120صم، قطر القاعدة: 20,5صم، طول الأحرف الصاعدة: 3صم.

---

(22) حول ظهور الخط الكوفي البارز، انظر نفس المصدر. شاهد رقم 53، صفحة 114-116، لوحة VI، صورة 11، شاهد رقم 59، صفحة 125-127، لوحة VII .

لوحة 8

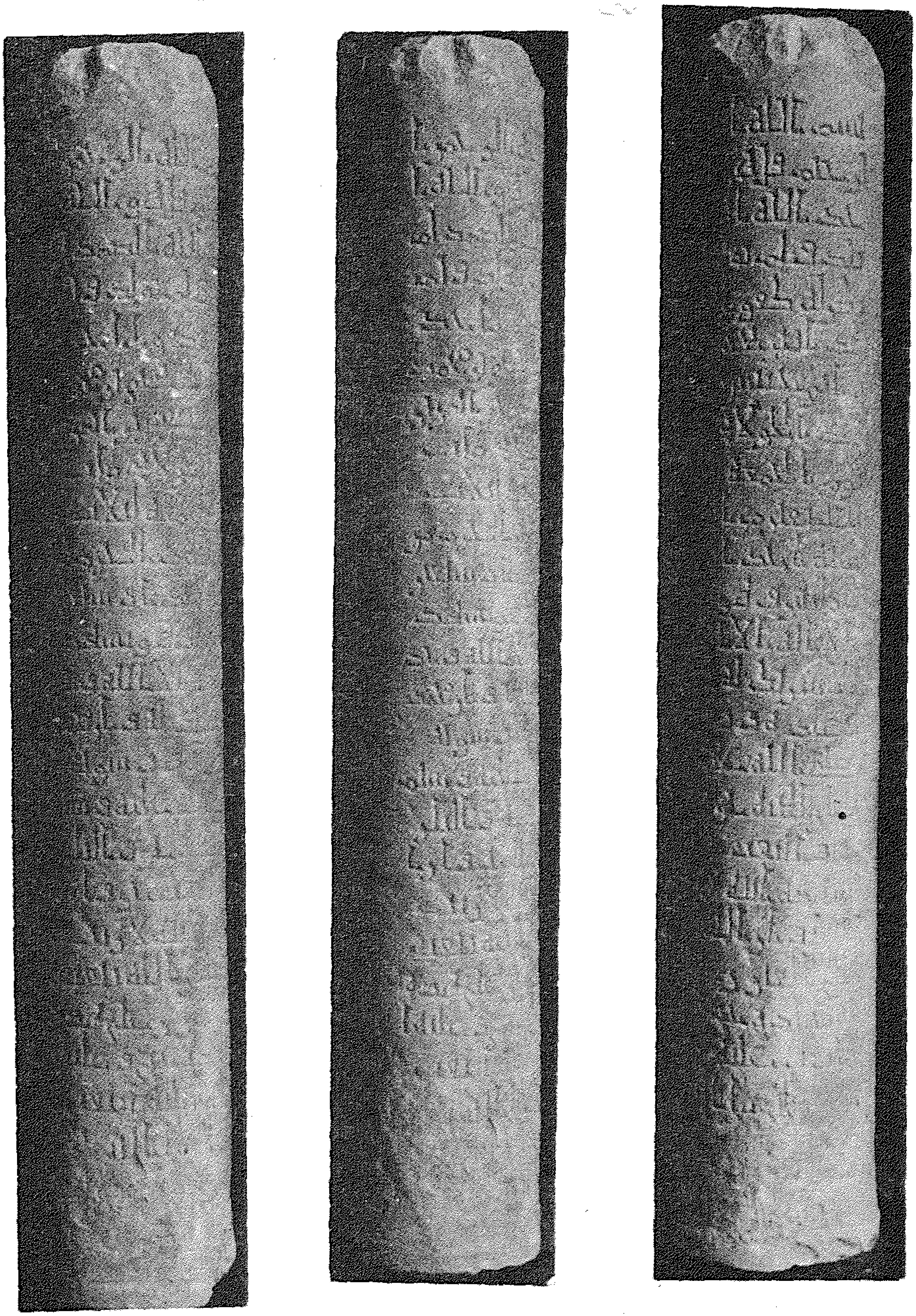

8 ـ القيروان : شاهد قبر 271 هـ / 884 م

* رقم الجرد: 1501

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن ا

2- لرحيم قل هو الله ا

3- حد الله الصمد لم

4- يلد ولم يولد ولم

5- يكن له كفوا احد

6- هذا قبر يحيى بن محمد

7- بن أبي حسين بن المربر؟

8- .... الخولاني مات

9- يوم الجمعة لثلاث

10- ليال بقين من لمحرم من

11- سنة احدا (هكذا) وسبعين

12- ومايتين وهو يشهد

13- الا اله الا الله وحد

14- ه لا شريك له وان محمد

15- اعبده ورسوله

16- صلى الله عليه وسلم

17- وان الجنة حق والنار

18- حق والبعث حق وان ا

19- لساعة اتية لا ريب

20- فيها وان الله يبعث

21- من في القبور على هذه

23- الشهادة حيى وعليها

24- مات وعليها يبعث

25- ان شاء الله

شاهد رقم 9. 274هـ/ 887م

لوحة IX

شـاهد قبـر في شكل لوح من المرمـر الأبيض، حـقل الكتابـة متـآكل، أول النص ممحوّ. كتب النص بخط كوفي ذي نحت بارز خط جميل نحت بدقة ورسم بوضوح.

تقتصر الزخارف على أواخر الأحرف إذ تحليها أوراق نباتية ثنائية الفصوص. نشير كذلك إلى التـواء ذيل حرف النون وتمدده إلى الجزء العلوي لشريط الكتـابة وقد رسم بأشكال عديدة.

*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعـــاد: الطول: +7صم، العـــرض: +2صم، الســـمك: 7 صـــم، طول الأحرف: 3صم

* رقم الجرد: 930

* النشر: لم تنشر

النص:

. . . .

. . . .

لوحة 9

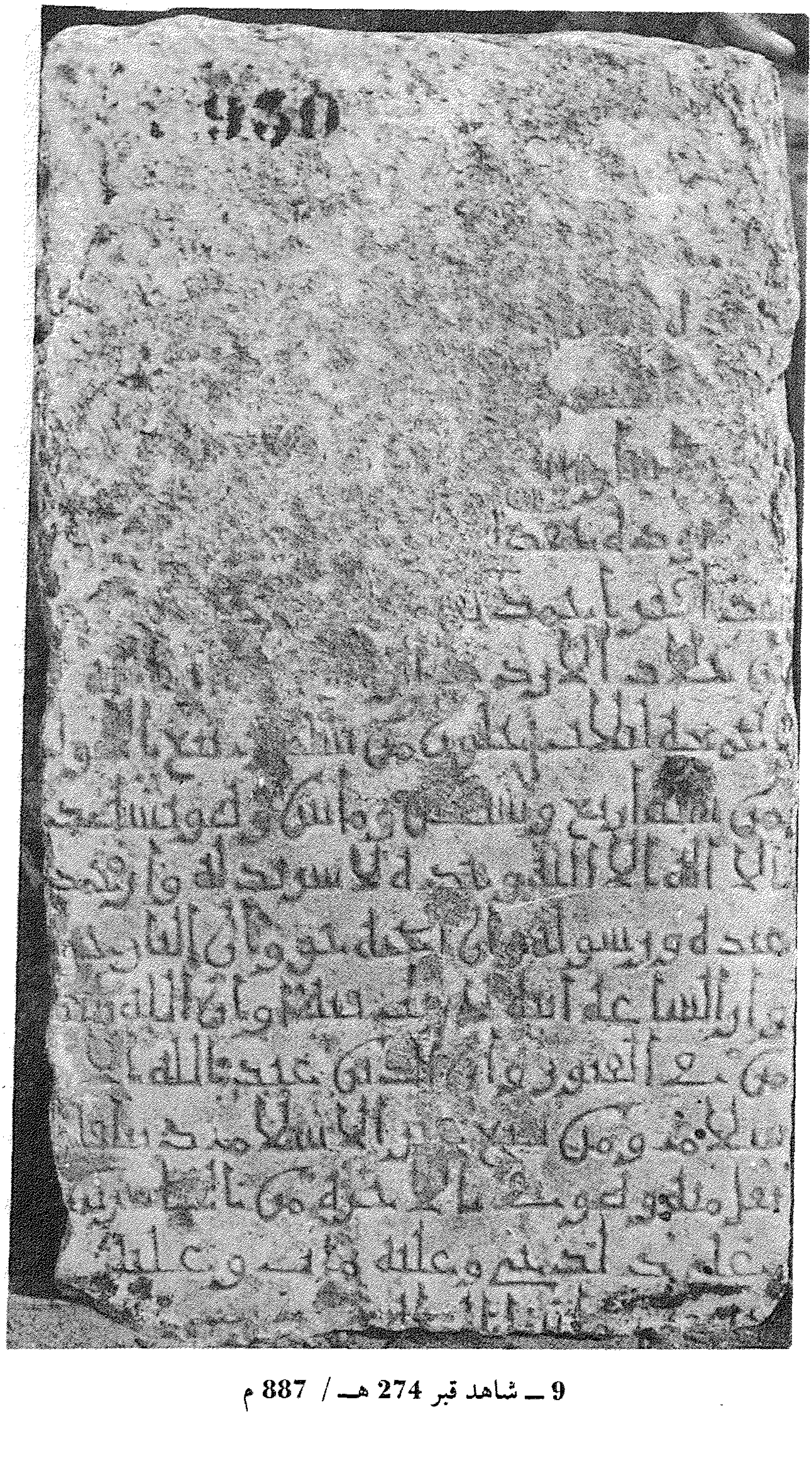

9 ــ شاهد قبر 274 هــ / 887 م

إلا بما شا وسـ[ـع كرسيه السموات والأرض]

ولا يؤده حفظـ[ـهما وهو العلي العظيم]

هذا قبر أحمد بن ....

بن حلاد الأزد[ي]........................ليلة

الجمعة لثلاث خلون من شهر ربيع الأول

من سنة أربع وسبعين ومايتين وهو يشهد

ألا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمد

عبده ورسوله وان الجنة حق وان الله يبعث

من في القبور وان الدين عند الله الا

سلام ومن يتغ (هكذا) غير الإسلام دينا فلن

يقل (هكذا) منه وهو في الآخرة من لخاسرين

على ذلك حيى وعليه مات وعليه

يبعث إن شا الله

شاهد رقم 10. 279هـ/ 893م

لوحة X

شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض، كسرت زواياه العليا وتآكلت مساحة حقل كتابته. يتألف النص من 12 سطرا كتبت بخط كوفي غائر اتسم بالبساطة والوضوح. تنتهي جل حروفه بشدف.

* المصدر : مدينة سوسة

* مكان الحفظ: رباط سوسة

* الأبعاد : الطول: 55صم، العرض: 35 صم، السمك: 10صم، الحروف الصاعدة: 3 صم.

لوحة 10

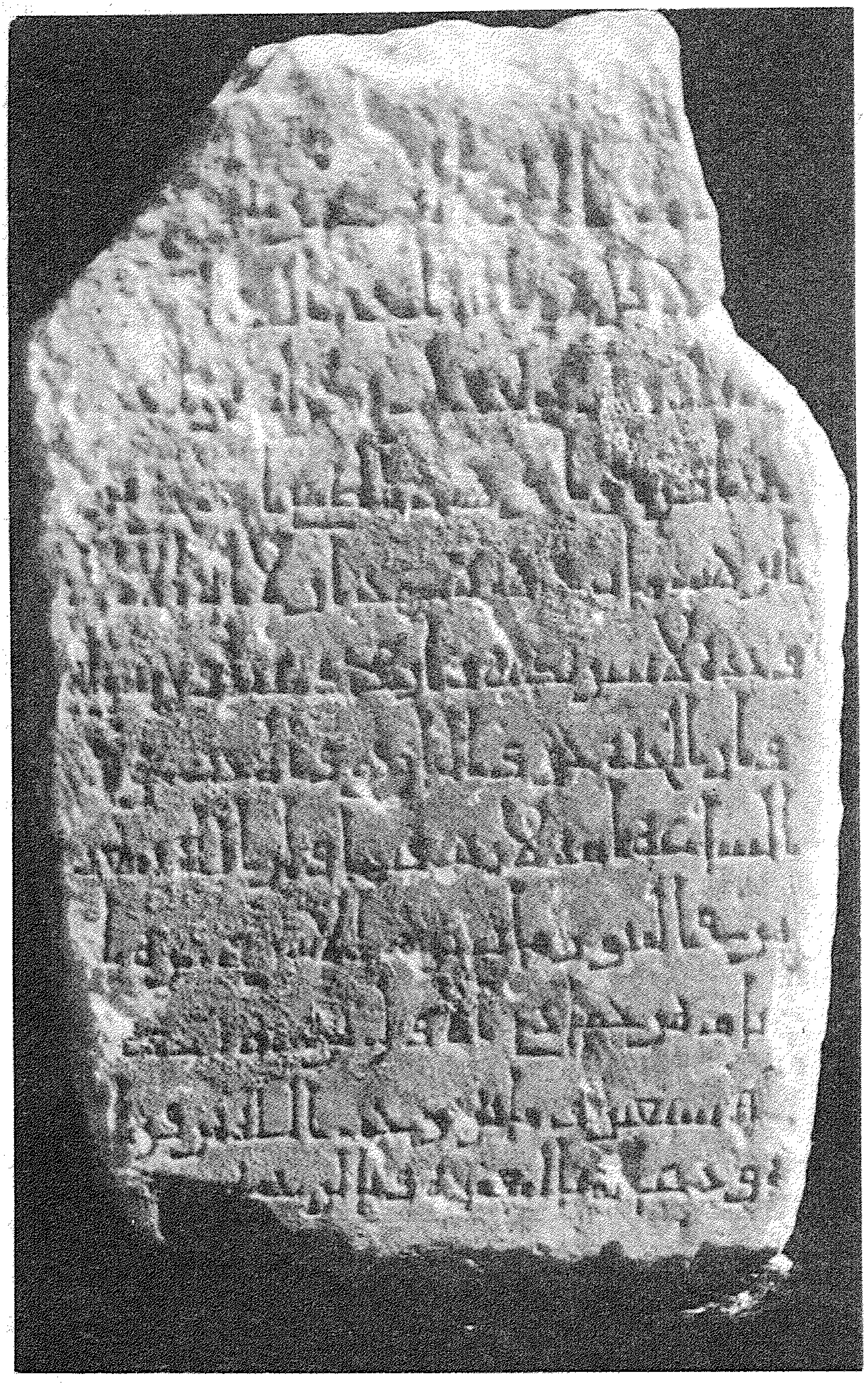

10 ــ سوسة : شاهد قبر 276 هــ / 892 م

* رقم الجرد: 11

* النشر: لم تنشر

النص:

1- [بســ]ـم الله الرحمن الـ[ـرحيم]

2- قل هو الله أحد الله [الصمد]

3- لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

4- هذا قبر. . . . . ابرهيم الصا. . . . . ي. . . ا[أ]

5- ابرهيم مات وهو يشهد ان لا اله الا الله

6- وحده لا شريك له وان محمد (هكذا) عبده ورسوله

7- وأن الجنة حق والنار حق والبعث حق [وان]

8- الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث

9- من في القبور مات يوم الاثنين لعشرة ا

10- يام من جمادي الأول من سنة تسعة

11- وسبعين ومايتين رحم الله من قرا

12- ودعا له بالمغفرة وبالرحمة

شاهد رقم 11. 280هـ/ 894م

لوحة XI

شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض، منكسر إلى جزئين عشر عليه بحفريات موقع رقادة الأثري. يتألف نصه من 20 سطرا كتبت بخط كوفي غائر. اتسمت كتابة هذا الشاهد بطابعها الوثائقي. فرغم بساطتها وقلة زخرفتها، بلغت درجة عالية من الإتقان وامتازت بدقة رسم الحروف وجودة حفرها مع أناقة شكلها.

(أ) تآكل الحجارة لا تمكننا من اقتراح قراءة مقنعة لأسم صاحب الشاهد.

* المصدر: حفريات موقع رقادة الأثري

* مكان الحفظ: مستودع برج الشيحاوي برقادة

* الأبعاد: الطول: 47صم، العرض: 38صم، السمك: 3صم، طول الأحرف: 3صم

رقم الجرد: رق 5

النشر: لم تنشر.

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله ا

2- لا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و

3- لا نوم له ما في السموات وما في الأرض

4- من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه

5- يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا

6- يحيطون بشي من علمه الا بما شا و

7- سع كرسيه السموات والأرض

8- ولا يوده حظهما (هكذا) وهو العلي العظيم

9- هذا قبر أحمد بن حمديس بن الحر

10- ث (هكذا) الهاشمي مات يوم الجمعة لليلتين

11- بقينا (هكذا) من صفر سبنة ثمنين (هكذا) ومايتين وهو

12- يشهد إلا إله إلا الله وحده

13- لا شريك له وأن محمدا

14- عبده ورسوله صلي الله

15- عليه وسلم وان الجنة

16- حق وان النار حق وان السا

17- عة اتية لا ريب فيها ، وان

18- الله يبعث من في القبور

19- رحم الله من قرا ودعا له بالر

20- حمة

شاهد رقم 12. 282هـ/ 895م

لوحة XII

شاهد قبر مستطيل في شكل لوح من المرمر الرمادي اللون، يتألف نصه من 18 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة رسمت أشكالها بعناية ودقة. زخارفها مختزلة اقتصرت على تحلية أواخر الحروف ببراعم ومشادف معكفة أو ثنائية الفصوص.

* المصدر: مدينة سوسة

* مكان الحفظ: متحف الفنون الإسلامية برباط المنستير

* الأبعاد: الطول: 81صم، العرض: 26صم، السمك: 3صم، الأحرف الصاعدة: 3,5صم.

* رقم الجرد: 13

* النشر : لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله أحد الله

3- الصمد لم يلد ولم يـ[و]

4- لد ولم يكن له كفوا احد

5- هذا قبر محمد بن سعيـ[د]

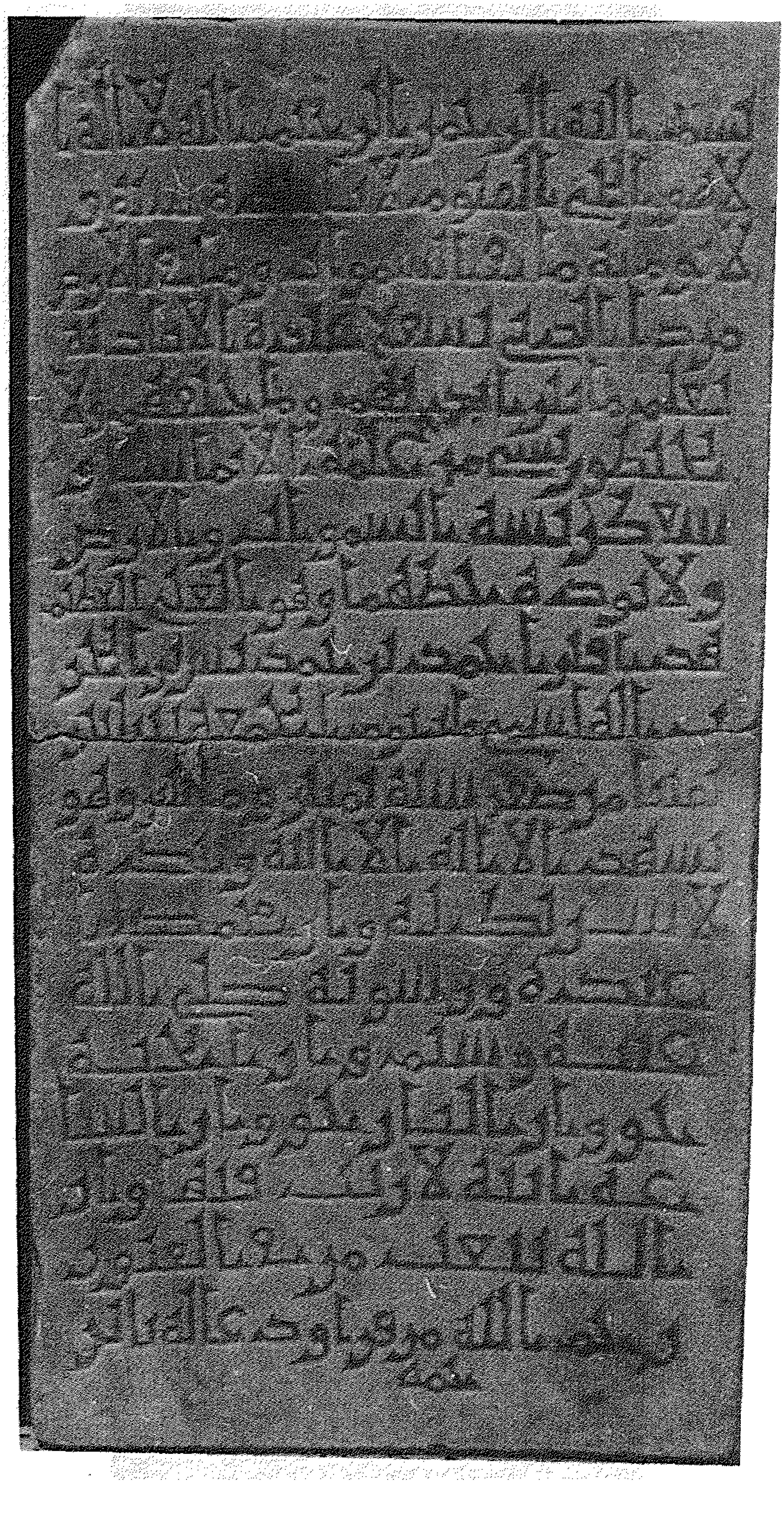

11 ـــ رقادة : شاهد قبر 280 هـــ/ 893 م

لوحة 12

12 ــ سوسة : شاهد قبر 282 هــ / 895 م

6- الورداني رحمه الله [ما]

7- ت يوم الثلاثا لاثنا (هكذا) عشر. . .

8- مضين من شهر رمضان سنة

9-اثنين وثمانين ومايتين وهو

10- يشهد أن لا إله إلا الله

11- وحده لا شريك له ون

12- محمد (هكذا) عبده وسوله (هكذا) [صلى]

13- الله عليه وسلم وأن الجنة

14- حق وان النار حق وان ا

15- لساعة آتية لا ريب فيها

16- وأن الله يبعث من في ا

17- لقبور فرحم الله من قر

18- را (هكذا) ودعا له بالرحمة

شاهد رقم 13. 283هـ/ 896م

لوحة XIII

شاهد قبر غير كامل في شكل عمود من المرمر الأبيض، يتكون حقل كتابته من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 13 سطرا كتبت بخط كوفي غائر.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث أولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 52,5صم، قطر القاعدة: 20صم، الحروف الصاعدة: 3صم.

لوحة 13

13 ــ القيروان : شاهد قبر أبي القاسم ابن أبي العباس بن علي بن حميد 283 هــ / 896 م

* رقم الجرد: 1509

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله احد ا

3- لله الصمد لم يلد ولم

4- يولد ولم يكن له كفوا

5- أحد هذا قبر أبو ا

6- لقاسم ابن ابي العباس

7- الاثنين آخر يوم من ر

9- بيع الأول من سنة ثلا

10- ثة وثمانين ومايتين و

11- هو يشهد ألا إله إلا

12- الله وحده لا شريك

13- [له وان محمدا] عبده

. . . .

يضيف لنا نص هذا الشاهد اسمين جديدين لأسرة علي بن حميد التميمي وزير الأمير الأغلبي زيادة الله الأول وهما ابنه المكنى بأبي العباس وحفيده أبا القاسم. حول أسرة ابن حميد انظر دراسة الشاهد رقم 6 .

شاهد رقم 14 . 290هـ/ 903م

لوحة XIV

شاهد قبر عمودي من المرمر الأصفر على شكل سارية أعيد استعمالها كقبرية. يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية نصف دائرية ويتألف من 20 سطرا كتبت بخط كوفي غائر.

لوحة 14

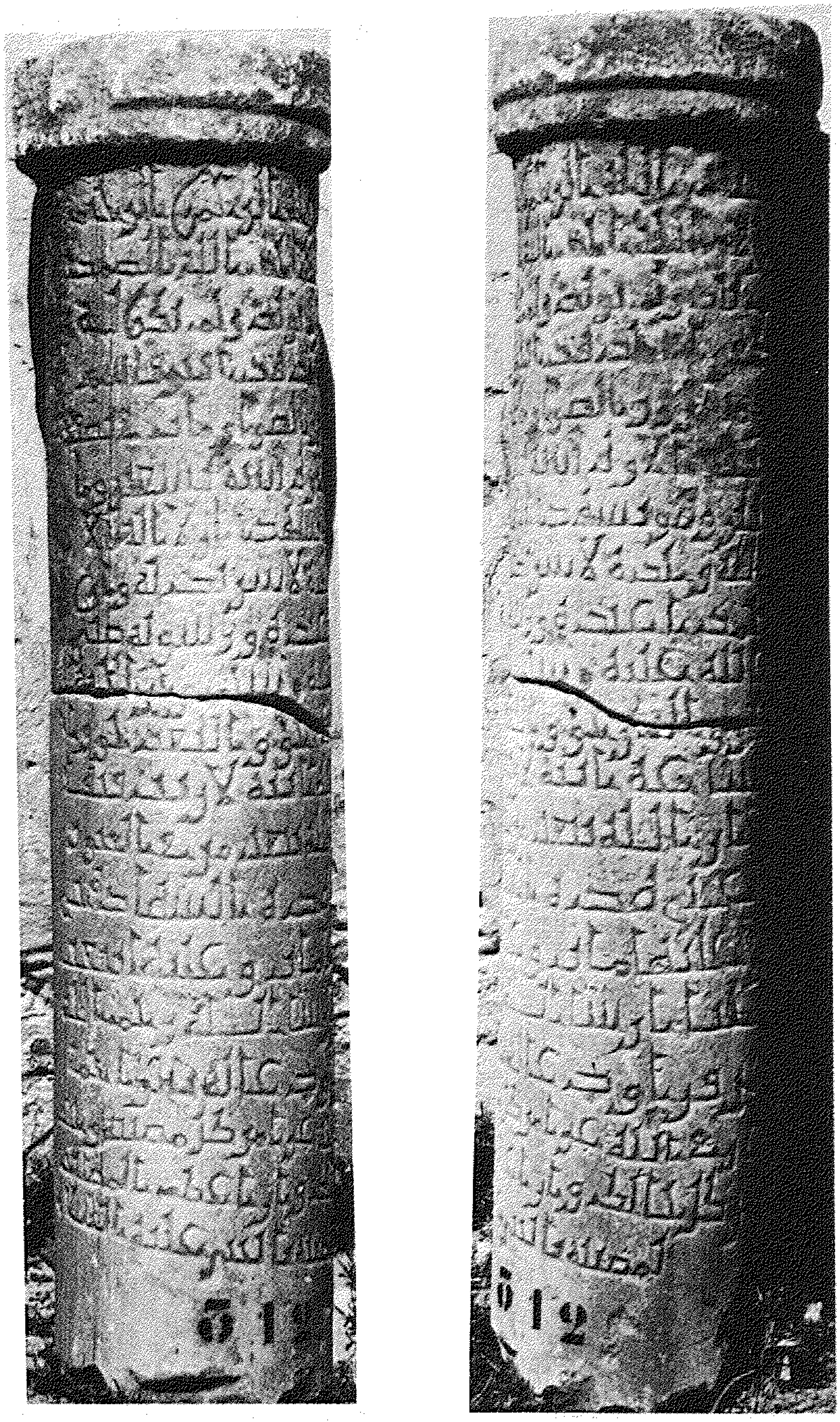

14 ــ القيروان : شاهد قبر 290 هــ / 903 م

اقتصرت الزخارف على أوراق ثنائية الفصوص منبثقة من أواخر الحروف الصاعدة كالألف واللام وامتدت هذه الزخارف إلى جل الحروف إذ أصبحت تحلي ذيول الراء والنون والواو.

*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

*مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 87صم، قطر القاعدة: 21صم، الأحرف الصاعدة: 2,5صم،

* رقم الجرد: 312 .

* النشر: نشر مؤلفا الكتابات العربية القيروانية القسم العلوي لهذا الشاهد تحت رقم 80، صفحة 157-158 في سنة 1991 وإثر قيامنا بعملية مسح شامل لزوايا مدينة القيروان ومقبرة الجناح الأخضر تمّ العثور على القسم المفقود لهذا الشاهد.

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم

2- قل هو الله احد الله الصمد

3- لم يلد ولم يولد ولم يكن له

4- كفوا احد هذا قبر قاسم

5- بن مسرور الصواف مات في نصف

6- ربيع الأول سنة تسعين وما

7- يتين وهو يشهد ان لا اله الا

8- الله وحده لا شريك له وان

9- محمدا عبده ورسوله صلى

10- الله عليه وسلم وان الجنة

11- حق والنار حق والبعث حق وا

12- ن الساعة اتية لا ريب فيها

13- وان الله يبعث من في القبور

14- على هذه الشهادة حي (هكذا)

15- وعليها مات وعليها يبعث

16- حيا ان شا الله رحم الله

17- من قرأ ودعا له بالرحمة

18- ان في الله عزا من كل مصيبة وخلفا

19- من كل حالك (هكذا) وأن أعظم المصايب

20- المصيبة بالنبي عليه السلام

شاهد رقم 15. 291هـ/ 904م

لوحة XV

قسم من شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض. بقي من نص الشاهد 9 أسطر كتبت بخط كوفي غائر كتابة بسيطة وواضحة رسمت حروفها بدقة وحفرت بإتقان. تقتصر الزخارف على مشادف تحلي أواخر الحروف وتنبثق منها.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الطول: 40صم، العرض: 46صم، السمك: 11صم، الحروف الصاعدة: 3 صم.

* رقم الجرد: 440

* النشر: لم تنشر

النص:

. . . .

. . . .

. . . . ماتت يوم

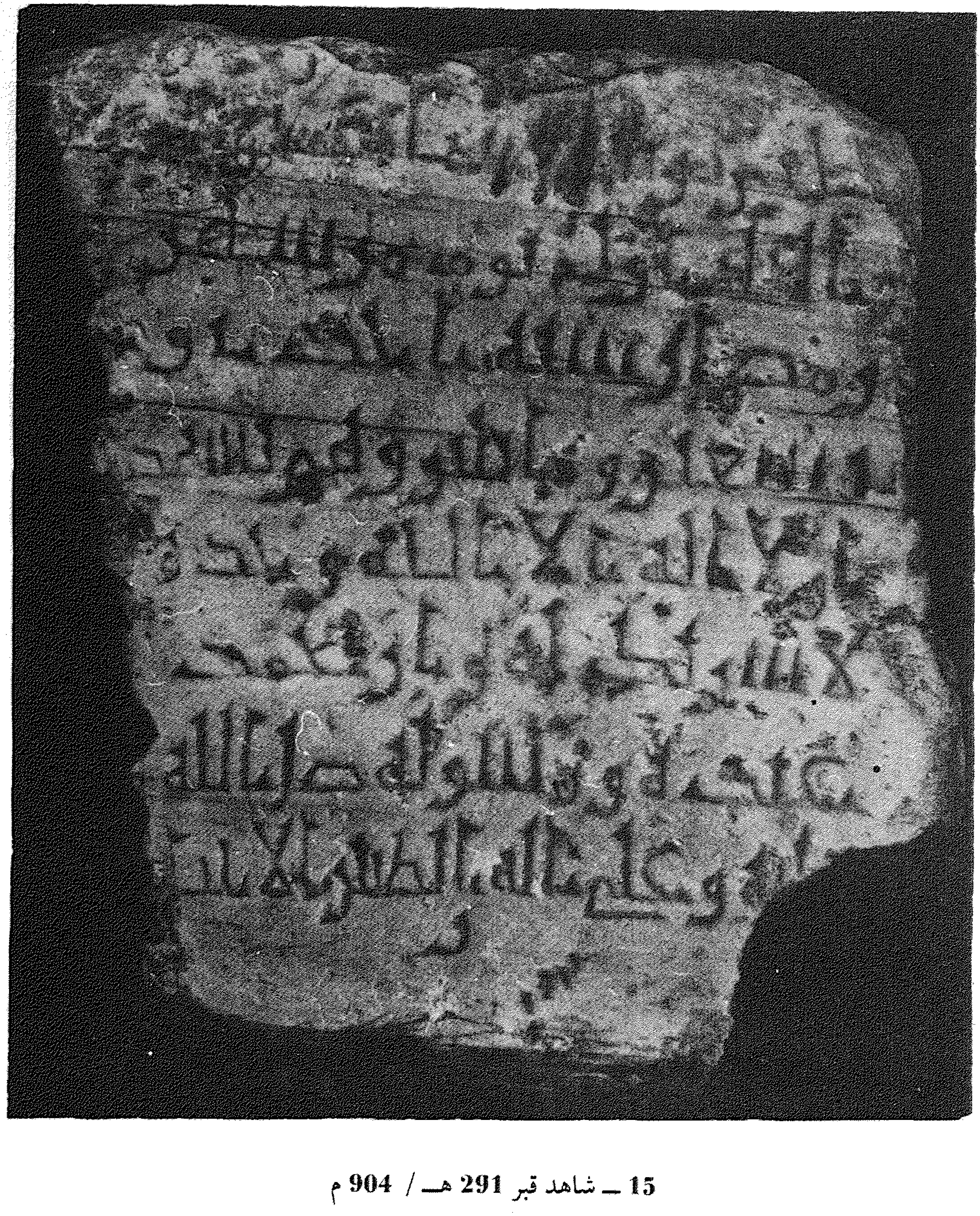

15 ــ شاهد قبر 291 هـ / 904 م

الثلث (هكذا) أول يوم من شهر

رمضان سنة احدى و

تسعين ومايتين وهي تشهد

ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له وان محمد

عبده ورسوله صل (هكذا) الله

[عـ]ـليه وعلى اله الطيبين الاخيا

ر

شاهد رقم 16. 291هـ/ 904م

لوحة XVI

قسم سفلي من شاهد قبر عمودي على شكل سارية أعيد استعمالها كقبرية. يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري كتبت على مرمر رمادي اللون وحددت داخل إطار محزز ومحفور. بقي من النص 11 سطرا كتبت بخط كوفي ذي نحت بارز.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان
* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقيروان
* الأبعاد: الإرتفاع : 72 صم، قطر القاعدة: 22صم، الأحرف الصاعدة: 3 صم.
* رقم الجرد: 74
* النشر: لم تنشر

النص:

. . . .

. . . . مات يوم

الأحد لثمان أيام

لوحة 16

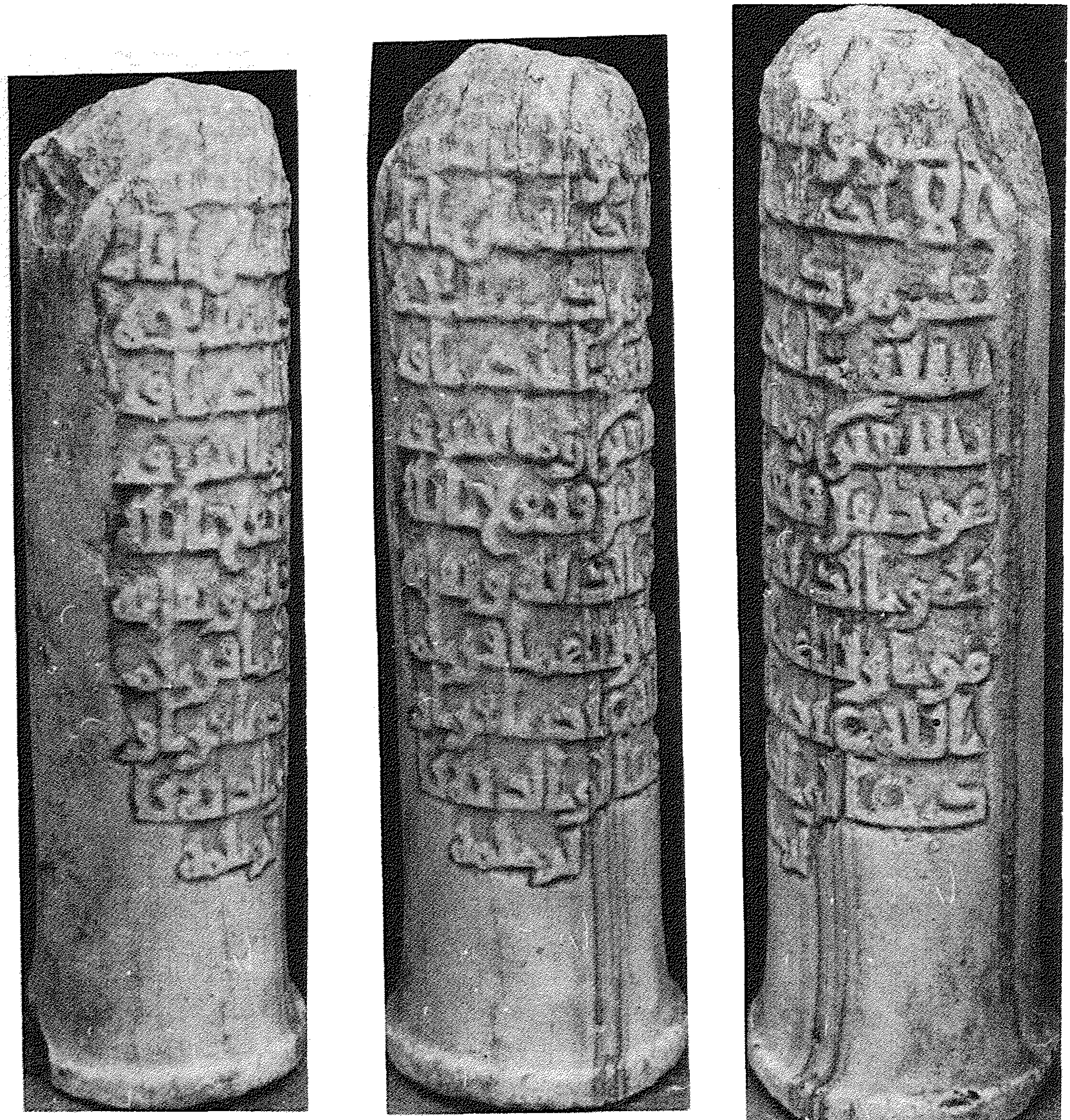

16 ــ شاهد قبر 291 هــ / 904 م

بقين من ذي الحجة
سنة احدا (هكذا) و
تسعين ومايتين و
هو طفل فنفع الله
به والديه وثل به
موازينهما فرحم
الله عبدا قرا و
دعا لوالدين با
لرحمة

يشير النص أن صاحب هذا الشاهد مات وهو طفل. وقد تضمنت مجموعة شواهد قبور إفريقية العديد من قبريات أطفال ماتوا في سن مبكرة. تميزت هذه القبريات بأسلوب خاص في تأليف نصوص هذه الشواهد وفي ترتيب محاورها، إذ انفردت ببعض الخاصيات تمثلت خاصة في عدم ذكر الشاهدة والإكثار من الأدعية لفائدة والدي الطفل.

- نفع الله به والديه
- نفع الله به والديه ورزقهم الصبر عليه
- نفع الله به والديه وثقل به موازينهم
- نفع الله به والديه وجعله نورا بين أيديهما وجبر مصابهما.

ومن هذه الأدعية ما جاء على لسان الطفل المفقود نفسه: ... فأجب دعوتي فأنت رجائي واعف عن والدي انك أهل التفضل[23].

(23) حول شواهد قبور الأطفال، انظر : الكتابات العربية القيروانية : I، رقم 235، صفحة 364، رقم 240 صفحة 369، رقم 269 صفحة 396-397، رقم 271 صفحة 398 .
انظر كذلك شاهد رقم 118، صفحة 224 و 198 صفحة 325-326، II، شاهد رقم 303 صفحة 439، رقم 310 صفحة 445، رقم 314 صفحة 449، رقم 319 صفحة 453-454، رقم 339 صفحة 475-476، رقم 346 صفحة 483-484، رقم 292 صفحة 531، رقم 398 صفحة 537-538، رقم 466 صفحة 614-615؛ انظر كذلك :
M. El-Habib : Stèles funéraires kairouanaises inédites du début du IVe/Xe au milie du Ve/XIe siècle B.A., Paris 1976.
شاهد رقم 8، صفحة 62-63، رقم 9 صفحة 63-64 ورقم 17 صفحة 71-72 .

شاهد رقم 17. 293هـ/ 905م

لوحة XVII

شاهد قبر غير كامل في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون. يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 18 سطرا كتبت بخط كوفي غائر. خط جميل وأنيق اتسم بدقة رسم الحروف وجودة حفرها.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث ، أولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 70صم، قطر العمود: 18صم، الحروف الصاعدة: 2,5صم

* رقم الجرد: 407

النشر: لم ينشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم

2- قل هو الله احد الله الصمد

3- لم يلد ولم يولد ولم يكن

4- له كفوا احد هذا قبر أبي

5- محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر

6- بن علي بن حميد استشهد ليلة الإثنين

7- لخمس عشر بقين من صفر سنة

8- ثلاث وتسعين ومايتين وهو

9- يشهد ان لا اله الا الله و

10- حده لا شريك له وان محمد

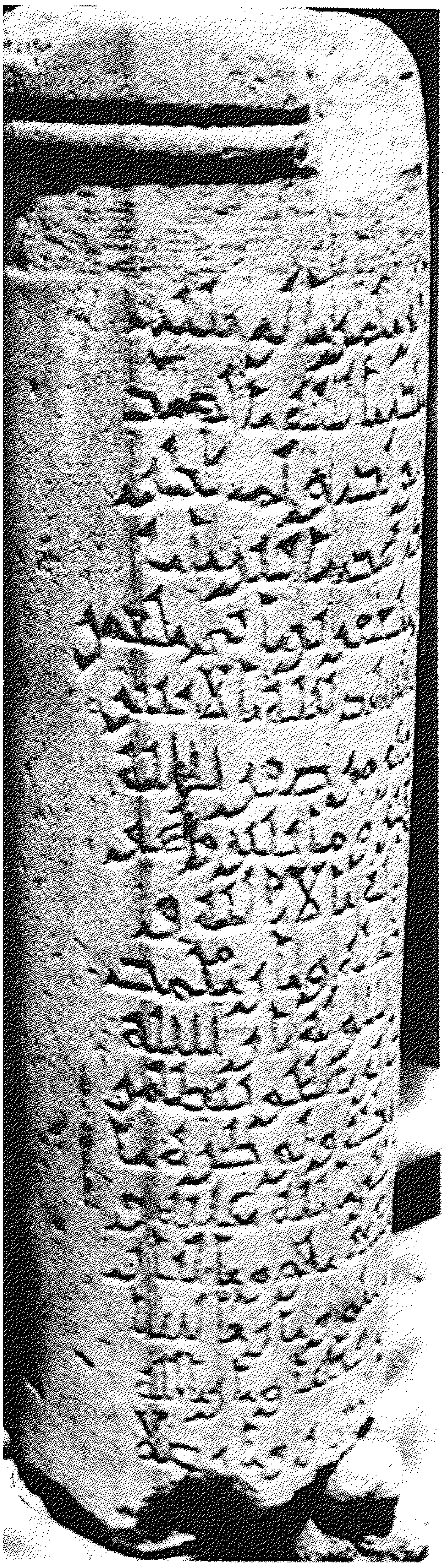

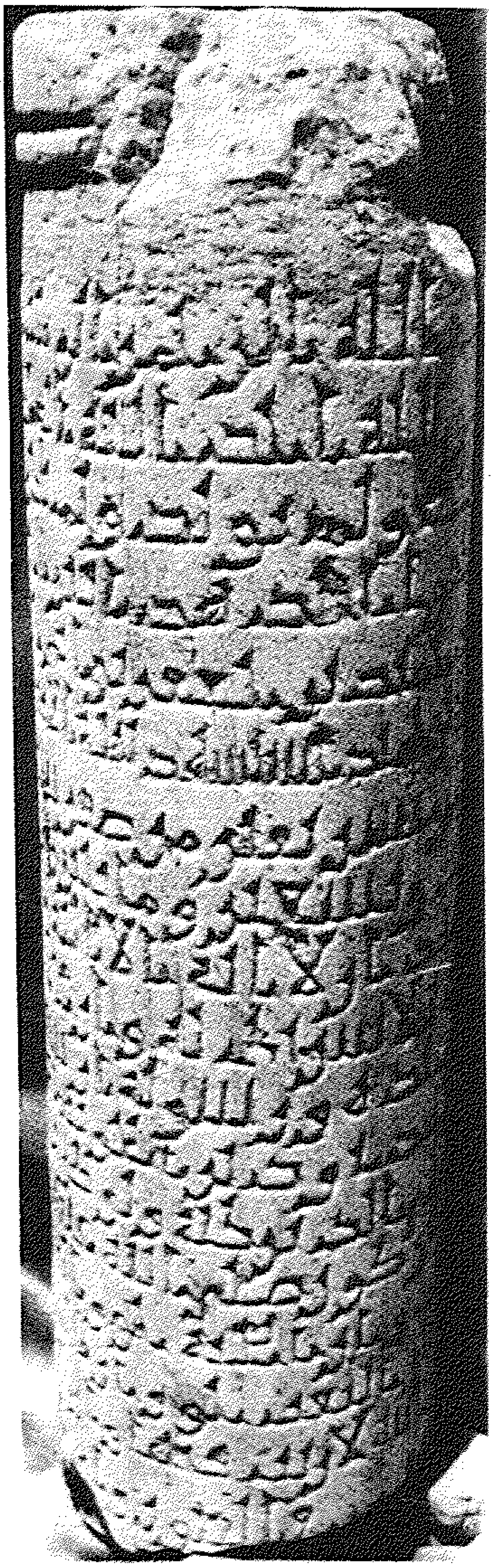

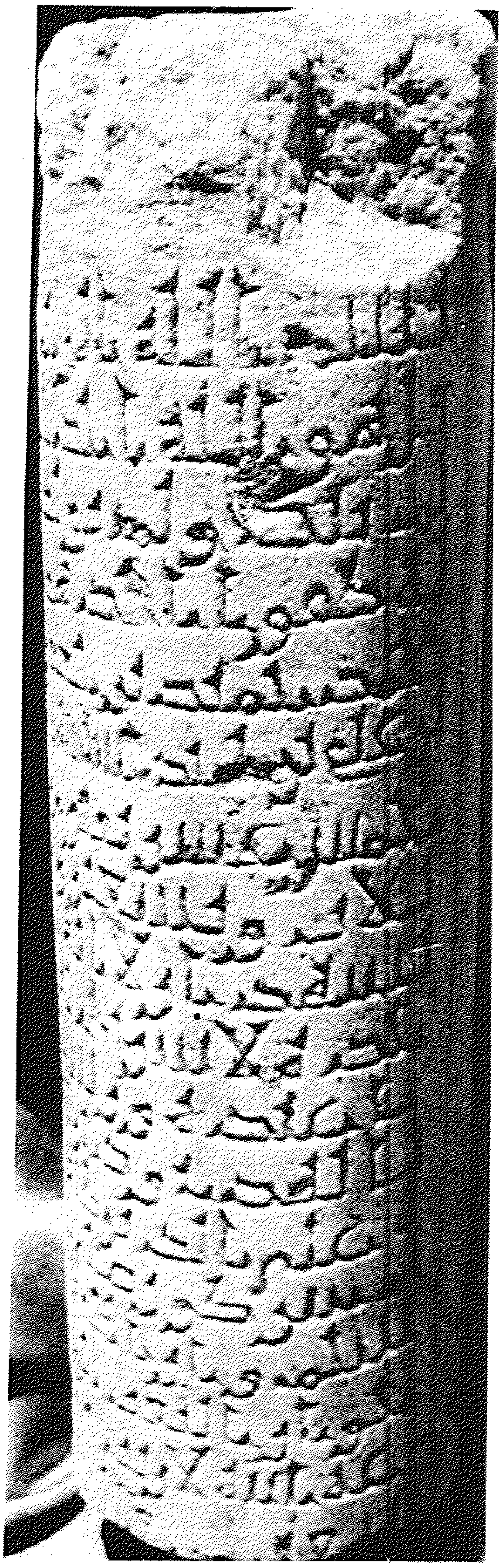

17 ـــ القيروان :

شاهد أبي محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن حميد : **293 هــ / 905 م**

11- ا عبده ورسوله ا رسله

12- بالهدى ودين الحق ليظهر

13- ه على الدين كله ولو كره ا

14- لمشركون صلى الله عليه و

15- سلم وان الجنة حق والنار

16- حق [و] ان البعث حق وان السا

17- عة اتية لا ريب فيها وان الله

18- يبعث من في القبور وان . . . . . .

. . . .

ينتمي كذلك صاحب الشاهد إلى أسرة بني حميد وهو حفيد أبي جعفر محمد أحد أبناء علي بن حميد وزير الأمير الأغلبي زيادة الله الأول. توفي أبو جعفر محمد سنة 242 هـ[24].

توفي أبو محمد حميد سنة 293 هـ. ويذكر نص شاهد قبره أن موته لم تكن طبيعية بل استشهد (سطر 6). لم نتمكن من التعرف على ملابسات وظروف وفاته، إلا أننا نذكر بأن العديد من أفراد أسرته عرفت نهاية دموية ومأساوية نذكر منهم أبا عبد الله وأبا حميد وزيري الأمير الأغلبي محمد الأول. فقد قتل الأول ومات الثاني خنقا في شهر شعبان من سنة 231 هـ إثر ما عرف بثورة القصر حول أسرة علي بن حميد وهذه الأحداث. انظر دراسة الشاهد رقم 6,

شاهد رقم 18. 293هـ/ 906م

لوحة XVIII

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون. يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية كتبت في شكل نصف دائري. يتألف النص من 19سطرا من الخط الكوفي ذي النحت الغائر.

---

(24) انظر الكتابات العربية القيروانية، I، شاهد رقم 51، صفحة 110-112 .

لوحة 18

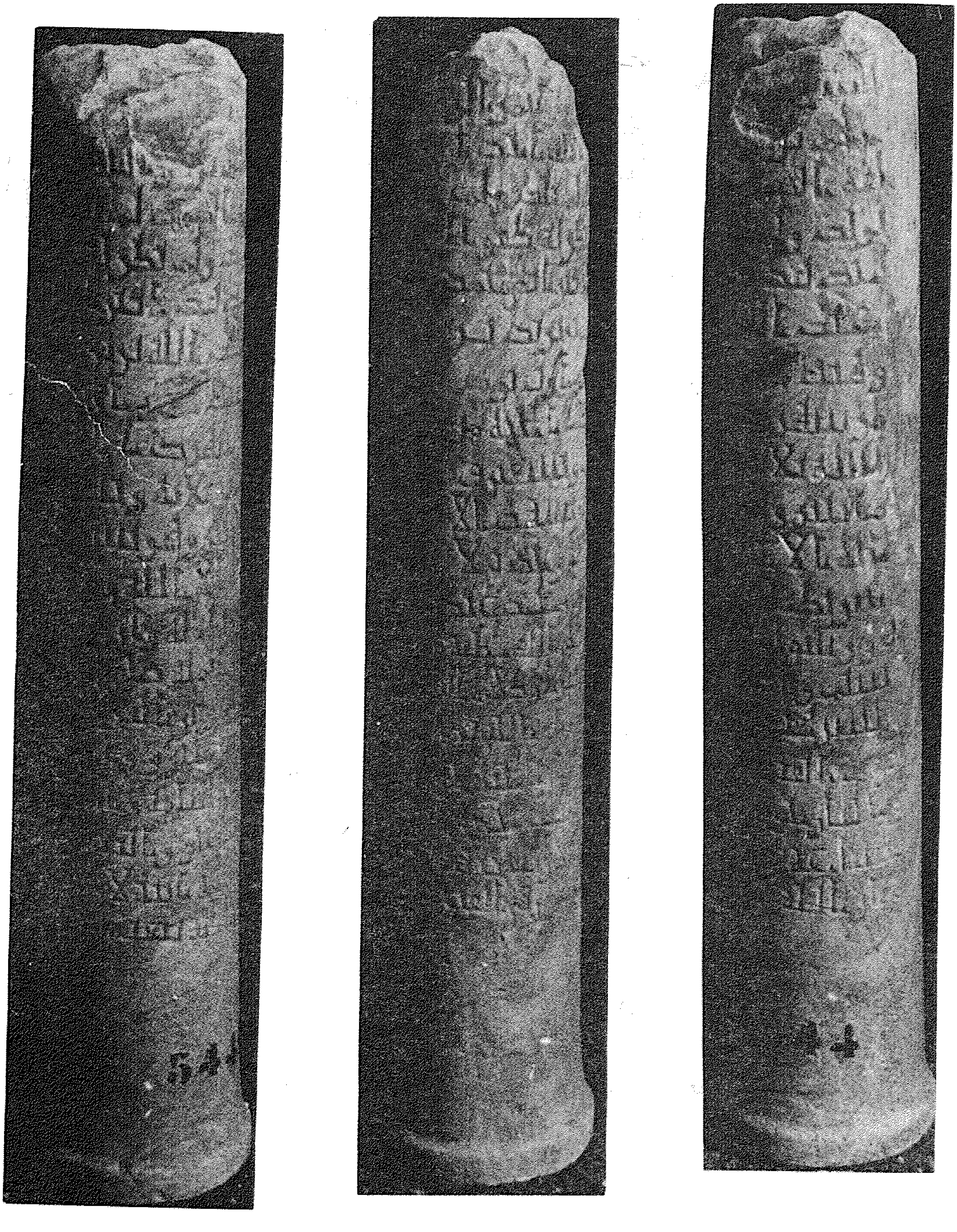

18 ــ شاهد قبر 293 هــ / 906 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الإرتفاع: 48صم، قطر القاعدة: 18 صم، الأحرف الصاعدة: 2,5صم.

* رقم الجرد: 544

* النشر لم تنشر

النص:

1- بسـ[ـم الله الر] حمن الر

2- حيم قل هو الله احد ا

3- لله الصمد لم يلد ولم

4- يولد ولم يكن له كفوا ا

5- حد هذا قبر أبي محمد

6- عبد الله بن يزيد بن

7- وهيب [مات] أول يوم

8- من شهر ذي الحجة من

9- سنة ثلاثة وتسعين و

10- مايتين وهو يشهد ألا

11- إله إلا اله وحده لا

12- شريك له وان محمد (هكذا) عبد

13- ه ورسوله صلى الله عليه و

14- سلم وأن القرآن كلام الله

15- وليس بمخلوق وأن الله يرا (هكذا)

16- يوم القيامة وأن الجنة حق

17- والنار حق والبعث حق وا

18- لساعة آتية لا ريب فيها

19- وان الله يبعث من في القبور

أثار نص هذا الشاهد قضية " القول بخلق القرآن" التي آمنت بها الشيعة والخوارج والمعتزلة فيما أنكرها أهل السنة وأكدوا على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق. تجسيد هذا الصراع في نصوص شواهد القبور يعبر عن حدة الجدل الفكري والصراع المذهبي الذي عرفته إفريقية منذ أواخر القرن الثالث وتواصل أكثر من قرنين.

شاهد رقم 19. 298هـ/ 911م

لوحة XIX

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الأبيض. يتألف نصه من 14 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة واضحة الملامح رسمت أشكالها بدقة وعناية. تحلي أواخر الحروف براعم ثنائية الفصوص.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.

* الأبعاد: الإرتفاع: 72صم، قطر القاعدة: 22صم، الحروف الصاعدة: 3صم

* رقم الجرد: 509

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الر

2-حيم قل هو الله احد

لوحة 19

19 ــ شاهد قبر 298 هــ / 911 م

3- الله الصمد لم يلد و

4- لم يولد ولم يكن له كفو

5- احد هذا قبر محمد

6- بن حبيب الجزمي مات في [أ]

7- شهر رمضان سنة ثمان و

8- تسعين ومايتين وهو يشهد

9- ألا إله إلا الله وحده

10- وأن محمدا عبده ورسول (هكذا)

11- وأن الجنة حق والنار حق وا

12- لبعث حق وان الساعة آتية لا ر

13- يب فيها وان الله يبعث من في

14- القبور

أ) عدم وجود التنقيط بكلمة الجزمي وهي النسبة إلى القبيلة يمكن من اقتراح عدة قراءات مثل الجزمي، الخزمي، الخرمي، الحزمي...

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	الآية	رقم الشواهد
ـ سورة البقرة	2	155	9
ـ سورة البقرة	2	255	2، 11
ـ سورة ال عمران	3	18	6
ـ سورة آل عمران	3	85	9
ـ سورة التوبة	9	33	17
ـ سورة الرعد	13	23-24	4
ـ سورة الحج	22	7	1، 3، 4، 5، 6، 8، 9، 10، 11، 12، 14، 17، 18، 19
ـ سورة المؤمنون	23	90-91	7
ـ سورة الاخلاص	112	1-4	6، 8، 10، 12، 13، 14، 17، 18، 19

فهرس الشواهد

رقم الشاهد	المصدر	الشكل	التاريخ
1	القيروان	عمود	243 هـ / 857 م
2	القيروان	لوح	أواخر النصف الأول ق3 / منتصف ق9م
3	القيروان	لوح	252 هـ / 866 م
4	القيروان	عمود	255 هـ / 869 م
5	القيروان	عمود	260 هـ / 874 م
6	القيروان	عمود	260 هـ / 874 م
7	القيروان	عمود	262 هـ / 876 م
8	القيروان	عمود	271 هـ / 884 م
9	القيروان	عمود	274 هـ / 887 م
10	القيروان	لوح	279 هـ / 892 م
11	رقادة	لوح	280 هـ / 893 م
12	سوسة	لوح	282 هـ / 895 م
13	القيروان	عمود	283 هـ / 896 م
14	القيروان	عمود	290 هـ / 903 م
15	القيروان	لوح	291 هـ / 904 م
16	القيروان	عمود	291 هـ / 904 م
17	القيروان	عمود	293 هـ / 906 م
18	القيروان	عمود	293 هـ / 906 م
19	القيروان	عمود	298 هـ / 911 م

المراجع

El-Habib (M.) :
- Stèles funéraires Kairouanaises d'époque Fatimide et - Zirides, Paris 1972. (Thèse de docto rat de 3e cycle non publiée).
- Les inscriptions arabes anciennes des stèles funéraires du - Musée de Kairouan, diplôme de l'E.P.H.E., VIe section, Paris 1971.
- Stèles fénéraires kairouanaises inédites du début du - IVe/Xe au milieu du Ve/XIe siècle ; étude épigraphique, dans bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, nouvelle série 9, fasc. B. Af. du Nord 1973, Paris 1976, p. 45-110.
- Stèles funéraires kairouanaises du IIIe/IXe siècle, Etude-typologique et esthétique, dans R.E.J. fasc. II, XL, III, 1975, p. 227-284.

HOUDAS (O.) :
- Essai sur l'écriture maghrébine, dans nouveaux mélanges - orientaux, Paris 1886, p. 85-112.

HOUDAS (O.) et BASSET (R.) :
- Epigraphie Tunisienne, dans bulletin de correspondance - africaine, fasc IV. Alger, Juillet-Août 1882, p. 161-200

IDRIS (H.R.) :
- Essai de datation de la Maqsûra de la grande mosquée de Kairouan, dans Arabica, III, Mai 1956, p. 214-215.

MAOUDOUD (Kh.) :
- L'art funéraire de Tunis sous les Banu-Harasan, 454H/1159, Paris, 1983 (Thèse de doctorat de 3e cycle non publiée).
- La signature des lapicides dans les stèles funéraires ifrkyennes. Dans Bulletin des travaux de l'I.N.A.A., fasc. 3, Janvier-Avril 1989, p. 89-113, I.N.A.A. , Tunis.
- L'inscription Hurasanide de Masgide al-Mihras à Tunis, - XI-XII, Tunis 1992-1993, 485H-1092 J.C., Revue Africa, n p. 199-207

- النقائش العربية بافريقية وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري.

صدر في كتاب : "النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي" عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1988، صفحة 39-52

نشرت هذه الرسالة كذلك بـ Arab Journal of culture, septembre 1987, p. 117-123

ROY (B.) :
- Inscriptions arabes de Mehdia, Revue Tunisienne, n - janvier 1915, p. 29-34
Inscriptions arabes de Monastir, Revue Tunisienne, n - Janvier 1918, p. 85-91

ROY (B.) et POINSSOT (P.) :
- Inscriptions arabes de Kairouan, 2 vol. Paris, - C. Klinscksiek 1950
- Note sur une inscription de cabra, dans bulletin archéologique, 1922, p. XL-IX.

VIRE (M.M.) :
- Inscriptions Arabes des stèles funéraires du Musée de Sousse, dans cahiers de Tunisie, 1956, p. 450-493

ZBISS (S.M.) :
- Corpus des inscriptions arabes de tunisie, 4 vol.
- Inscriptions de Tunis et sa banlieue, Imp. S.A.P.I., Tunis 1955.
- Inscriptions du Gorjâni : Contribution à l'histoire des Almohades et des Hafsides, la presse, Tunis 1962.
- Inscriptions de Monastir, Imp. La Presse, Tunis 1960.
- Nouvelles Inscriptions de Kairouan, I.N.A.A., Tunis 1977, S.M. Zbiss, B. Roy, p. Poinssot et L. Poinssot.
- Inscriptions arabes de Kairouan, 3e partie, I.N.A.A., Tunis 1983.

المنشآت المائية في البلاد التونسية
خلال الفترة الاسلامية

د محمد الباجي بن مامي

لا أرمي من خلال دراستي هذه إلى الاهتمام بمختلف المنشآت المائية بالبلاد التونسية من ميضات[1] وأسبلة وسقايات ومصاصات ومواجل وصهاريج وغيرها[2] بل سأقتصر على الانجازات الضخمة التي عرفتها افريقية في بداية الفترة الأغلبية، وخاصة خلال العهد الحفصي فقد كانت الفترة الزمنية الأولى محل بعض البحوث[3] عكس ما حصل بالنسبة للعهد الحفصي الذي لا يزال يعتبر فترة غير مدروسة بالنسبة لهذه الناحية[4].

أول ما يجب الاشارة اليه هو أن مناخ البلاد التونسية يتميز بالجفاف، اذ تتداول فيه السنوات العجاف بالسنوات الممطرة، لهذا مثل الماء على مر التاريخ أكبر

(1) لدينا عدة أمثلة لميضات هامة ذات تأثيرات معمارية مشرقية وهي التي أسسها السلطان الحفصي أبو عمر عثمان سنة 854هـ/ 1450م ودرسها الدكتور عبد العزيز الدولاتلي في أطروحته: "Tunis sous les Hafsides" pp. 213-221.

(2) وصلتنا أمثلة للعديد من المنشآت سواء كان ذلك بمدينة تونس العتيقة أو القيروان أو سوسة أو المهدية وكذلك ببعض القرى أو حتى المناطق الريفية كما وصلتنا عن طريق بعض المصادر العديد من الاشارات حول هذه المنشآت.

(3) خاصة: J. Marcel Solignac: " Les installations hydrauliques de Kairouan et de steppes tunisiennes- du VIIIe au XIz siècles" T.X (Alger 1953).

- A. Lezine: " Deux villes d'Ifriqya" Paris 1971.

- A. Lezine: " Architecture d'Ifriqya, Recherches sur les monuments Aghlabides, Paris 1966.

كما تحدث عنها أيضا حسن حسني عبد الوهاب في: " ورقات عن الحضارة العربية بافريقية"، مطبعة المنار، الجزء الأول 1965والجزء الثاني 1981.

(4) انظر مقال:

J. M. Solignac: "Travaux Hydrauliques Hafsides de Tunis" in Deuxième congrès de la Fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord, Revue Africaine, Alger 1936.

اهتمامات الخاصة والعامة في البلاد، وهكذا أسس بافريقية عدد من المنشآت المائية قبل الفتح الاسلامي وذلك خاصة خلال الفترة الرومانية التي عرفت انجازا ضخما ما زالت أقسام منه قائمة الذات وهي التي تدل على أهميته وعلى عظمته. فقد أسست الحنايا التي بنيت خلال فترة حكم هادريان(5) لايصال مياه جبل زغوان - الى قرطاجة العظيمة، ويبدو أنه تم اكمالها باذن من سبتيم سيفير (Septime Sévère) انطلاقا من سنة 193م إلى 211م(6).

بلغ طول هذه الحنايا حوالي 132كلم، وتتوسطها ساقية (أو مجرى مياه) مستطيلة الشكل، يتراوح عرضها بين 80سم و90سم ويعلوها قبو نصف دائري أما ارتفاعها فيبلغ مترا واحدا وهي قائمة على عقود أزاج مكونة من مجموعة من الأقباء وهي أطول حنايا معروفة إلى حد الآن.

تواصل الاهتمام بالماء خلال الحقبة الاسلامية الأولى وربما بصفة أكثر دقة من السابق، إذ أصبحنا نلمس سياسة مائية مركزة، فقد استقر المسلمون الفاتحون عند دخولهم البلاد بمنطقة تشبه في طبيعتها وفي مناخها موطن نشأتهم بالجزيرة العربية التي تفتقر للأنهار والعيون، كما ان اختيارهم على القيروان كان لأسباب استراتيجية: فهي بعيدة عن البحر حيث ما زال البيزنطيون يسيطرون عليه، وبعيدة عن مواقع البربر الذين كانوا يهددون أمنهم. ويعتبر مناخ هذا الموقع -الذي يعرف بقلة مياهه- هو الدافع الأساسي لحرص الحكام الجدد على ايجاد حلول عملية تسمح بايصال الماء للمدينة وإلى المنشآت المائية التي أقاموها.

ويرى ح.ح. عبد الوهاب ان الذي حمل عقبة بن نافع على اختيار مكان المسجد الجامع ودار الامارة في ذلك المكان هو وجود بئر عذبة غزيرة الماء وهي بئر أم عياض(7). وهو دليل آخر على الأهمية القصوى للماء بالنسبة للمسلمين الفاتحين.

وانطلاقا من الفترة الأغلبية أسست العديد من المنشآت المائية التي تحدثت عنها بعض المصادر بأطناب(8) وهو ما يسمح بالتأكيد أنه كانت توجد خلال هذه الحقبة

---

(5) تم هذا الانجاز من سنة 120 إلى سنة 138.

(6) انظر: PH. Caillat: "Note sur l'ancien Aqueduc de Carthage et sa restauration", Paris 1873 pp. 7 et 8

(7) ح.ح. عبد الوهاب: " ورقات... " القسم الأول ص48.

(8) من بينها البئر المعروفة بـ "بروطة" أو (بئر روطة) التي أسسها القائد هرثمة بن اعين سنة 180هـ/ 796م وهو الذي أسس أيضا رباط المنستير بعد أن ولاه هارون الرشيد على افريقية.

الزمنية سياسة مائية واضحة اذ كانت الحاجة ملحة لايجاد المياه الصالحة للشراب للسكان بصفة عامة ولأهل البلاط والجند بصفة خاصة(9).

كما ذكر ابن خرداذبة خلال فترة الامارة الأغلبية -في أواسط القرن الثالث للهجرة- أن القيروان هي "مدينة المواجل"(10). وهو ما أكده أيضا فيما بعد أبو عبيد البكري اذ ذكر هو الآخر: أنه يوجد " خارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء. ساقيات لأهلها، منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره وأعظمها شأنا وأضخمها منصبا ماجل أبي ابراهيم احمد بن الأغلب بباب تونس"(11). لكن يرى البعض أن البكري المتحيز للأمويين، نسب هذه المنشآت لهشام بن عبد الملك عن قصد لكن ليس من المؤكد أن هذه الخمسة عشر ماجلا هي من مآثر الخليفة الأموي، بل يبدو أنها ترجع الى القرن الثالث للهجرة(12).

ورغم انشاء عدد هام من البرك المائية طوال الفترة الأغلبية، إلا أنه لم يصلنا منها إلا عدد قليل جدا(13) وأهمها على الاطلاق: "فسقية الأغالبة" التي تم بناؤها على يدي أبي ابراهيم احمد سنة 248هـ/ 862م.

وقد أبدى العديد ممن شاهدها اعجابه بها(14) من بينهم أول خلفاء الفواطم أبو عبيد الله المهدي(15)، وقد أفادنا الادريسي أن سكان القيروان كانوا يشربون منها(16).

---

(9) يذكر ح.ح. عبد الوهاب أن "مدينة القيروان معطشة، ولذلك نرى عامة الولاة - من أول الأمر- متجهة لانشاء صهاريج كبيرة - فسقيات- لخزن مياه الأمطار والسيول: " ورقات. . . " ص 48,

(10) انظر: عبد الله بن خرداذبة: " المسالك والممالك" (ليدن- بريل 1967) ص 87. والماجل هو: " الماء الكثير المتجمع" انظر: لسان العرب.

(11) أبو عبيد البكري: " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب"، طبعة الجزائر 1911، ص 26. ومن الواضح أنه يراد هنا بامواجن بركة الماء أو ما يطلق عليه حاليا: الفسقية.

(12) هذا ما توصل اليه الدكتور مراد الرماح في أبحاثه الأخيرة التي لم تنشر بعد

(13) خاصة نتيجة لانتشار العمران.

(14) من بينهم بعض الأجانب:

Grahan Petré, Tunis, Kairouan and Cathage, London 1908.

- Creswell..."Early Muslim Architecture" T.II,p. 289.

(15) هذا ما أفادنا به البكري، نفس المصدر ص 26.

(16) الادريسي: " صفة المغرب" ص 110 (ليدن - بريل 1968).

وانطلاقا من نص البكري نجد حسب علمي أول وصف دقيق لهذه البركة المائية التي تعتبر احدى الروائع الفنية الاسلامية. فقد ذكر في وصف فسقية الأغالبة انها مستديرة ، متناهية الكبر، في وسطها صومعة مثمنة في أعلاها قبة مفتحة على أربعة أبواب، كما ذكر أنه توجد فسقية، وهي ماجل صغير متصل بالماجل الكبير، وهو يعلمنا أيضا أن ماء البوادي يصل إلى الفسقية، فاذا ارتفع قدر قامتين يدخل إلى الماجل الكبير من باب يصلهما(17). وقد فكر المؤسس أبو ابراهيم احمد قبل كل شيء في خلق مصادر مياه هائلة لتزويد البركة بالماء اذ يبلغ اتساعها: 45 الف متر مكعب وملؤها بالماء لا يعد بالعملية الهيّنة. ويفيدنا بعض المؤلفين عن الطريقة التي اعتمدها الأغالبة في ملء فسقيتهم ومنهم خاصة اليعقوبي(18) ذلك المالكي وهو الذي يذكر في ترجمة أبي الفضل الغدامسي المتوفي سنة 349هـ/ 969م: " أن الوادي في حياته أتى إلى الماجل، فملأ المواجل من غير مطر أصاب القيروان بينما أمطرت البوادي فأتى السيل إلى المواجل فملأها "(19).

كما أجمعت كل المصادر على أن ماء وادي مرق الليل خاصة عند فيضانه هو المعتمد في ملء هذه البركة وغيرها من البرك، ويبدو أن أغلب المنشآت المائية المقامة في القيروان أقيمت في مجرى وادي مرق الليل مما يسمح باستقطاب مياهه، إلا أن Solignac في دراسته المشار اليها قبل، توصل حسب ما ذكر الى وجود قناتين توصلان المياه إلى ماجل أبي ابراهيم احمد وهو يرى أن ذلك راجع الى الفترة الأغلبية(20).

ويرى الأستاذ ابراهيم شبوح أنه لا يوجد مصدر آخر للتزويد بالماء باستثناء وادي مرق الليل(21) وهكذا فمن الواضح أن سولينياك أخطأ في ذهابه إلى أن القنوات ترجع إلى العهد الأغلبي لأن كل المصادر تثبت أن الوادي هو الذي مثل المصدر الوحيد للمياه، ويمكن أن نعتمد نص المقدسي(22) الذي يفيدنا أنه في العهد الفاطمي أضيفت قناة خلال فترة حكم المعز لدين الله الفاطمي، ويؤكد أن هذه القناة أو الحنايا

(17) انظر نص البكري: " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 26، طبعة الجزائر 1911.
(18) انظر اليعقوبي: "كتاب البلدان" ج1 ص 269، ترجمه الى الفرنسية Gaston Wiet.
(19) المالكي: " رياض النفوس" ج.2، ص 445.
(20) Marcel Solignac: op. cit. p. 187-192.
(21) ابراهيم شبوح: "مصادر مياه ماجل أبي ابراهيم أحمد بن الأغلب" مقال غير منشور.
(22) وهو يذكر أن المعز بنى هذه القناة لجلب المياه لبركة الأغالبة من بئر الأدين بعد أن تفي بحاجة صبرة المنصورية من المياه. المقديسي : " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص 225 (طبعة ليدن 1906).

تذهب مباشرة إلى صبرة المنصورية ثم عن طريق قناة ثانوية يتحول قسم آخر إلى بركة الأغالبة لتموينها بالمياه، وهذه الحنايا المعروفة بحنايا شريشيرة بقيت تستغل حسبما يبدو حتى الزحف الهلالي، حيث انتهى دورها، ونجد إلى اليوم بعض بقاياها(23).

ورغم أن العديد من المؤرخين أكدوا على اندثار كل البركات المائية (ما عدى بركة أبي ابراهيم أحمد) إلا أن الصور الجوية والاكتشافات الأثرية سمحت بالعثور على عدد لا يستهان به من البرك خاصة منها فسقية اطلق عليها اسم صاحب الضريح الموجود بجانبها: سيدي يوسف الدهماني، والذي يقوم الأستاذ مراد الرماح حاليا بترميمها، وهي توجد على بعد مسافة قصيرة من فسقية الأغالبة" وهذه البركة المائية متكونة من بركة أولى كبيرة مضلعة الشكل يبلغ قطرها 73 مترا. أما الفسقية الصغيرة فهي مستديرة الشكل ويبلغ قطرها 28,30م وقد مثلت الفسقية الصغيرة بركة نصفية وهي متصلة بالماجل الكبير ويتم وصول الماء مباشرة عن طريق هذه البركة المائية الصغيرة، وبما أن مستواها يوجد تحت مستوى البركة الكبرى، فان الحجارة والحصى والتراب تبقى في الأسفل، وعند ارتفاع الماء فيه يدخل الماء إلى البركة الكبيرة من باب يصلهما ويسميه البكري بـ"الشرخ".

ومن بين البركات المائية التي وصلتنا آثارها، تلك التي بناها الأمير ابراهيم بن الأغلب في أواسط القرن الثالث للهجرة/ التاسع ميلادي، وقد اختط مدينة العباسية التي توجد على بعد حوالي أربعة أميال جنوبي القيروان وهو الذي حفر بها آبارا عميقة، وبنى بها صهريجا للماء الصالح للشراب(24) ونلاحظ اليوم بقايا هذا الصهريج الضخم وهو مستطيل الشكل لكنه يحتاج الى ازالة الأتربة الموجودة حوله ويتطلب الترميم والصيانة، إلا أنه بعد أن أصبح للدولة الأغلبية شيء من الأهمية، قرر ابراهيم الثاني سنة 263هـ/ 876م أن يعوض العباسية بمدينة جديدة تقع في الجنوب الغربي من القيروان وتبعد عنها بحوالي 10 كيلومترات. وكما ذكرنا قبل كان في مقدمة ما يعنى به الأمراء الأغالبة منذ تولوا السلطة، تزويد مدنهم بالماء خاصة عن طريق القنوات، لذلك أتى ابراهيم الثاني بالماء إلى رقادة عن طريق قناة ثانوية تتفرع

---

(23) بالنسبة لحنايا شريشيرة يمكن أن نعتمد على نص للقاضي النعمان الذي يفيدنا بأن الخليفة المعز أجرى نهر عين أيوب إلى المنصورية، (وهي التي عرفت بشريشرة) وقد بدأ العمل فيها أول شهر محرم 348هـ، إلا أن أباه القائم هو الذي بدأ في انجازها. انظر: القاضي النعمان بن محمد: "المجالس والمسايرات" ص 331، تونس 1978، تحقيق محمد اليعلاوي ومحمد الفقي وابراهيم شبوح.

(24) ح.ح. عبد الوهاب: "ورقات..." القسم الأول ص 48.

عن حنايا شريشرة، وابتنى لهذا الغرض مواجل ضخمة وقد بقيت رقادة مركز السلطة. وقد زادها أهمية زيادة الله الأخير الذي تولى الحكم سنة 290هـ/ 903م وهو الذي شيد "قصر البحر" الذي أضاف بحذوه ماجلا ضخما وتم البناء بين سنة 290هـ/ 903م و 296هـ/ 909م. وقد ذكر عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية:

" رأيت ثلاثة أشياء في افريقية لم أر مثلها قط في المشرق"، الصهريج الذي بباب تونس (ويعني به فسقية الأغالبة) وقنطرة باب أبي ربيع قصر البحر برقادة "[25] ونلاحظ أن لهذه البركة شكلا متوازي الاضلاع[26].

لكن المنشآت المائية الأغلبية لم تقتصر على القيروان وأطرافها فحسب، فمن بين البرك الضخمة التي أسست أيام دولتهم: تلك التي توجد بسوسة والمعروفة "بالشفرة" فقد أنشأت لتمكين السكان من الماء الصالح للشراب، ويبدو أنها كانت قبل ذلك دواميس ضخمة مقامة على أقواس يرجع عهدها إلى الفترة الرومانية[27] فبطلب من أحد المرابطين (أبو الأحوص احمد بن عبد الله) أمر ابراهيم الثاني بترميم الدواميس وجعل منها ماجلا داخل البلد ما زال قائم الذات.

كما أنشأ نفس الأمير قرب قرية المردين، فسقية أخرى تتكون من قسمين وذلك سنة 270هـ/ 883م، وهو الذي يعرف إلى اليوم بالماجل الأزرق.

ومن الملاحظ أنه تم العثور أخيرا في ولاية المهدية على بركة مائية مستديرة الشكل تقع على بعد حوالي ستين كلمترا من القيروان.

لذلك يمكن التأكيد على أن البلاد التونسية ما زالت ثرية ببقايا البرك المائية الراجعة خاصة إلى القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي وبداية القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي. لكن انطلاقا من هذه الفترة الزمنية وحتى أواسط القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر ميلادي نلاحظ قطيعة في هذا النوع من المؤسسات كان ربما ناتجا عن حالة الاضطراب والفوضى التي عرفتها البلاد خاصة مع الزحفة الهلالية في أواسط القرن

(25) نفس المرجع، ص 374.

(26) ذكر Solignac أن بركة قصر البحر لها نفس أبعاد فسقية أبو فهر، إلا أن الحفريات التي حصلت في الستينات من قبل المغفور له محمد الشابي أثبتت أن الأبعاد الحقيقية لهذه البركة هي 120مترا من الطول و40 مترا من العرض مما يجعل مساحتها حوالي 4,800 مترا مربعا وهو ما يمثل ربع مساحة بركة المستنصر الحفصي.

(27) نفس المرجع، القسم الثاني ص 63.

الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي. إلا أنه مع المستنصر الحفصي، أنشئت إحدى أهم البرك المائية وهي التي عرفت بأبي فهر وقد طمس قسم هام من آثارها، ولم يقع الاهتمام بها إلا نتيجة لقرار رئاسي بتخصيص موقع أبي فهر مشروع مدينة العلوم، فرأى المسؤولون بالمعهد الوطني للتراث أن تنطلق الأشغال سنة 1992 حيث تم الكشف عن القسم الجنوبي للـ (منتزه) وعن جزء من أرضية البركة المحاذي لهذا المنتزه[28] أي في الناحية الشمالية للبركة.

ومن الملاحظ أنه قد تراكمت فوق هذا الموقع كميات هائلة من الأتربة ومخلفات حظائر البناء كما نبت فوقه عدد هام من الأشجار والنباتات الطفيلية مما جعلنا نبدأ خلال مرحلة أولى في ازالة كل هذه الفضلات والنباتات التي تطلبت وقتا طويلا حتى أصبح الموقع جاهزا للقيام بالحفريات اللازمة.

الموقع :

يوجد موقع جنان أبي فهر في الناحية الشمالية الشرقية لمدينة تونس وعلى بعد حوالي 6 كلم منها ويقرب من مدينة أريانة، وتمر حاليا بجانبها الطريق السريعة " 7 نوفمبر" التي تصل إلى مطار تونس قرطاج، لكن عرف هذا الموقع الكثير من الاعتداءات العمرانية، فاضافة إلى الأقسام التي خصصت للطرقات استعملت الكثير من أراضي هذا الموقع لبناء عمارات وبنوك ومؤسسات الخ... بينما تم الحفاظ على القسم الأهم الذي يحوي بقايا البركة المائية والأرض المحيطة بها، وتبلغ مساحته حوالي خمسة هكتارات كما يوجد قسم آخر بالناحية الغربية، وتبلغ مساحته حوالي عشرة هكتارات لم يتم التصرف فيها بعد[29]، أما آخر جزء من هذا الجنان الذي بقي في تصرف المعهد الوطني للتراث فتبلغ مساحته هكتارا واحدا وهو الذي توجد فيه البئر العتيقة المعروفة "ببئر بطوم".

وقد اعتمد Paul Gauckler سنة 1902 على وجود بقايا جدران الحوض المائي للذهاب إلى أنه يمثل بركة المستنصر التي تحدثت عنها بعض المصادر[30]. وهو ما دفع

(28) إلا أن هذا القسم لم يكن واضحا اذ خصص خلال هذا القرن لبناء مسكن فلاح ايطالي استعمل هذه الأرض الأثرية لغرسها بأشجار العنب.

(29) رغم محاولات عدة لبعض الشركات والبنوك للاستيلاء على هذا الموقع فان المعهد الوطني للتراث محافظ على هذه الأرض خاصة نتيجة لاحتوائها على بعض الأجزاء الأثرية.

(30) Paul Gauckler: voir "Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques", 1902, p. CLXXXV.

إلى ترتيب الموقع سنة 1912 بأمر ورد بالرائد الرسمي بتاريخ 13 مارس 1912 فكان لهذا الأمر أهمية بالغة جدا فهو ما سمح بعدم القضاء نهائيا على كامل أجزاء الموقع وجعلنا نستطيع الكشف عن هذه البركة المائية.

الناحية التاريخية :

من الأكيد أنه ليس من باب الصدفة أن يتم هذا الانجاز الضخم خلال عهد المستنصر الحفصي، فقد بلغت فترة حكمه مستوى من الرفاهة والعظمة لم تعرفهما البلاد من قبل، وهكذا أخذت تونس الكثير من الأهمية خلال فترة السلطان المستنصر بالله ابن أبي زكرياء الأول مؤسس الدولة الحفصية (الذي توفي سنة 647هـ/ 1249م)، حيث أصبحت تونس لمدة وجيزة مقر الخلافة، فمن الناحية الغربية للبلاد أتت البيعة للمستنصر من الأندلس[31] ومن المرينيين بفاس (سنة 652هـ/ 1254م)[32] كما وفد أمير بني توجين (من زناتة) على المستنصر مجددا طاعته[33] وبعث أيضا بنو عبد الواد من تلمسان مبايعتهم.

أما في الناحية الشرقية فان انقراض الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م أحدث تصدعا خطيرا في صلب الأمة الاسلامية نتيجة انفصام العروة الوثقى والرابطة الروحية التي كانت تشده لبعضه، ولتدارك هذا الوضع، ونتيجة لهذا الفراغ فقد وردت بيعة مكة المكرمة على المستنصر سنة (657هـ/ 1259م)[34]. وبعد حوالي سنة ونصف من التاريخ واثر انتصار المماليك على المغول في فلسطين (658هـ/ 1260م) وصلت رسالة مبايعة مصر إلى المستنصر (بداية 659هـ/ 1260م) والتي لقب فيها بأمير المؤمنين[35].

وهكذا اذن وقبل وصول الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس[36] أصبح المستنصر الحفصي رمزا هاما في العالم الاسلامي، فإضافة إلى لقب الخليفة الذي تسمى به سنة

---

(31) خاصة من الناصرين بغرناطة، انظر ابن خلدون، العبر ج6، ص 660.

(32) يفيدنا ابن خلدون أن أبا يحيى عبد الحق بعث سنة 652هـ/ 1254م بسفارة إلى المستنصر الحفصي للتأكيد على مبايعته له، العبر، ج. 6، ص 651.

(33) ابن خلدون: " العبر" ج. 6، ص 660.

(34) انظر الزركشي: " تاريخ الدولتين"، ص 37 والغبريني: " عنوان الدراية"، ص 191-192 وابن الشماع: " الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية".

(35) ابن خلدون: نفس المصدر، ج. 6، ص 660.

(36) كان نزول الجيوش الصليبيّة بقرطاج يوم 26 من ذي القعدة 668هـ/ 18 جويلية 1270م وترأس هذه الحملة لويس التاسع، الذي مات خلال هذه الحرب في يوم 25 أوت 1270.

650هـ/ 1252م أصبح أميرا للمؤمنين وهو حسبما يبدو السبب الرئيسي الذي دفع به للبناء والتشييد ومحاولة اعطائه مدينة تونس صبغة عاصمة الخلافة، وهو ما يفسر اعتناءه بالحدائق والمنتزهات وخاصة تشييده لبركة مائية ضخمة تعد من أكبر وأهم المواجل التي عثرنا عليها.

اضافة إلى المعلومات التاريخية التي وردت في المصادر وخاصة منها نص لعبد الرحمان ابن خلدون حول هذه الحدائق، فان الحفريات ساهمت بصفة دقيقة في تعريفنا بهذا الانجاز العظيم، ويعتبر نص ابن خلدون نصا هاما جدا، فهو يمدنا بمعلومات مفصلة حول جنان أبي فهر، ولقيمة هذا النص نورده كاملا فهو يوضح الكثير من المعلومات:

فيذكر علامتنا أن المستنصر الحفصي " اتخذ أيضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر، يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات، اغترس فيها من شجره كل فاكهة من أصناف التين والزيتون والرمان والنخيل والأعناب، وسائر الفواكه وأصناف كل الشجر. ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البري، وسمي دوح هذه بالشعراء واتخذ وسطها البساتين والرياض والمصانع والحوائز وشجر النور والنزه من الليم والنارنج والسرو والريحان، وشجر الياسمين الخيري والنيلوفر وأمثاله. وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة، وصنع فيه الماء حاجزا من عداد البحور، جلب اليه الماء في القناة القديمة، كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الأرض في أماكن، وتركب البناء العالي ذات الهياكل الهائلة والقسي القائمة على الأرجل الضخمة في أخرى، فعطف هذه القناة من أقرب الثمرات إلى هذا البستان وأمطاها حائطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة إلى جب عميق المهوى، رصيف البناء متباعد الأقطار مربع القنا مجلل بالكلس، إلى أن يعمه الماء فيرسله في قناة أخرى قريبة الغاية، فينبعث في الصهريج إلى أن يعين حوضه، وتضطرب أمواجه تترفه الحظايا عن السعي بشاطئه لبعد مداه فيركبن في الجواري المنشآت ثبجه فيتبارى بهن تباري الفتح، ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرا وصغرا على أعمدة المرمر، مشيدة جوانبها بالرخام المنجد، ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والأشكال المنقمة، إلى ما اشتملت عليه هذه الرياض من المقاصر والأواوين والحوائز

والقصـور غرفا من فوقـها غرف مبنيـة تجري من تحتـها الأنهار، وتأنق في مبـانيه هذه واستبلغ وعدل عن مصانع سلفه ورياضهم إلى منتزهاته من هذه، فبلغ فيها الغاية في الاحتفال وطار لها ذكر في الآفاق".

وحول هذا الانجاز (جنان أبي فهر) لدينا أيضا العديد من النصوص التي اهتمت به فقد تحدث عنه بعض الرحالة، من بينهم خاصة: L. Frank, E. Pellissier, G. Flaubert.

كما استلهم بعـض الشعراء هذا الانجاز فأبدعوا قصـائد من بينهم أبو الحسن حازم القرطاجني المتـوفي سنة 684هـ/ 1285م، والذي وصف الجنان في قصيدتـه المقصورة التي تحتوي على 974 بيـتا في مدح المستنصر الحـفصي واعتنى صاحـبها بالحنايا وبأبي فهر من البيت 53 إلى البيت 171.

ومن الواضح أن أعمـال المستنصر كـانت هامة جدا بمدينة تونس وضـواحيهـا وقد وجه عـنايته إلى تزويدها بالماء الصـالح للشـراب، فكانت أهم أعمـاله المائية تـرميـمه لحنايا هدريـان التي خـربت في عـدة كـرات أو عـرفت الاندثار في بعـض الفـترات الأخرى فقد تم تخريبها خلال سنة 439م عندما استولى الوندال على قرطاج ثم رممها Balisaire سنة 533م- كما قطع قسم منها حسان ابن النعمان سنة 79هـ/ 698م، ثم أعاد تجديدها الفواطـم مرة أخرى - لذلك وجدها المستنصر الحـفصي في أسوأ حال، فأعـيد ترميمـها بصفة جـيدة، أساسـا من أجل تمويل المدينة والقصبـة بالماء لكن أيضا حتى يوصل الماء إلى حدائق رأس الطابية وحوض أبي فهـر الموجودة على بعد خمسة كيلومتـرات من القصبة، لذلك تمت اضافـة أقسام جديدة للحنايا هي الأخـرى عظيمة جدا، وهي تربط بينـها وبين مدينة تونس من ناحـية، وبينهـا وبين أبي فهر من ناحـية أخرى.

وهكذا استـطاع اعادة تشغـيلها. وقـد قامت المديرية العـامة للأشـغال العـموميـة بعملية حسابية خلال سنة 1927 أثبتت فيها أن هذه الحنايا كانت توصل يوميا 32 ألف متر مـكعب من الماء خلال فصل الشتـاء، أما بالصيف فالكـمية لا تتجـاوز 5600 متر مكعب[37] يسـتعـمل قسم ضـئيـل من هذه الكميـة لتزويد سـكان القصـبة من عـائلة سلطانية ووزراء ووجـهاء وجند بالماء الصالح للشراب، كـمـا أن قسمـا آخر يوجه إلى

(37) Direction Générale des Travaux Publics "Alimentation en eau de Tunis et de sa banlieue" Tunis, 1927, pp. 10-11.

سقاية جامع الزيتونة، مما يسمح لسكان الحي الموجود حول الجامع بالحصول على الماء الصالح للشراب والوضوء.

مع هذه الترميمات قام الخليفة المستنصر باضافة قسم آخر إلى الحنايا بلغ طوله حوالي 980م ربط به الحنايا الرومانية بهضبة الرابطة[38] وقد ذكرت أغلب المصادر (الزركشي والعبدري وابن فضل الله العمري) بأن هذه العملية قصد بها ايصال الماء لجامع الزيتونة، ومن المؤكد أن الحجارة الضخمة المستعملة في هذا الجزء من الحنايا الحفصية أتى بها من معالم رومانية، وقد أكد سولينياك أن هذا القسم من الحنايا يوصل في فصل الشتاء 1272مترا مكعبا في اليوم، بينما لا تبلغ هذه الكمية إلا 218مترا مكعبا في فصل الصيف إلى مدينة تونس ويستقطب جنان أبي فهر أكبر كمية من المياه وهي 12728 في الشتاء و2082 في الصيف[39].

يفيدنا العبدري أنه توجد قناة تنطلق من القصبة لتزويد الجامع الأعظم بالماء الصالح للشراب[40] [إلا أننا لم نعثر قط على القسم الرابط بين هضبة الرابطة والقصبة][41].

لكن القسم المضاف الآخر والذي يهمنا مباشرة هو ذلك الذي ينطلق من حنايا هدريان ليصل إلى بركة أبي فهر، ورغم أن سولينياك حاول معرفة المكان الذي مر منه هذا القسم[42] فانه يبدو من الصعب التوصل اليه بدقة اذ ليس لدينا أي معطيات تاريخية أو اكتشافات أثرية تبينه بوضوح، فقد اندثر هذا الجزء بأكمله. لكن بعد دراسة المكونات المرفولوجية للأرض الفاصلة بين الحوض والمكان الذي تمر منه الحنايا توصلنا إلى خط واضح من الممكن أنه الذي استعمل لربط الحنايا بأبي فهر، وهو يمثل في خطوطه العريضة ما توصل اليه سولينياك في دراسته.

---

(38) انظر : J.M. Solignac: Travaux Hydrauliques Hafsides de Tunis, p. 525.

(39) نفس المرجع، ص 525-526.

(40) العبدري: (الرحلة) ص 40، وهو يفيدنا أن هذه القنوات مصنوعة من الرصاص وعكس الحنايا الرومانية التي كانت مقبية، فان الاضافة الحفصية التي تربط هذه الأخيرة بمدينة تونس ليست مغطاة.

(41) لا يمكن الجزم في أن هذه الحنايا تتواصل حتى الجامع الأعظم، اذ لم يذكر أي مصدر هذه النقطة، كما أن آثارها التي كانت موجودة في النصف الأول للقرن العشرين كانت تصل إلى قرب القصبة فقط، حيث كنا نعثر على خزان مياه، ومن الممكن أنه كانت تنطلق منه القنوات إلى الجامع الأعظم.

(42) يرى سولينياك أن هذا الجزء يوجد على بعد 1200مترا من حوض أبي فهر
Solignac, op. cit. p. 535. -

كما يمدنا ابن خلدون وبعض المؤرخين: كالزركشي وابن الشماع وابن قنفد وغيرهم بمعلومات هامة حول منجزات السلطان المستنصر من بينها خاصة حدائق راس الطابية وغيرها كثير. ومما يجب التأكيد عليه أنه انطلاقا من الفترة الحفصية عرفت مدينة تونس تأثيرات فنية وثقافية ومعمارية وحضارية مختلفة أهمها على الاطلاق التأثيرات الأندلسية التي أصبحت أكثر وضوحا عند استيلاء أبي زكرياء الأول على الحكم[43] فقبل قدومه إلى افريقية كان مؤسس الدولة الحفصية، واليا على غربي الأندلس مما أدى إلى ارتباط العديد من الأندلسيين وخصوصا من أهل اشبيليا بأبي زكرياء[44].

ونتيجة لهذه العلاقة الوطيدة أتى الأندلسيون في كرات متتالية إلى مدينة تونس بداية من النصف الأول للقرن VIIهـ/ XIIIم وقد شجعهم ما وجدوه من الترحاب والمراعاة على الاتجاه إلى عاصمة البلاد. ويعلمنا ابن سعيد الأندلسي أن العديد من المعالم والمباني صممها آنذاك أندلسيون أو نقلوا تخطيطها عن معالم أخرى توجد في بلادهم، وبما أن مفهوم الجنان ونمطه يتناسب وما كان يوجد في الأندلس، فمن الممكن جدا أن المستنصر استنجد في اعداد أبي فهر بالعملة المختصين الأندلسيين، إلا أنه يجب أن لا ننسى أيضا أن لافريقية تقاليد متجذرة في هذا الميدان، والبرك القائمة الذات بجهة القيروان والتي ذكرناها قبل، دليل واضح على هذا التجذر.

هكذا نلاحظ وجود روح تواصل في تأسيس هذه المنشآت المائية بالبلاد، فإضافة إلى التأثيرات المحلية الراجعة إلى العهد الأغلبي والفاطمي، من الممكن جدا أنه أضيفت التأثيرات الأندلسية.

ويفيدنا الزركشي بأن اهتمام المستنصر بالمنشآت المائية انطلق سنة فقط بعد توليه الحكم أي سنة 638هـ/ 1250م وتم الانتهاء من بركة أبي فهر سنة 666هـ/ 1267م[45] كما يعلمنا نفس المصنف أن هذا السلطان رمم الحنايا الرومانية لاستعمالها من جديد وايصال الماء إلى تونس، وكانت هذه الأعمال جاهزة هي الأخرى سنة 666هـ/ 1267م.

ولا يمكن تفسير هذه الاضافة للحنايا إلا لاتساع الفسقية التي تتطلب كميات هائلة من المياه، والا للجأ المستنصر الحفصي لحفر آبار كانت تمثل أقل وقت وجهد من بناء هذا القسم الجديد من الحنايا.

(43) انظر ابن خلدون: " العبر"، طبعة بيروت 1959، ج.6، ص 683.
(44) تولى الحكم من سنة 625هـ/ 1227م إلى 647هـ/ 1249م
45) انظر الزركشي: "تاريخ الدولتين" ص 33 و38.

ونحن لا نملك أي نص يمدنا بمعلومات حول الفترة التي انتهى خلالها موقع أبي فهر من تأدية وظيفته. وقد ذكر ابن أبي دينار الذي صنف مؤهلاته في أواخر القرن 11هـ/ 17م، أن موقع أبي فهر أصبح يدعى "بطوم". ومن الواضح أن القرن 10هـ/ 16م مثل أحلك الفترات التي عرفتها البلاد نتيجة للحروب التي دارت رحاها بين الأتراك والاسبان للسيطرة على الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وكانت البلاد التونسية من بين أهم الأصقاع المتضررة من جراء هذا الصراع، ومن الممكن جدا أن دور الحنايا توقف تماما خلال هذه الفترة ومما انجر عنه تعطل بركة أبي فهر عن كل نشاط، لذلك تم الالتجاء خلال القرن 11هـ/ 17م إلى انشاء بئر ضخمة تم عن طريقها تعويض الماء القادم عن طريق الحنايا لسقي أشجار الموقع التي تحدث عنها ابن خلدون. وقد أشار سولينياك إلى وجود بئر "بطوم" هذه[46]. وأعتقد أنه يوجد في الناحية الغربية للبركة. وقد بني حاليا فوق هذا الموقع مؤسسة صحافية، إلا أن سولينياك أخطأ في المكان، إذ أن بئر بطوم ما زال قائم الذات، اذ يوجد مباشرة في الناحية الشمالية للبركة، ويفصلها عنها الطريق السريعة الرابطة مدينة تونس بالمطار. إلا أن بعض عناصر الموقع اندثرت خلال الفترة الزمنية الأخيرة. فقد تمكن مثلا سولينياك من العثور سنة 1936 على ماجل صغير مستطيل الشكل له 14م من الطول و 7أمتار من العرض، وأكد أيضا على أنه عميق، ويبدو وأنه كان يستقطب في مرحلة أولى ماء الحنايا وهو يقع على بعد 80مترا من الفسقية وهو ما يؤكد ما أتى به ابن .خلدون الذي نستفيد منه أن الماء الواصل إلى أبي فهر يمر بماجل عميق قبل أن يمر إلى الفسقية الأساسية، وبالطبع فإن مستوى هذا الماجل يوجد تحت مستوى البركة الكبرى حتى يبقى الحصى والأتربة في الأسفل، ويمر الماء النظيف فقط إلى البركة الكبيرة إلا أن الماجل الصغير اندثر تماما نتيجة لاقامة بناءات جديدة.

وقد أفرزت الحفريات الأخيرة بهذا الموقع نتائج علمية هامة، اذ توصلنا للكشف على عدة عناصر أساسية، منها خاصة أرضية القبة الكبيرة المطلة على البركة المائية من ناحيتها الشمالية[47]. أما القبة التي كانت توجد في الناحية الجنوبية - ذلك بالطبع حسبما ورد في نص ابن خلدون- فلم يبق منها أي عنصر، ورغم قيامنا بأسبار في هذه الناحية فاننا لم نعثر على أي شيء يذكر وذلك نتيجة لبناء طريق جديدة تمر على بعد تسعة أمتار من البركة المائية.

(46) Solignac, op.cit. p. 537.

(47) ذكرنا بعد في نصّ ابن خلدون قوله: " ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرا وصغرا"، انظر العبر ص 631.

أول ما توصلنا إليه في الناحية الشمالية، هو وجود تبليط في أقصى نقطة منه فبعد رفع الأتربة المتأتية خاصة من سقوط عناصر هذا المبنى نفسه كشف عن مربعات جليز لها لون أسود يبلغ ضلع كل منها 10,5سم أما سمكها فيبلغ 2سم ويفصل بينها شريط أبيض يبلغ عرضه + سم وطوله 10,5سم بينما توجد في زاوية كل أربع مربعات نجمة، تتميز كل منها بلون خاص بها، ففي بعض الأحيان هي ذات لون أزرق سماوي وفي البعض الآخر تصبح زرقاء داكنة، كما نجد أيضا نجوم لها لون أخضر أو أصفر. وهذا التبليط هو الوحيد الذي وصلنا من الفترة الحفصية الأولى (أي القرن 7هـ/ 13م) ولم نعثر على هذا النمط من الزليج إلا في أواخر القرن 9هـ/ 15م بمعلم سيدي قاسم الجليزي المتأثر بالفن الأندلسي.

بنفس بقايا هذه القبة عثرنا في الزاوية الشمالية الشرقية على مدرج يتكون من خمس درجات عرض كل منها ما بين 1,5+م و1,65م ومن الممكن جدا أنها كانت تؤدي إلى القسم الأعلى من المبنى لأن الجدار الغربي والجدار الشرقي للمدرج يتواصلان نحو الأعلى، ومن الواضح أن القسم الأعلى من هذا المدرج قد أزيل.

كما عثرنا انطلاقا من الأسفل على جدار يفصل الدرجة الأولى والثانية، لكن من الواضح أنه يمثل إحدى الاضافات التي حصلت خلال الفترة العثمانية (أي خلال القرن 11هـ/ 17م) بما أن مواد البناء مختلفة عن المواد المستعملة بالنسبة للفترة الأولى وهي المتكونة من الملاط الجيري بينما استعملت في بناء هذا الجدار حجارة نجدها أيضا في مباني القرن 17م بمدينة تونس. كما تم الكشف في هذا القسم عن عقدين استعمل فيهما الآجر المشوي والملآن (26سمx13سم) ويبدو واضحا أنها ترجع إلى فترة لاحقة، فقد اعتمد كل من هذين العقدين يمنة ويسرة على جدران المدرج التي كسبت بالملاط الجيري والتي تختلف في تكوينها وفي طريقة بنائها عن نمط العقدين.

ويؤدي هذا المدرج في الأسفل إلى قنوات مياه، توجد تحت الأرض، كانت مرتبطة بالبركة الرئيسية وقد مثلت إحدى قنوات تصريف المياه، إلا أننا لم نتمكن من العثور على آخر مسار هذه القناة التي تتواصل حسبما يبدو نحو الشرق لكن تم طمسها تماما.

ووجدنا خلال هذه الحفريات الراجعة إلى سنة 1993 عددا من مجاري مياه مبنية على كامل أرضية هذه القبة الشمالية وقد بدا واضحا أن ليس لها أي اتصال بالبركة المائية، بل يبدو أنها استعملت لتصريف المياه المستعملة؟

كما تم الكشف في الناحية الغربية لأرضية القبة على بقايا تبليط رخامي أبيض يغطي بعض الغرف وتختلف مقاساته في أرضية نفس الغرفة، وهو دليل على أن هذا الرخام كان مستعملا في معالم أخرى (ربما بقرطاج) ثم اعيد استعماله في هذا الموقع.

كما عثرنا في أقصى الناحية الغربية بأرضية القبة، على مجرى مياه آخر يتسرب إلى داخل الأرض ويبلغ عمقه 1,27م إلا أننا لم نتمكن من معرفة نهايته التي تتواصل نحو الغرب، ومن الواضح أن هذه القناة استعملت لتوزيع المياه المستعملة وقد لاحظنا أنها تتواصل في القسم الأسفل الواقع تحت أرضية القبة (أي نحو الشرق)، وتلتقي بالقناة الموجودة تحت المدرج (التي أشرنا اليها قبل).

خلال هذه العملية استطعنا العثور على العديد من قطع الخزف الراجعة الى عدة فترات، من بينها أربع قطع راجعة إلى العهد الأغلبي، وهي ربما دليل يدفعنا للتساؤل ان لم يكن الموقع مستعملا خلال هذه الفترة. أما أغلب هذه القطع الخزفية فترجع إلى العهد الحفصي. كما يرجع قسم آخر إلى الفترة العثمانية وهو ما يسمح بالتأكيد أن الموقع استعمل خلال هذه الفترة خلال القرن 11هـ/ 17م وعثرنا أيضا على عدد هام (سبعة) من أقسام أعمدة، البعض منها مجلوب حسبما يبدو من مصر والبعض الآخر محلي أتى به من شمتو ومن الممكن أنها كانت الأعمدة الحاملة للقبة (وهو ما ذكره ابن خلدون) وبالطبع فان القبة كانت تطل مباشرة على البركة المائية التي لم نتبين منها في أول الأمر وقبل انطلاق الحفريات إلا قسما من جدارها الغربي (121,5م) وقسما آخر من جدارها الجنوبي (38,5م) أما البقية فكانت كلها مغمورة بالأتربة.

لذلك قمنا بكشف كامل لبقية جدران البركة التي لم يبق شيء يذكر من قسمها الشرقي. وتبينا بعد ازالة كل فواصل البناء والأتربة الخ... أن طول الجدار الشرقي يبلغ 3,5+2م. أما الجدار الجنوبي فله 78,7م من العرض وقد تم كساء كل هذه الجدران بليقة يبلغ سمكها بين سنتمتر واحد وأربعة سنتيمترات وهي متكونة خاصة من الجير التقليدي المخلوط بالرماد والفحم وكذلك بالجبس كما نجد شظايا الآجر المخلوط بهذه الليقة. وكما لاحظنا فان القبة تشكل ذراعين يتجهان إلى داخل البركة وتتمثل أبعاد هذا القسم في : 30م من العرض و28م من الطول وهو يرتفع عن مستوى أرضية البركة بمتر واحد، بينما ارتفاع وسط أرضية القبة: متر ونصف - ويبلغ سمك هذه الجدران المحيطة بالبركة من 2م إلى 3,50م فسمك هذا الجدار أكثر أهمية

في الناحية الشمالية، نتيجة لتقبله ثقل الماء في هذه الناحية، ولاحظنا وجود دعامات تحيط بهذه الجدران من الناحية الغربية والجنوبية والشرقية ويبلغ عددها سبعا (وهي التي عثرنا عليها فقط) ولا ندري ان كانت توجد دعامات أخرى لم يبق لها أي أثر؟ وقد لاحظنا أنه توجد بين الدعامة والأخرى 30م (في الناحية الغربية والشرقية) بينما تتمثل هذه المسافة في 15م فقط بالناحية الجنوبية كما أضيف جدار ثان يدعم الجدار الأول في القسم الجنوبي، وربما كان ذلك نتيجة لعدم قيام الجدار الأول بالدور المعهود اليه نتيجة لقلة سمكه (2,00م) اذ نلاحظ أنه حصلت فيه تصدعات.

وبعد إزالة قسم هام من الأتربة بالناحية الشمالية للبركة لاحظنا أن الأرضية متكونة من ملاط (مشابه تماما لملاط الجدران من الداخل) بينما أزيلت هذه الأرضية من كامل القسم الأوسط. أما الجزء الجنوبي لأرضية البركة فقد بلط بحجارة متماسكة عن طريق ملاط جيري، ولم يبق أي جزء من الملاط المغطي لكامل أرضية البركة إلا في الناحية الشمالية كما أشرنا اليه من قبل ويبلغ ارتفاع البركة في الناحية الشمالية 2,00م وهو أعمق بكثير في الناحية الجنوبية اذ تبلغ 2,60م أما المساحة الجملية للبركة فهي +1912مترا مربعا وبإزالة مساحة أرضية القبة التي تبلغ 8+0مترا مربعا فان المساحة للبركة تصل إلى +1828مترا مربعا وهو ما يسمح بتقدير مياه البركة بحوالي +2000 متر مكعب.

وقد عثرنا في أسفل الجدار الجنوبي على فتحة صغيرة تسمح بتسريب المياه إلى الخارج، إلا أنه لا يمكن الجزم في أنها كانت موجودة انطلاقا من فترة المستنصر اذ أنه من الواضح أن المياه كانت تتسرب عن طريق فتحات علوية بقيت بعض آثارها بجدران البركة. وقد تم ربط قاعدة الجدران بأرضية البركة عن طريق نتوء (اوسنام) مما يسمح بتجنب تسرب المياه.

وإثر القيام بسبر في الناحية الجنوبية للبركة الذي كنا نأمل من خلاله العثور على بقايا القبة الصغيرة الجنوبية التي ذكرها ابن خلدون، عثرنا على حوض صغير الحجم بني لتلقي ماء هذه الفتحة السفلى للجدار الجنوبي، وقد كسي هذا الحوض بنفس الليقة التي كسيت بها الجدران الداخلية للبركة، وتبلغ أبعاده: 4,80م من الطول و3,10م من العرض.

كما عثرنا على بقايا بركة صغيرة مربعة الشكل طول كل من اضلاعها 6,5م ملاصقة للجدار الشرقي من الخارج.

وقد قارن سولينياك هذه البركة بالتي توجد في رقادة (قصر البحر) والتي بناها زيادة الله الأغلبي بين سنة 903م و 909م ويرى أن مساحتها الجملية تبلغ 19000متر مربع، إلا أن الأبعاد الحقيقية لهذه البركة هي : 120م من الطول و40 مترا من العرض، مما يجعل مساحة هذه البركة 4800 متر مربع.

سمحت اذن هذه الحفريات باضافة معلومات جديدة حول ثراء البلاد التونسية بشتى النماذج من المنجزات المائية، وبوجود تواصل عبر التاريخ، بما أن بركة أبي فهر في غمطها مع بركة أخرى انجزت في العهد الأغلبي، كما أن مساحة هذه البركة يعتبر هامّا جدا بالمقارنة مع أغلب البرك التي أمكن الاطلاع عليها الى حد الآن.

المصادر والمراجع

- ابن ابي دينار (أبو عبد الله) "المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس" تحقيق وتعليق محمد شمّام، تونس 1967
إبن أبي الضياف (أحمد) "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تونس 1963 - 1966
- ابن خردادبة (عبد الله) : "المسالك والممالك" (ليدن - بريل 1967)
- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر" بيروت 1959 .
- ابن الشماع (أحمد) " الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" تحقيق عثمان الكعاك، تونس 1936
- ابن الفضل الله العمري : "مقتطف من كتاب مسالك الامصار في ممالك الأسفار : افريقية والمغرب والاندلس" : شرح ح.ح. عبد الوهاب ـ مطبعة النهضة ـ تونس ـ بدون تاريخ.
- شبوخ ابراهيم : "مصادر مياه ماجل ابي ابراهيم أحمد بن الاغلب" مقال غير منشور.
- ابن قنفد : "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس 1968
- الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس : مأخوذة من كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ليدن 1968
- البكري (أبو عبيد) : "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" (الجزائر 1911)
- الزركشي (محمد) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : تحقيق وتعليق محمد ماضور - تونس 1966
- المقدسي : "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" (ليدن 1906)
- القاضي النعمان بن محمد : "المجالس والمسايرات" - تونس 1978
- عبد الوهاب ح.ح. : "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية" مطبعة المنار الجزء الأول 1965 والجزء الثاني 1981
- اليعقوب : كتاب البلدان : ترجمة إلى الفرنسية : Gaston Wiet
- Brunshvig (R) : "La Berberie Orientale sous les hafsides des origines à la fin du XVe siècle" - Paris - 1940
- Graham Petré : "Tunis, Kairouan and Carthage" London, 1908
- Daoulatli A. : Tunis sous les Hafsides - Tunis 1976
- Caillot PH. "Note sur l'Ancien Aqueduc de Carthage et sa Restauration" Paris, 1873
- Solignac J. M. : "Travaux hydrauliques Hafsides de Tunis" Revue Africaine 4ème trimestre 1936 - pp. 517-580
- Solignac J.M. "Les installations Hydrauliques de Kairouan et des Steppes Tunisiennes du VII au XIè siècles T.X (Alger 1953)
- Lezine A. : "Deux villes d'Ifriqya" Paris 1971
- Lezine A. : "Architecture d'Ifriqya, Recherches sur les monuments Aghlabides" Paris 1966.
- Gauckler (Paul) : "Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques" Paris 1902.

بقايا الجدار الشرقي بعد الحفرية

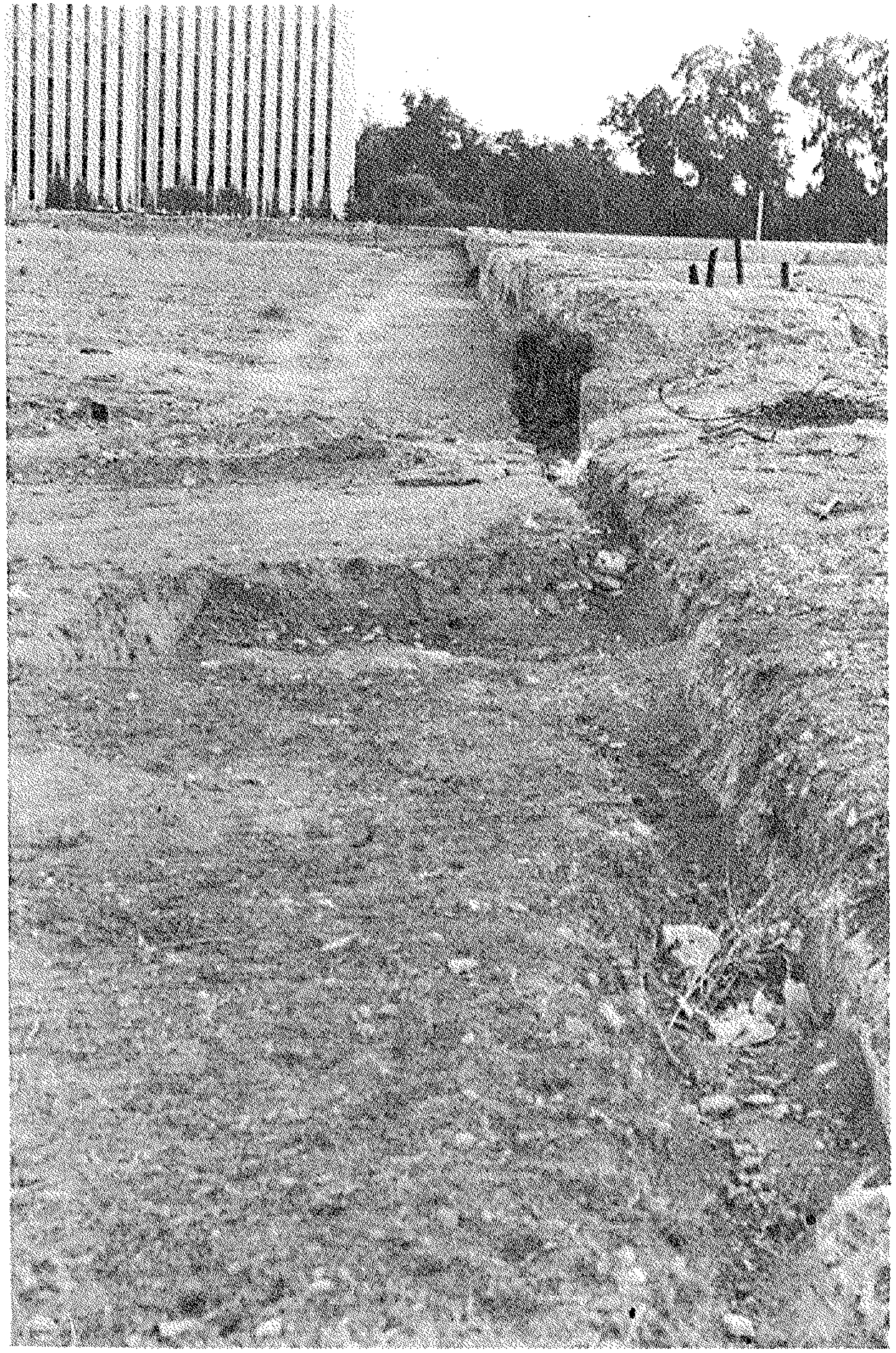

الجدار الغربي

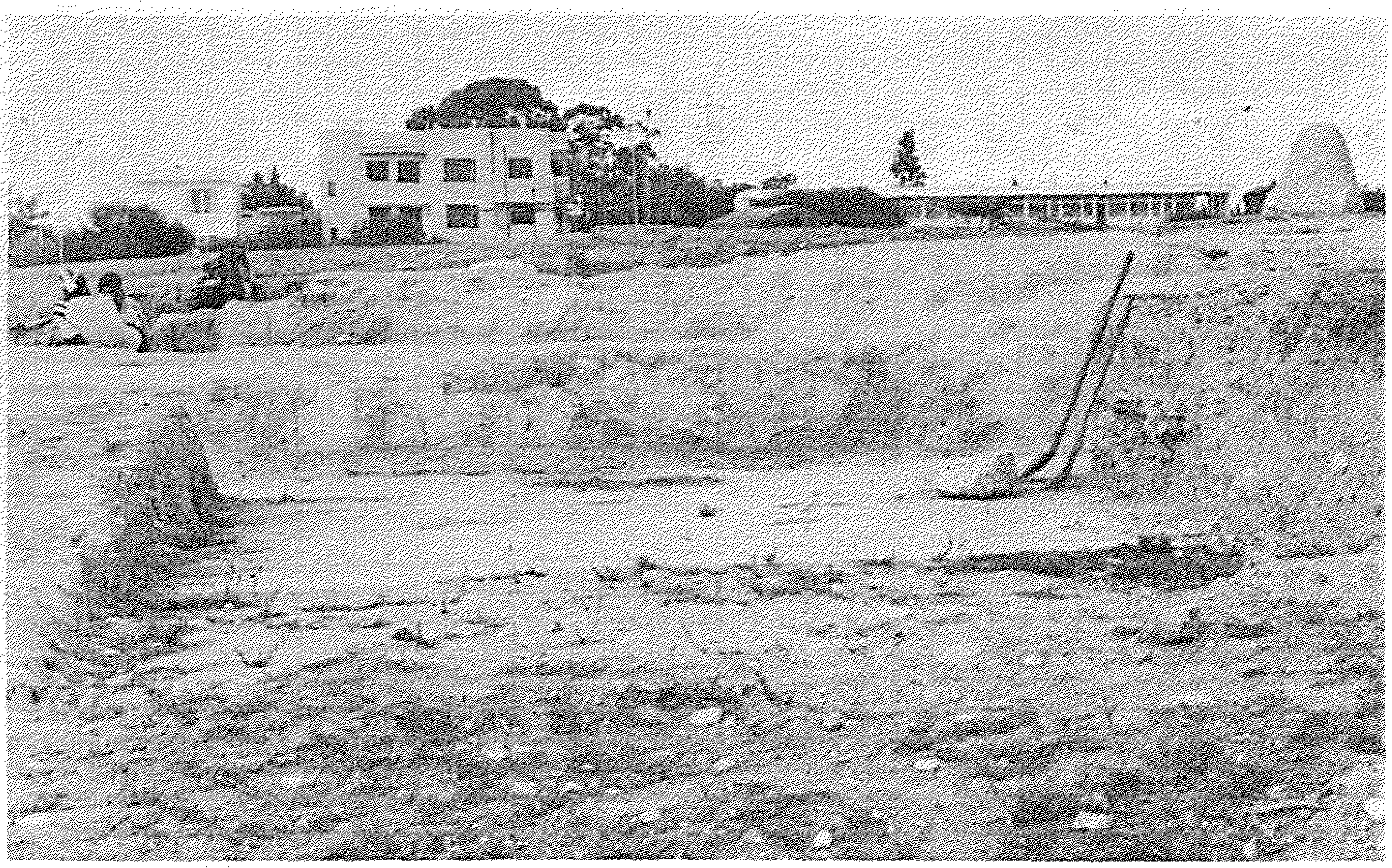

أرضية البركة
بالقسم الشمالي

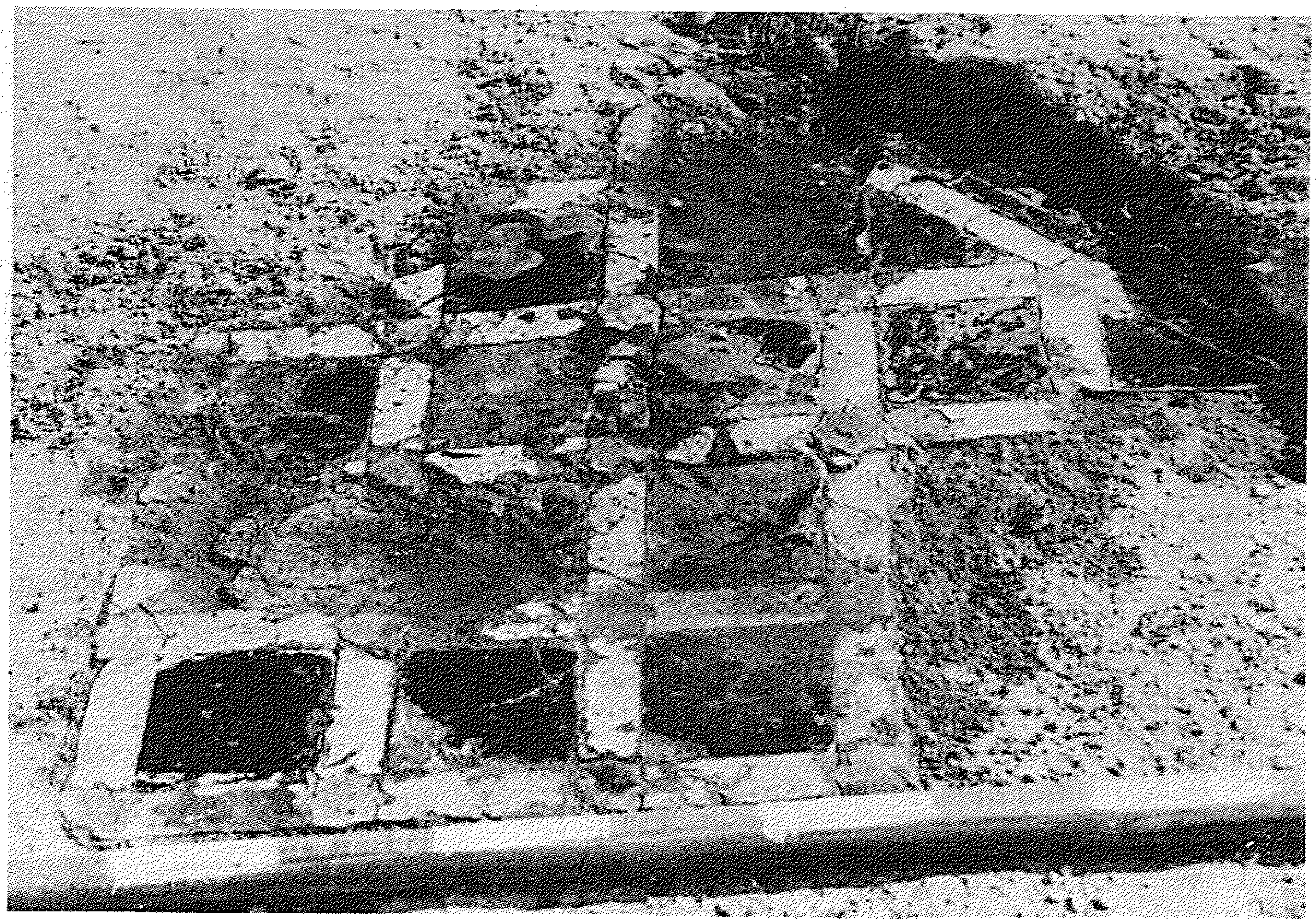

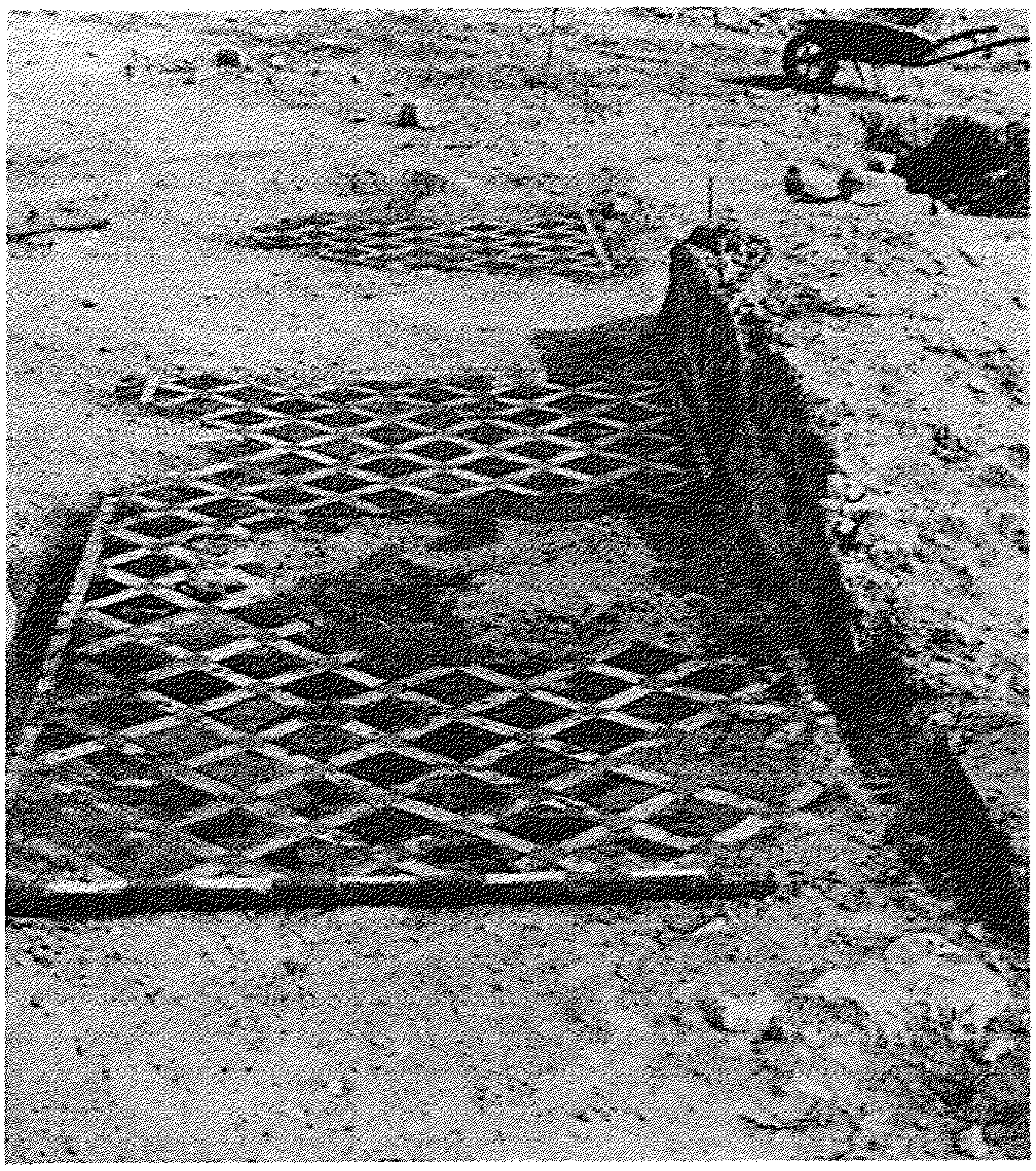

التبليط الحفصي الراجع
للقرن السابع هـ / 13 م

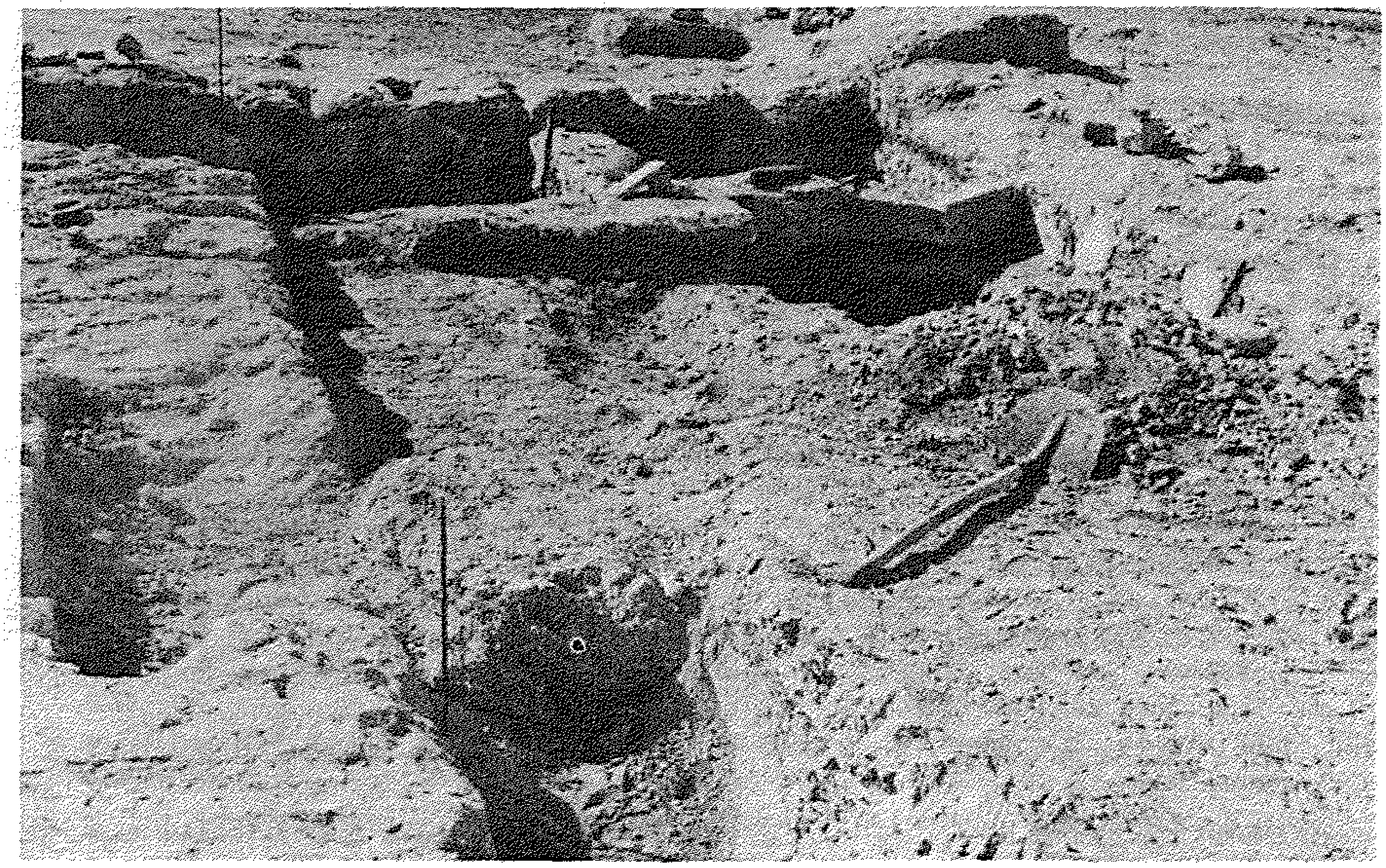

الحفريات في الناحية
الشمالية للبركة

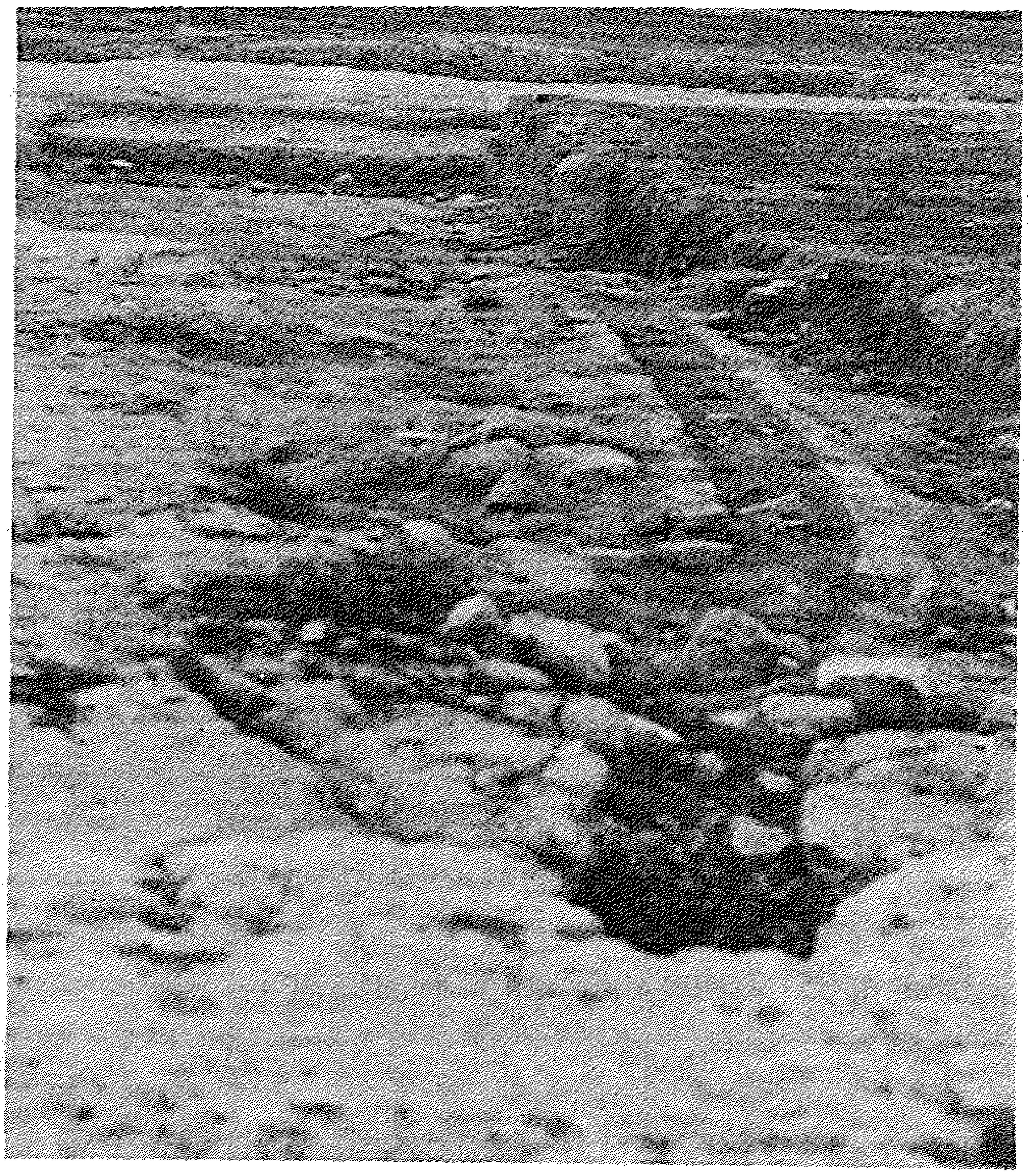

قناة لتصريف المياه
المستعملة بأرضية الجهة
الشمالية

الرسوم والنقائش الحجرية في القديم في تونس

أ. منصور غاقي

تمتاز البلاد التونسية بثراء تراثها التاريخي والحضاري الذي غطى جل المراحل التاريخية ابتداء من فترة ما قبل التاريخ الى نهاية العصر البيزنطي وبداية الفتح الاسلامي. وقد شمل هذا الارث جميع الميادين سواء التي ارتبطت بالحياة اليومية أو المعتقد أو العادات الجنائزية.

وتعتبر الرسوم والنقائش من أهم مكونات المخزون التراثي التونسي وبالامكان تصنيفها حسب معايير مختلفة وذلك باعتبار

1) الانتشار الجغرافي

2) التسلسل الزمني

3) نوعية الأثر (رسوم - نقائش. . .)

1- فمن الناحية الجغرافية نلاحظ انتشار الرسوم وبنسبة أقل النقائش على كامل أنحاء البلاد التونسية، مع تركز في مناطق الشمال والشمال الشرقي وقد تفسر الكثافة الملحوظة في مناطق الشمال بكثافة السكان بهذه المنطقة الخصبة منذ القديم.

2- وتمتد هذه النقائش والرسوم من فترة ما قبل التاريخ (حوالي 3500 ق م) إلى نهاية الفترة البيزنطية (أي 7+6م) وهذا يعني أن النقائش والرسوم غطت مدة طويلة جدا تمتد على حوالي 4000 سنة.

ويمكن الاشارة إلى أن نسبة الرسوم الجدارية أكثر ارتفاعا من النقائش والنحوتات، وأغلب الرسوم التي عثر عليها توجد داخل غرف الدفن وهي تعود أساسا إلى الفترة البربرية القديمة (الألف الأولى قبل الميلاد) والعصر البوني (القرن الثالث قبل الميلاد).

3- نوعية الأثر، يمكن تصنيف الأثر في هذا الباب حسب الموضع الذي وجدت به.

- فهناك النقائش والرسوم التي توجد أما بالملاجيء أو في الهواء الطلق بسفوح الجبال ويمكن أن تعود اما لفترة ما قبل التاريخ أو الفترة الرومانية مثال ذلك رسوم جبل وسلات وغمراسن والجبيبنة (بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ) وبشمتو (بالنسبة للفترة الرومانية).

- وهناك رسوم بداخل غرف الدفن وقد تكون بربرية قديمة أو بونية مثال ذلك في بن يصلى وجبل ملزة.

أ) فترة ما قبل التاريخ :

عثر على رسوم لأربعة مواقع بجبيبنة وجبل وسلات وتمغزة وغمراسن وتوجد هذه الرسوم بملاجيء كان يعيش بها انسان ما قبل التاريخ.

وجل هذه الرسوم جاءت تشخيصا للحياة اليومية من ذلك مشاهد الصيد سواء قصد العثور على القوت أو قصد الاحتماء من الأخطار، وأهم الحيوانات المرسومة هي الكلاب والأغنام والضباع والنمور والزرافات والغزلان.

إلى جانب ذلك عثر بجبل وسلات على رسوم تمثل أشخاصا رافعين أيديهم نحو السماء، وقد فسر هذا المشهد على أنه موقع ابتهال وتعبد وهذا التفسير نظري لأنه يفترض الاعتقاد في آلهة وهو ما لم يتأكد بعد من الناحية التاريخية، وفي جبيبنة رسم أشخاص على رؤوسهم ريش الطيور وهو ما يفردهم عن غيرهم من الناس وقد رأى المختصون في هذا الزي رسما لأشخاص متميزين اعتبرهم البعض رجال دين.

ب) الفترة البربرية القديمة :

توجد جل الرسوم المتعلقة بهذه الفترة داخل غرف الدفن المنقورة بسفوح الجبال والتي اصطلح عليها بالحوانت أو بالغرف وعثر على أغلبها بمنطقة الشمال التونسي، وتمثل هذه الرسوم 3 مواضيع:

* أشكال هندسية.
* حيوانات أليفة أو شرسة (الكلاب -العنز - الأبقار - الغزال - الأسود. . .).
* أشخاص في مواقف مختلفة، (مواقف مصارعة - مواقف مصارعة حيوانات - أشخاص مسلحون بعصي أو رماح.

وتمتاز رسوم هذه الفترة عموما بتأثرها الشديد بالحضارة البونية ويبرز هذا بالخصوص في رسم البواخر والآلهة بعل وتانيت وأضرحة ومذابح، ففي جبل الجبوس يوجد بأحد القبور رسم لفارس يمتطي جوادا، اضافة إلى ضريحين يعلو كل منهما ديك، ويرى بعض المختصين أن الديك هو رمز الروح.

ج) الفترة البونية :

توجد الرسوم بالأساس داخل غرف الدفن نذكر على سبيل المثال غرف جبل ملزة وسيدي سالم. ففي جبل ملزة غطت الرسوم الجدران الثلاثة لغرفة القبر:

* على اليسار - رسم ديك وضريح ومذبح يعلوه نار
* على اليمين - رسم من جديد ضريح ومذبح
* على الواجهة - رسم ديك ومثال لمدينة محاطة بسور

وقد فسر الرسم داخل هذه الغرفة على أنه تسلسل لرحلة الروح الممثلة في الديك إلى أن تصل لمدينة الأموات.

د) الفترة الرومانية :

أهم موقع بالنسبة للنقائش الحجرية الرومانية هو موقع شمتو الذي نعثر فيه على نقائش (Reliefs) يصل عددها إلى حوالي 200 نقيشة تحتوي على تشخيص للمتعبد مصحوبا بالحيوانات التي تقدم قرابين للالهة ستورنوس.

كما يوجد بشمتو مجمع الآلهة النومديين منقوش على سفح الجبل الشرقي من المدينة وهذا ما يجعل هذا الجبل متميزا اذ يحتوي على المعلم النوميدي الذي تحول ليصبح في نهاية القرن الثاني الميلادي معبد الاله ستورنوس كما يحتوي على معبد الآلهة سيلستيس ومعبد آخر للآلهة الماوريين "Dii Mauri" .

وبنفس المدينة داخل مقاطع الرخام بشمتو وقع انجاز نقيشة جنائزية تعود للفترة المسيحية.

ان المتأمل في الرسوم والنقائش الحجرية التي عثر عليها بالبلاد التونسية والراجعة إلى الفترة السابقة لدخول العرب يلاحظ:

أولا: أن النقـائش والمنحوتات الراجـعة في أغلبـها إلى الفـترة الرومانيـة لا تطرح عمـوما اشكالا من حـيث التأريخ والتـفسـير وذلك لاحتـوائها على قـرائن مكنت من تطوير البحث في هذا المجال.

ثـانيـًا: أن الرسوم سواء كانت من فترة ما قـبل التاريخ أو الفترات اللاحقة يبقى تأريخهـا غير مـضبوط وعـامًا اذ يمتـد في بعض الحالات على مدة زمنـية طويلة (ألف سنة) كما يبقى تفسيرها محل جدل بـين المختصين وذلك لتشابه الموضوعات المرسومة أولا ولعدم تمكن البحث من معطيات جديرة بتسليط الأضواء على هذه الرسوم ثانيا.

المراجع

- Mh. H. FANTAR: La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouanet libyques de Tunisie, AFRICA X, 1988, pp. 28-49.
- M. GHAKI: Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech (sous presse).
- A. GRAGUEB: Une nouvelle station de représentations rupestres dans le sud tunisien (Aïn Sifri, Ghomrassen), REPPAL V. 1990, pp. 153-162.
- T. KRAUS: Die Felsreliefs am Tempelberg, SIMITTHUS I,
- DAI (Rome), INP (Tunis) 1993, pp. 71-87.
- M. LONGERSTAY: Les peintures des haouanet de Khroumérie et des Mogods, Revue Archeologique De Picardie 1.2, 1990, pp. 119-131.

M. SOLIGNAC: Les peintures repestres de la région de Djebibina, Revue Tunisienne 1936, pp. 1-56.

بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية

أ. محمد عطية الله الشلماني

بعض المنشات المائية القديمة في الجماهيرية

إن المتغيرات المناخية التي حدثت بعد العصر المطير وسيطرة الجفاف في العروض المعتدلة الدفينة ترتب عليها هجرة جماعات بشرية في اتجاهات مختلفة بحثا عن مصادر المياه، وبالطبع كانت البحيرات والأنهار هي أماكن الجذب الأولى لتلك الجماعات التي جعلتها أماكن استقرار ومعيشة وبذلك بدأت تتعامل مع الطبيعة منذ القدم... وظهرت المنشآت المائية المختلفة تبعا لاختلاف مصادر المياه والعقلية البشرية المنفدة.

كما أن امتداد الوطن العربي من المنطقة الإستوائية إلى المنطقة المعتدلة جعله يتمتع بسقوط أمطار موسمية استوائية في جنوبه تغذي البحيرات والأنهار وأمطار شتوية في شماله تستعمل للرعى والزراعة، هذه الأمطار الغزيرة يتسرب جزء كبير منها ويغذي المنسوب الجوفي، حتى يحدث تشبعا جوفيا يعمل على تآكل بعض الطبقات الصخرية الهشة نتيجة للنحت المائي ويحث الينابيع والعيون بينما البقية يمكن استخراجها بحفر آبار غير عميقة.

من تلك المعطيات الجغرافية والمناخية ترتب على سكان الوطن العربي التعامل مع مصادر المياه بطرق مختلفة فكانت الحضارات المقامة على الانهار لها تقنياتها الخاصة بصنع الوسائل التي ترفع مياه النهر إلى الأرض بطرق يسيرة، بينما الحضارات المقامة على مياه الأمطار تفننت أيضا بصنع البدائل عن الأمطار في فترات انقطاعها وذلك بصنع الأدوات المختلفة الحافظة للمياه، كما أخذت منذ القدم على عاتقها بناء السدود والعمل على عاتقها بناء السدود والصهاريج لحفظ المياه.

وبذلك أصبحت السدود والصهاريج والآبار هي مراكز الجذب الحضاري مثلما الانهار في بلاد الرافدين ومصر والسودان، وهكذا تنوعت الحضارات وتعددت المنشآت المائية تبعا للثقافات المختلفة والقدرة التقنية الناجمة عن المهارات المختلفة من بقعة إلى أخرى.

وبالطبع في هذا البحث البسيط لا يمكن أن أعطي ولو نبذة بسيطة عن المنشآت المائية المختلفة في الوطن العربي... بل ولا حتى في الجماهيرية نفسها.. ولكن سأكتفي بأخذ بعض النماذج عن التقنيات المختلفة التي أرى أنها تكون جديرة بان يسلط عليها الضوء أكثر من غيرها ولا اسهب في الكلام عن الأشياء المدروسة لعدم الجدوى بل ساكتفي بالاشارة فقط.

الصهاريج :

الصهاريج أبنية تحفر في الأرض أو تبنى بجدران والغرض منها حفظ المياه لاستغمالها لاحقا، وقد تنوعت من حيث الصنعة والحجم والغرض فعملت صهاريج للمدن تختلف عن الصهاريج المستعملة لغرض الزراعة وان كان الغرض هو حفظ المياه،... وقد لاحظنا في الكثير من الصهاريج المبالغة في استعمال الحجارة الكبيرة كما في الصفصاف بالقرب من مدينة البيضاء حيث جمال التعشيق بالنسبة للحجارة والقفل بطريقة مفتاح الزاوية على طول الصهاريج.. كما ان صهاريج توكرة وطلميتة تخدمان نفس الغرض ولكن ساكتفي بإلقاء الضوء على صهريج طلميتة.

الصهاريج بطلميتة :

مبنى كبير جدا ومعقد من حيث الهندسة على مساحة تقدر بحوالي 70,60 x 65,85 وقد عمل بالطريقة التقليدية كمبنى من المباني رذات الأروقة مع استعمال الحجارة الكبيرة في الدعامات والأعمدة الايونية كما عمل له مدخل رباعي بأعمدة دوية، ويمكن أن تصل اليه المياه من أعلى السطح بالانسياب الطبيعي السطحي أو عن طريق قناة موصلة اليه من الجنوب الشرقي - بينما يبقى الصهريج من الداخل على شكل غرف مسقوفة بطريقة القبوات المصطبة العليا للصهاريج مبلطة ومحاطة بأعمدة من الجهات الجنوبية الشرقية والغربية مع مدخل رباعي من الناحية الشمالية.

والصهاريج نفسها بقدرة تخزينية هائلة حيث نرى أن مربع الصهاريج مقسم إلى ثلاثة أقسام في الوسط يحوي تسع غرف معمولة بشكل قيوات طويلة من الشرق إلى الغرب بطول 19 متر وعرض ثلاثة أمتار. بينما الثلثين الأخيرين على جانبي القسم السابق كل منهما يحوى أربع مربعات نتيجة بعكس المربع السابق الذي في الوسط حيث نرى أن امتداداتها من الشمال إلى الجنوب وهي مقسمة إلى ثماني مربعات طول كل مربع أو غرفة 52 متر وعرضها 3،5 متر - ويتراوح العمق من 11 إلى 12 متر من القمة عند الفتحات إلى سطح الأرض - وقد استمرت الصهاريج في عملها حتى بالرغم من حدوث الزلزال الكبير عام 365 (11)، فانها بقيت تعمل حتى نهاية العهد البيزنطي - وقد لوحظ من أيام الطليان عندما قاموا بفحص جسر صفيز على وادي زيوانة وجود قناة تغذى الصهاريج آتية من الشرق - حيث ارتفاع الجسر 34،70 فوق سطح البحر بينما مربع الصهاريج 25،30 فوق سطح البحر.

وقد عملت الصهاريج بشكل قيوات مطلية بملاطك معمول من خليط من الحجارة الصغيرة مع معجون المياه المدششة. ويمكن الاستفادة من المعلومات عن الصهاريج بطلميتة بالقاء نظرة على الدراسة المقدمة من جامعة شيكاغو أثناء حفرياتها بطلميتة [1].

قناة طلميثة :

ان فكرة توصيل المياه من عين حيون لطميثة بمسافة تقدر بحوالي 24 كيلومتر أوجددتها قلة الموارد المائية بالمنطقة وكبر حجم المدينة وكثافة سكانها - وقناة طلميثة كغيرها من القنوات من حيث الصنعة بطلميثة لانها تفوقها بطول المسافة من المنبع بحيون إلى الصهاريج بطلميثة كما ان القناة تعترضها العديد من الأودية في طريقها الأمر الذي جعل الجسور هي الوسيلة الوحيدة لضمان سير القناة وقد اقيمت دراسة في السابق لتتبع مجرى القناة من المنبع إلى الصهاريج [2] حيث اثبتت ان المجرى الاسمنتي للقناطر يبتدي فعلا من وادي حيون وتبعته حتى الصهاريج بطلميثة مرورا بالعديد من الأودية مثل وادي المرايي. ثم وادي الملكة ووادي الرمان، ثم تختفي كذلك تمر بوادي الحنية ووادي شقلوف، ثم تظهر الآثار مرة أخرى بوادي الصومعة

Ptolemais City of the Libyan Carl. H. Kraeling Pentopolis - University of Chicago (1) 1962 p. 54.

(2) قام بالدراسة الأستاذ عبد السلام بازامة والأستاذ كريس آرثر ونشرت بالمجلد الحادي عشر والثاني عشر عمل ليبيا القديمة 1974-1975.

وبعده إلى وادي زيوانة الذي به الجسر الواضح حتى اليوم - كما ان الدارسين لم يحدد بالضبط هوية البناء الذي واضح أنه من العهد الروماني كما يشيران الى أن القناة لا تبدأ بعين حيون ولكن تبدأ من الوادي فوق العين.

المهم ان القناة تعتبر من الأعمال الجيدة من حيث الصناعة والبناء كما ان طرق هندستها والمواد المستعملة بها تتفق مع آراء فتروقيوس في الصنعة الذي يورد الكثير من الآراء كاضافة الرماد بعد البناء لسد الثغيرات التي قد تحدث بالقنوات أو الخلطة الجيدة التي يمكن أن تجعل حتى للماء طعما مميزا وغيرها من الآراء التي ذكرها كالتقنيات الخاصة برفع المياه وسرعة اندفاع المياه عند مرورها بالوديان والرصف التحتى للقنوات والخلطات المستعملة فيه، والنكهة الخاصة لو ان المياه تمر عبر أنابيب صلصالية أو قنوات محكمة الغطاء[3].

كما ان توصيل المياه من أماكن بعيدة ربما يكون تبعا لأفكار فتروفيوس الذي يوصي باستغلال المياه كمصدر اقتصادي حيث تجلب من بعيد عبر قنوات وتوضع في خزانات تحكم وتكون حاجة خاضعة لأوامر الدولة التي تستغلها اقتصاديا لرفع ميزانيتها عبر تقسيماته المشهورة من مياه للأفراد ومياه خاصة ومياه تخدم أغراض الدولة الأخرى[4].

هذا يمكن أن يعطي قناة طلميثة ولو المزيد من التوضيح لمن لم يتمكن من زيارتها أو القراءة عنها كما يمكنان يوضح ان تغذية الخزانات بطلميثة ربما يكون لغرض اقتصادي لرفع موازنة الدولة باتثمارها اقتصاديا.

جدران الأودية :

ان قدم استعمال جدرات الأودية "قدم الحضارة نفسها وكانت تعمل بطريق نادرة ومتقنة وتتلائم مع جميع الأغراض المعمولة من أجلها" ومن القرن الأول الميلادي، بدأت تتطور تبعا للظروف وتتكيف مع تقلبات المناخ.. ويقع تحت هذا الاسم كل الجدران الموجودة بالأرض الزراعية وعلى سفوح الجبال والجدران القاطعة للأودية وكذلك السدود البسيطة. ويمكن تقسيم الأنواع الموجودة عندنا إلى عدة أنواع منها :

---

(3) Vitruvius. the ten books on Architecters Translated by H. Morgan 1914, p. 244-246

(4) Vitruvius the Sun

1) سدود بسيطة تعمل للاحتفاظ ببعض المياه لاستعمالها لاحقا ولفترة ليست طويلة وتكون مدعمة بحجارة كبيرة تصل إلى مترين طولا ومتر عرضا وارتفاع. . . وغالبا ما تبنى في روافد الأودية الكبيرة وتكون متصلة بجانبي الرافد وتحجر كمية من المياه تستعمل لري الحيوانات والزراعة بالوادي الكبير.

وفي وادي العامرة إلى الشرق من مدينة سرت بحوالي 60 كيلومتر أحسن مثال على تلك السدود البسيطة التي تتغذى من المياه الموجهة اليها عن طريق جدران توجيه توصل كل نقطة من مياه الأمطار داخل منطقة جذب المياه بالسفوح وتوجيهها خلف السد حتى يمكن الاستفادة منها فيما بعد.

2) سدود لمنع التربة من الانجراف المائي وهذه تعمل عادة وسط الوادي وتقطعة حتى الجهة الأخرى وهي عبارة عن جدران حجرية كبيرة تسمح بترسبات ورائها وبذلك تحافظ على الأرض الزراعية من الانجراف وتساعد على توازن في الري بتوحيد منسوب التربة.

3) جدران جانبية على طول الوادي، وعادة تكون أسفل السفح وهي مهمة جدا وتعمل بحجارة كبيرة وتكمن اهميتها في أنها تتمتع تساقط الحجارة الكبيرة من سفح الجبل. . وتحجزها إلى حين يمكن التقاطها واستعمالها. . وتعلم ان الوادي عندما تجرى مياهه بقوة يكون مدمرا اذا كانت به حجارة حيث تدمر كل شيء في طريقها. ويمكن تهدئة المياه وتوجيهها كانت خالية من الحجارة وهذه الجدران توجد بوادي منصور شمال مدينة بني وليد ومعظم أودية المنطقة الغربية مثل نفد وعجرم وغبين كذلك بوادي العامرة وهراوة بالمنطقة الوسطى.

4) جدران توجيهية: وهذه الجدران هي أساس النظام المائي كله حيث لابد من توجيه المياه إلى مناطق معينة وتستعمل لهذا الغرض جدران تصد المياه، وتعمل على توجيهها. . والتوجيه عادة اما ان يكون من منحدر مائي الى صهريج كبير يحفظ المياه أو أن يكون الى أرض في حالة تقسيم مناطق جذب المياه عندها نرى أن كل مزرعة صغيرة لا بد أن تستفيد من منطقة جذبها وتضمن وصول المياه اليها ومن أمثلة هذا النظام نظام الري في أعالي وادي العامرة جنوب الطريق الساحلي بحوالي 30 كيلومتر بمنطقة سرت ووادي اهراوة.

5) بعض الاحيان نرى ان جدران توجيه المياه تعمل بشكل قنوات وهذا ربما لكون منطقة جدب المياه من المنحدر وتوجيد بها بعض الحجارة التي يخشى من أنها تغلق المجرى وتوجد بها فتحات تسمح بانسياب الماء اليها وفتحات أخرى تسمح بخروج الماء منها تحت التحكم.

6) جدران الحدود: وهي عادة تكون مربعة وتستعمل في قاع الوادي والغرض منها قسمة الأرض بين المنتفعين وتكون مفتوحة من جهة واحدة أو جزء من الجهة، بالقرب من جدار توجيه الماء لتسمح بدخول الماء من المنحدر إلى المزرعة وغالبا ما تكون هذه الجدران مبنية بطريقة منظمة وأحيانا تبرز على السطح، وأمثلتها كل التقسيمات الزراعية في وادي ميمون ووادي غبين قرب مدينة بني وليد.

7) جدران تقطع التل من الأسفل إلى الأعلى وتقطع أيضا جدران توجيه الماء الأسفل، وهذه الغرض منها حجز كمية معينة من الماء عند المجرى الطبيعي لها واجبارها لتغيير مسرها لمزرعة معينة وعلى هذا الأساس يمكن أن نصنفها على أنها جدران توجيهية ولكن بطريقة مختلفة.

8) جدرات تعويقية: ومهمتها تهدئة المياه الشديدة السرعة وهذه غالبا ما تكون في الأودية ذات المجرى الفسيح وهذه تكون طويلة أي على طول الوادي في الوسط أي في إحدى الجهات التي تكون بها السرعة كبيرة وتقسم مجرى الوادي إلى جزئين وبذلك تحطم قوة جريانه وتصل إلى الموقع المراد وهي بحالة هادئة جدا وأورد مثلين أحدهما من الشرق بالقرب من مدينة المرج والآخر من الغرب بوادي منصور بالقرب من بني وليد.

أما المثل الأول فهو سد قديم بالقرب من مقبرة سيدي سليم جنوب مدينة المرج بحوالي 8كيلومتر، عن طريق جردس.

هذا السد عمل بحجارة كبيرة جدا وكن الغرض منه حفظ التربة ومنعها من الانجراف في منطقة حجرية بها اندفاعات مائية سريعة. إن كبر هذا السد وكبر حجارته التي تتجاوز المترين طولا وأكثر من متر في العرض والارتفاع كان سبب صموده حتى الآن التحكم في المياه عن طريق السدود التعويقية الطويلة التي تعمل على تهدئة المياه حيث تصل السد الكبير وهي بطيئة الجريان.

وعندما رممت السدود التعويقية أو استعملت بدلا منها سدود حديثة كبيرة الحجم وكثيرة الحجارة ملفوفة بأسلاك حديدية لزيادة تقويتها ولكن لم تعمل على أساس أنها مهدئة للمياه بنفس الطريقة السابقة في قسمة الوادي إلى أجزاء للتحكم في اندفاع المياه عندها نرى أن المياه دمرت كل السدود الحديثة الأربعة وأحدثت ضررا بسيطا بالسد الكبير نتيجة وصول المياه اليه وهي بحالة هيجان واندفاع شديد.

إن هذا المثل يعطينا الدليل على أن العقلية القديمة في دراسة المياه والتعامل معها والتحكم فيها هي أقرب إلى الصواب من الدراسات الهندسية الحديثة التي تعتبر هذا المثال دليلا عن فشلها.

أما المثل الثاني فهو من مزرعة مقامة بقعر الوادي في وادي منصور بمنطقة بني وليد، إن عمل المزرعة في قاع الوادي في وقت كانت فيه المياه شديدة التدفق عندما نحسب الصهاريج الخمس المقامة على سفح الجبل فوق بعضها والتي تصل اليها المياه من منطقة جذب فوق الوادي ولكنها ليست كبيرة لا تتناسب مع كبر الصهاريج التي تصل الى x5x8+ مترا وأحيانا أكثر، إن عمل المزرعة في قاع الوادي يجعل المهندس الذي أنشأها مطمئن على سلامة نظرياته في سدود التوجيه والتهدئة للمياه المتدفقة بالوادي حيث تتم في النهاية قسمتها الى نصفين تمران بجانبي المزرعة يمينا ويسارا، نتيجة لتكسير حدة جريان الوادي بسدود التهدئة الطويلة والتي لم يتبقى منها إلا بعض الحجارة البارزة ولكن ما زالت تؤدي نفس الغرض.

هذا قد يكون قد ألقى بعض الضوء على الجدران الموجودة في المناطق الزراعية والتي تخدم أغراض مختلفة ولكن لم يسلط عليها الضوء بما فيه الكفاية حتى في الدراسات التي قامت بها البعثات الأجنبية في مشروع الوديان لم تعطها حقها من الدراسة الدقيقة وتبرز أهدافها وأغراضها.

الآبار :

كما سبق أن نوهنا في مقدمة هذا البحث عن أن المياه التي تتسرب إلى جوف الأرض يمكن أن تخرج ثانية نتيجة للعيون والينابيع ولكن في حالة عدم خروجها التلقائي إضطر القدماء إلى حفر الآبار للتزود بالمياه وقد كانت الآبار العميقة آية في فن المعمار من حيث الرصف الجيد لجوانب البئر بحجارة متساوية. إن عمق الآبار

القديمة يذكرنا بما يقوله فتروفيوس عن الآبار وعن التربة والغازات والمواد والعناصر التي تتفاعل مع الهواء والتي تحدث اختناقا للعاملين بالحفر يؤدي الى الوفاة إن لم يسرع بالهرب وذلك لوجود الزفت والسلفور Sulphur والأليوم Alum وهو بحديثه هذا ينبه عن الاحتياطات الواجب عملها في حفر الآبار وذلك بالنزول بمصباح مضاء ويمكن العمل طالما أن المصباح ما زال ينير، وفي حالة إخماده عندها لا بد للعامل من النجاة بحياته(5).

إن انتشار الآبار في كل مناطق الجماهيرية يدل على انتشار الناس منذ القدم، ويمكن أن تبرز بعض الآبار مثل بئر السويدية بالقرب من سرت، والهمالية، ومنطقة المجدوبية بوادي تلال والتي تكثر فيها الأسس المعمارية والجدران المختلفة الأغراض حيث توضح لنا بأنها مستوطنة قديمة بها كافت المقومات للزراعة الشتوية وكذلك الآبار العميقة والصهاريج لاستمرار المعيشة صيفا.

كما إن بعض الظواهر الطبيعية والتي تجعل من الأرض تغور في مكان نتيجة لانكسار هائل في القشرة الأرضية كثيرا ما تنتهي بتدفق ماء ولكن يكون بعيدا ويستغل متى عرفت الطرق اليه. هذه الظاهرة مثلا في عين المزراق بالقرب من وادي سوف الجين هوة عميقة وغزيرة المياه وطولها يتجاوز ال 100 متر ووجدنا لاثار لمدار ست جمال بست اتجاهات لتجذب المياه من قعر البئر في وقت واحد لجميع الاتجاهات.

كذلك ظاهرة أخرى جنوب المرج وما يعرف بالدولينا وهي صفره غائرة كما في عين المزارق وكانت في الماضي تستعمل أيضا في الزراعة والري بنفس الطريقة في عين المزراق ولكنها الآن خالية من المياه نتيجة الردم الطبيعي البشري.

أيضا يمكن دراسة ظاهرة أخرى تسمى بظاهرة الجوابي وهي طريقة قديمة جدا لجمع كميات من المياه سوى عن طريق الأمطار أو عن طريق جذب المياه من بئر قديمة.

إن جابية أسكوت بمنطقة سرت دليلا على أن الجابية عاملا من عومل الزراعة القديمة وغزارة الفخار الروماني والمحلي لأبلغ دليل على قدم هذا الموقع واستعمالات الجابية في أغراض زراعية كما أن جابية أسكوت لكبر حجمها تدل على غزارة في المياه ودوام في الاستعمال لفترات كثيرة.

V.T. Puvws. The Sam. p. 247 (5)

إن النظم الزراعيـة القديمة المتكملة والقائمـة على الجابية والصـهريج وسدود التوجـيه هي السائدة في فترات قديمة ومعاصرة ولكن نرى استعمالات قديمة جدا من القرن الأول الميـلادي عند موقع بنت حـديدة شرقي سـرت بحوالي 20 كـيلومتـر، كذلك في مـوقع المجدوبية إلى الجنوب من أبى هادي حيث السدود الكثـيرة والجدران المتنوعة، كذلك بئر السويدية، وأيضا المنطقة المحيطة وطرق الزراعة المختلفة فيها، وهي تشابه مع منطقة يوزا أهيه. والتلاتيم بوادي احنيوة ومنطقة الرومية شرقي سرت بحوالي 20 كيلومتر.

وفي النهاية أحب أن أوضح أن السياسات المائية منذ القدم درجت على استقطاب كل نقطة مطر وتحويلها الى إنتاج عـن طريق توجيهها إلى صهاريج للحفظ و قـيام الحضارات لا بد له من توافـر الدعم المائي ولا حضارة بلا مـاء ومن هنا كان لزامـا علينا ونحن نبنى حضـارة جديدة بأن نفكر في خلق مـشروع عظيم ينقل ميـاه السرير إلى الأرض الخصـبة لاثرائها. فكن مشـروع النهر الصناعي العظيم الذي سيكون حتمـا هو أعظم مشروع نقل للمياه عرفته الانسانية حتى الآن لكبر أنابيبه وطول مساراته ودقة تقنياته.

مصادر المياه والنشاط الزراعي
في إقليم المدن الثلاث

د. سعيد علي حامد(*)

مقدمـة

إن اسم ليبيـا يعتـبر من الأسـماء الجغـرافيـة التي اسـتخدمت منـذ أقدم العـصور التاريخية، وقد أشارت الكتابات والنصـوص المصرية القديمة منذ أكثر من أربعة آلاف سنة مضت إلى أن المناطق الواقعة إلى الغرب من مصـر كانت موطنا لعدد من القبائل الليبية التي عرفت في تاريخ مصر الفرعونية ومنها قبائل الليبو والتحنو والمشواش.

وقد أطلق اليونان اسم ليبيا على المنطقة التي تقـع في شمال القارة الافريقية ما بين نهـر النيل فـي الشـرق والمحـيط الأطلسي في الغـرب، وقـد ترك لنـا المؤرخ اليـوناني هيردوث في القرن الخامس قبل الميلاد وصفا مفصـلا لهذه المنطقة من حيث جغرافيتها الطبيعـية وعناصر سكانها وتنظيمـهم القبلي ومظاهر حياتهم، وقـسم هيردوث العالم إلى ثلاث قارات هي: ليـبيا وآسـيا وأوربا وتبعـه في ذلك بعض الجغـرافيين المسلمين ومنهم البيروني الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أطلق الرومان بـعد سيطرتهم على ليـبيا بمدلولها الجغرافي الـقديم إسم أفريكا في القرن الثاني قـبل الميلاد. ومن ثم أصبح هذا الاسم يطلق على المنطقـة الغربية من ليبيا وحتى المحيط الأطلسي.

لما افتـتح العرب المسلمون مـدينة طرابلس سنة 23هـ/ 643م. بقيادة القـائد العربي عـمرو بن العـاص، سـار إلى مدينة شـروس عـاصمـة جبل نـفوسـة في ذلك الوقت

(*) رئيس قسم البحوث التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية

فافتتحها وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة كتابا جاء فيه (إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبينا افريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها على يديه فعل) ومن هنا فإن المسلمين أطلقوا على المناطق التي تقع إلى الغرب من منطقة طرابلس إسم آفريقية ولم يكن إسم ليبيا مستخدما بين العرب المسلمين بل كان من المألوف بينهم استخدام إسمي (برقه) و(طرابلس) وذلك على الرغم من إن الأقليمين كانا في معظم أدوار تاريخهما الإسلامي مستخدمين تحت حكومة واحدة. وكانوا في بعض الأحيان يستخدمون كلمة طرابلس وحدها للدلالة على الاقليمين معا.

إن استعمال إسم ليبيا بمدلوله كان في سنة 1903 عندما استخدمه أحد الكتاب الايطاليين كعنوان لفهرس أثبتت فيه المراجع التي نشرت عن البلاد. أما أول مرة يسجل فيها الإسم في مجال السياسة الدولي الحديث فكانت في الوثيقة التي أعلنت بها ايطاليا سيادتها على البلاد في سنة 1912 "[1].

وقد لعب الموقع الجغرافي للبلاد الذي يمتد من جنوب البحر الأبيض المتوسط من عند خط عرض33° شمالا ويتوغل في جنوب القارة الافريقية إلى خط عرض 18+5° دورا خطيرا في تاريخها السياسي، وتطورها البشري، وموقعها هذا جعلها شديدة الحساسية لكل ما يحدث على شواطئ البحر الأبيض المتوسط من أحداث وتطورات.

أما بالنسبة لمناخ البلاد فإنها تخضع في جملتها للمناخ الصحراوي ولا يستثنى من ذلك إلا الشريط الساحلي الضيق الذي يمتد على طول البحر الأبيض المتوسط. ومن الواضح أن الظروف التي أدت إلى وجود الصحراء الكبرى هي نفس الظروف التي لعبت الدور الرئيسي في مناخ القسم الأكبر من ليبيا ومن أهمها موقع البلاد في العروض المدارية داخل الكتلة اليابسة الكبرى التي يتكون منها العالم القديم ثم وقوعها في معظم شهور السنة في مهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية وهي رياح جافة بطبيعتها بسبب هبوبها من مناطق يابسة قليلة الحرارة نسبيا وعدم إتساع البحر الأبيض المتوسط إتساعا يكفي لتحميلها بكميات كافية من بخار الماء. إن المناخ الصحراوي الذي ساد معظم البلاد كان له تأثير كبير في حياة السكان وأجبر الكثير منهم على التنقل والترحال طلبا للماء والكلأ لقطعانهم وتمثلت حياة الإستقرار في مدن الشريط الساحلي الذي يتمتع بظروف ملائمة للإستقرار.

---

(1) انظر عبد العزيز طريح شرف. جغرافية ليبيا، طبعة 1963 ص 4 .

ولكن هل كانت الظروف المناخية للصحراء الكبرى في العصور الجيولوجية (الزمن الثالث) مشابهة للظروف المناخية في هذا الوقت؟

إن الجيولوجيين لم يتفقوا على رأي موحد بشأنها فمنهم من قال إن مناخ هذه الصحراء كان في ذلك الزمن مشابها لما هو عليه الآن من جفاف. بينما يرى البعض الآخر أن الصحراء كانت على العكس من ذلك غزيرة الأمطار أما حالة الجفاف التي تسودها حاليا فليست إلا ظاهرة حديثة نسبيا. ولكن هناك إتفاقا بين العلماء على أن المنطقة التي تشملها الصحراء الكبرى في الوقت الحاضر أو على الأقل القسم الأكبر منها كانت خلال الزمن الجيولوجي الرابع غزيرة الأمطار وكان من نتيجة ذلك أن حفرت المياه في سطحها عددا من الوديان النهرية التي ما زالت بقايا كثير منها موجودة إلى الآن حيث تشتهر باسم الوديان الجافة.

وقد أشار الكثير من المؤرخين القدامى ومنهم هيردوث الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (+8 ق.م. - 25+ ق.م.) بأن الكثير من المناطق ومنها منطقة "تل الحسان أي مسلاته (Hill of the Graces) مكسو بالأشجار كما ذكر سترابو (58 ق.م. - 21م) وجود غابة بأعالي تل مصراته (Cephate) وغالبا ما كانت تلك المناطق المشجرة معرضة إلى أمطار أغزر كما أن انهيار التربة وتسرب المياه كان أبطأ في تلك العصور. ولكن ما ذكره بعض المؤرخين يجعلنا نتردد في قبول تعميم هذا الرأي دون قيد. فهير دونس مثلا، بعد أن ذكر خصوبة تل الحسان بادر بقوله أنها حالة إستثنائية في أرض قاحلة جدباء ليس بها أشجار. كذلك يحدثنا سالوست عن الصحارى التي تفصل بين لبدة وتونس وبرقة"(2).

ويمكننا الإستعانة بالرسوم الصخرية التي وجدت في كثير من أنحاء ليبيا، على ضفاف الكثير من الأودية لإثبات النظرية القائلة بأن الصحراء الكبرى وحافتها الشمالية كانت في العصور القديمة وفيرة الأمطار فوجود بعض رسومات الحيوانات مثل الفيلة والبقر والزراف والتماسيح والنعام والقرود... الخ في مناطق جبال الأكاكوس جنوب غرب البلاد ومنطقة متخندوش وجبل بن غنيمه والعوينات وغيرها تؤكد أن المناطق الداخلية من ليبيا كانت قديما وفيرة المياه ومكسوة بالنباتات الملائمة

(2) هينز. أثار طرابلس الغرب - ترجمة عدلية مياس. منشورات مصلحة الأثار الليبية ص 3 .

لمعيشة مثل هذه الحيوانات التي انقرضت فيما بعد من تلك المناطق. بينما استمر النطاق الساحلي زاخرا بالحياة لوفرة الأمطار به ويدل على ذلك وجود القطعان الكبيرة من المواشي التي كانت تعيش به. وما ذكره المؤرخون من أن حكام مصر الفراعنة كانوا يعودون من حروبهم مع القبائل التي تسكن غرب مصر بأعداد كبيرة من الأسرى والمواشي ويبدو أن الأرقام التي تذكر بها بعض المبالغة ومع ذلك فإنها تدل دلالة واضحة على غنى المنطقة بالمواشي.

إن موضوع التغيرات المناخية قد أخذ يجتذب في الوقت الراهن إهتمام الباحثين ويذكر غوتييه في كتابه ماضي شمال افريقية بانه " ما من شيء على سطح الكرة الأرضية أكثر تغييرا من المناخ ولكن ذاكرة البشر لم تستيقظ إلا في وقت متأخر؟ ثم إن عمر الإنسان قصير إلى حد أن التاريخ لم يسجل حتى الآن أي تغير مناخي حتى ولا على شواطئ المتوسط حيث نشأ العلم أو في الصحراء الكبرى أو في مصر التي وجدنا فيها أثارًا غرانيتيّة ورخامية تعود لستة آلاف سنة "[3] ويشير غوتييه إلى أن هناك العديد من النصوص والأثار القديمة التي تحدثنا عن آفريقيا الرومانية لم تدفعه تلك المعلومات إلى الإعتقاد بتبدل المناخ. أما غودي Goudie فإنه يرى بأن الفترة «الممتدة بين 000 40 و 000 30 ق.م. كان المناخ أكثر رطوبة مما هو عليه في الفترة الممتدة منذ ذلك التاريخ وحتى 000 10 قبل الميلاد وإن الجفاف الحالي لم يكن موجودا حتى 2000 سنة ق.م. "[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعلومات المتوفرة التي سبقت مجيء الكنعانيين (الفينيقيين) لمنطقة طرابلس قليلة فالمصادر التاريخية لم تسعفنا بشيء عن التراث المادي للقبائل الليبية ولم يكتشف شيء خلال المسح الأثري لـلمنطقة الذي قامت به اليونسكو بالتعاون مع مصلحة الآثار الليبية. وهذا ليس بالمستغرب فالإحتمال الأرجح هو أن سكان المنطقة كانوا عبارة عن قبائل بدوية تعيش في الخيام الأمر الذي لا يترك للآثاريين سوى القليل يجدون فيما بعد"[5].

(3) غوتييه. ماضي شمال افريقية. طرابلس : دار نشر الفرجاني - سنة 1970 م.
(4) مجموعة من الباحثين البريطانيين. الإستيطان والنشاط الزراعي القديم. ص 15 .
(5) المرجع السابق. ص 14 .

الإستيطان الكنعاني لمنطقة طرابلس :

من المعلوم ان اهتمام الكنعانيين (الفنيقيين) قد انصب على المحطات التجارية التي أسسوها على ساحل البحر منذ الألف الأولى قبل الميلاد وكانت هذه عبارة عن مراكز يتم فيها تبادل السلع بينهم وبين سكان المنطقة، ولكن بعد أن نمت تلك المراكز وغدت مدنا مزدهرة كصبراته وأويا (طرابلس) ولبدة استوطنوا بها، وقد دلت الحفريات الأثرية التي أجريت تحت مسرح لبدة الأثري على الإستيطان المبكر للكنعانيين بها، وقد تركز إهتمامهم على التجارة والطرق التجارية التي تربطهم بأواسط افريقيا، كما اهتموا بالزراعة وأدخلوا بعض الأشجار التي لم تكن تزرع بالمنطقة.

إن المكتشفات الأثرية المتعلقة بالمصادر المائية في تلك الفترة شحيحة مما لا يمكننا من وضع تصور كاف لإستغلال المياه، وبالطبع فإن الإهتمام بالمصادر المائية فلا زراعة بدون مياه. وذلك أقام الكنعانيون السدود وحفروا الصهاريج للإستفادة من مياه الأمطار، ويمكن الإستدلال على ذلك من المؤرخ استرابو Strabo الذي أشار إلى وجود سد فنيقي على مصب وادي كعام إلى الشرق من لبده، ولعل الرومان استكملوا المشروعات الفنيقية المتعلقة بالتحكم في المياه في مرحلة لاحقة مما أخفى الأعمال الفنيقية ونسبت فيما بعد إلى الرومان.

شهدت سنة 1+6ق.م. مأساة زوال قرطاجة الفنيقية من عالم الوجود وتسوية أرضها وزراعتها ملحا على يد الغزاة الرومان حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد. ويمكن أن نعتبر ذلك التاريخ 1+6 ق.م. بداية النفوذ الروماني في منطقة المدن الثلاث، ثم عقدت معاهدة صداقة وتحالف بين روما ومدينة لبده سنة 111ق.م. وفي سنة 106 ق.م. تمركزت أول قوة رومانية بالمنطقة وكانت بمدينة لبده.

ومنذ مطلع القرن الأول ق.م. أصبح اقليم المدن الثلاث يتمتع باستقلال رسمي تحت الحماية الرومانية وما أن حلت سنة 46 ق.م. حتى أصبح خاضعا كليا للإستعمار الروماني.

الإستعمار الروماني ومصادر المياه:

تسعفنا المصادر التاريخية والأثرية بمعلومات هامة عن أساليب التحكم في المياه واستغلالها الإستغلال الأمثل في فترة الإستعمار الروماني لمنطقة طرابلس، وخاصة

أن الرومان توغلوا في المناطق الداخلية لشمال افريقية عامة وقد أوضح المسح الجوي الذي قام به الكولونيل الفرنسي جان برادايز للمناطق الجنوبية من الصحراء الجزائرية بين سنتي 1946-1949 م أوضح لأول مرة مدى ما كان عليه التنظيم الروماني العسكري الذي على حدود تلك الصحراء.

فلقد اهتم الرومان بتلك المناطق الواقعة على الحافة الشمالية للصحراء الكبرى وأنشأوا بها القصور والمزارع المحصنة والأبراج ومراكز المراقبة فضلا عن الطرقات. ان هذه الأعمال كما يذكر جيمس ويللارد " لم يضطلع بها الرومان فقط من أجل صد بدو الصحراء على مهاجمة المدن الكبرى المزدهرة في افريقيا التابعة للإدارة القنصلية بل لتمهيد السبيل من أجل إسكان عدد كبير من المزارعين "[6].

وعلى الرغم من أن أحدا لا يعرف على وجه الدقة ما الذي حمل الرومان على تجشيم أنفسهم مشاق إستيطان الصحراء رغم عدم تعودهم على ظروفها " إلا أن أقرب نظرية للقبول تلك التي تقول أن روما منذ عهد أغسطس كانت في حاجة ماسة إلى مصدر جديد للمؤن لتطعم مدنها المزدحمة بالسكان ولتطعم الآلاف المؤلفة من الجماهير الايطالية التي أخذت تهجر الأرياف وتتكدس في روما للتغذي وتشهد السيرك على حساب الإمبراطورية ولهذا فإن الرومان وجهوا أنظارهم لإستغلال شمال افريقيا بسواحلها وصحاريها في محاولة لتحويلها إلى اهراء لروما ومن ورائها إيطاليا "[7].

من المعلوم أن الجزء المفضل للإستيطان في منطقة طرابلس كان ينحصر بصورة تقليدية في السهل الساحلي الذي تتوفر فيه المياه بشكل جيد وفي التلال الكلسية المجاورة لمرتفعات ترهونه وجنوبا حتى مدينة بني وليد إذ أن معدل سقوط الأمطار في هذه المنطقة يصل إلى 200 ملم سنويا وهذه الكمية تعتبر الحد الأدنى لقيام زراعة مستقرة دون الحاجة إلى ري ونلاحظ هنا أن مستوطنات ما قبل التاريخ والطرق الزراعية التي اتسمت بها المنطقة تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد. أما خلال الفترة الرومانية فقد ازدهرت المدن الساحلية مثل صبراته ولبده بفضل المزارع المزدهرة في السهل والجبل كما تميزت المنطقة بالسكن المكثف خلال الفترة الإسلامية[8].

---

(6) جيمس ويللارد. الصحراء الكبرى ـ طرابلس : مكتبة الفرجاني، ط. أولى 197 ص 116

(7) عبد اللطيف البرغوثي : التاريخ الليبي القديم، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى 1971 ص 371

(8) ج. باركر وآخرون، تقرير عن مشروع مسح الأودية الليبية ص 2-3

وتتغير الظروف المناخية بسرعة جنوب بني وليد فتشح مصادر المياه ويغلب مناخ الأقاليم الصحراوي عليها حتى إن الرحالة بارث (1857) وصف الأراضي في هضبة مادون الصحراوي بأنها أشبه بسطح مقفر وتقوم أودية سوف الجين وزمزم بشطر هذه الهضبة.

والأودية في هذه المنطقة عبارة عن أحواض ضخمة مملوءة بطبقات من الحصى الغريني وكثبان رملية شكلتها الرياح تتميز بصعوبة شكلها، فهي عبارة عن خنادق ضيقة مغطاة بطبقات طينية رملية خلفتها الفيضانات ونقل نسبة هطول الأمطار بسرعة جنوب بني وليد حتى تصل إلى 25ملم في قرزه(9).

إن الجفاف الذي يتزايد كلما إتجهنا جنوبا بداية من الساحل الليبي كان ولا يزال عاملا رئيسيا في التحكم في الانتاجية الزراعية هناك وقد أسفرت التنقيبات التي أجريت في خمسة مواقع عميقة في أرضية الوادي على إنه لا يوجد دليل واحد يشير بوضوح إلى ظروف أكثر رطوبة أو جفاف مما هو سائد في المناطق ذات العلاقة في الوقت الحاضر . . . ولم نجد أي دليل إلى الآن يجعلنا نؤكد بأن النشاط الزراعي في الماضي قد تبدل بشكل ملحوظ. وإن المناخ المحلي هناك أو جريان المياه قد طرأ عليهما أي تبديل "(10).

لقد حاول سكان المنطقة خلال القرون الأولى للميلاد استغلال كل قطرة مياه للاستفادة منها في نشاطهم الزراعي والرعوي، وقد عثر عند التجمعات السكنية الكبيرة للمواقع الليبية الرومانية بمحاذاة الأودية الضيقة التي يبلغ عرض أوسعها 500 متر على جدران مشيدة من حجارة متراكمة عبر أرضية مجرى الوادي وعلى طول ضفافه. ومن الملاحظ أن هذه النوعية من الجدران تكثر في تلك المواقع فيما تقع على الهضاب المطلة على الأودية. وقد صممت هذه الجدران لتجعل المياه تصب في الأحواض أو تسير نحو الأسفل عبر أرضية الوادي أو تتصدى لإنجراف التربة وتحول دون تبدد المياه.

وقد زودنا مسح الأودية الليبية بنتائج مهمة مفادها إنه قد حدث توسع كبير في النظام الزراعي ووجود منظومة متطورة تتحكم في المياه والتربة تتركز على دراية مفصلة أخذت من ملاحظة جريان المياه، وكان الغرض الرئيسي لهذه المنظومة هو توجيه مياه الأمطار التي تهطل على الهضاب المجاورة على مساحات شاسعة إلى

(9) مصلحة الآثار، تقرير عن مشروع الأودية الليبية ص 9 .
(10) المرجع السابق، ص 9 .

مناطق محصورة ببطن الوادي ويتم هناك إبطاء سرعة جريان الماء بواسطة سلسلة من الجدران العريضة فتعمل على ري التربة قدر الإمكان وترسيب الطمي في الأراضي التي تستغل زراعيا. وكان المزارعون في تلك الفترة يفضلون إستغلال الأودية الضيقة والتي تحيط بها عدة شعاب وتتمتع بضفاف مائلة عوضا عن الضفاف الشديدة الإنحدار وقد وفر ذلك ميزتين:

الأولى : حصر أكبر كمية من المياه ووضعها تحت منظومة التحكم.

الثانية: إنها أمنت أفضل طريقة للسيطرة على المياه دون حدوث سيول جارفة تنحدر إلى الأودية مع ما يترتب عليها من أضرار.

ومع ذلك فإن المياه كان من النادر أن يسمح لها بالتدفق كلية إلى قاع الأودية وإنما يتم توجيهها عبر جدران جانبية بها قنوات لتتجمع في عدة ترع وكميات أخرى يتم توجيهها إلى صهاريج دون أن تحمل معها الطمي. وهناك جدران أخرى شيدت في قاع الأودية على نحو طولي بدلا من الجدران العرضية وذلك قصد توجيه تدفق المياه بدلا من حجزها، وفضلا عن هذه الجدران توجد جدران أخرى لتقسيم الأراضي ولا علاقة لها بحجز المياه أو توجيهها. وقد أوضحت الدراسات الأثرية بالمنطقة أن المزارعين كانوا على دراية تامة بفيضانات المياه في مناطقهم، وكذلك استفادوا من كل قطرة ماء في الري وأوضحت أن المجتمع الليبي في تلك المنطقة صار في تلك الفترة أكثر كثافة وإن الأمن والسلام قد دفعهم إلى الإهتمام بالإنتاج الزراعي فقاموا بزراعة عدة محاصيل وتبنوا أساليب تقنية جديدة من أجل إنتاج فائض من المواد الغذائية لتصديرها إلى الأسواق الساحلية وقد أدى هذا النظام الزراعي الناجح إلى زيادة التنافس على الأراضي الخصبة والمياه ومن ثم نشأت مجتمعات متجاورة تعيش في مزارع محصنة وتشير تواريخ الكاربون المشع إلى أن نظام الزراعة المكثف كان مستمرا حتى العهد الإسلامي في الأودية الشمالية ذات الظروف المناخية الأكثر ملائمة بينما تم التخلي عن النظام الزراعي المشار إليه في الأودية الجنوبية بعد قرنين أو ثلاثة من نشأته ليشملها النظام التقليدي الذي يعتمد على زراعة مساحات صغيرة ونظام رعويشبه بدوي(11).

وقد زودنا مسح الأودية الليبية الذي قامت به المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومصلحة الأثار الليبية ثلاث نتائج مبدئية وهي:

(11) للمزيد من التفصيل انظر مشروع مسح الأودية الليبية.

1- إنه لا يوجد دليل واضح على أية فروقات مناخية بين الفترة الرومانية والوقت الحاضر.

2- أثبتت الأدلة أن المنطقة مرت بمرحلة تميزت بكثرة الأمطار سبقت الفترة الليبية الرومانية مما أدى إلى وجود تربة نشطة بيولوجيا استغلت في زراعة المحاصيل وتربية الماشية.

3- نتيجة لفرط إستغلال تلك التربة وهذا قد يكون خلال الفترة الليبية الرومانية تعرضت إلى التعرية على نطاق واسع.

وإذا أثبتت الدراسات المستقبلية النقاط السابقة فإن النقطة الأخيرة ستكون عاملا رئيسيا في هجر العديد من الأنظمة الزراعية التي كانت مستعملة في المنطقة.

الفترة العربية الإسلامية :

تم فتح ليبيا كما هو معلوم سنة 642-643م على يد القائد العربي عمرو بن العاص ومنذ ذلك التاريخ أصبحت إحدى الولايات العربية. . .

درج الكتاب الغربيوْن على الأخذ بوجهة النظر التي تقول بأن حالة الإضمحلال التي طرأت على القسم الشمالي من ليبيا وصحراء مصر الغربية جاءت نتيجة مباشرة للفتح العربي لأن العرب كما يدعي هؤلاء الكتاب نهبوا وضربوا مدنه ولم يحاولوا تطبيق الوسائل المتبعة من قبل في العهد الروماني في الزراعة وغير ذلك من وسائل الإنتاج.

وفي الحقيقة إن الدراسات أثبتت إن الاضمحلال قد بدأ في وقت مبكر قبل مجيء العرب فمن المعلوم ان الامبراطورية الرومانية قد دخلت في مرحلة من الفوضى العسكرية منذ سنة 235م كما ان الزلازل قد ضربت منطقة شمال افريقيا وكان أشدها زلزال سنة 365م الذي أثر تأثيرا كبيرا في المباني والمنشآت القائمة، كما أن ليبيا قد تعرضت إلى الغزو الوندالي في القرن الخامس الميلادي والذي لم يأبه بالأمور الاقتصادية للبلاد واتسمت فترته رغم قصرها بالتأخر والجمود الذي ساد كافة نواحي الحياة، كما إن البلاد أخذت تسودها المظاهر الصحراوية ابتداء من سنة 600 م بسبب تفشي الطاعون وحدوث زلزال عنيف حيث أدت هاتان الحادثتان إلى هلاك كثير من السكان وتخريب كثير من المباني.

كما يرى بعض المختصين ان القرن السابع قد شاهد فترة من الجفاف الشديد في جميع الصحارى.

ولذلك فإنه لم يكن للعرب دخل في الإضمحلال الذي ساد المنطقة بل إنهم ساهموا في ازدهار وعمران بعض المناطق فالمؤرخون العرب يجمعون على ازدهار مدن كاجدابيا وسرت وغيرهما خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، كما نلاحظ ان العرب قد استقروا في المناطق الداخلية منذ الفترة المبكرة لمجيئهم وحولوا بعض الكنائس إلى مساجد كما حدث لكنيسة بزره كما انه يوجد في بعض الأودية قصور تعود بدون شك إلى الفترة الإسلامية.

كما ان بعض التسميات بمنطقة بني وليد تدل على وجود نشاط تجاري إذ نجد اسم السوق اللوطي وهذا يدل على ان هناك سوقا أخرى باسم السوق الفوقي. وبدون شك ان حدوث بعض الاضطرابات والصراع على السلطة كان له أثر كبير في النشاط الزراعي بالمنطقة.

ويذكر التجاني في رحلته ان أرض منطقة طرابلس "معدومة المثال في إصابة الزرع إذا أصابت وليس يدري مثلها في ذلك وأشهرها الفحص الذي يسمونه سوفجين.. قال البكري وربما أثبتت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مائة سنبلة قال: وهم يقولون فحص سوفجين، يصيب سنة بعد سنين"(12).

وهذا يدل أن هناك فترات ينحبس فيها المطر وبالطبع يؤثر هذا كثيرا على المنطقة.

ورغم قلة الأمطار في ليبيا بصفة عامة فمن المؤكد ان هذه الأمطار تكفي لو استغلت الاستغلال الأمثل لبناء مستقبل اقتصادي مضمون، ولذلك كان مشروع مسح الأودية الليبية بين منظمة اليونسكو ومصلحة الآثار - بناء على توجيهات الأخ قائد الثورة - يهدف إلى تسجيل المراحل التي مرت بها أجزاء واسعة من منطقة مادون الصحراء والتغيرات التي شهدتها في المجالات الزراعية والتي كانت تمارس بطرق غير مستعملة في الوقت الحاضر.

أما الهدف الآخر للمشروع فيكمن في تحديد المناطق التي يمكن إعادة الحياة الزراعية اليها وتسخير علم الآثار في خدمة متطلبات العصر.

---

(12) التجاني : رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية سنة 1985، ص 259

المصادر والمراجع

1- أبو عبد الله محمد التجاني: رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، 1958.

2- علي فهمي خشيم: نصوص ليبية، منشورات مكتبة الفكر، 1967م.

3- أ. ف. غوتييه: ماضي شمال افريقيا، تعريب هاشم الحسيني، طرابلس، دار الفرجاني، ط. أولى سنة 1970.

4- هينز: آثار طرابلس الغرب، ترجمة عدلية مياس، منشورات مصلحة الآثار الليبية.

5- جيمس وللارد: الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، ط. أولى 1967.

6- د. عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، بيروت، دار صادر، ط. أولى 1971م.

7- د. عبد العزيز طريح شرف: جغرافية ليبيا، الاسكندرية، مطبعة المصري، سنة 1963.

8- محمد مصطفى بازامه: ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، طرابلس وزارة الأنباء والارشاد سنة 1965.

9- مجموعة من الباحثين البريطانيين: دراسة أولية حول الاستيطان الزراعي القديم في وادي سوف الجين ووادي زمزم وفروعهما، ترجمة د. صباح عبود جاسم، مراجعة مصطفى الترجمان (تحت الطبع).

10- مصلحة الآثار، تقرير عن مشروع مسح الأودية الليبية.

مصادر المياه في المدن الخمس
من خلال النقوش والمخلفات الأثرية

د. فضل علي فضل[*]

لقد أثبتت الدراسات العلمية لفترة ما قبل التاريخ في منطقة الجبل الأخضر وبالتحديد في هوا أفطيح[1] أن تيار الهجرات البشرية عبر الشمال الافريقي لم تتوقف بحثا عن منابع الأنهار والعيون وعرفت بعض هذه الهجرات بالقفصية والوهرانية 1المتجهة نحو منابع النيل في مصر وكانت الأمطار في منطقة الجبل الأخضر حسب المصادر الإغريقية وفيرة حتى اعتقدوا أن هناك فجوة في السماء[2] كما ذكر ثيوفراستوس في كتابه تاريخ النباتات أن إقليم قورينا كان شبيها بالبستان كما كان القمح يتدفق على المدن الإغريقية وبالذات على ميناء بيريوس ويؤكد ذلك لوحة الغلال الموجودة بمتحف شحات والتي توضح أن أكثر 805 ألف ميدمني من القمح قد صدرت لأكثر من أربعين مدينة يونانية[3] حتى أطلقوا على ليبيا إسم منتجة القمح[+].

إلا أن ازدياد الهجرات الإغريقية من كافة العالم القديم على منطقة قورينا قد أدى إلى السيطرة على مزيد من أراضي المواطنين الليبيين المحليين ومنابع المياه مما أدى إلى التفكير في مصادر جديدة للحصول على الماء حيث كان السكان الأوائل يعتمدون على نبع أبوللو وبعض الينابيع الأخرى والآبار التي أصبحت غير كافية للسكان لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الخزانات الجوفية المغذية لمنطقة الجبل الأخضر أربعة :

(*) مراقب آثار بشحات بالجماهيرية

1) C.B.M. McBurney - The Haua Fteh, Cyrenaica Cambridge University Prss 1967

2) HPO 158

3) SEG. 9

(+) اليثية الرابعة

1- خزان تكوين الفائدية المعلق الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
2- خزان تكوين الأبرق المعلق الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
3- خزان تكوين البيضاء الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
4- خزان تكوين درنه وسوسه الذي يعود للعصر الأيوسيني[5].

من المعروف أن الأمطار في منطقة الجبل الأخضر من أقدم العصور وحتى الآن تهطل في فصل الشتاء على شكل زخات سريعة وغير مستمرة كما أن التربة حمراء ورديئة الإمتصاص للمياه مما يجعل المياه لا تتسرب للمسام وتتجه نحو الأودية وتجرف معها التربة الحمراء للبحر مما يجعل السكان وخاصة في العصر الروماني يفكرون في وسيلة لحفظ المياه والتربة وذلك بعمل سدود تعويقية في الوديان لحفظ التربة وتحويل المياه إلى صهاريج مبطنة تختلف من منطقة إلى أخرى ويمكن تقسيمها إلى عدة أنواع:

1- صهاريج معمدة عملاقة لسدّ حاجة القرى الزراعية ومبطنة بملاط يشبه الأسمنت ويوجد هذا النوع في جيفاز والرخيم وسليت وصبرة المليز وأوسيطه شحات.

2- صهاريج محصنة وهي تقع داخل خنادق الحصون والكنائس والقلاع ومحاطة بأسوار وتستخدم للإكتفاء الذاتي عند الحصار مثل صيرة أكريم شرق عين ماره وحول حصن أقفنطه وفي أم العرش شمال شرق لملوده.

3- صهاريج ذات أحواض تنقية جانبية وهي عبارة عن أحواض بها حجارة لتنقية مياه الشرب مثل خزان هوا الحوذانه في غوط أشتلو شمال شحات.

4- صهاريج الوديان وهي تعتمد على الأمطار التي تجلبها الوديان وتوقفها السدود التعويقية وهي صهاريج تستخدم لسقوط الأمطار المفاجئة والتي تسبب في بعض

(5) للمزيد:
- دراسة العالم الايطالي ماركيتي عن المياه في ليبيا 1935 م
- دراسة جفلي للمياه 1972 م
- دراسة المعهد الجيولوجي والفيزيائي اليوغسلافي 1975 م
- دراسة فران لاب 1976 م
- دراسة الهيدروجو 1982 شمال منطقة الجبل الأخضر.
- تلوث عين أبو للوشحات - مهندس جيولوجي عمار عبد المصلب عمار 1991 م

الفيضانات مثل السدود الرومانية في وادي المجينين[6] وسدود وادي لبده وسدود وادي الكوف.

5- صهاريج الينابيع والأمطار وهي تعتمد على ينابيع طبيعية قد تكون من مسافات بعيدة ويجلب اليها عن طريق قناطر وقنوات حجرية مثل صهاريج الصفصاف وقنوات صنبر التي تقوم بتوزيع المياه من عين الحفرة إلى صهاريج المنطقة الزراعية شمال طريق سوسه وشحات كما يتم حفر قنوات في الجبال الصخرية لجلب أكبر كمية من مياه الأمطار عبر قنوات منحوتة في الصخر.

رغم هذه السدود والصهاريج المستخدمة في منطقة المدن الخمس والجبل الأخضر للقرى الزراعية إلا أن حاجة المدن كانت أكثر من كمية الأمطار التي كانت تتفاوت من سنة إلى أخرى مما جعل الدولة الرومانية تفكر في مصادر جديدة للمدن الكبيرة مثل قورينا وسوسه وطلميثه وذلك باستجلاب المياه الجوفية من مسافات يزيد بعضها عن عشرين كيلومترًا حيث أصبحت مياه نبع أبوللو والينابيع الأخرى المجاورة والصهاريج غير كافية إبتداء من القرن الأول الميلادي وكانت الحاجة إلى الماء من الأسباب التي أدت إلى التفكير في توصيل الماء إلى أبولليونيا القليلة الأمطار حيث جلبت لها مياه نبع الفلترو.

1) أبوللونيا : لقد عثر على نقش لاتيني(*) في منطقة الفلترو جنوب مدينة أبوللونيا يعود لعهد الإمبراطور هادريان ويشير إلى بناء قنطرة مائية (aquaeductus) من أجل استجلاب مياه هذا النبع من مسافة قدرها 8كم ويظهر جزء من هذا المجرى عند المسجد الجديد في عدة مبان من المدينة القديمة كما يتضح جليا تحت البرج الأوسط شرق القصر البيزنطي حيث يتم تجميع هذه المياه في صهريج مقوس يشبه صهريج الصفصاف ثم يتم توزيعه على بقية المدينة[7]. وقد ذكرت هذه القناطر في خريطة بيشي لمدينة أبوللونيا وقد اتضح أن هذا المجرى المائي كان يخضع لعملية تنظيف

(6) Claudio Vita-Finzi, and Olwen Brogan Roman dams on the wadi megenim Libya Antique Vol 11 - 1965 p.p. 65-72

(*) عثر على هذا النقش في منطقة الفلترو في أبوللونيا وذكره دي لاشيلا ولكنه ضاع مع الزمن.

(7) Apollonia, the port of Cyrene, excavations by the University of Michigan 1965-67 Supplements of L.A. - IV

مستمرة(8) وأن تاريخ إنشاء هذه القنوات والقناطر قد بدأ العمل فيها منذ القرن الأول قبل الميلاد بسبب حاجة مدينة أبولونيا الماسة إلى الماء كما يوجد في القصر البيزنطي صهريجان كبيران أيضا للإستفادة من مياه الأمطار أما البعثة الفرنسية العاملة حاليا في مدينة أبولونيا فقد وجدت خلال هذا الموسم 1995 تحت مياه البحر وداخل الميناء القديم صهريجا للمياه مغمورا تحت البحر في الجزيرة الغربية مما يدل على أن الميناء القديم لم يكن مغمورا في العصر الروماني.

2) قورينا - لقد كانت مدينة قورينا هي أكبر المدن الخمس وأكثرها إزدحاما بالسكان وعاصمة للإقليم في عدة فترات من تاريخ هذه المنطقة ورغم منابع المياه والعيون الكثيرة بها والتي تزيد عن عشرين منبعا طبيعيا إلا أن الحاجة الماسة للكثافة- السكانية قد الزم الحكومات المتعاقبة على وسائل إصلاح هذه المنطقة المائية حيث عثر على نقش في عهد بومبيوس ماقنوس (Pompius Magnus) مؤرخ بسنة 67 ق.م. أثناء حملته ضد القراصنة في البحر المتوسط حيث قام بعدة إصلاحات في منطقة المدن الخمس وذلك ببناء قناطر لجلب المياه من خلال الحصول على مبالغ مالية تقدر بحوالي أربعة آلاف دينار وألف وخمسمائة دينار من الأموال العامة إلا أن النقش كان مهشما ولم يوضح كل الأغراض التي جمعت من أجلها هذه الأموال سوى بناء قناطر للمياه(9).

...}
...}IIIv.B{...
...}eis Cn(ae-)Pomp{ei- Magn- ...
...as}signauit v.{...
...}s dieis aquae{...
...}m* ool" et I{...
...}s aquae in e{...
...quo}d est* oo D{...
...}est{...
{...

(8) Yvon Garlan, Lancient Hellenistique d'Apallonia, Les Dossiers d'Archeologie n° 167-1992 pp. 64-69
(9) J. Reynolds / The Journal of Roman Studies 52/1962 p. 98-100

أما ساندرو أستوكي فيشير في دراسته(10) عن العمارة في المدن الخمس أنه في عهد الإمبـراطور أوغسطس بين 4-14م قام الحـاكم كلاوديوس قيسـتالي (Clodius Vestalis) ببناء قناطر Aqua Augusta في الطرف الجنوبي من وادي بوتركيه حيث يتـم نقل المياه اليها من نبع أبوللو.

هناك نقش آخـر أكـثـر أهميـة من غـيـره يؤرخ بسنة 166م في عـهد الإمـبـراطور ماركوس أوريليوس وجـد مستعملا للمـرة الثانية في مدخل كاتدرائية شـحات الغربي ومكتوب على الواجـهتين في أعلى إحداها نص لاتيني غـير كامل(11) يقول في عـهد الإمـبراطور العظيـم ماركـوس أوريليوس أنـطونيوس أوغـسطي الأرمـيني ولوكيـوس أوريليوس فيروس الأرميني الأعظم أمر ببناء خـزانات للمياه من الأموال العامة إلا أن النص قد تعرض للدمار من وسطه وظهر في أسفل اللوحة بقية النص باللغة الإغريقية ويقرأ على النحو الآتي:

الواجهة الأولى Ex auctoritate et indulgentia optimorummaximo- runque imperat-orum M(arci) Antonini Aug(usti) Armeniaci et L(uci) Aureli Veri armeniaci Parthi (ci) Maximi recep-tacula pecunia p(ublica).

الجهة الثانية

في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليـوس ولوكيوس أوريليوس فيروس أوغسطس قاهرا أرمينيا وبيـلا وبيذيا أقيمت خزانات المياه في مدينـة قورينا الأم على نفقة الدولة وتحت إشراف البـروقنصل بومنبـونيوس نيويانـوس الذي كلف من قبل الإمـبراطورين على عملية التأسيس والإنجاز بالتعاون مع مدير الإدارة المالية سيليوس بلوتينوس.

يبدو أن هذا النقش المستـخدم في هذه الكاتيدرائية التي لا تبعد كـثيرا عن خزانات قورينا الرئيسـية قد نقل اليهـا في العصر البيزنطي ولا نسـتبعد أنه كان حـجر الأساس لهذه الخـزانات في عهـد ماركوس أوريلـيوس الذي أمر ببنائهـا لنقل ميـاه الينابيع من القيقب ولالي الغـزيرة المياه الجوفيـة الواقعة على خزان تكوين الأبرق الأوليـجوسيني

(10) S. Stucchi, Architettura Cirenaien pp 213-214-486-1

(11) J. Reynolds the Journal of Roman Studies 49/1959 p. 98

الغزير المياه، لقد كانت الفكرة المستخدمة في نقل المياه إلى قورينا وطلميثه ودريانه هي نفس الفكرة التي إستخدمها الرومان في عصر الإمبراطور أغسطس لنقل مياه منطقة ترورينا بايطاليا حيث يخرج من هذه المنطقة الغزيرة المياه قناطر للمياه الأولى إلى كاسيني والثانية إلى فيرونيا وعرفت هذه القناطر باسم (Agua Augusta).

لقد تم إختيار منابع القيقب الواقعة على خط طول تربيعي 3/ 93 وخط عرض تربيعي 21/ 36 وتبعد عشرين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من قورينا لتكون مصدرا لمياه هذه المدينة مستخدمين الإنسياب الطبيعي للمياه حيث يلتقي مسار عين لالي وعين القيقب في منخفض لالي إلا أن مسار القيقب يظهر أول الأمر في منطقة المنشى في نفق قدره حوالي 4 أمتار تحت سطح الأرض وبه عدة فجوات ثم يعبر شعبة أبو زيد ويخرج للسطح عند أبو نظاره ثم يلتقي مع القناة الأخرى القادمة من لالي ثم تمر هذه القناة المشتركة بالشويرف، مزرعة محمد الصابر، مزرعة محمد إبراهيم، الوريورات، الشعبة البيضاء. وتظهر القناطر على وجه الأرض بوضوح في مزرعة سعيد بوأمراجع وداوود عبد المولى وادريس حسين مشكلة بذلك منخفضا واضحا بأخاديد في هذه المزارع وبعد ذلك يعبر منطقة الصفصاف[12] وبنيت فوق المجرى مدرسة الشهيد أقطيط موسى ثم يتم تجميع المياه في الخزانات الرئيسية التي يصل طولها 350م وارتفاعها 5 أمتار وعرضها 50. 5 متر وبالأنبوب العلوي فجوات تهوية ويتسع لأكثر من عشرة آلاف متر مكعب من المياه وبعد تجميع المياه في هذا الخزان الرئيسي يفتح من جديد ليتم ضخ المياه بقوة الطرد الطبيعي عبر مسار قرب مطار الزبرق ثم منقع عيت يحي ويعبر مزرعة خالد أبو عوض جنوب امزينه وتظهر القناة واضحة عبر الأرض الصخرية قبل أن تعبر الطريق العام بين شحات ودرنه وتمر غرب الساحة الشعبية وتعبر شياط ثم تمر غرب منزل عبد الكريم أعميته وشرق المصرف التجاري وتحت مدرسة فاطمة الزهراء حتى تصل البريد الرئيسي ثم تعبر طريق سوسه شحات وتصب في الخزانات الرئيسية داخل المنطقة الأثرية حيث تبلغ مساحتها 5x200x125 م أي أن هذا الخزان كان يتسع لحوالي مائة وخمسة وعشرون ألف متر مكعب من المياه ويتم بعد ذلك صرفها على المدينة.

---

12) S. Stucckі Architettura Cirenaica p. 483-488

اسم النبع	موقع النبع من أبو للو	الارتفاع عن سطح البحر	متوسط الانتاجية في سنة
ـ عين سليت	4 كم غرب نبع أبوللو	580 م	0,50 لتر في الثانية
ـ عين قراقا	2,50 كم جنوب غرب نبع أبوللو	605 م	2,50 لتر في الثانية
ـ عين بلغدير العلوية	1 كم جنوب غرب نبع أبوللو	590 م	1,50 لتر في الثانية
ـ عين السفليه	1 كم جنوب غرب نبع أبوللو	580 م	0,50 لتر في الثانية
ـ عين بومليو العلوية	2,50 كم شرق نبع أبوللو	615 م	0,50 لتر في الثانية
ـ عين بومليو السفليه	2 كم شرق نبع أبوللو	595 م	1,50 لتر في الثانية
ـ عين العقار الأولى	1,50 كم شرق نبع أبوللو	600 م	1 لتر في الثانية
ـ عين العقار الثانية	1,25 كم شرق نبع أبوللو	615 م	1لتر في الثانية موسمية
ـ عين العقار الثالثة	1,25 كم شرق نبع أبوللو	595 م	0,25لتر في الثانية موسمية
ـ عين العقار الرابعة	1,25 كم شرق نبع أبوللو	595 م	0,25لتر في الثانية موسمية
ـ عين الحفرة	1 كم شرق نبع أبوللو	520 م	2 لتر في الثانية موسمية
ـ عين الصقارة	3 كم شرق نبع أبوللو	650 م	1 لتر في الثانية موسمية
ـ عين الحنانة	3,25 كم جنوب شرق نبع أبوللو	600 م	0,25لتر في الثانية موسمية
ـ عين العجل الزنادي	2,25 كم شرق أبوللو	595 م	1,85 لتر في الثانية
ـ عين الشلالة	3 كم شرق أبوللو	595 م	1,50 لتر في الثانية
ـ عين حبون	5 كم شرق أبوللو	625 م	0,50 لتر في الثانية
ـ عين أبلخنه	6 كم شرق أبوللو	614 م	0,50 لتر في الثانية
ـ عين أعجيم	4 كم شرق أبوللو	610 م	1,50 لتر في الثانية
ـ عين بوارباطه الزنادي	1,25 شرق أبوللو	580 م	0,50 لتر في الثانية

(*) هذه الينابيع قديمة وتتفاوت إنتاجيتها من سنة إلى أخرى حسب موسم الأمطار.

3- أسيريدس (بنغازي) هي إحدى المدن الخمس القديمة ، من المعروف أنها كانت تعتمد على نبع الجخ 10كم شرق المدينة وهو نبع على شكل نهر سفلي يتفرع إلى عين الزيانه وأبو دزيره ويمر على منطقة الليثي حيث عرف في الكتابات القديمة باسم نهر الليثي وقد ثبت من الدراسات العلمية والحفريات التي أجريت في مدينة برنيكي القديمة أن هناك قناة صرف (Aguaduct) معاصره لتأسيس المدينة أما في منطقة سيدي اخريبيش فقد وجدت أنابيب من الفخار لنقل المياه من الجهة الشرقية المؤدية إلى منطقة الجخ وترجع بعض هذه القنوات في منطقة سيدي أعبيد للعصر الهلنستي المتأخر كما وجدت في منطقة السلماني قناطر لنقل المياه تعود للفترة الأوغسطيه(13).

(13) Excaration at Sidi Khrebish, Benghozi (Berenice) Supp. L.A. Vol. 1-11

4) طلميثه: لقد ذكر بروكوبيوس القيصري: في كتابه عمائر جستنيان أن هناك خزانات عملاقة لحفظ المياه قد تدمرت في طلميثه في الأزمنة الغابرة وقام الامبراطور جستنيان بإصلاحها وقد أثبتت الدراسات الحديثة للباحثين الايطاليين ومعهد الدراسات الشرقية في شيكاغو على أن مياه مدينة طلميثه كانت تصلها من مسافة طولها 20 كيلو مترا من وادي زيوانه وحبون وملكه ووادي الرمان.

وبعد دراسة القناطر المائية من قبل هؤلاء الباحثين[14] إتضح أنها تتخذ مسارا انسيابيّا عبر أحجار منحوتة أو مبلطة ومع سفوح الجبال وعبر الوديان وتتحول إلى نفق عند ضريح سيدي بلقاسم وتمر من حبون، المرايمي، وادي ملكه، وادي أم الرمان، وادي الحنيه، وادي شقلوف، وادي سدراجي، وادي كرميني، وادي البراني، وادي العصر، وادي الصومعة، وادي زيوانه ثم تتجه إلى الصهاريج التي يبلغ عددها 14 صهريجا عملاقا تكفى لتوفير المياه للمدينة بالكامل.

5) هدريانوبولوس (دريانه) لقد عرفت هذه المدينة الواقعة شرق مدينة بنغازي باسم المدينة السادسة أو مدينة هدريان وكان الغرض منها إقامة مرفأ بحري لمدينة بنغازي عند الحصار وأملت الظروف عليها أن تستجلب اليها المياه من نبع أم الجوابي الذي يبعد حوالي 14كم من المنطقة الجبلية جنوب المدينة عبر قناة صخرية تتجه نحو مدينة دريانه مارة لغوط البقر وجبانة سيدي عوض وصيرة البيضاء ثم صيرة القبار وقد استخدمت بعض الخزانات لحفظ هذه المياه قبل توزيعها على المدينة[15].

أما بعض المناطق المحيطة بالمدن الخمس فقد استخدم فيها نظام الري الأوغسطي ولا يتسع المقام لذكرها جميعا إلا أن نبع استوه الواقع جنوب شرق أبوللونيا يعتبر من المصادر الهامة التي استغلها الأقدمون ولكنها الآن ضاعت مع شقوق الأرض حيث بلغت إنتاجية هذا النبع ثلاثين لترا من المياه في الثانية حسب القياسات الحديثة التي أجرتها جامعة عمر المختار(*).

(14) E. Ghislanzoni, Notizie Archeologiche Solla Cirenaica Roma 1915.
- G. Oliverio Documenti, Antichi d'le Africa, Italiana, Bergamo 1936
- G. Caputo, quaderni di Archeologia della Libya 1954
- Carl Kraeling, Ptolemais, city of the Libyan pentapolis, the University of Chicago 1962
- C. Arther and A. Bazama, Libya Antique XI, XII 1974

(15) G.D.B. Jones and J.H. Little, Hadrianopolis Libya Antiqua Vol. VIII 1974 p. 543

(*) يقوم بالدراسة حاليا الدكتور حمدي يعقوب والمهندس عمار عبد المطلب.

وقد استخدم لها الرومان قناة صرف من نبع لمفش ويتخذ مسارا مع الجبل ثم يخترق سدا معلقا في الوادي قبل أن يدخل أنفاقا أرضية تحت الجبل حتى منطقة الأصلاب الزراعية بانسياب طبيعي.

أما في منطقة طبرق (Antipurgos) والتي تعتبر خارجة على نطاق المدن الخمس فقد لاحظنا أن هناك إستغلالا لمنطقة الخوير واسد من قبل الرومان وذلك بحفر ابار وصهاريج كما ذكرت بعض[16] الدراسات أن هناك صهريجا عملاقا يتسع لسبعة آلاف متر مكعب من أجل سد حاجة مدينة طبرق القديمة التي أسسها مجموعة من البحارة الكريتيين كمرفأ صيد لهم في الجانب المقابل.

ختاما ومن خلال دراسة الوضع المائي للمدن الخمس البنتابلس أو ما يعرف حاليا بمنطقة الجبل الأخضر فإن الإهتمام بمياه الأمطار والمحافظة على كل قطرة منها كان هو الهدف الرئيسي لجميع الأجيال المتعاقبة لهذه المنطقة ويمكن اختصار هذا الاهتمام في النقاط الآتية:

1- بناء السدود التعويقية للتحكم في الأمطار التي تجرف التربة.

2- بناء وحفر الصهاريج والآبار للحصول على المياه قبل ضياعها في البحر.

3- المحافظة على السدود الرومانية القديمة والصهاريج وعدم الاستهانة بها أو ازالتها من أجل استصلاح بعض الأماكن الزراعية.

4- استغلال فترة الشتاء للحصول على أكبر قدر ممكن من المياه سواء بحجزها في الصهاريج أو السدود لتكون مخزونا جوفيا.

5- استغلال الينابيع الضائعة في الشقوق والوديان مثل عين استوه.

6- ان المحافظة على المياه تساوي المحافظة أيضا على التربة لان ساحل البحر في منطقة الجبل الأخضر يتحول إلى اللون الأحمر ولأكثر من شهرين خلال فصل الشتاء مما يدل على أن نسبة كبيرة من التربة قد جرفتها المياه وخسرنا في آخر المطاف التربة والماء مما سيعرض الجبل الأخضر لفقدان التربة والأشجار والخضرة إذا لم نجد حلولا لهذه الظاهرة ويجب أن تكون طموحاتنا بعون الله أكبر لمنع هذا الزحف الصحراوي.

---

(16) FR. Mulhover, Speteologia Cirenaica, Benghezi 1928 p. 21-21

دراسة لنقش قرطاجي-ليبي قديم

د. علي فهمي خشيم

مقدمـــة :

قد يخطر على بال بعض القوم أن يصرخ محتجا: إن ما يقال عن صلة البربرية بالعربية محض هراء، وما هذه الألفاظ المقارنة والمفردات المقاربة والكلمات المكافأة سوى نتاج لتأثير العربية التي جاء بها العرب المسلمون فاتحين بعد الاسلام. وإن نحوا من أربعة عشر قرنا من السنين سيطرت فيها اللغة العربية في كل مجال من مجالات الحياة على الشمال الافريقي لا بد أن تترك أثرها المؤثر في لسان أهله، وهي اللغة التي غلبت وهيمنت وكانت اللغة النافذة المسيطرة. لقد كانت البربرية هي اللغة المتفردة، فلما جاءت العربية انزوت الأولى وظهرت عليها الثانية فكان هذا الأثر الذي نراه.

وقد يبدو هذا الكلام منطقيا، وقد أخذه الكثيرون حجة ودليلا على ما يقولون به من "تميز" البربرية (وربما "امتيازها") قبل مجيء عرب الجزيرة بلغتهم. فهل نكذب الحجارة؟!

من حسن الحظ أن الحجارة لا تعرف الكذب. ومن يمن الطالع أن ترك لنا الأجداد الأولون نقوشهم على الحجر الأصم، وسجلوا فوقها كلماتهم لنأتي نحن من بعدهم فنقرأ ما سطروا ونعيد تلاوة ما ناقشوا ونقدم، بفضلهم، الدليل على انتمائهم العروبي/ العربي الأصيل منذ الأزل وإلى الأبد.

في ما يلي من الصفحات مجموعة من النقوش المعروفة علميا باسم «النقوش الليبية» أو «اللوبية»- كما يحلو لبعض الباحثين تسميتها. والواقع أنه لا فرق بين الثنتين؛ فإن الاختلاف في نطق المدّة بعد اللام ياء أو واوا جاء من كون الاسم الذي

عرف اليونان به الساحل الافريقي غربي وادي النيل حتى المحيط الأطلسي جاء مكتوبا عندهم في صـورة «لوبيـا» Lybia-Lubia (وفي المراجع العـربيـة الناقلة عـن اليـونان («لوبية»). وقـد نطقت كلمة Lybia حديثا «ليبيا» كـما نطقت Syria «سيريا» (وفي العربية : سورية/ سوريا). وكتبها الإيطاليون Libia (ليبيا) ونجدها عند الفرنسيين Li-bye, Libie . وعند الرومـان أطلقت التسمـية على القـارة الافريقـية كلهـا، أو على ما عرفوه منهـا، بتعبير أدق. ثم هجرت التسمية إلى تسميـة أخرى هي "أفركا" Africa (= أفـريقيـا/ أفريقـية) الـتي كانت تطلق أسـاسا عـلى ما يعـرف الآن باسم «تونس». وبمرور الزمن، وعـبر تطورات تاريخـية كثـيرة، صـارت كلمة «افـريقيا» تعنـى القارة الافريقية كلها وأطلقت تسمية «ليبيا» على الأرض الواقعة بين مصر وتونس.

في القـديم كان أهـل الشمـال الافـريقي، غربي مـصـر، جمـيـعا يـعرفـون باسم «الليـبيين» أو «اللوبيين» - بحـسب قراءة الحـرف (y) ونطقه. وفي أوائـل هذا القرن خص تعبير «الليـبيين» أهل هذه المنطقة ما بين مصر (حـيث المصريون) وتونس (حيث «التونسيون»). ويبدو أن بعض الدارسين رام التفرقة ما بين التـسمية الشاملة والتسمية المخصـصة، فاقتـرح أن يطلق اسم «اللوبيين» (بالواو) على أهل الشمـال الافريقي في التاريـخ القديم، ومن ذلك (التـاريخ اللوبي) و(النقوش اللوبيـة) و(اللغة اللـوبية).. الخ.. تمييزا عن «الليبيين» (بالياء) المعاصرين وبقـية الصفات : ليبي، ليبيّة، الخ... غيـر أن الحقـيقـة أن الأصل الأول للتـسمـية لم يكن «لوبيـا» ولا «ليبـيا» بل جـاء في النقوش الـهيروغليـفيـة المصرية في تسجـيلاتهـا الكثيـرة في صورة «ربو» Rbw كتبت بتـحـريك الأحـرف السـاكنـة في كـتـابات المحـدثين «ريبـو» Rebu, Rib أطلقت على مجمـوعة القبائل غـربي وادي النيل. وأصل «ربو» ذاتها هو «أربو». سقطت الـهمزة في بداية الكلمـة في مرحلة متـأخرة من تاريخ الكتـابة المصرية. وهي تقـابل الأكادية «أريبـو» ولهـا صـور أخرى (أربـو، أريبي، أربايا.. الخ.) وإبدال العين همـزة أمـر معروف في هاتين اللغتين (المصرية والأكادية) كمـا هو معروف في العربية نفسها[1]. فهي أساسا (عربو) (=عريبـو) أي «عرب» أو «أعراب» بمعنى: أهل البداوة، غير أهل

---

(1) يقـال في العربيـة : "عربون" "أربون". وعنعنة تميم مـشهـورة وهي إبدال العين همـزة، فيـقال "أن" بدلا من "عن" وهي لغة تميم وقيس وأسد وقـريش ومن جاورهم. يقولون "لأنك" بمعنى "لعلّك" و"أباب" بمعنى "عبـاب" وموت "زؤاف" أي "زعاف"، ويوم "أكّ" أي يوم "عكّ" وهو الشديد الحر. الخ. انظر : تيمور : لهجات العرب ص 39-60

القرى والمدن (المصر والأمصار) والواو في آخر «عربو» هي واو الجمع في المصرية كما هو الحال في العربية. وقد أبدل اليونان الراء في الصيغة «ربو» إلى لام فكانت «لبو» وبالتحريك، والتحريف أيضا، كانت «لوبو» «ليبو» «لوبيا» - ليبيا.

وقد استعمل دارسون آخرون الصفة «نوميدي» Numidian لهذه النقوش نسبة إلى «نوميديا» Numidia وهي الاسم الذي استعمله الرومان لما يقابل «المغرب الأوسط» عندنا - من طرابلس شرقا إلى آخر الجزائر غربا. كما دعي القلم الذي كتبت به هذه النقوش أيضا باسم «التّفناغ» (وأيضا : التّفناق، والتفناك) ونجده أحيانا في المؤلفات الفرنسية في صورة Tifinar - باعتبار نطق الفرنسيين للراء غينا. وهذه التسمية تطلق اليوم على القلم الذي يكتب به التوار؟إق وهو قريب من قلم النقوش القديمة وإن تغيرت بعض ملامحه وحروفه وزيدت عليه أشكال أخرى بدمج حرف في آخر مثلا.

فلنتفق إذن على استعمال الصفة «ليبي» و«ليبي» منها للالتباس، ولأنها الصفة السرية المرتضاة الآن بالمعنى الجغرافي المحدد في عصرنا هذا ولكن بالدلالة القديمة على كل ساحل الشمال الافريقي غربي وادي النيل، وهو ما عاش فيه «الليبيون» القدماء.

هذه النقوش الليبية العتيقة كان بعضها أحادي الحرف واللغة، أي بالقلم الليبي واللغة الليبية، ولكن عددا وافرا منها كان ثنائي الحرف واللغة أعني أنه كان يحمل نصين اثنين، أحدهما ليبي والآخر قد يكون لاتينيا وقد يكون ما يسمى في بعض المصادر «بونيقيا» أو «بونّيا». وهاتان الصفتان الأخيرتان تعريب لما في الفرنسية Pu-nique والانكليزية Punicوهو تعريب لما أراد الغربيون تمييزه من اللغة والتاريخ الكنعانيين في شمال افريقيا، وقرطاجة بالذات، عن «الوطن الأم» في بلاد الشام. وهم انطلقوا في هذا مما ورثوه عن اللاتينية Poenus, Poenicus, Punicus عن اليونانية Phoinixوالأصل فيها : «بنو كنعان» - سقطت النون المزيدة أصلا على الجذر (كنع) فكانت «بنو كنع» وطبيعي أن تسقط العين التي لا توجد في اليونانية كما حذفت النون المكررة فكانت «بنوك» (بنك) مع إبدال الباء المفردة باء مهموسة (p) والكاف خاء (بنخ)، كما أبدلت الباء في المصرية القديمة فاء فنجدها «فنخ». وهذه الخاء هي التي صارت في اللغات الأوروبية تنطق «كس» (x)، وح ولت في العربية إلى قاف (فنق) ومنها الترجمة الخاطئة «فينيقيا» - «فينيقيون»، ولا صحة إطلاقا لما يروى من أن تسمية (فينيقيا) أصلها اللون الأحمر الأرجواني، أو النخلة، في اليونانية.

فلنتفق هنا، أيضا، على استعمال الصفة «قرطاجي» و«قرطاجية» بدلا من «بونيقي» «بونوقية» «بوني» أو «بونية» لوصف بعض نصوص هذه النقوش إذ هي مكتوبة بلهجة قرطاجة الكنعانية العروبية.

اعتمادا على معرفة قلم «التفناغ» من جهة، ومعرفة القلمين اللاتيني والقرطاجي، تمكن الباحثون -عن طريق المقارنة- من قراءة الحروف الليبية القديمة، مع بعض الاختلافات التي سيراها القارئ في ما يلي من التحليل، واستطاعوا، عن طريق موازنة الأسماء في الأقلام الثلاثة، الوصول إلى معرفة قراءة المفردات الأخرى. ولما كان الرأي السائد والمسلم به أن البربرية ليست إلا امتدادا للغة الليبية القديمة، فقد لجأوا إلى مقارنة المفردات الليبية المقروءة بما في البربرية وحدّدوا معانيها ودلالاتها، إلى جانب مقارنتها بما في النص اللاتيني أو القرطاجي، ليتم تحديد المعنى بأكبر قدر من الدقة، في النقوش المزدوجة فحللوها كذلك وبينوا ما تحويه.

لقد خضعت هذه النقوش في مجملها لدراسات واسعة وأبحاث مطولة مستفيضة. وهي دراسات كانت على أيدي علماء الغرب، والفرنسيين منهم بوجه خاص، وكانت الأبحاث موجهة -بطبيعة الحال- إلى فهم النص على ضوء ما ذكرناه واستخلاص النتائج المراد منها في تأكيد وجود ليبي/بربري متميز. وكان من النادر الإشارة إلى أية صلة بين لغة هذه النقوش والعربية أو إحدى اللغات العروبية الأخرى.

غير أن القراءة المتفحصة القائمة على منهج عربي واضح تبين -بكل جلاء- أن ما يسمى اللغة الليبية القديمة وما سجل منها على النقائش إنما هي لغة عروبية قحّة، بل هي عربية في الواقع. كل ما في الأمر أن مفرداتها من القدم بحيث تعدّ من «الميت» أو «المهمل» الذي لا يوجد إلا في المعاجم، كما أن عددا كبيرا آخر لا يوجد في معاجم العربية بل يعثر عليه في معاجم اللغات العروبية الأخرى، كالأكادية والكنعانية والسبئية والمصرية، ومن حسن الحظ أننا نملك الآن بين أيدينا مثل هذه المعاجم للغات العروبية العتيقة، مما ييسر مجال المقارنة ويسهل البحث ويوضح حقيقة الارتباط الأزلي بين الليبية القديمة، وطبعا ابنتها البربرية، من جهة والعربية وشقيقاتها من جهة أخرى، حقيقة علمية ثابتة مؤكدة لا تقبل المراء. فالحجارة لا تكذب، ولا تجادل عبثا، ولا تماري!

وها هي خلاصة بحث طويل مضن أضعها بين يدي القارئ مستندا فيها إلى مصدرين(2) أساسيين هما أشهر المصادر في باب قراءة النقوش الليبية القديمة إلى جانب مراجع أخرى مساعدة. وإني لأعلم أن القارئ العام سوف يجد عسرا في متابعة الأمر، ولكنه سوف يخلص إلى نتائج بالغة الأهمية إن استطاع صبرا. وقد حاولت تيسير الموضوع قدر ما استطعت. أما القارئ المتخصص، أو الملم بشيء من «خلفيات» القضية فآمل أن يجد في ما يعرض شيئا يبعث على التأمل والاهتمم.

النقش (1)

نقيشة تعتبر أشهر النقائش الليبية القديمة، اشتهرت باسم «حجر مسنسن»(3) وقد اكتشفت في مدينة «دكّة» الأثرية في تونس سنة 1904م. ونشر نصها (شابو) سنة 1918 في دورية Punica تحت عنوان (مجموعة نقوش ليبية (-Chabot, Recueil des in scriptions Libyques) تضم جملة من النقوش بالقلم الليبي القديم التي كان يعثر عليها بين الحين والآخر منتشرة على طول ساحل الشمال الافريقي. وهي نقش مزدوج اللغة يحمل في أسطر خمسة منه نصا مكتوبا بالحرف واللغة القرطاجيين وفي أسطره السبعة المقابلة نصا بالحرف واللغة الليبيين وأكمل السطر السابع منه بالحرف واللغة القرطاجيين - كما هو منقول بأرقام مسلسلة للنصين معا:

أ) النص القرطاجي:

فلنبدأ أولا بقراءة النص القرطاجي وفهمه ثم نأتي إلى النص الليبي من بعد. وقد نقل (فريد ريش) هذا النص إلى القلم اللاتيني كما يلي:

---

(2) هما:

Chabot : Recueil des inscriptions Libyques, Punica, 1918, M.G. Marcy ; Les inscriptions Libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Imprimerie nationale, Paris, 1936

(3) يعرف في المصادر اللاتينية في صورة Masinissa كان يحكم منطقة "قرتة" Cirta (قسنطينة الآن) وتعاون مع الرومان ضد قرطاجة واستطاع أن يوسع دائرة ملكه حتى شملت ما يعرف الآن بالجزائر وجزءا كبيرا من تونس وقسما من المغرب. امتد به العمر طويلا (من 240-148 قبل الميلاد) وحكم ستين عاما. كان عالما بالاقتصاد والزراعة واللغويات والديانات (أمه كانت كاهنة معبد) متأثرا بالثقافة اليونانية العلينستية، وازدهرت في عصره العلوم والتجرة والحياة المدنية (يقال إن الحرف الليبي القديم "اخترع" في بلاطه) وخلف آثارا كثيرة. توفي قبل إحراق الرومان مدينة قرطاجة (سنة 146 ق.م) بعامين، وخلفه ابنه "موكسن" المعروف في النصوص اللاتينية في صورة "مكيسا" Macipsa. (انظر، Paul Mackendrick ; The North African Stones Speak, p. 189)

ونقله إلى الحرف العربي فنقرأ:

(1) «مقدش زبنأ بعلء تبكك لـ مسنسن هـ مملكت بن كعيي هـ مملكت بن زللسن هـ شفط بـ شت عشر ش - [ملك] » (2) «مكوسن بـ - شت شفط هـ مملكت بن أفشن هـ- مماكت ربت مأت شنك بن بنيي و- شفط بن نكم بن تنكو» . (3) مصصكوي مكن بن يرشتن بن سديلن و - كزبى مكن بن شفط رب مأت بن عبدأشمن هـ م [ملـ] - كت» (4) « كلد كيمل زمر بن مسنف بن عبد أشمن هـ زد[ر] حمشم هـ أش مقلء بن أشين هـ مملكت بن مكن هـ - مملكت » (5) طنأم عل هـ- مملكت ز أشين بن أنككن بن بطش و- أرش بن شفط بن شنك». . . (12) «. . . وهـ بنأم هنا بن يتنبعل بن حنبل و- نفطسن بن شفط»[4].

قراءة (مارسي):

اننا نصرف النظر، مؤقتا، عن حشد الأسماء التي يمتلئ بها هذا النص ونكافئ مفرداته بما في العربية على النحو التالي - حسب قراءة (شابو):

السطر (1) : «ت» = العربية : «ذا» = هذا.

«مقدس» = العربية : «مقدس». أي محرم، حرم، معبد، هيكل.

«ز» = العربية: «ذو» = الذي

«بنأ» العربية. . «بنى».

«بعلء» = العربية «بعال» أي رجال، أهل.

«تبكك» = ما يعرف الآن باسم «دكة» (المدينة الأثرية في تونس).

تعليق:

حلل (مارسي) (Marcy; I.B.P.24) اسم هذه المدينة العتيقة الذي يرد في النص الليبي بالثاء المثلثة (ثبكك) وفي اللاتينية Thugga وفي النطق المحلي بالدال: «دكة» وفي الانكليزية Dugga والفرنسية Dougga ورأى أن الثاء المثلثة مبدلة من التاء المثناة كما هو الشأن في عدد من اللهجات البربرية (الشاوية والريفية مثلا) وأن «u» في الصيغة اللاتينية Thugga(وكذلك «ou» في الصيغة الفرنسية Dougga) في الأصل مبدلة

(4) التتمة من السطر (12) في النص الليبي الذي استكمل بالقلم الكنعاني.

من الباء «b كما يحدث كثيرا في اللهجات البربرية. ونضيف أن تكرار حرف القاف المعقودة «gg في «(a) Toggâ يشبه تكرار حروف أخرى في أسماء وألقاب غيرها (من مثل تكرار الميم في «هـ مملكت» والصاد في «مصصكوي». . الخ) ونرى أن القاف المعقودة هنا مبدلة من الكاف الصريحة (تبك = تبك). وقد ظلت هذه القاف المعقودة المبدلة من الكاف في اسم قرية جنوب بلدة «مزدة» (اسمها الأصلي: «مسجدا» أي: المسجد) في الاقليم الغربي من ليبيا تدعى «طبكة».

الجذر إذن هو «تبك» ولكي نقرب المسألة نذكر الاسم «تبكتس» Tabaktis في اللسان اليوناني، وهو الذي كانت تعرف به مدينة «مصراته» على بعد 200 كم شرقي طرابلس، ويكتبه (أوريك بيتس) «Tabaktis وهو يرى أن التاء في بداية الاسم ونهايته سابقة ولاحقة معروفة في أسماء الأماكن الليبية القديمة، للتأنيث، والسين زائدة يونانية «(s) . T.B.C.T (Betes; p.76-77). فالجذر الأصلي هو «بك» (BK)BC. ويضيف (بيتس) أن التاء الثانية تسقط عادة؛ فبدلا من «تبكت» نجد «تبك». وهو يشير إلى أن تاء التأنيث في العربية تسقط أو تتحول إلى مدّة، فتكون «تبكا» - أو مجرد هاء خفيفة: «تبكه».

وليس في الإمكان معرفة النطق الأصلي في النصين القرطاجي والليبي لاسم هذه المدينة نظرا لانعدام الصوائت في القلمين أما الاسم المحلي «دكة» فلا ريب في أنه يساوق النطق اللاتيني Thugga- بسقوط الباء أو إبدالها واوا من «تبكا» (= تبكا).

أما عن معنى الاسم فيمكن فهمه بإرجاعه الى الجذر «بك» ومعناه في المصرية القديمة «مدينة» (معجم بدج ص 207)[5] ونجد في القبطية «بكي» Baki بمعنى «مدينة» كذلك دون تعريف فإذا عرفت بالتاء (كما في البربرية) نجدها «تبكي»Tabaki(= المدينة. انظر جورجي صبحي؛ قواعد اللغة المصرية القبطية، ص 58). وهذه التاء في بداية الكلمة هنا ليست للتأنيث، بل هي أداة تعريف المؤنث تقابل اسم الاشارة إلى المؤنث في العربية (تا) فإذا أنثت الكلمة في القبطية أسبقت بـ«تا» (اسم الإشارة وألحقت بـ«ت» (تاء التأنيث) والأخيرة تسقط عادة في هذه اللغة وتعوّض بحركة قد تكون مفتوحة أو مكسورة. ومن المؤكد ان «تبكي» كانت في الأصل «تابكت»، وبدلا من أن تكون «تبكا» (تا+بكا) بحركة مفتوحة جاءت هنا «تبكي» (تا+بكي) بحركة

(5) وردت Baka، Bakai وقارنها الأستاذ "بدج" بالقبطية Baki

مكسورة فهي توافق تماما اسم مدينة «مصراته» القديمة «تبكت» (تا+بك+ت) الذي عرف في اليونانية في صورة Tabaktis فوجب أن يكون معناه : «المدينة».

إن ما يؤكد قولنا أن اسم «مصراته» (ويكتب قديما «مسراته» - كما هو عند ابن خلدون مثلا وفي المراجع العربية الأخرى) يعني : «المدينة» أن التسمية وردت في النصوص السبئية «م س ر ت» وترجمت بأنها تعني : وضع أسس البناء (معجم بيلا، ص 281) ولكننا نرى أنها تعني : الأساس / الجدار/ السور/ المدينة. ولا يزال عرب ليبيا يعبرون عن الجدار بأنه «الساس» أي الأساس. كما كان بدو برقة (الاقليم الشرقي من ليبيا) إلى عهد قريب يعبرون عن كون أحدهم ذاهبا إلى المدينة بقوله إنه ذاهب إلى «مصراته». ومن الواضح أن «مسراته» (م س ر ت) و«مصراته» (م ص ر ت) كلتيهما شيء واحد وأن الهاء في آخرهما أصلها مدّة (مسراتا/ مصراتا) وأن التاء في نهاية الكلمة للتأنيث، فالأصل هو «مسر» = «مصر» أي: البلد، المدينة. وهذا ما نجده في البربرية « تمزرت» (تا+مزر+ت) حيث أبدلت السين في «مسر» والصاد في «مصر» زايًا (مزر)، وأسبقت بتاء الإشارة إلى المؤنث (تا) وألحقت بتاء التأنيث (ت) ومعناها : البلد، المدينة، المصر.

نخلص إلى القول بأن مصراته (أو: مسراته) عرفت بهذا الاسم عند الكتاب العرب، ومعناه «المدينة» كما عرفت بمرادف آخر هو «تبكت» ((Tabakti (s) عند اليونان) ومعناه «المدينة» كذلك. وهذا يعني أن اسم «دكة» (= تبكك، في النص القرطاجي وتبكك في النص الليبي وThugga في اللاتينية وDugga في الانكليزية وDougga في الفرنسية. قارن كذلك «طبكة» في غرب ليبيا) يعني : المدينة - باعتبارها عاصمة ذلك الزمان. فهل نجد ما يكافئها في العربية؟

إن هناك اسم «تبوك» التي تقع لآن في شمال الجزيرة العربية. وكانت مدينة حصينة شهدت واحدة من أهم معارك الفاتحين الاسلاميين الأول. لكننا نمضي مباشرة إلى أهم مدينة في الجزيرة العربية منذ القدم، وأقدس مدينة إسلامية الآن: «مكّة». وقد وصفت في القرآن الكريم بأنها «أمّ القرى» (أي «العاصمة»/ المدينة الرئيسية يقابلها حرفيا: Metropolitan= أم المدن/ المدينة الأم). وورد اسمها بالميم (مكّة): «وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة» (الفتح: 24). كما ورد بالباء (بكة): «إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للذي ببكّة مباركا وهدى للعالمين» (آل عمران: 96).

إننا نرى أن الاسم الأصلي لما اشتهر في صورة «مكة» بالميم هو أصلا بالباء «بكة» - جذره «بك» (المدينة والتاي للتأنيث (بك.ت) وهذا يتفق تماما مع ما عرضناه. وكل ما في الأمر أن الصيغة العربية أسقطت تاء الإشارة إلى المؤنث (تا) واحتفظت بتاء التأنيث (ت) فكانت فيها «بكت» (بكة) بينما احتفظت الليبية بتاء الإشارة وأسقطت تاء التأنيث فكانت فيها «تبك»، كما رأينا الشيء نفسه في «تبوك». ولا ضير في هذا؛ ففي القبطية نجد «بكي» Baki معرفة بتاء الإشارة في مثل «تبكي ن رماو» TABAKI n Ramao (المدينة الغنية)، كما نجدها بدون تاء التعريف في مثل «تنشت مبكي» Tnisht mbaki (البلدة العظيمة، أي : العاصمة (صبحي؛ المصدر السابق ص 85).

«ل» : حرف جر كما في العربية «. . .» (لمسنسن).

«بن» : العربية: «بن»/ «ابن» - أي : ولد.

«هـ - مملكت»: الهاء للتعريف. «مملكت» = العربية «ملك». ونلاحظ أن الميم مضعفة، يماثل وضعها ما في العبرية حين يعرف الاسم يضعف الحرف الأول منه. أما التاء فمزيدة مما نلاحظه في النص الليبي. وتبدو زيادة التاء هنا مقابلة لزيادتها في العربية في بعض الأسماء - للمبالغة (6).

«هـ - شفط»: الهاء للتعريف. «الشفط» = العربية: «السبط» (انظر تحليلها في النص الليبي).

«ب»: حرف جر = في، كما في العربية.

«شت» = العربية : «سنة» (سنت).

«عشر»= العربية: «عشر»

(6) في النص الليبي : "كلدث" الثاء المثلثة مبدلة من التاء المثناة (كلدث) وعند مارسي (Marcy, I.L.B. pp. 25, 42) أن هذه التاء مزيدة للتفخيم والتعظيم كما يقال في العربية "علامة" في وصف الرجل الغزير العلم. وقد تعرض أبو حاتم السجستاني لهذه المسألة في (كتاب المذكر والمؤنث) ويقول د. ابراهيم السامرائي الذي نشره ضمن (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ) إن "العلامة للتأنيث، ولا سيما التاء، غير مختصة بالمؤنث. ومعنى هذا أنها ليست ذات أصالة في التأنيث. نلمح هذه التاء في طائفة كبيرة من الأسماء فلا تخطر في أذهاننا فكرة التأنيث وهي كالتاء في : الراوية والباقعة والعلامة والفهامة، ونحو ذلك" (ص 82).

«ش ــــ [ملك]»: «ش» = العــربيــة: «ذو» (ذي) = من. «. ش مــلك» ك العربية: «ذي ملك»، أي : من ملك = منذ ملك.

السطر (2): «ربت مأت» = العربية: «أرباب المائة» أي : قادة المائة.

السطر (3) : «مصصكوي» انظر تحليلها في النص الليبي - فيما يلي

«كزبي» انظر تحليلها في النص الليبي - في ما يلي

«كزبي» انظر تحليلها في الليبي - في ما يلي

«رب مأت» = العربية: «رب المائة» أي : قائد المائة.

السطر (4): «كلد كـميل» : «كلد» = العـربيـة: «سلط»، أي زعيم: «كـميل» = العربية «جمال».

«هـ - أد[ر]»: الهاء للتعريف. ووضعت الراء بعد الألف والدال تخمينا لخفاء الحرف وترجمت بمعنى «قائد». وتعني «أدر» في الكنعانية: القوي الشديد الشريف (فريحة؛ ملامح. . ص 595) ويكافئها بالعبرية " أدّير" addir. قارن البربرية «أدّر» (Mercier; Voc. et textes, p. 432). العربية: «عدر»[7].

(7) استعرض محمد فنطر في مقالة له في (الموسوعة البربرية، المجلد الثاني، 127-129) كلمة «أدر»/ «أدّر» من مختلف الجوانب وقرنها مرة بالبربرية «يدر» (يعيش) وأرجعها أخرى إلى العبرية «أدير» وفيها دلالة القدرة والسلطان، والكنعانية «عدر» بمعنى: رئيس/ وجيه (كما جاء في بعض النصوص: « عدرا لبق»= أعيان/ وجهاء (مدينة) لبدة» واستخلص أن «عدر» (وتبدل العين همزة: «أدر» تفيد في كل النصوص التي قدمها دلالة القدرة والهيمنة والوجاهة ومن ثم الغنى والقوة المادية والمعنوية. ونجد هذه الكلمة (عدر) في أسماء قرطاجية من مثل (عدر - ملك، عدر - بعل) التي دخلت اللاتينية في صورة Baladir, Balladir (= بعل - أدر). . . الخ. لكنه لم يشر قط إلى العربية (!). ففي العربية: (عدر) تفيد الجرأة والاقدام، شأن القادة، وتتعاقب العين والهمزة فيقال «عدر» و«أدر» (اللسان، مادة: عدر). وبالدال المعجمة: (عذر). يقال: ملك غذور أي واسع عريض وقبل شديد. وبالزاي : (عزر) وفيها دلالة القوة والنصر والفخامة والعظمة والوقار والصلابة، مما يوافق صفة القيادة. ولمزيد من المقارنة نذكر العربية (أزر) لتي تفيد القوة كذلك وقارنا ربحي كمال (ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السمية، ص 69 بالعبرية « أدّيرت» والآرامية «أدّيروثا» والسريانية «هديروثا» = مقدرة، جلال، وقار، جمال، سناء، بهاء. وكل هذا على أساس تعاقب الحروف والأصوات. والصفة: «هديرا» = جليل، قادر. . . إلخ.

«حمشم» = العربيـة: «خمس» مجموعة بالميم «خمسيم» (خمسين) «هـ - أش»: الهاء للتعريف. «أش» (رجل) = العربية: «أيس»[8].

السطر (5): لـ«طنأم»: صيغة جمع بلميم («طنأ» (أشرف)[9]. في الكنعانية (نصوص رأس شمرا): «ثنن» = شيخ. العربية «ثني» الثني: الذي يلي السيد في الرتبة.

«عل» = العربية: «على».

«هـ - ملكت»: الهاء للتعريف. «ملكت» = العربية: «مِلْك» (بكسر الميم)[10] والمقصود: البناء.

---

(8) قديدو اختيارنا لكلمة «أيس» العربية في النص غريبا ولكنه اختيار مبني على ما في اللغة الأكادية «أش (م)» ومعناها: زوج. رجل. إنسان. ومؤنثها «أشت (م)». والمعنى الأصلي: الكائن، الموجود. وفي العربية «الأيس» = الوجود. واسم الفاعل قياسا: «الآيس» = الموجود، الانسان، الرجل قارن كذلك العربية (عيش) ومنها: العايش = الحي، الكائن، الموجود، وبتطور الدلالة: الانسان؛ الرجل.

لاحظ في جملة «حمشم هـ - أش» أن الجمع وقع على «حمش» (=خمس) كما في العربية (خمسين) وأن التمييز كان بالافراد «هـ. أش» (= الرجل) كالعربية (رجلا). ويماثل هذا التركيب ما في العبرية: «شبعيم إيش» (سبعون رجلا) بالإفراد، ولكن نجد فيها كذلك «شبعيم أنا شيم» بالجمع (بركشتراس: التطور النحوي، ص 123).

(9) ترجم (شابو) كلمة «طنام» إلى لفرنسية preposes a cette oevre (الموكلون بهذا العمل). وترجمها (مارسي): Preposes (a la surveillance de l'edifice) (الموكلون (بملاحظة) البناء). بيد أن كلمة «طنأ»، مفردة، تأتي في نصوص قرطاجية كثيرة وتترجم بمعنى: بنى، شيّد. وجذرها «طن» يكافئ ما في الجذر الثلاثي (طين) في العربية الذي جاء فيه: «طان الحائط والبيت والسطح طينا وطينة: طلاه بالطين (ويقال): طنت السطح. وبعضهم ينكره ويقول: طنت السطح فهو مطين.. والطيان: صانع الطين وحرفته: الطيانة (اللسان). ونفهم من هذا أن اسم الفعل (طيّان) من الذي يطين أي يصنع الطين، أما الذي يطيّن أي الذي يطلي الحائط ونحوه بالطين فهو: «طائن» وهي الكلمة التي تكافئ بها القرطاجية «طن» فإذا جمعت (طنأم) كوفنت بالجمع في العربية (طائنون). وقد يرجح وجود كلمة «عل» (=على) بعد «طنأم». (على. هـ. ملكت. ز) ترجمتها بـ «المشرفين على هذا الملك» ولكن إمكان استعمال «ب..» بدلا من على في الترجمة الأخرى «الموكّلون بهذا الملك» يجعل استعمال حرف الجر الثالث «ل...» ممكنا في الترجمة الحرفية التي نقترحها هنا وهي: «الطائنون ل الملكوت ذا» (الطائنون للملك هذا) اعتمادا على أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض كما هي القاعدة المعروفة ويكون المعنى: الذين طانوا المبنى، أي الذين طلوه بالطين، وليس «المشرفون على البناء».

(10) وتأتي بفتح الميم (مَلك) وبضمها (مُلك). ويقال «مَلَكَة» أيضا كما يقال «ملكوت» - بمعنى واحد. والصيغتان الأخيرتان تطابقان ما في النص القرطاجي هـ. ملكت (=الملكة. الملكوت).

«» = العربية: «ذا»، أي: هذا.

السطر (12): «وهـ بـنأم»: الواو للعطف = العـربيـة: «و» والهـاء للتـعـريف.
«بنأم»: جـمع بالميم لـ «بّنأ» = العـربيـة: «بناء» جمـعـها في حـالة النصب والكسـر: «بَـنّائين» وفي حالة الرفع: «بنّاؤون»

بعد هذا تمكننا قراءة النص في لغته القرطاجية مكافأة بالعربية هكذا:

«ذا المقـدس (ال) ذي بـناه بعـال تبـوك لمسنسن الملـك بن قـعي الملك بـن زللسن السبط، بسنة عـشر ذي ملك مكوسن بسنة سبط المـلك بن أفشن الملك. أرباب المائة: شنك بن بني وسـبط بن نكم بـن تنكو الـ(مـسـسـكوس) مكن بن يرشتن بن سـديلن. والـ(كـزبي) مك بن سـبط رب المائة بن عـبـد شـمن الملك. سليط الجـمـال: زمـر بن مـسنف بن عـبد شـمن. عـدير الخـمـسين أيسـا مقلء بن أشين لمـلك بن مكن لملك. الثنيـوّن على الملك ذا [11] أشين بن أنكـن بن بطش، وأرش بن سـبـط بن شنك... والبناؤون: حن بن يتني بعل بن حنبعل ونفطسن بن سبط».

ب) النص الليبي:

قرأ (شابو) النص الليبي كما يلي محولا إلى الحرف اللاتيني:

وننقله إلى الحرف العربي، فنقرأه:

السطـر (6) : «صك[ن]. تبكك. بنيـفش (؟) مـسـنسن. كلدث. و- كـيي. كلدث. و-زللسن. شفط».

السطر (7): «سبنسده. كلدث. سيسه. كلد. مكوسن»

السطر (8): «شـفط. كلدث. و-فـشـن. كلدث. مـوسنه. شـنك. و- بني و- شنك. د- شفط. و- مـ[ـكن]».

السطر (9): «وتـنكو - مـصـصـكو. مكن. و- يرشتن . و- سـديـلن. كظب. مكن. و-مو[سنه]»

السطر (10) : «و- شمن. كلدث. كلد كميل. زمر. و-مسنف. و-شمن. كلد مصك. مـ[قلء]»

---

(11) أو «الطائتون للملك ذا».

السطر (11): «و-شين. كلدث. و-مكن. كلدث. طنين. شين. و-نككن و-فطش. د-ر[ش]»

السطر (12) : «[و] شفط. و- شنك»... (بقية السطر وخاتمة النص قرطاجي).

وهذه قراءة (مارسي) واضعا بين قوسين ما افترضه حركات أو صوائت بين الأحرف الساكنة (الصوامت). لاحظ أن ترقيم (مارسي) للأسطر من (1) إلى (7) بينما كان ترقيم (شابو) من (6) إلى (12) متابعا لأرقام النص القرطاجي.

تحليل النص الليبي:

أمامنا الآن النصان القرطاجي (= البونيقي، أو البوني)، والليبي. وقد كتبا بقلمين مختلفين، والمفروض أن لغتيهما متمايزتان. وعلى هذا الأساس كان هذا النص «المزدوج اللغة». قلم مختلف ولغة مختلفة فما الذي يوحّد بينهما؟

إن الذي يوحّد بينهما ويجمع ذلك (القاسم المشترك) بين الاثنين، وغيرهما في أنحاء الوطن العربي الكبير، أعني اللغة العروبية الأولى المتمثلة في العربية التي نعرف، وهذا ما سنحاول بيانه، سنقابل بين النصين ومفرداتهما ونحلل مفردات النص الليبي مكتفين بما عرضناه من مفردات النص القرطاجي، مقارنة ومكافأة، مع صرف النظر هنا أيضا عن تحليل أسماء الأعلام المشتركة الواردة في النصين.. حتى حين.

ولقد تعرض النص الليبي في أطراف منه لعوادي الزمن فأكمل عن طريق مقابلته بصنوه النص القرطاجي. وتعرضت أجزاء من حروفه للتآكل فعوضت تخمينا على أيدي بعض العلماء الذين اختلفوا في قراءة بعض الحروف ونطقها. وكانت النتيجة، طبعا، اختلافا في التفسير وفهم المعنى المقصود كما كانت النتيجة أيضا رص الحروف متتابعة، أو فصل بعضها عن بعض، بطريقة يغمض معها معناها وهذا ما سيظهر عند التحليل.

وليس من الحكمة في كتاب عام مثل الذي بين يدي القارئ أن نغوص أكثر مما ينبغي في التدقيقات الجزئية والتفصيلات المتعمقة، فإن لهذا مواطن أخرى عند ذوي الاختصاص وإنما نكتفي هنا بالضروري اللازم من الاشارة للتوضيح أو التدليل. فالغاية هنا البيان وليست الغموض ويمكن للقارئ المهتم أن يتابع الأمر في مصادره المختلفة المعروفة.

فلنمض، إذن، إلى متابعة ما شرعنا فيه:

السطر الأول من النص الليبي، السادس في المنشور:

«صكن. تبكك. بنيفش (؟) مسنسن. كلدث. و- كيي و- زللسن. شفط»

التحليل:

«صكن» : قابلها كل من (روسلر) و(فريدريش) (Ext. Languages, p.123) بالبربرية «(إ) سكن» بمعنى «بنى» ونكافئها نحن بما في الأكادية: «شكانو» = وضع (أساسا للبناء مثلا) عمل، صنع، خلق، أي: بنى (انظر: Riemschneider; An Akka-dian Grammar. Weir; A lexicon of Accadian Prayers) العربية : (سكن). السكن والسكن: المنزل والبيت أي المسكن الذي يبنى. غير أن هذه المقابلة غير دقيقة؛ أولا لأن المقابل القرطاجي لهذه الكلمة هو : «بعلء» (= بعال) ومعناها: رجال، قوم/ ناس، أهل البلد، مواطنون. وثانيا لأن التعبير عن البناء ورد بعد ذلك كما يلي في كلمة «بنيفشح». والصواب أن كلمة «صكن» مبدلة صادها من السين في العربية (سكن) التي منها: السُّكْن: أهل الدار. والسَّكن =العيال، أهل البيت، جماع أهل القبيلة. السُّكّان، أي أهل البلد المواطنون - مما يقابل «بعلء» (بعال) في النص القرطاجي.

«تبكك» : سبقت مكافأتها = «تبوك».

«بنيفشح»: وضع «شابو» و«فريدرش» علامة استفهام بدلا من الحرف السادس في النص وهو على شكل وهو عندنا حرف الحاء. وبذا فإن «بنيفشح» ليست كلمة واحدة بل هي كلمتان : «بني» + «فشح».

(1) «بني» : العربية : بنى.

(2) «فشح» مقابلة للكلمة القرطاجية «مقدس». الشين المعجمة تعاقبت مع السين المهملة في العربية : «فسح». ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في لهجة الفلاحين المصريين في صورة «فسحة» بمعنى ك بناء ملحق بالدار. واستعملت في المصرية القديمة في نص هيروغليفي للفرعون الليبي (شيشنق الأول): « وسخت» Wsht بمعنى «بناء ملحق» (انظر: Ricardo A. Caminos; Gebel es-Silsilah, p.57)(12).

(12) قارن كذلك (معجم بدج) Budge; An Eg. Hieroglyphic Dictionary, p. 182-183.

في النصوص اليمنية القديمة (السبئية) جاءت من الجذر (ف س ح) : «مفسحت» (= «مفسحات». جمع تأنيث «مفسح» بمعنى: مبان ملحقة. . في النص: «[بيتـ] هو. ومأخذتهو. ومفسحتهو». (= بيته وسدوده (المائية) ومبانيه الملحقة به). (انظر: (Jamme, 618-17

يقارن (اجام) بين هذه الكلمة والعربية «فسح» (=وسّع) و«أفسح» (أوسع) و«فسح» (اتّسع). وهو يترجمه إلى الانكليزية Annex (مبنيّ ملحق) أو : بناء مضاف إلى الحرم غالبا. ويشير إلى وروده في النقوش الكنعانية (رأس شمرا) هكذا: « ب س ح ن » (الباء المهموسة = ف. «فسحن» بذات المعنى. (قارن: C.H. Gordon; Ugaritic Manual, Vol.3, Rome 1955).

بهذا يمكن فهم الكلمة الليبية «فشح» (=فسح) بمدلولها العربي القديم: بناء ملحق بالمعبد - توسعة للمعبد. وهذا هو واقع الحال في المبنى المكرس للملك مسنسن؛ فهو لم يكن نفسه هيكلا أو معبدا بل كان إضافة للبناء باسم الملك تخليدا لذكراه.

«مسنسن»: اسم الملك. معروف.

«كلدث»: تقابل «مملكت» في النص القرطاجي أي «ملك» في العربية. جذرها «كلد» والثاء المثلثة لنقط مبدلة من الثاء المثناة وهي ليست للتأنيث بل للمبالغة كما سبق بيانه في تحليل «هـ - مملكت» (الملك)(13).

ونلاحظ أن التاء المثناة تبدل ثاء ثلاثية في البربرية الريفية؛ (Justinard; Manuel; De Berbère Marocain) وفي البربرية الشاوية (قارن مايورده عثمان سعدي من مفردات في كتابه : عروبة الجزائر عبر التاريخ). وتبرز في السريانية (وريثة الأرامية) بوضوح في الأفعال والأسماء على حد سواء فنجد: « اثعزز» (تعزز). «انحلل» (تحلل، أي تطهر، صار حلاله) كما نجد: «قريشا» (قرية)

(13) يقول مارسي ما نصه: « إن تعبير (أكليد) يحوي بوضوح لاحقة هي التاء «ت» (أكلدت) بمعنى: رئيس أعلى» - «ملك». واستعمال هذه اللاحقة البربرية التي تظهر ذات صلة بـ«ة» في العربية للصفات من طراز «علامة» يبدو أنه سقط من الاستعمال الآن. وفي حالة نصب (دكة) لا نتصور أن الأمر يتعلق باقتراض قواعدي من البونيقية. ولقد ثبت استعمال «ت» البربرية ذات الوظيفة المشابهة فيها يحتمل، في القرن الثاني عشر (الميلادي) في اسمي علم اثنين في صيغة اسم الفاعل، مذكورين في مخطوط البيذق: «عصامت» و«كرامت». وفي ذلك العهد العتيق الذي نورد نصوصه تحت الدرس (200 ق.م) فإنه بالمناسبة يجب ألا نفاجأ بأن نرى تكرر الخواص المشتركة بين البربرية و(السامية)» Marcy; L.B. p. 42-43.

«حنفوثا» (الحنف) / «بثيا» (فتى)، «فلانيث» (فلانة)، «كبروثا» (الجبروت)، «بيناث» (بين).. الخ[14].

أما « كلد» GLD فهي كلمة شهـيرة لا تزال مستعملة في اللهـجات البربرية حتى الآن بمعنى : زعيم، رئيس، «سلطان»، ملك.. الخ. وبنطق محور يبـدل فيه الحرفان الأول والثـالث فنجـدها: (أ) غليـد، (أ) جليد، (أ) جـليض، (أ) شليض.. الخ. (لاحظ أن الألف المهموزة بادئة في البربرية مزيدة). وقد «عربها» بعض الباحثين بـ«إقليد».

ولا يوجد في (اللسان) ما يفـيد معنى الملك في مادة (قلد) اللهم إلا أن يكون هذا «التعريب» اسـتنادا إلى الاقليد[15] بمعنى «المفتـاح» لكون الملك أوالزعيم مفتـاحا لكل أمر من أمور قومه، أو من «تقلّد» لحكم أي احتمله فكانت له مقاليد الأمور.

ولقـد أشرنا إلى مـا تعرضت له هذه الكلمـة من التحـوير والإبدال في اللهـجات البربرية. فلننظر ما هو عليه الحال في لغات عروبية أخرى:

يدعو «مـانيثـو» المؤرخ المصري المعـروف أول ملوك من عرفوا باسم (الـهكسوس) وهم قبائـل عربية غزّت مصـر في القرن السابع عشـر قبل الميلاد ودامت دولتـها نحوا من مائتي عام، يدعـوه باسم «سلاتيس» Salatis ويرى الأستاذ «ودل» W.G. Waddell في تعليق له أن هذا الاسم يبدو (ساميا) ومن الممكن ألا يكـون اسما لشخص بل لقبا مثل «أمير» أو «قائد». وهو يرجعه إلى الكلمة العبرية «شليط» Shallit.

ونحن نعرف أن السين في الصيغة اليونانية «سلاتيس» زائدة للعلمية، والجذر هو «سلت». التاء فيه مبدلة من الطاء في «سلط» العربية، التي منها: «سليط» = الحاكم»، المتسلط.

---

(14) ربحي كمال؛ التـضاد في ضوء اللغات السـامية. مواطن مـتفرقة. ونشيـر إلى أن كلمة «بيناث» بمعنى «بين» (ظرف مكان) صارت في الدارجة الليبيـة: «بينات» وهذا استعماله آرامي/ سرياني قديم. وقـد مرت بنا كلمة «أديروثا» في الآرامـية وهي في السريانيـة (هديروثا) بمعنى القدرة - وفيها نرى التاء مثلة

(15) يذهب الكثير من البـاحثين إلى أن «إقليد» و«مقاليـد» من اليونانية Kleidi, Kleidion (= مفتاح). وهذا خطأ فإن جذر هاتين الصـيغتين اليونانيتين ومشـتقات أخرى مشتـقة كلها من Klei بمعنى : أغلق، أقفل. وهنا نقـارن الكنهانية «كلأ» والسـريانية «كلا» وهمـا بمعنى : أغلق، أقفل. وفي العربية المضـرية (كلأ) حفظ، حرس، صـان، ومنها: الكلاّ = مرفأ السفن وهم يكـلّئون سفنهم هناك أي يحفظونهـا ويصونونها ويغلقـون دونها موج البـحر. وهو كذلك المكلأ. قـارن كذلك العـربية (كلل) وفـيهـا معنى لحـفظ والضم والختم شـأن «المقفـال» الذي هو «المفتـاح» في نفس الوقت. وقد ورد الجـذر العروبي الثناذي (كل) في اليونانيـة مزيدا Kleidi, Klei-don ثم عاد إلى العربية «إقليد» وأصله البعيد عربي أصيل.

ومن جهة أخرى نعرف جميعا قصة داود وجالوت. وقد ورد اسم «جالوت» في القرآن الكريم ثلاث مرات (البقرة؛ الآيات 247-248) وجذر الاسم هو «جلت» ويقول المسعودي (أخبار الزمان، دار الاندلس بيروت 1980) إنه لقب لكل ملك (عند الكنانيين) وليس اسما خاصا بشخص معيّن.

في (رسائل العمارنة) المتبادلة بين حكام الأقاليم السورية والفرعونين إمنحتب الثالث وابنه إمنحتب الرابع المعروف باسم «أخناتون» - في القرن الرابع عشر قبل الميلاد - نجد ذكرا لـ«بيا بن كلتي» Biia Son of Golati كما نقله الأستاذ (بيتري). الرسائل رقم 26، 667. Syria and Egypt From The Tell El Amarna Letters) ومن الواضح أن «كلتي» ترجع إلى الجذر «كلت» -GLT.

يوجد نص عربي جنوبي (يمني/ سبئي) يبرهن على أن عرب جنوب الجزيرة العربية:

«كرب - إل . وتر. بن. ذمر. على. مكرب. سبأ. قنأ. يلط».

وقد خمن (فيلبي) أن «يلط» الاسم القديم لمنطقة خربة سعود حيث اكتشف النقش. بيد أن بعثة آثار فرنسية عثرت منذ سنوات قليلة على نص آخر مقابل تماما لهذا النص يقول: «كرب - إل. وتر. بن ذمر. على. ملكن».

وعلى هذا اعتبر الأستاذان (روبان) و(ريكمانز) أن «يلط» في نص (فيلبي) لقب يساوي لقب «ملكن» (= الملك) في نصهما المكتشف حديثا. وواضح أن النقشين كانا في مناسبة واحدة، ولغرض واحد، يستعمل فيهما لقبان متماثلان في المعنى مختلفان في اللفظ، (انظر: ريدان؛ العدد 3، ص 155 من القسم الأجنبي). وهذا يماثل استعمال النص القرطاجي في (حجر مسنسن) كلمة «هـ - مملكت» بينما استعملت في النص الليبي كلمة «كلدث».

في (نصوص رأس شمرا) الكنعانية نقرأ: «شلط» = تولّى (الحكم) تسلّط. «شليط» = عات، قوي، متسلط. سليط (فريحة؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت). وتقارن بالسريانية: «شلّيتا» shallita بنفس المعنى.

ما مرّ يبين أن «سلت» و«جلت» و«كلت» و«شلت» و«يلط» و«شلط»، في مختلف اللغات العروبية هي ذاتها العربية: «سلط»، ومنها: «السّليط» = الحاكم، الزعيم، الأمير، الملك. ورأينا في اللهجات البربرية: «شليض» و«جليض» و«جليد» و«غليد» (بحذف الألف المهموزة الزائدة في بدايتها). وهي في النص الليبي هنا «كلد» «كليد» (بالتحريك).

«و-...»: تقابل «بن» في النص القرطاجي، بمعنى «ولد» وفي القلم الهيروغليفي المصري صورة فرخ طير صغير تنطق واوا (و) وتعني: ولد. ويقترح الأستاذ (مارسيل كوهن) M.Cohen أن هذا اختصار للجذر العربي «ولد» ويضرب مثلا بما يحدث في بعض اللهجات العربية، كما هو الحال عند عرب شنقيط (موريتانيا) الذين يختصرون «ولد» إلى «ود» وتعني عندهم «بن» أو «ابن» («فلان ود فلان» بدلا من «فلان بن فلان»). ويحدث الشيء نفسه في الحبشية. وفي لهجة عرب مصر: «واد» ويقطعونها إلى مجرد «وا» عند الحديث السريع فيقولون: «تعا ياوا» (= تعال يا ولد) أو «انت يا ود» (= أنت يا ولد)... الخ.

لكن هذا غير لازم، فإن «و» تأتي في بعض النصوص الهيروغليفية المصرية «وأ»، بواو تتبعها ألف مهموزة، بمعنى: صغير، ولد. وقد تكون الهمزة مبدلة من اللام في «ول» المجتزأة من «ولد» - لأن المصرية القديمة لا يوجد بها رمز اللام في هيروغليفيتها. كما قد تكون «وأ» محاكاة للصوت يصدر من الوليد. العربية في الرباعي المضاعف: «وأوأ» (ثنائيه «وأ») أي: صاح، وقال: «واء!» - فهو الوأواء. ومن هنا سمي الحيوان المعروف: «ابن آوى»، أي: ذو الوأوأة- لصوته.

« كيي» اسم علم (والد مسنسن).

«و- كيي» = ابن كيي. ولد كيي.

«و- زللسن» = ابن زللسن. ولد زللسن (اسم علم).

«شفط»: تقابل «هـ. شفط»، معرّفة في النص القرطاجي. وكونها معرّفة يفيد أنها رتبة، أو صفة، وليست اسم علم هنا. وقد ناقش الأستاذ (فيفرييه) ورود هذا اللقب بمعنى «الحاكم» هنا فيما استعملت كلمة «كلد» الليبية لقبا في بقية الأسماء وخلص إلى أن «شفط» مستعارة في القرطاجية(16).

(16) James Fevrier; Inscriptions Puniques et Neo-Puniques, p. 97. ولاندري ما معنى أن تكون الكلمة «مستعارة» أو «مقترضة» ولماذا لا تكون مستعملة في اللغة الليبية القديمة كما في غيرها من اللغات العروبية؟ قد نتفق مع «فيفرييه» في أن استعمال الكلمة، بمعنى «الحاكم» استعير من قرطاجة لأن نظام الحكم فيها يومذاك كان يقوم على وجود رئيسين منتخبين يدعى كل منهما «شفط» وهي كلمة عروبية مشتركة كما نرى مما قدمنا من شواهد، لكن استعمالها بدلالة معينة يختلف. ونضرب لهذا مثلا مما نعرفه اليوم، ففي عمان يسمى الحاكم «السلطان» وفي دول الخليج يدعى «الأمير» وفي المغرب والأردن هو «الملك» إلخ. وهذه كلها ألقاب عربية تؤدي معنى الحكم، ولا يقول أحد إن لقبا منها استعير أو اقترض من لغة، أو لهجة، قطر آخر.

في اللغة المصرية القديمة: «شفيد» = فضل، جدارة، مقلم رفيع، شرف، عزّة - Gard (iner, Eg. Gr.p.594)

الكنعانية: «شفط» و«ثفط» = قاض، حاكم. (فريحة؛ ملامح. . . ص 610)

العبرية: «شافاط» = قضى، حكم. ويتخذ اسم علم. كما أنه لقب لرئيس الجاديين (قاموس الكتاب المقدس، ص 501).

والمعنى البعيد في الحكم والملك هو المقدرة والشدة والقدرة. قارن:

الأكادية: «صبت» = أخذ، أمسك، تغلّب، رئيس. والفعل المعدّى «شصبت» = تملّك، حكم، اعتلى العرش (Riermschneider, p. 27)

السبئية: «سبط» = ضارب، غالب (Jamme, p. 171)

الحبشية: «ربتي» = ضارب، جلاد. (Jamme, p. 171)

العبرية: «شبط» = عصا، جماعة يقودها رئيس بعصا (معجم الكتاب المقدس ص 455).

وهذه الأخيرة تقابلها العربية: «سبط» وجمعها: «أسباط». وكانت تطلق على أولاد النبي يعقوب وعلى كل من افرايم ومنسّى ابني النبي يوسف، أطلقت على القبيلة المنتسبة إلى كل سبط منهم.

العربية: (سفط). السفط: الكريم. و(سبط). السّبط: الرجل الطويل الحسن القد، وهو سبط الجسم وسبطه: حسن الاستواء. والسّبط: واحد الأسباط وهو الولد أو ولد الولد «وفي الحديث: الحسين سبط من الأسباط، أي أمة من الأمم في الخير، فهو واقع على الأمة والأمة واقعة عليه. والأسباط من بني اسرائيل: كالقبائل من العرب. . . ويقال: الشجرة لها قبائل فكذلك الأسباط من السبط (اسم شجرة) كأنما جعل اسحاق بمنزلة شجرة وجعل اسماعيل بمنزلة شجرة والأولاد بمنزلة أغصانها» (اللسان: سبط).

السطر الثاني من النص الليبي، السابع في المنشور:

«سبسنده. كلدث. سيسه. كلد. مكوسن»

التحليل:

«سبسنده» تقابل في النص القرطاجي «ب - شت عشرش -» (أي: بسنة عشر ذي -). وقد جاء وضع هذه الجملة من الحروف باعتبارها كلمة واحدة، واستغلق فهمها تبعا

لذلك نتيجة خطأ في قراءة الحرف الثاني الذي نقل على شكل دائرة تتوسط نقطة باعتباره يمثل حرف الباء (ب). والواقع أن الأصل، قبل أن يشوه كان مجرد دائرة لا نقطة وسطها وهي التي تمثل حرف الراء (ر). فتكون القراءة «سرسنده». وهي مكونة من ثلاثة مقاطع وليست كلمة واحدة على النحو التالي:

(1) «سر» تقابل القرطاجية: «عشر». (العربية: عشر)

(2) «سن» تقابل القرطاجية: «شت». (العربية : سنة)

(3) «ده» تقابل القرطاجية: «ش». (العربية: ذو = ذي - معربة)

ملاحظات:

(أ) امّحى حرف العين من «عسر» في أول السطر بعامل الزمن والتعرية، والسين المهملة مبدلة من الشين المعجمة في «عشر».

(ب) نلاحظ أن في النص الليبي استعملت كلمة «سن» بدلا من «شت» في النص القرطاجي والأولى أقرب إلى العربية «سنة» (= سنت. ينطق تاء التأنيث المزيدة = سن. ت)

(ج) يمكن اعتبار الهاء في «ده» زائدة. وهذه ظاهرة متكررة في كثير من النصوص الليبية. كما يمكن اعتبارها هاء التعريف في الكنعانية، فتكون: «د. ه» ونقرأ هذا الجزء كما يلي:

«سر. سن. د. هـ - كلدث» (= عشر سنين ذي الملك) أو : عاشر سنة ذي الملك).

« كلدث» سبقت مكأفاتها.

«سيسه»: تبدو هذه الكلمة التي قرئت كلمة واحدة مكوّنة من مقطعين: «سيس. هـ». والهاء هنا هي نفسها هاء التعريف لما بعدها: «هـ. كلد» (= الملك). أما كلمة «سيس» فتقابل القرطاجية «ب -شت» (حرفيا. بسنة، أي في سنة). وقد ترجم (فريدريش) «شت» إلى الانكليزية Reign (ملك - حكم). وتأتي بمعنى: عهد، أوان، حكم، زمن ملك.

في اللغة القبطية تستعمل كلمة «سوي» Soy و«سوياي» Soyai للتعبير عن تأريخ الحدث (جورجي صبحي؛ قواعد اللغة المصرية القبطية، ص 9+). وهي تعود إلى اللغة المصرية القديمة: «سس» (= يوم، وقت، زمان) وتجمع على: «سسو» (أيام، عهود) وتقارن بالقبطية: «سوي» Soy و«سيى» Sey و«سويسوي» Soysoy (Budge; An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, p. 696) وتعني: فصل، موسم، زمان، وقت، عهد.. إلخ

ولا شك في صلة ما ذكرنا بالكلمة الليبية «سيس». وهناك ثلاثة احتمالات في مكافأتها:

(أ) أن تكون مضاعفه من «سو» (في المصرية القديمة = يوم). وتستعمل في التواريخ (معجم فولنر ص 215) و« (أ)س في البربرية = يوم) والمعنى الأصلي فيهما: نهار. والمعنى الأبعد: شمس، نور. قارن العربية (سوا)[17].

(ب) أو أن تكافئ العربية (سوس) ومنها: «السّوس: الرياسة، يقال: ساسهم سوسا. وإذا رأسوه قيل: سوسه وأساسوه. وساس الأمر سياسة: قام به. ورجل ساس من قوم ساسة وسوّاس.. وسوّسه بسياستهم.. وسوّس الرجل أمور الناس: إذا ملّك أمرهم» (اللسان).

(ج) أو تكافئ العربية (أسس) ومنها: الأسّ والأساس: البداية.

ملاحظة: هذه المكافآت نقدمها بناء على ترجمة «فريدريش» للقرطاجية «ب. شت» باعتبارها تعني في الانكليزية reign (حكم، عهد أو زمن حكم) = «بسنة». لكن كلمة «شت» في الكنعانية (أم القرطاجية) تعني أيضا: الأساس، الأسفل (= العربية «است» (فريحة؛ ملامح... ص 632) وهنا نقابل الليبية «سيس» بالعربية «أسس» ومنها الأساس = البداية أي بداية حكم (مكوسن) بن (مسنسن).

«كلد»: ملك. سبقت مكافأتها.

«مكوسن»: اسم علم.

السطر الثالث من النص الليبي، الثامن في المنشور:

(17) في مادة "سوا" في (اللسان): السّوأى: النار. والسوء: البرص ـ والأصل في معناه البياض، شأن النهار والشمس والنور.

«شفط كلدث. و- فشن. كلدث. موسنه. شنك. و- بني و- شنك. د- شفط و - م[ـكن]».

التحليل:

وقد سبقت مكافأة المفردات: «شفط» (=سبط)، «و-» (ابن = وأ»)، «كلدث» (الملك = السليط). أما «فشن» و«شنك» و«بني» و«شفط» الثانية فهي أسماء أعلام. ولدينا مفردة: «موسنه»، وأداة الربط: «د» في «د-شفط».

(أ) «موسنه»: تقابل «ربت مأت» في النص القرطاجي. العربية «أرباب المائة» أي قادة المائة من الجنود وهي رتبة عسكرية.

قرأ كل من الأساتذة (شابو) و(جسن) و(فريدريش) الحرف الأخير الذي نقل في صورة ثلاثة خطوط يعلو أحدها الآخر في هذه المفردة هاء (هـ) بينما قرأه الأستاذ (هاليفي) عينا (ع) وجعله (فريدريش) مرّة يمثل حرف القاف (ق) وأخرى يمثل حرف الغين المعجمة (غ).

ومن الواضح أن ثمة خطأ في نقل النص أو في قراءته، أو في النقش الأصلي أو أن عامل التعرية غيّر من شكل الحرف الأصلي ذاته.

ومما يؤيد هذا الظن أننا نجد هذا اللقب ذاته مكررا أربع مرات في نص ليبي آخر أحادي اللغة عثر عليه سنة 1909م عند البوابة الشمالية في مدينة «دكة» التي عثر فيها على نقش (حجر مسنسن) هذا، ونشره (شابو) في مؤلفه (أمشاج نقوش حجرية (Chabot; Melanges Epigraphiques)[18]. وفي حين نرى المقطع الأول «مـــو» واضحا في هذا النقش كما هو الحال في (حجر مسنسن) نجد الحرف الأخير من المفردة مختلفا، فقد جاء في صورة وهو الذي يقرأ تاء (ت) أو ثاء (ث) كما رأينا.

بهذا تمكن قراءة الخطوط الثلاثة في آخر هذه المفردة تاء (ت) باعتبارها مشوهة أو متآكلة الأطراف من الحرف حتى تمكن قراءة المفردة: «موسنت» (وليس «موسنه»). ولكي تقابل القرطاجية «ربت» «مأت» (أرباب المائة) لا بد أن تكون مركبة من كلمتين وليست كلمة واحدة، هكذا: «مو. سنت» وبذا نحللها كما يلي:

(18) انظر كذلك : Chabot, R.I.L. p. 4

(أ) «مو»: تقابل القرطاجية «ربت» = سادة، أرباب، قادة، أصحاب (للملكية). ونرجح أن ثمة حرفا هنا هو حرف اللام (ل) في آخرها لتكون «مول». وهنا نكافئها بالعربية: «موال» = سادة، أصحاب (للملكية)، ذوو، أرباب (جمع «مولى» = سيّد، ربّ).

(ب) «سنت»: تقابل «مأت» في النص القرطاجي.

وفي المصرية القديمة: «شنت» = مائة. وهي مؤنث «شن» بمعنى: محيط، دائري، ماء - باعتبار الماء محيطا بالأرض. وكما أن العربية «مائة» (وتكتب أيضا: «ماءة») لا شك في اشتقاقها من «ماء»، فإن الجذر الثلاثي (شنن) في العربية (ثنائيه «شن») يعطي معنى المائية: «شنت العين دمعها: صبته. والشنين: اللبن يصب عليه الماء. والشانة من المسايل كالرحبة، وقيل: هي مدفع لوادي الصغير. . والشّنان: الماء البارد. . . الخ» (اللسان). وتتعاقب الشين المعجمة مع السين المهملة فنجد نفس الدلالة في مادة (سنن): سنّت العين الدمع، وسن عليه الماء. . . إلخ[1] وفي الثلاثي (سنا): سنت السماء: إذا أمطرت، أي أنزلت الماء، وسنت السحابة: صبت ماءها. ومن ذلك السانية = الغرب وأداته لنضح الماء من البئر، والمسنوية: البئر التي يسنى منها.

وفي مادة (شنن) العربية كذلك معنى الإحاطة والدائرية ومنها: الشّنان = القربة، أي وعاء الماء المحيط. وفي اللهجة المصرية: «الشونة» = مخزن الغلال المحيط بها. والمشنّة = القفة، وعاء دائري، وفي اللهجة الليبية: « الشنّة» = غطاء الرأس الأحمر، طاقية، وهي دائرية محيطة بالرأس.

وقد انتقلت العروبية «شنت» (= مائة، في المصرية القديمة) إلى اللاتينية فكانت فيها Cent (um) ومنها الايطالية Cento والفرنسية Cent والانكليزية Cental (=قنطار) وفي بقية اللغات الأوروبية بصور منوعة واستعمالات شتى، من أشهرها المقطع Centi الذي يدخل في الألفاظ الدالة على مقياس الحرارة ونحوها وفي مصطلحات علمية أخرى.

وهذا باب واسع يدخل في مجال آخر من مجالات مقارنة ما يسمى (اللغات الهندية- الأوروبية) نكتفي منه هنا بالإشارة. وغايتنا تبيان أن «سنت» الواردة في النص العتيق هنا بمعنى «مائة» عربية خالصة.

والخلاصة أن اللقب «مو[ل]. سنت» يكافئ حرفيا العربية «موالي السنة» أي: «أرباب المائة» أو : «قادة المائة» من الرجال.

«د»: حرف عطف يقابل «و» في النص القرطاجي.

ورد في النصوص اليمنية القديمة (السبئية) استعمال «أذ» باعتبارها أداة عطف ولإفادة التكرار في نقشين سبئيين (انظر: بافقيه وآخرون؛ مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص 146، 152، 315). راجع حديثنا عن (الجملة) في فصل (كتاب الأجرومية) من هذه الدراسة.

السطر الرابع من النص الليبي، التاسع في المنشور:

«و- تنكو. مسسكو. مكّن. و - يرشتن. و- سديلن. كزب. مكن. و- شفط. مو [سنت]».

التحليل:

«و - تنكو» تقابل في النص القرطاجي «بن تنكو». وقد سبقت مكافأة «و-» (= بن). و«تنكو» اسم علم.

«مصصكو»: لقب لرتبة، تقابل «مصصكوي» في النص القرطاجي والواو في الصيغتين للعلميّة والياء في الثانية للإضافة. أما تضعيف الصاد (المبدل من السين) فظاهرة تتكرر في حروف أخرى بهذا النص قد يكون للتشديد. والجذر على كل حال هو «مصك» (= مسك) الذي سيقابلنا في السطر التالي.

هذا الجذر يصادفنا كثيرا في الأسماء الليبية التي هي أصلا ألقاب، كما نجدها في لغات عروبية أخرى:

ففي نص أكادي يرجع إلى عهد «سركن الأول» الذي تولّى الحكم سنة 2371 قبل الميلاد وهو منشئ الدولة الأكادية الأولى، كان لقب أحد ولاته على مدينة (أدب)Adab هو «مسك - كل» Misk-gal (Hall and Simposon; The Ancient Historiy of The Near East) وهو لقب مركب من مقطعين: (1) «مسك». (2) «كل». وهذا المقطع الأخير (كل) نجده في الأكادية «ل-كل» = الملكة (حرفيا : المرأة الكبيرة). وفي «إيا - كل» = القصر الملكي (حرفيا: البيت الكبير. قارن العربية «هيكل»). ويبدو أن

ثمة صلة جلية بين «كل» هذه واللقب اليمني المعروف: «قيل» و«قول» وجمعها: أقيال وأقوال، بمعنى: الملك، الرئيس، الزعيم، وما إليها. صارت في العربية بمعنى: بطل، مقدام، محارب، شجاع (قارن مادتي «قيل» و«قول» في (اللسان) وانظر لمزيد من التفاصيل (Jamme; Sabaean Inscriptions, p. 447).

هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الصلة واضحة كذلك بين «كل» الأكادية والجذر الثنائي «جل» ومنه الثلاثي (جلل) في العربية، الذي منه: جليل، جلال، جلالة، جلّ = معظم... الخ.

ونعود إلى المقطع الأول (مسك) فنجده في الأكادية من نفس الجذر «مسك» الذي منه: «مساك» = قبض. ويقارن بالعربية (مسك). (Weir; A Lexicon... p. 206). وجاء اللقب «مسك» في النصوص السبئية في النص: وستبرو. وبمسكتهو. على. شعبن. حرث (و تجسّس بعسسه على قبيلة الحارث). (jamme; Sabaean Insc. p. 152).

في نصوص (رأس شمرا) الكنعانية: «مثك» = قبض على، أمسك. (فريحة؛ ملاحم... ص 666). ولاحظ أن الثاء المثلثة تعاقبت مع السين المهملة في «مسك».

نخلص من هذا إلى أن اللقب «مسك» (مصصكوي/ مصكو - في النصين القرطاجي والليبي) يطابق ما جاء في الأكادية والسبئية والكنعانية بمعنى: القابض على الأمور أو على اللصوص (شأن العسس في النص السبئي). فهو يكافئ في العربية: «الماسك».

«مكن»: اسم علم.

«و - يرشتن»: (ابن يرشتن) - اسم علم

« و - يرشتن»: (ابن يرشتن) - اسم علم

« و - سديلن»: (ابن سديلن) - اسم علم

« كظب»: لقب رتبة، تقابل «كزبي» في النص القرطاجي على النسبة. ومن العادة أن يدلّ مثل هذا اللقب الرفيع على الحسم (القطع) والقوة:

في كنعانية (رأس شمرا): «قظب» = الجزار، القصّاب (فريحة؛ ملاحم... ص 637) قارن العربية: قصب = قطع، القصاب، القاصب = القطّاع، القاطع. قضب، قطب = قطع. وكل ذلك بتعاقب الحرف الثاني مع بقاء الدلالة على القطع.

وعن دلالة القوة نجد في العربية : قزب. قزب الشيء فهو قازب = صلب واشتد. ويقول (اللسان) إنها كلمة يمانية. قسب. القسب والقسيب = الشديد من كل شيء، الصلب. قشب. القشب: اليابس، الصّلب.

وقد نرجح المكافأة مع العربية (قضب) وفيها معنى الحسم والقطع، كما أن منها: القضيب، أي العصا المصاحبة لذوي السلطان، فهو ال«قضبي» أو ال«قضيبي». وهذا لقب مناسب جداً.

«مكن»: اسم علم.

«و - شفط»: (ابن سبط) = اسم علم.

«موسنت»: تقابل «رب مأت» في النص الكنعاني/ القرطاجي. العربية: «ربّ المائة» (جندي). «مولى السنة»، وقد سبقت مكافأتها.

السطر الخامس من النص الليبي، العاشر في المنشور:

«و - شمن. كلدت. كلد كميل. زمر. و- منسف. و- شمن. كلد مسك. م[-قلء]. »

التحليل:

« و- شمن» : تقابل « بن عبد أشمن» في النصّ القرطاجي. وقد سقطت «عبد» من النص الليبي.

«كلدت»: السليط. سبقت مكافأتها.

«كلد كميل»: لقب رتبة، يقابل في النص القرطاجي: «كلد كميل». مكون من كلمتين:

(1) «كلد» = سليط. وهي هنا تعني: قائد، رئيس. وقد سبقت مكافأتها.

(2) «كميل»: وجاءت هنا بياء بعد الميم، بينما أسبقت الياء على الميم في النص القرطاجي. بيد أننا نجد هذه الياء سابقة على الميم في نصين آخرين أحاديي اللغة (Chabot; R.I.L., pp4,5) : «كلد. كيملن». ولنا هنا بعض الملاحظات:

(أ) إذا سبقت الياء الميم فالأرجح أن تكون ياء ممالة ليست من بنية الكلمة وإنما مدت حتى حسبت حرفا ساكنا وليست مجرد صائت للتحريك (الحروف الليبية،

كبقية أنماط الكتابة العروبية، حروف ساكنة، أي صوامت). وهذا يشبه ما في العبرية «كومل»gomel. فيكون النطق حينئذ «كيمل» gemil ممالة الياء كإمالة الواو في العبرية.

(ب) إذا جاءت الياء بعد الميم فقد تكون ياء ممالة إبدالا من الألف فيكون نطقها «كميل» gmel. وهذا يشبه إمالة الألف إمالة خفيفة نحو الياء في نطق أهل الشق الشرقي من ليبيا للعربية «جمال» (جمع «جمل») حتى تكاد تسمع «جميل» jmel.

(ج) نلاحظ أن في النص الذي بين أيدينا جاءت «كلد. كميل» وقد نعتبرها مكافئة لجمع «جمل» في العربية (جمع تكسير): «جمال»، بينما وردت في نصين آخرين : «كلد. كميلن» وقد تكون صيغة جمع مذكر سالم بالنون.

إن كلمة «جمل» (التي نكافئ بها «كيمل»/ «كميل» هنا) وجمعها «جمال» تعني الآن الحيوان المعروف باسم البعير وجمعه الذي لا مفرد له : الإبل. ولكنها لم تكن تعنيه بالتخصيص ضرورة. فقد جاءت في نقش سبئي (J. 576) كلمة «جمل» كما جاءت في نصوص سبئية أخرى أقدمها النص المعروف باسم (فيلبي/ جبل عبيد/ 7:2). ويعلق الأستاذ جام بقوله (ص 71):

«يبدو أن معنى (جمل) عامّ جدا، أي أنه بدون أية إشارة إلى أي تخصيص (للحيوان المعني). وذلك بعكس كلمتى «إبل» و«بعير». وعلى هذا فلعل المقصود بالجمل/ الجمال دابة الحمل على وجه العموم.

ولنا في هذا المجال نصان سبئيان تمكن المقارنة بينهما وبهما. ففي نقش (جام رقم 665).

« إفصي. نحل. ركبن » (= إفصي قائد الجمال). وقد ترجمت «ركبن» إلى الانكليزية Camelry (جمالة). وذلك تميزا للقائد (إفصي) عن القائد (جشم) في النص السبذي:

«جشم. نحل. أفرسن » (= جشم قائد الافراس/ الفرسان). حيث ترجمت «أفرسن» إلى الانكليزية Cavalry (خيّالة).

فكأن «ركبن» (= الركبان) هي «الجمال» أي دواب الحمل والركوب في مقابل «أفرسن» (= الأفراس) التي هي حيوانات القتال.

بعد هذا نكافئ اللقب الليبي «كلد كميل» بالعربية: «سليط الجمال»، أي رئيس الجمّالين (أو رئيس الجمّالة) إن كان المقصود الإبل. أو: رئيس الجمال، بمعنى دواب الحمل أيّا كانت (قارن، على كل حال، الصلة بين «جمل»، بالجيم و«حمل» بالحاء المهملة).

«رمر»: اسم علم.

«و - شمن»: (ابن [عبد] شمن) - اسم علم.

«كلد مسك»: تقابل في النص القرطاجي «هـ أد[ر] حمشم هـ - زش» (قائد الخمسين رجلا). لقب رتبة.

وقد سبقت مكافأة كل من «كلد» (سليط) و«مصك» (مسك). ونكافئ هذا اللقب الليبي بالعربية حرفيا: «سليط المسك» أو: «سليط الإمساك» أو «سليط المسّاك» أي: رئيس القبض أو: رئيس القابضين - ربما باعتباره قائدا للشرطة.

على أنه من الممكن اعتبار هذا اللقب مزدوجا للدلالة على رتبة عسكرية كما يقال في الانكليزية مثلا «ميجر - جنرال» major-general أو العربية: «الرائد الركن».. الخ. فهو إذن: «السليط المسك» أو «السليط الماسك».

وقد رأينا، فيما سبق في الأكادية اللقب المزدوج «مسك - كل». والألقاب المزدوجة (أي المركبة من كلمتين كل منهما صفة) التي تتحول إلى أسماء كثيرة جدا عند الأقوام العروبية.

«مقلء» اسم علم.

السطر السادس من النص الليبي، الحادي عشر في المنشور:

«و- شين. كلدث. و- مكن كلدث. طنين. شين. و- نككن. و- بطش. در[ش]».

التحليل:

«و - شين»: (ابن شين) - اسم علم.

«كلدث»: (الملك) - سبقت مكافأتها.

«و - مكن»: (ابن مكن) - اسم علم.

«كلدث»: (الملك) - سبقت مكافأتها.

«طنين»: تقابل ما في النص القرطاجي: «طنأم»، وهي صيغة جمع «طنأ» بالميم، وترجمت بمعنى: تولى، ترأس، أشرف على (العمل). وكافأناها بالعربية (ثني)

ومنهـا: الثـنيّ = الذي يلي السـيـد في الـرتبـة. فـإذا غـاب السـيـد (وهـو هنا الملك «مكوسن» ناب عنـه الثّنيّ» في ترؤّس العـمل والاشـراف عليـه، أي تولاّه، أو وليـه (قارن صلة «ثني» ب «ولي»، وفي كليهما معنى الخلافة - من : خلف - والولاية - من : ولي) وهما هنا إثنان ولذا جاءت صيغة الكلمة جمعا.

اللافت للنظر أن صيغـة الجمع هذه كانت بالميم في النص القرطاجي كـما هو شأن أداة الجمع في الكـنعانية والسـبئـية في مرحلتـها الأولى وفي العـبرية بينمـا كانت أداة الجمع في النص الليبي بالنون وهي نفس الأداة في العربية الـعدنانية المضرية أي عربية نجد والحجاز أو ما يعرف باسم «العربية الشمالية».

«شين»: اسم علم.

«و - نككن»: «ابن نككن) - اسم علم.

«و - بطش » : (ابن بطش) - اسم علم.

«د - رش» مكونة من: (1) «د»: أداة العطف = «و». وقـد سبقت مكافـأتها (2) «رش»: اسم علم.

السطر السابق في النص الليبي، الثاني عشر في المنشور:

[و-] شفط. و-شنك».

التحليل:

«و - شفط»: (ابن سبط) - اسم علم.

«و - شنك»: (ابن شنك) - اسم علم.

والآن.. فلنعد قراءة النص الليبي بعد تحليل مـفرداته وتأثيلها، كما يجب أن يقرأ بلغة عربية بيّنة:

«سكان تبوك بنـوا فسحـة لمسنسن السليط، ولد كيي السليط، ولد زلـلسن السبط. عاشر سنة ذي السليط، سوس مكوسن. [بسنة] سـبط السليط ولد فشن السليط موالي الشنة: شـنك ولد بني ولد شنـك، وسـبط ولد مـكن ولد تنكو. الماسـك: مكن ولد يرشتن. ولد سـديلن. القـاضب: مكن ولد سـبط مـولى الشنة، ولد شـمن السليط. سليط الجـمال: زمر ولـد مسنف ولد شـمن. سليط المساك: مـقلء ولد شين السليط. ولد مكن السليط الثينيّون: شين ولد فطش، و: رش [ولد] سبط ولد شنك»

ملاحظات وإضافات:

نشر (شابو) هذا النقش المشهور باسم (حجر مسنسن) سنة 1918م. وقد تعرض النصان القرطاجي والليبي فيه كما تعرضت قراءة (شابو) وتفسيره، لكثير من المراجعة والنقد، خاصة فيما يتصل بالنص الليبي، بسبب عدم الاتفاق على مقابلة حروفه التي قرئ بعضها بأصوات متباينة وكانت النتيجة، طبعا، اختلافا في فهم النص وترجمته إلى اللغات الأوروبية.

وفي سنة 1936م أصدر الأستاذ (مارسي) M.G. Marcy دراسته الشهيرة عن عشرين نقشا مزدوج اللغة ما بين الليبية والقرطاجية في بعضها وما بين الليبية واللاتينية في بعضها الآخر وقد نال هذا النص الذي بين أيدينا أربعا وثلاثين صفحة من الدراسة والتمحيص (ص 20-+5) مخالفا الأستاذ (شابو) في قراءة وفهم عدد من المفردات مع مقارنات وتحليلات مطولة لإثبات ما ذهب إليه. وليس من المناسب هنا، بالطبع، إغراق القارئ في التفصيلات العلمية الدقيقة أو إيراد كل ما جاء به (مارسى) من تعليقات. وما يعنينا نحن اثباته في هذا المقام أن المفردات وترجماتها حسب قراءة (مارسي) تجد مكافأتها العربية بوضوح تام. وهذا ما سنتتبعه الآن.

كتب (شابو): «صكن. تبكك»، باعتبار «صكن» كلمة واحدة مضافة إليها «تبكك» بمعنى: «مواطنو دكة» Citoyens de Dougga. وارتأى (مارسي) أن القراءة يجب أن تكون «صك. ن. تبكك» بمعنى: «مدينة دكة» Ville de Dougga- بوجود نون لإضافة الكلمتين. وقرأ الكلمة الأولى: «صكّا» (بألف ممدودة وبتشديد الكاف بمعنى: سور مرتفع، مدينة - من الفعل «(إ» صك» المعروف في لهجة نفوسة ص 30) بمعنى: بنى، بناء. وضرب مثلا على ما يقول اسم مدينة الكاف بتونس في النصوص اللاتينية Sikka Veneria وSikka bena (= مدينة فينوس).

ونحن نتجه فورا نحو الجذر العربي: (زكا). وفيه دلالة النمو، والعلو والارتفاع، شأن البناء. زكا، يزكو، زكاء، وزكوا = نما، ارتفع، علا. والاسم: زاك. والمؤنث: زاكية (= «زاكيا» - بسقوط تاء التأنيث «= صكا»).

وحتى نزيد القول توكيدا في مكافأة الليبية/ البربرية (صكا) بالعربية (زكا) - بتعاقب الصاد والزاي نشير إلى ما في الأكادية في جذرها (شق) - وقد تعاقبت الشين مع الصاد والزاي كما تعاقبت القاف مع الكاف، وفيها: «شقو» = ارتفع، علا، رفع، أعلى (معجم «وير» و«رايمشنايدر»).

وفي نفس السطر قرأ (شابو) : «بنيفش [؟]. مسنسن» (إشارة الاستفهام من وضعه).

وفي نفس السطر قرأ (شابوَ): « بنيفش [؟]. مسنسن» (إشارة الاستفهام من وضعه). وقرأناها: « بني. فشح» وقد سبق تحليلها، لكن (مارسي) قرأها: « بني فشك». وهو قارن الكلمة الأولى «بني» بما في مختلف اللهجات البربرية واللغات العروبية بما لا يخرج عن العربية «بني». أما الكلمة الثانية (فشك) فقد ترجمها إلى الفرنسية temple (= معبد، هيكل، محرم، مقدس) مقارنا إياها بالبربرية «تافسكا» (أضحية) ومن ذلك في البربرية «لعيد ن تفسكا» (= عيد الأضحى). ثم ذهب إلى أنها مقلوب العربية (سفك)، والسريانية «شباكو» دخلت اليونانية في صورة sfagiw. وعاد فقال إن «سفك» مبدلة الحروف من العربية (ذبح) والعبرية (زبخ). . الخ (ص 31-33). ورجع فقال إن «فشك» هذه موجودة في لغة (الولف): «تبسكي» (ت. بسك) وفي اللاتينية pascha (= الفرنسية paque= عيد الفصح) وفي اليونانية paskha. وخلص إلى أنها كلمة مشتركة في ما يسميه الغات (الحامية/ السامية).

* فلو رجع الأستاذ (مارسي) إلى العربية (فصح) لوجد فيها: «الفصح - بالكسر فطر النصارى، وهو عيد لهم. وأفصحوا: جاء فصحهم وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم» (اللسان) أي : ذبحوا ليأكلوا اللحم.

لكن الأوضح من هذا نجده في مادة «فسق» (تقابل تماما: «فشك»):

« والفسق، في قوله تعالى (أو فسقا أهلّ لغير الله به)، روي عن مالك أنه: الذّبح». (اللسان).

السطر (2):

قرأه (مارسي) بطريقة تختلف تماما عن قراءة (شابو) وحلله تبعا لذلك بشكل مختلف. فهو عنده كما يلي:

«أس. ب/ سندي. سكدت. سيسي. كلد. سكوس. ن»

وترجمه إلى الفرنسية حرفيا:

" au temps de l'établissement solide de l'élevation de l'avènement du prince, l'an du" وذلك على أساس تحليل المفردات كما يلي:

« أس»: في البربرية = يوم. لكنها تعني بتطور الدلالة: زمن، عهد، عصر. .الخ.

* (وقد سبقت مكافأتها).

«ب» : لم يحللهـا (مارسي) ولكنهـا تقابل «بـ. . .» في النص القـرطاجي، وهي في العربية: (بـ. . .).

«سندي»: الدال مبدلة من التاء في البربرية « سنتي» (- بداية، شروع)

*(ونكافئهـا بالعـربية: سنّـة. (كل من ابتدأ أمـرا يقـال هو الذي سنّه. والاسم: السنّة).

« سكدث». مكونة مـن «س» (سين التـعي) في بدايتـهـا، وتاء التـأنيث «ت» في نهـايتهـا وجذر الكلـمة هو «كـد» ومعناه: رفع، عـليّ. فمـعنى «سكدت» إذن هو: الرفع/ الترفيع، الإعلاء/ التعلية[19].

* (والمكافئ العربي نجده في مادة (جدد). الجـدّ: العظمة والجلال. وجدّ فلان في عيني، يجدّ، جدّا: عظم. وفي هذا معنى الرفـعة والعلو. وقارن كذلك مادة (كدا). الكدية: الأرض المرتفـعـة، وقيل: هو شيء صلب من الحـجـارة والطين، والكدية: الارتفاع من الأرض).

«سيسي»: ومعناها: وصول arrivée، حدوث avènement.

والمقصود هنا: بداية عهد الأمير.

* (العـربية: (أسس). الأسّ والأسس والأسـاس: كل مبـتدأ شيء. والأسـيس: أصل كل شيء).

« كلد»ك الأمير.

* (سبقت مكافأتها).

«سكوس»: تقابل البربرية (أ) «سكواس» ؛ (أ) سكاس» بمعنى «سنة».

* (وهذه الكلمة منحوتة من ثلاثة مقاطع: «أس + «ك» + «أس». ومعناها الحرفي «يوم في يوم». انظر تحليلها في الحديث عن النحت والتركـيب في (كتاب الاجرومية) من هذه الدراسة).

---

(19) قارن العـربية : «سـجد» < «سجـدة». ونرى أن «سجـد» في العربيـة مزيدة السين عـلى «جد» بمعنى ك عظّم، أي شرّف وأعلى ورفّع.

«ن»: نون الإضافة تصل كلمة «شفط» في السطر الثالث.

*(العربية : «بل»).

السطر (3) :

قرأ (شابو) الكلمة الخامسة فيه: «موسنه».

وقرأها (مارسي): «موسني» بمعنى «فارس» كما في البربرية: «أمسناى»[20] وهي اسم فاعل من «سني» (= ركب، امتطى، علا، أرتفع).

* هنا نقارن العربية : (سنا). سنا إلى معالي الأمور سناء: ارتفع. السنيّ : الرفيع. أسناه: رفعه. وتسنّى الشيء: علاه. والفارس هو راكب الفرس، الذي يعلو ويرتفع على فرسه أي الذي يركبه.

السطر (+) :

قرأ (شابو) الكلمة الثانية فيه: «مصصكو». . . باعتبارها لقبا.

وقرأها (مارسي): «مصصكو» باعتبارها اسم فاعل من «(إ) صك» بمعنى: بنى، فهو بان، وبنّاء.

* (العربية: زكا. مزكّ).

قرأ (شابو) الكلمة السادسة في السطر الرابع : «كظب».

وقرأها (مارسي): «كزب». وعنده أن الباء مبدلة من الياء في التارقية «كزيي» بمعنى: نظر، تأمل، راقب. وهذه الكلمة في لهجات بربرية أخرى جذرها «ك س و» ومنها «سكسو» = نظر، راقب، والسين فيها مزيدة على الفعل الأول «إ) كسو». جذره (كس).

---

(20) علهق (مارسي) على ورود «أمسناي» في صيغة المذكر مع أن المفروض أن تكون «إمسناين» (صيغة الجمع المذكر) بأنّ هذا يحدث في لهجة الجبالية. البربرية) حيث تستعمل «أ» للمفرد والجمع المذكرين معا بدلا من «ال» التعريف في العربية (تنطق «ل» في اللهجات). ونحن نعرف أن العربية «ال» هي أداة التعريف للمفرد والجمع، مذكرا كان أو مؤنثا كما هو حال «ها» في الكنهانية والعبرية. وهذا يعني أن النص الليبي القديم لم يخرج عن القاعدة في استعمال «أ» (الهمزة المفتوحة) أداة للتعريف في جميع الحالات (= «ال»، «ها») وأن تخصيصها للمذكر المفرد وتخصيص «إ» (الهمزة المكسورة) لتعريف الجمع المذكر جاء في مرحلة متأخرة من التطور الصوتي.

* (قارن العربية: (قصا). تقصى الأمر واستقصاه: تتبعه ونظر فيه. وفي مادة (قصص): قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء. ومنه قوله تعالى: «وقالت لأخته قصّيه» أي تتبعي أثره، ويجوز بالسين: قسست، قسّا. وقارن كذلك العربية: (كسا).

وقرأ (شابو) الكلمة الأخيرة في السطر الرابع: «مو[سمة]».

بينما قرأها (مارسي) : «موسني».

* وقد سبق تحليلها.

السطر (5) :

قرأ (شابو) الكلمة السابعة في السطر الخامس : «مصك».

وقرأها (مارسي): «مككّا» بمعنى: «حمّال» وبذا فإن اللقب «كلد مصك» عند (شابو) يكون «كلد مككا» عند (مارسي) بمعنى : رئيس الحمّالين.

* (وكلمة «مككّا» هنا فيما يرى (مارسي) اسم فاعل من الفعل «غغ» في التارقية - بمعنى «حمل» مستشهدا بما جاء في (معجم فوكو)[21] - وجذره الأولي (غ). فإذا سلّمنا بأن الدلالة الأصلية في الحمل هي الرفع فقد نستأنس بمادة (غيا) في العربية ومنها : الغاية = الراية، وهي مرتفعة أو مرفوعة، أي محمولة. «وكل شيء أظل الانسان فوق رأسه. . . فهو غاية» (اللسان).

السطر (6) :

قرأ (شابو) الكلمة الخامسة من السطر السادس : «طنين».

وقرأها (مارسي): «منين» تقابل البربرية «أمنين» وهي صيغة الجمع من المفرد «أمني» اسم فاعل من الفعل «إنى» eni= نظر، راقب، لاحظ. فيكون معنى الكلمة في النص الليبي هو: الملاحظون.

* (قارن العربية : (عين) ومنها: عاين، معاينة، فهو معاين، أي ملاحظ، والجمع: معاينون).

---

(21) ذكر (مارسي) في الهامش أن الفعل في صفحة 285 من المجلد الزول من المعجم المذكور، والواقع أنه في صفحة 406 وما بعدها.

نقوش ما قبل التاريخ
في الصحراء الليبيّة

أ. جمعة محمد العناق(*)

تزخر الصحاري الليبية بمئات الآلاف من اللوحات الفنية أغلبها نقوش غائرة على صفائح الصخر في الكهوف والملاجئ الجبلية، ونسبة قليلة من هذه اللوحات الفنية تمثلها الرسوم الجدارية الملونة. وتتميز النقوش بانتشار جغرافي أوسع علاوة على تفوقها العددي على الرسوم الملونة حيث توجد هذه النقوش في أماكن متفرقة من الجبل الغربي والجبل الأخضر والحمادة الحمراء وجبل العوينات وجبال تدرارت أكاكوس، وتقتصر الرسوم الملونة لفترات ما قبل التاريخ على المناطق الجنوبية من الجماهيرية، وتكثر هذه النقوش بصورة أساسية في وديان جنوب الحمادة الحمراء وفي المرتفعات الصخرية ما بين وادي الحياة (الاجال) ووادي البرجوج (Paolo Graziosi, 1942). كما تتوفر بكثرة في مرتفعات تدرارت أكاكوس في أقصى الجنوب الغربي من الجماهيرية (Fabrizio mori 1964) واذا تمعنا في المواضيع التي تمثلها هذه النقوش وجدنا أغلبها يخص الحيوانات الاستوائية الكبيرة مثل الفيلة والزراف ووحيد القرن والتماسيح وفرس النهر ويمثل بعضها الآخر نقوشا لأبقار ولأشكال انسانية بشكل مجرد.

وشكلت هذه النقوش ولا تزال معضلة في تاريخها التاريخ المقبول والصحيح، فهي بلا شك وباجماع الدارسين نفذت في ظروف بيئية ومناخية مغايرة لما هو عليه الحال الآن من صحراء وجفاف، ولذلك فلا مندوحة من اعطاء بسطة عن جيومورفولوجية المنطقة والتغيرات المناخية التي مرت بها والتي أحالتها من جنائن خضراء تتخللها الأنهار الدافقة وتنتشر في أرجائها البحيرات العميقة الواسعة والتي يكتنفها ويعيش في أرجائها شتى أصناف الحيوان من فيلة وزراف ونعام ووحيد القرن

(*) المستشار الفني بمصلحة الآثار بالجماهيرية الليبية.

وفرس النهر وحمر وخيول برية وتماسيح وأسود ونمور، إلى صحارى جافة قاحلة لا تنبت إلا القليل من الاثـل والسدر والطلح والرتم في قيعان أوديتـها ولا يقـدر على الحياة فيها الا ما استطاع التأقلم مع هذه البيئة القاسية من غزلان وظباء وفهود.

يمكن لغرض التبسيط النظر إلى الصحاري الليبية على أنها هضبة مكونة من الصخور الرملية النوبية، منحدرة بيسر من مرتفعات تدرارت أكاكوس وتبستي والعوينات باتجاه البحر الأبيض المتوسط.

مرت هذه المنطقة الشاسعة بتطورات جيومورفولوجية مختلفة في أحقاب الباليوجين والنيوجين. ولقد قسم خليج سرت الكبير والذي كان يضرب بشأنة أعماق الجنوب بالقرب من سفوح تبستي، المنطقة إلى عدة أجزاء رئيسية مرت بتطورات جيولوجية وجيومورفولوجية مختلفة إلا أنها وبحلول حقبة الميوسين أخذت المنطقة تبرز بمعالمها الرئيسية المعهودة لنا الآن. إلا أننا نخلص إلى القول بأن منطقة تدرارت أكاكوس وما جاورها هي من أقدم المناطق الليبية تطورا من الناحية الجيومورفولوجية، فلقد برزت وتكونت صخورها في عصر الحياة القديمة (paleozoic) واستمرت في التطور في عصر الحياة الوسيط (Mesozoic) فعندما برزت جبال الأطلس والجبل الأخضر وجبال الألب في أواخر حقبة الايوسين وأوائل الميوسين (55–100 مليون سنة) كانت جبال تدرارت أكاكوس مكتملة النمو بل بدأت وديانها في نحت المصطبة الثانية التي برزت كرد فعل تكتوني لارتطام لوح قارة افريقيا بلوح قارة أوربا والذي أدى إلى بروز الالب في أوربا والأطلس والأخضر في شمال افريقيا. (Ardito Desio 1971- Marcolongo 1987) وخلال الأحقاب من الايوسين إلى البليوسين (90 مليون إلى 35 مليون سنة) برز الجبل الأخضر كقبة صخرية من الحجر الجيرى تنحدر انحدارا هينا إلى الجنوب وانحدارا مفاجئا وكبيرا باتجاه البحر. وتزامن ذلك مع ظهور الجبل الغربي كحافة صخرية تحدد الامتداد الشمالي لهضبة الحمادة الحمراء على شكل قوس يبتدئ من النقازة (الخمس) ويتلاشى جنوب قابس (تونس) ومطلا على سهل الجفارة. ويدل النشاط البركاني أثناء حقبتي البليوسين والبلايستوسين على أن نظام الأودية الحديث في جبل نفوسة يرجع إلى أواخر البليسين حيث تتبعت سيل تدفق الحمم البركانية (Lava Flow) شكل الأودية (Lipparini).

وعلى الرغم من تعرض مكونات الفترة الجيولوجية الرابعة (Quaternary) في المناطق السالفة الذكر لعوامل تعرية شديدة وخاصة نحت الرياح فان ما تبقى من طمي

الأنهـار والبحـيرات في منطقـة فزان وبقـايا السـيول والانزلاقـات الطينية في جنبـات الأودية في كل من الجبل الغـربي والجبل الأخضـر يدل على أن المنطقة مرت بفـترات ممطرة أثناء حقـبة البليوسـتيسين ولقـد أثبتت دراسات موسـعة ومسـتفيضـة في أرجاء مختلفة من الكرة الأرضية أن هذه الحقبة شهدت تقلبات مناخية حادة في مناطق كثيرة من العالم. فـفي خلال حقبـة البليوستيـسن (5مليون سنة إلى 10،000 - 20 ألف سنة مضت) أسرت كـميات ضخمة جـدا من مياه البحار في صورة جـبال جليدية في كلا القطبين وزحفت هذه الجبال الجليدية على شمال أوربا ومنطقة الألب. كما تزامن هذا الزحف الجليـدي مع زحف مماثل في أمريكا الشمـالية وبدراسـة الزحف الجليدي في منطقة الألب أمكن تتبع أربع موجات من الزحف الجلـيدي تميزت بانخفاض عام في متوسط درجات الحرارة، وانخفاض كبير في ارتفاع مستوى سطح البحر وانحساره عن مسـاحات كبيـرة من الأرض. الأمر الذي يمكن مشـاهدة ودراسة آثاره على طول الساحل الـليبي وتمكن العلمـاء المختصـون من دراسة هذه الأحـقاب الجليـدية الأربعة التي اطلقت عليها التسميات الآتية:

1- جليد جونز Gunz من 600 000 سنة إلى 1 000 000 سنة.

2- جليد ميندل Mindel من 450 000 إلى 500 000.

3- جليد ريس Riss من 125 000 إلى 250 000.

4- جليد فورم Würm من 10 000 إلى 150 000.

وتمكن علماء الآثار من اعـتماد هذه الدراسات الجـيومورفولوجـية كمقـياس زمني يمكن تحديد عمر القطع الأثرية في التلال التي خلفـها زحف الجليد. الأمر الذي سهل دراسات ما قبل التاريخ في أوروبا وتحديد فتراتهـا تحديدا نسبيا. وبذلك اتجهت جهود العلماء المختصين إلى ايجاد وسيلة جيومورفولوجـية مشابهة للتاريخ في شمال افريقيا وبعـد دراسات طـويلة مضنـية في كـثير مـن فروع العلم تمـكن علماء مـن أمثـال :. (مكبرنى، بيبـرسون ، أركيل، مونتى وايت، قـيتا فينزى، هاى، هيجـنز، اميليانى، بوتسور. . . الخ) من التأكـيد على موجات من تعاقب الفتـرات الممطرة والجافة على شـمال افـريقيـا تزامنت مع حركـة زحف وانحـسار الجليـد في أوربا. ولا زالت هذه الدراسات مـستمرة ولـعل من أهمها لمنطقـتنا الدراسة التي يقوم بهـا الآن " هيلموت زيجـرت" في فزان حـيث أثبتت دراسـته المبـدئية في السنتين الأخـيرتين علـى وجود بحيـرة عملاقة تمـتد من الحافات الجنوبيـة للحمادة الحـمراء إلى الحافـة الجنوبية لوادى

الحياة أي بأبعاد تصل إلى (600 ك.م. وبعمق لا يقل عن (150) مترا. واختفت هذه البحيرة كليا بحلول الهولوسين أي منذ عشرة آلاف سنة الا أنها أبقت أثارا واضحة من الطمى والغرين. والطبقات الغرينية التي نجت من نحت الرياح وجدت أنها تحتوي على طبقات من رماد تشير إلى انسان تلك الحقبة كان يقوم بحرق نباتات الديس والبردي على شواطئ البحيرة في الفترات الجافة ليتمكن من السكن والصيد. وطبقات الرماد والطين أسفرت عن وجود بعض الأدوات الحجرية تمتد من العصر الحجري القديم الأدنى (الثقافة الاشولية) إلى العصر الحجري القديم الأوسط (الثقافة الموستيرية)، ولا زال البحث جاريا. وهذه الدراسة الجيومورفولوجية والأثرية تشير بأن الفترات المطرة التي تزامنت مع جليدي "ميندل وريس" كانت بالغزارة بمكان أن أدت إلى مثل هذه البحيرة الضخمة. ويؤيد ذلك أبحاث (Servant) في "بحيرة تشاد" في نفس الفترة. حيث توسعت تلك البحيرة لتصل أطرافها الشمالية بالقرب من سفوح تبستى الجنوبية.

ومثل هذا المناخ الرطب الذي ساد الصحارى في هذه الفترات مكن الحيوانات الاستوائية من الانتشار شمالا إلى شواطئ المتوسط، الأمر الذي تؤيده دراسات علماء الاحفورات الحيوانية (Plenontology) مثل أرامبورج (Arambourg1962) وسافاج (Savage 1971).

قابل انتشار الحيوانات الاستوائية شمالا أثناء الفترات المطرة انتشار النباتات المتوسطية جنوبا إلى أواسط افريقيا، فأشجار الصنوبر (Pinus) والارز المغربي (Cerdrus atlentica) والسرو (Cypress) والزيتون البري (Olea europea) والسدر (Ziziphus lotus) والخروب (Cretonia Siliqua) البطوم (Pestacia lenticus) والشيح (Artemisia herba alba) والشعال (Artemisia campertis) والتين (Ficus carica) وغيرها من أشجار ونباتات المتوسط تركت غبار طلعها في غرين وطمى بحيرات أواسط افريقيا مثل بحيرة تشاد أثناء تذبذب مستوياتها تبعا للفترات المطرة والجافة.

ولا زالت بعض هذه الحياة النباتية تعيش في مكان وملاجئ طبيعية في بعض المرتفعات المتناثرة في الصحارى مثل جبل ماره بالسودان والهوجار بالجزائر وتدرارت بالجماهيرية (Van Campo 1975, Servant 1980 و Keith 1965).

من ذلك كله نخلص إلى القول بأن صحارى شمال افريقيا، عرفت أربع فترات مطرة على الأقل تخللتها فترات جافة تزامنت مع انخفاض وارتفاع مستوى سطح

البحر الناجم عن زحف وانحسار الجليد عن شمال أوربا ومنطقة الالب. وأدت هذه الفترات الممطرة إلى ظهور البحيرات والأنهار في ما هو معروف بمنطقة الصحراء الكبرى الآن، كما غطت هذه المنطقة غابات متوسطية اتصلت بأواسط افريقيا الأمر الذي سهل عبور الحيوانت الاستوائية وانتشارها شمالا إلى سواحل المتوسط.

وسجلت العديد من هذه الحيوانات كنقوش غائرة على الجوانب الصخرية للوديان وعلى جدران الكهوف والملاجئ الصخرية في الكثير من المناطق الجبلية في الصحراء والتي من أهمها جبال تدرارت أكاكوس. وأشهر الوديان الغنية بهذه الرسوم "وديان تشوينت، تين تورها، تين لالن، تين أدين، امها، أويس، تخرخوري" وأهم محاولة لدراسة تاريخ نقوش والرسوم الجدارية لمنطقة الاكاكوس قام بها الأستاذ فابريزيو موري. من جامعة روما والذي لا زال مستمرا في دراسته الحقلية السنوية منذ سنة 1995م.

وبعد دراسة عشرات الآلاف من هذه النقوش والرسوم، اعتمد الأستاذ موري في دراسته على تحليل أسلوب تنفيذها الفني وخلص إلى التقسيم التالي:

مقترحات موري للسلم الزمني لفنون الاكاكوس

		طور الحيوانات البرية الضخمة معظمها نقوش	
رسوم تخطيطية بألوان صفراء وخضراء وحمراء	مبكر		9080-
		طور الرؤوس المستديرة معظمها رسوم	
رسوم متعددة الألوان	متأخر		8072-
رعاة متوسطين	مبكر		7045-
		طور الرعاة رسوم ونقوش	
نوع وان تبو	وسيط		6754-
			5952-
رعاة طوال	متأخر		5405-
نوع وان تين لالان			
شعوب متوسطية		طور الحصان	3500-
		طور الجمل	0-

ولقد وافق الحظ الأستاذ موري عند اجرائه لحفريات في كهف وان موهجيج بوادي تشوينت حيث عثر على لوحة جدارية ملونة تحمل رسما لبقرتين في إحدى الطبقات الأثرية والتي استطاع تأريخها بواسطة كاربون (14) وحصل على تاريخ يرجع إلى 5952 سنة مضت والذي يؤرخ للحد الأدنى لسقوط القطعة المرسومة من جدار الكهف وبالتالي الحد الأدنى لعمر اللوحة.

وقد يكون هذا التاريخ صحيحا لطور الرعاة الذي يتميز بنقوش ورسوم لابقار على رأي موري وان كان هذا التاريخ لا يشير إلى بداية هذا الطور. ولكن تأريخه لطور الحيوانات البرية الكبيرة بأقل من عشرة آلاف سنة، يناقض الدراسات المذكورة آنفا عن المنطقة ففي الفترة التي يفترضها موري لبداية هذا الطور كانت المنطقة أجف من أن تعيش فيها قطعان الفيلة والزراف والتماسيح، ناهيك عن فرس النهر والاسماك. واستنادا إلى دراسات المناخ القديم والجيومورفولوجي فإنّ الظروف التي تسمح بظهور مثل هذه الحيوانات يجب أن تسبق الالف العاشرة التي بدأت فيها بوادر الجفاف والتصحر.

والمقارنة المنطقية لفنون ما قبل التاريخ في شمال افريقيا فهي مع فنون جنوب غرب فرنسا وشمال اسبانيا. ولنا في دراسات أبي برويل وأندرى ليروى غوران والكساندر مارشاك أحسن المثل (Abbe Breuil 1956, A. Leroi - Gourhan, 1958 Alexander Mar-shak, 1972). فكهوف مثل / لاسكو، مارمولاس، لى تروا فريرى وآلاتا لاميرا اشتهرت برسومها الجدارية الملونة لأبقار وخيول ووعول وجواميس وأسود والتي تؤرخ لأول تعبير فني للانسان والذي بدأ في العصر الحجري الأعلى حوالي عشرين ألف سنة مضت. واطلق على الثقافة التي ابدعت هذه الفنون "الثقافة المجدولونية" التي تركت لنا لوحات جدارية ملونة في غاية الروعة والاتقان بالاضافة إلى الكثير من الأدوات الحجرية والعظمية التي تحمل نقوشا مماثلة.

وأثبتت الحفريات المنهجية العديدة التي أجريت في وبالقرب من تلك الكهوف أن هذا التعبير الفني يرجع فعلا إلى عشرين ألف سنة مضت (F. Bordes, 1972) ولا أود الخوض في التفسيرات والشروح التي قدمها هؤلاء الرواد لهذا الانتاج الفني الرائد والمبكر، وهل يرتبط ذلك بالفكر الديني أو بأنه محاولات انسانية أولى لتطوير تقويم على رأي مارشاك أو بأنه يرتبط بالصيد والخصوبة ويحمل مدلولات جنسية على رأي

ليوري غوران، بل كل ما أود التأكيد عليه أن هذه المنطقة أشبعت دراسة ميدانية وتحليلا سواء للأساليب الفنية التي استخدمها الانسان القديم، أو للمواقع الأثرية الموازية والمصاحبة لفنون الكهوف والتي تشير بوضوح إلى أن فنون الكهوف هذه ترجع إلى (000 20) سنة مضت وهي نفس الفترة التي أرجح أنه يرتقي اليها ما أسماه الأستاذ موري بطور الحيوانات البرية الكبيرة.

وبالاضافة إلى ما ذكر من شواهد تعزز هذه النتيجة يجدر بنا أن نشير إلى أحد الشواهد الأخرى المهمة والمتمثلة في ظاهرة (الباتينا) أو (الصبغة الصحراوية) التي تكسب أسطح الصخور المعرضة للجو لونا غامقا نتيجة تكون طبقة رقيقة من الأملاح يزداد لونها اسودادا لمرور الزمن. ومن هذه الصخور بطبيعة الحال الصخور التي تحمل نقوشا. ويلاحظ على النقوش التي نسبها الأستاذ موري إلى طور الحيوانات البرية الكبيرة أن الباتينا التي تغطي خطوط نقوشها تقرب من لون الباتينا التي تغطي بقية سطح الصخرة المرسومة.

وإذا ما قورنت درجة لون الباتينا لهذه النقوش بلون الباتينا الذي يغطي الأدوات الحجرية - فأنها أقرب ما تكون إلى اللون الذي اكتسبته أدوات العصر الحجري الأعلى وأبعد ما تكون عن أدوات العصر الحجري الحديث التي لا زالت تبدو حديثة اللون (McBurney, 1995) .

كما لا يصمد السلم الزمني الذي اقترحه الأستاذ موري أمام المعلومات الدقيقة التي اسفرت عنها حفريات الأستاذة باربره باريتش. في " كهف تين تورها" بنفس المنطقة (Barbara Barich, 1987) وتمكنت العالمة المذكورة من تأريخ عدة طبقات أثرية ترجع إلى طور الرعاة. وهذه التواريخ تتراوح ما بين " 110 9350" سنة مضت إلى " 50 5600 سنة مضت" وبذلك فان التواريخ التي افترضها الأستاذ موري بطور الحيوانات البرية الكبيرة يجب أن ترجع للوراء عشرة آلاف سنة أما تاريخه لطور الرعاة فهو أحدث بألفي سنة من واقع الأدلة الأثرية.

المصادر

- العناق، جمعة محمد، 1977 من آفاق الثقافة الليبية، مطبوعات مصلحة الآثار.
- Anag Giuma M.1977, Horizons on the Libyan Culture, Dep. of Antiq. publications.
- Anag Giuma M. 1982, Survey of palaeolithic Industries Along the Libyan littoral. Master Thesis, Univ. of Kansas, USA.
- Arambourg, C. 1963, Continental Vertebrate Faunas of the Tertiary of Northern Africa. Vickings Fund pub. in Antn. 36; 55-64.
- Arkell, A.J. 1962, the Aterian of Great Wanyanga Actes of the Pan African Congress and Quaternary Studies, Tervuren pp 233-242.
- Barich, Barbara, 1978, Archaeology and Environment in the Libyan Sahara, Cambridge Monographs In African Archaeology. 23.
- Breuil, Abee Henri, 1952: " Les Origines de l'art", Journal de Psychologie, Annee XXII pp. 289-296.
- Biberson P.G. 1963, Some Aspects of Lower Palaeolthic in North- West Africa. Vicking Fund in Anth., 38: 447-480.
- Bordes, François, 1968, The Old Stone Age. Weidenfield and Niclson, London.
- Butzer, Karl W. 1957, Mediterranean Pluvials and The General Circulation of The Pleistocene.Geog.Ann.39:105-113.
- Butzer, Karl W.1958, Quaternary Stratigraphy and Climate in The Near East. Bonner geog. Abh., 24:1-157.
- Desio, Ardito 1971, Outlines and Problems in The Geomorphological evolution of Libya. in symposium on the Geology of Libya edited by C. Gray, Gov. Press, Tripoli.
- Emiliani, C. 1955, Pleistocene Temperature Variations in the Mediterranean Quaternaria, 2 : 87-98.
- Grazioso, Paolo 1942, L'Arte rupestre della Libia, Le Monnier, Florence.
- Hey, R.W. 1962, The Quaternary and Palaeolithic of Northeren Libya, Quaternaria, 6: 435-449.
- Higgs, H.S. 1964, Faunal Fluctuations and Climate in Libya. In Background to Evolution in Africa. edited by W.W. Bishob et al. Univ. of Chicago Press, Chicago.
- Keith, H.G. 1965, Libyan Flora, Libyan Gov. Press, tripoli.
- Lipparini, T. 1940, Tectonia e Geomorpholigia della Tripolitania. Boll.. Soc. Geol. 59: 221-301.

- McBuney, C.B.M. 1967, The Haua Fteah. Cambridge Univ. press.
- McBurney, C.B.M. and R.W. Hey, 1955, Prehistory and Pliestocene Geologyin Cyrenaican Libya Cambridge Univ. Press.
- Mori, Fabrizio 1964, Tedrart Acacus : Arte repusdre e Cullure del Sahara Pre-istorico. Turino.
- Savage R.J.G. 1971, Review of Fossil Mamals of Libya, In Symposium on the Geology of Libya. edited by ray, Gov. Press, Tripoli.
- Servant, M. and S. Seruant- Vildary 1975: L'environnement quaternaire du bassin du Tchad. In the Sahara and the Nile. edited loy Martin Williams and H. Fovre, A.A. Balkema, Rotterdam.
- Van Campo, M. 1975, Pollen analysis in the Sahara, In Problems in prehistory : North Africa and the Levant. edited by F. Wendorf and Marks, Sum Press, Dallas.

الرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا

أ. القاسم بن محمد كابر

يتميز القطر الموريتاني بغنى كبير في مجال آثار العصر الحجري الحديث. فقد تم إحصاء عشرات المواقع التي تعود لهذه الفترة بالبلاد وتتكون أساسا من مواقع سكنية ومدافن ورسوم ونقائش صخرية.

توجد الرسوم والنقائش الصخرية في جميع أنحاء البلاد وبكثرة خصوصا في المناطق الجبلية حيث تحمل جميع الصخور عبر ما رُسم عليها سكان العصر الحجري ثقافة عصر ونشاطاته والجميع عبارة عن سجلات باقية للأبد تنطق بكلمة واحدة هي أن موريتانيا كانت ولا تزال ملتقى للحضارات ومركز إشعاع ثقافي.

تكثر الرسوم والنقائش الصخرية وتتعدد مواضيعها وتواريخها في التراب الموريتاني، إلاّ أنه يمكن التمييز جغرافيا بين ثلاث مجموعات:

1) المجموعة الأولى وتوجد في أقصى الشمال قرب بير أم قرين، وهي مجموعة مطابقة تماما لمثيلتها التي توجد على الجانب الآخر من الحدود في الصحراء الغربية.

2) المجموعة الثانية ممثلة في عدد هائل من الرسوم والنقائش وتحتفظ به لحد الساعة مرتفعات آدرار (تنسس ؛ أمجار ؛ الغلاوية...)

3) المجموعة الثالثة وتوجد في مرتفعات تكانت واظهر تشيت - ولاته.

هذا بالإضافة إلى مجموعات أخرى أقل عددا وتعتبر امتدادا للأولى وتوجد أساسا في تجريت على بعد 70 كلم من الساحل الأطلسي والحنك على الحدود الموريتانية الجزائرية المالية.

وتبقى المناطق الجنوبية من البلاد أقل حضورا في هذا المجال والسبب في ذلك عائد بالأساس إلى عدم وجود تكوينات صخرية يمكن أن تستقبل هذا الفن.

إن من الملاحظ من خلال هذا التقسيم الجغرافي الأولي للرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا أن المناطق الخالية لحد الساعة من النقائش أو الرسوم قد لا يكون ذلك هو واقعها نظرا لأن عمليات الجرد والبحث لم تشمل جميع التراب الموريتاني بل اقتصرت على بعض المناطق مثل المرتفعات: آدرار وتكنات والشمال.

تعد النقائش والرسوم من بين الآثار الموريتانية التي استقطبت اهتمام الباحثين الأجانب ونذكر أن هؤلاء ظهروا على التراب الموريتاني منذ بداية هذا القرن، بيد أن الدراسات العلمية حول النقائش والرسوم الصخرية لم تبدأ إلا مع العالم الفرنسي الكبير تيدو رمونو الذي دون إبتداء من سنة 1938 عشرات المواقع ونفذ رسوما لنقائشها أخرجها في منشورات جمعية ما قبل التاريخ الفرنسية والمعهد الأساسي لافريقيا السوداء. في تلك الفترة اهتم العالم ريمون مونى بنوع خاص من النقائش وهو نقائش العربات واستطاع أن يحصى أكثر من 200 نقيشة لعدد متنوع من العربات في أنحاء البلاد يحدوه في ذلك اهتمامه برسم طريق صحراوية من المؤكد نظريا أن العربة كانت وسيلتها الأكثر تقدما.

أما الباحثتان أودت بكو دو وم. سونون، فقد اهتمتا خصوصا بمنطقة تكانت ويرجع لهما الفضل في نشر نقائش هذا الحيز الجغرافي من البلاد. هذا بالإضافة إلى بعض الأعمال الأخرى في الحنك والشكات. نذكر كذلك من بين الباحثين في مجال النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية فافوتى (1960) هيكو (1976) د. فرني (1986) الخ.

تعتبر الرسوم والنقائش الصخرية الشاهد الوحيد الذي وصلنا ليعبر بشكل مباشر عن علاقة الانسان بالبيئة وخصوصا عن ظروف عيشه داخل هذه البيئة التي تعرف تطورا مستمرا - لأنها قبل هذا كله المعبر الأول عن بداية الاكتفاء الذاتي للانسان ويعني ذلك ان الانسان عندما أمن قوته اليومي وأصبح يخزن المواد الغذائية بدت لديه اهتمامات فنية ساعد في تطورها وجود وقت وذلك بعد اطمئنان على أمنه الغذائي يمكن توزيع النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية على ثلاث فترات زمنية عيارها الأساسي هو طريقة تنفيذ النقش أو الرسم بالاضافة الى موضوعه.

1- الفترة الطبيعية

2- البقارية

3- الفترة الليبية - البربرية

تميز الفترة الطبيعية بنقائش حيوانات العائلة الأثيوبية الكبرى وتوجد أساسا في منطقة الشمال: بير أم قرين وفي هضاب تكانت وادرار : محطات تنسس أمجار، الكليتات.

فنيا نقشت نقائش الفترة الطبيعية بخط عميق متصل ومصقول وتكثر فيها أساسا صور للفيل، وحيد القرن والزرافات.

لا يمكن تحديد تاريخ ظهور الفترة البقارية واندثار الفترة الطبيعية إلا أن هذه الأخيرة لا يمكن الجزم مطلقا بأنها تلاشت لان نفس النزعة التصويرية للنقائش بقيت سائدة والتطور إنما حصل في طريقة النقش إذ لم يعد يكتسي الدقة والتقنية التي ميزت الفترة الطبيعية.

أما الحيوانات المنقوشة فأصبحت تدل على العائلة الأثيوبية الكبرى أبقارا وكثرت هذه الأخيرة في المناطق التي شهد فيها العصر الحجري الحديث صمودا أمام الظروف المناخية خصوصا مرتفعات آدرار واظهرتشيت - ولاته وتكانت التي احتفظت ببرك مائية وبرطوبة خولت تزايدا ديموغرافيا واتساعا في النشاطات البشرية عكس المنطقة الشمالية التي أصبحت تقفر شيئا فشيئا تبعا لانحصار المعدل السنوي للأمطار الذي ينقص من الجنوب إلى الشمال.

يغلب الظن على أن نقاشي الفترة البقارية هم مجتمعات بربرية قدمت إلى الصحراء في أول هجرة لها ومصطحبة معها خصوصا العربة والحصان (سنعود إلى نقائش العربات بشيء من التفصيل) وعمرت الصحراء مع مجموعات أخرى محلية واستطاع الجميع رغم صعوبة الظروف المناخية المكوث في صحراء أصبح جفافها أمرا يكاد يكون ملموسا تلت هذه الهجرة الأولى هجرة ثانية أصحابها هم الجيتوليون والغرمنطيون الذين أسسوا الفترة الثالثة والأخيرة في النقائش والرسوم هي الفترة الليبية - البربرية وتتميز أساسا بواقعية جديدة في الرسوم والنقوش وخلالها أصبحت المواضيع مكرسة تماما لحلقات الصيد وبعض حلقات الحرب. أما الحيوانات فهي كلها إما أبقار أو خيول أو جمال.

عموما يمكن تقسيم العصر الحجري الحديث الموريتاني حسب فترات النقائش.

والرسوم الصخرية إلى ثلاث فترات :

- قبل الألف الرابعة كثرت نقائش ورسوم الحيوانت الكبرى المفترسة (الأسد؛ الذئب؛ الضبع. . .)

- ما بين الألفين الثالثة والرابعة ظهرت نقائش ورسوم الحيوانات الأليفة وبالخصوص الأبقار.

- في الألف الأولى ومع اضمحلال الظروف المناخية كرست النقائش والرسوم للأبقار والخيول والجمال.

يمكن إذن من خلال تتبع النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية معرفة الكثير من المعلومات عن الظروف الاقتصادية والبيئية التي كانت سائدة. ولم يعد خافيا أن هذه النقائش إنما هي عبارة عن تسجيل أو تدوين للزمان والمكان الذي نقشت أو رسمت خلاله.

فبعد أن كانت الصحراء رطبة تتخللها أودية جارية وبرك مائية كبيرة وغابات من نوع السافانا، تعيش بها حيوانات كبرى مثل الفيل، وحيد القرن، الأسد، الخ. . . ؛ أصبحت تقحل خصوصا في الشمال وانحسر الوجود البشري في المرتفعات (آدرار؛ تكانت اظهر) وهاجرت الحيوانات الكبرى وبدأ نشاط إقتصادي جديد يعتمد بالأساس على الصيد وتدجين الحيوانات (الأبقار). واكب ذلك مد بشري قادم من الشمال اصطحب معه تقنيات لم تكن الصحراء تعرفها كالعربات التي تجرها الأبقار أو الخيول وأخيرا الجمال.

فيما يعني نقائش حلقات الصيد فإنها كانت تمثل أساسا الغزلان، النعامات والكلاب. ونجد أن الخيول والأبقار والعربات استخدمت في فتراتها الأولى لغاية الصيد فقط. بقي أن نذكر أن نقائش ورسوم الأبقار والخيول بقيت سائدة حتى فترة متأخرة ظهرت فيها قوافل الجمال.

من بين المواضيع المهمة التي سجلتها النقوش والرسوم الصخرية الموريتانية كانت النقائش والرسوم البشرية ذات أهمية خاصة؛ لقد نقش سكان العصر الحجري الحديث العديد من النشاطات البشرية وكانت هذه الأخيرة تكتسي طابعا اجتماعيا خاصا.

من بين النقائش البشرية توجد حلقات الرقص التي يتعدد فيها الأشخاص إلى أن تصبح جماعات.

توجد نشاطات بشرية أخرى مثل الأشخاص الذين يحملون السلاح أو أثناء العمل ولعل أكثرها واقعية الشخص الذي يحمل فوق رأسه وعاء في محطة عوينقط شمال بير أم قرين.

تعتبر نقائش ورسوم النساء قليلة وأغلبها رسوم أما أهمها فهي في أومات اشكاك التي تمثل نساء تحمل روبات ومعهن رجل على رأسه ريشة تذكر برسوم الليبيين في النقائش الفرعونية المصرية.

بخصوص الرسوم فتعتبر كثيرة على عكس النقائش لكن أغلبها حديث رغم أنها تكتسي أهمية كبيرة لأنها أكثر واقعية مثل رسوم تنسس بآدرار وهي تمثل أبقارا وامرأة تلبس روبا وتؤرخ حسب فافوتي للفترة البقارية. أما مجموعة رسوم تكنت التي درستها أبكودو وسنون فهي تتقارب في أشكالها وحسب هنري لوت فإنها تؤرخ لفترة ما قبل الاسلام لكن بعضها أكثر حداثة مثل المجموعة 28 في تنشماط.

نقائش العربات:

+21 من أصل 700 نقيشة منشورة لعربات الصحراء توجد في الصحراء الغربية وأغلبها موجود في موريتانيا باستثناء موقع واحد : آم اصدر الذي يوجد في واد الذهب.

يغلب الظن أن العربة استقدمها الليبيون البربريون إلى الصحراء في فترة متأخرة من الألف الثانية قبل الميلاد وهم الجيتوليون الذين اكتشفوا الصحراء بواسطة العربة والحصان والجمل بعد ذلك.

وصل هؤلاء النازحون في فترة ما زالت تسمح ظروفها المناخية بتنمية تعتمد أساسا على الأبقار ويفسر ذلك وجود العربات في جو رعوي بقاري؛ إلا أن ثمة مشكلة تتمثل في أن عربات الصحراء ليست معروفة إلا بواسطة النقائش إذ لم يكتشف بعد على عموم الصحراء أي أثر لها.

21+ عربة تمثل لائحة مهمة تسمح إحصائيا بتصنيف هذه العربات، ففي موقع عوينقط شمال بير أم قرين تم اكتشاف 105 نقيشة لعربات وتمت دراستها من طرف تيدور مونو؛ الكابتن كوني وهنري لوت (1957) وفي الغلاوية شمال آدرار تم إحصاء 64 نقيشة لعربات من طرف روبير فرني (1993).

في عوينقط تصل نسبة العربات ذوات العجلتين 95٪ من مجموع النقائش أما النسبة الباقية فهي لعربات بأربع عجلات تتميز بشكلها المستطيل وبالغلاوية 62 عربة تحتوي على عجلتين واثنتان فقط بأربع عجلات.

لم تكن العربة وسيلة ترف في الصحراء ويدل على ذلك كثرة رسومها ونقائشها واتساع رقعة هذه الأخيرة على امتداد التراب الصحراوي فهي إذن كانت وسيلة تنقل "عمومية" عرفها جميع سكان الصحراء الموريتانية منذ الألف الثانية قبل الميلاد. زد على ذلك أن الرسوم والنقائش الممثلة للعربات ترسم ما يمكن أن يعبر عنه بطريق صحراوية؛ إلا أن هذه المعلومة تتطلب المزيد من البحث والتحقيق؛ بيد أنه يمكن تصور طريق تذهب من الساقية الحمراء حتى بير أم قرين ومن ثم إلى واد اركيس حيث تتصل بالغلاوية فأمزماز وأخيرا ظهر تشيت لتشمل بعد ذلك جميع مناطق تكانت.

إن ما تقدم النقائش والرسوم الصخرية من معلومات عن العربة الصحراوية ليس كافيا لمعرفة دور هذه الأخيرة خصوصا فيما يتعلق بضبط تاريخ ظهورها ومدة انتشارها مما يثير الشكوك حول امكانية تنقل العربة عبر أرض الصحراء الشيء الذي يتطلب عربة قوية مصنوعة من معدن وهو ما أثبتت التجارب عكسه إذ يعتقد أن العربة التي كانت سائدة قد كونت من خشب وهذه المادة لا تقوى على الحمادات والطرق الجبلية الشيء الذي يحد من رقعة تحركها ويجعلها محلية، أما انتشارها الملاحظ بواسطة النقائش والرسوم فمرجعه إلى تنقل الأشخاص ونعني بذلك تنقل التقنيات من منطقة إلى أخرى وهو ما يفكك نظرية الطريق الصحراوية.

إن هؤلاء الأشخاص الذين صنعوا عربات ونقشوها لا ينتمون لفترة عصور المعادن في موريتانيا إذ لا يوجد أي دليل لحد الساعة على تواجدها في فترة زمنية واحدة فبجبال اكجوجت مصدر صناعة النحاس لا توجد أية رسوم أو نقائش كما أن مواقع رسوم ونقائش العربات لم تكتشف بها بعد أية قطعة أثرية معدنية.

لا يمكن إذن بأي حـال من الأحوال البت في تواريخ الرسـوم والنقائش الصـخرية ولا رقعة انتشارها إذا علمنا أن الدراسات حول هذا الموضوع لم تستكمل بعد إذ تبقى عدة مناطق من التراب الموريتاني لم تكتشف؛ كـما أن المواقع التي توجد بها رسوم أو نقائش صخرية لم تدرس بشكل نهـائي. زد على ذلك أن هناك جوانب أخرى تعرقل الأمر ومنها خصوصا غياب دراسة للبيئة القديمة في موريتانيا وهو أمر نرى أنه أساسي لمعرفـة العوامل التي سـاعدت على انتـشار نوع من الحـيوانات في فـترة من الفـترات واندثارها في فترة أخرى وفي مناطق معينة كما أن المد البشري الذي أسس فنا جداريا خاصا به مـا زال يكسوه نوع من الغموض يحـتاج إلى المزيد من الاكتشافـات الآدمية في رسوم طبقـية مؤكدة مما قد يـتيح الفرصة للدراسات البـاليوانتروبولوجيـة لتوضيح كنه الاختلاط البشري الذي حصل في فترات متقدمة على التراب الموريتاني.

النقوش الصخرية المكتشفة في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. ناصر حسين العبودي(*)

أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت خلال الأربعين سنة الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة كما هائلا من المعلومات لم تكن معروفة سابقا، وقد ازداد اهتمام الدوائر المعنية بالآثار بمسألة التنقيب في السنوات العشر الأخيرة من خلال بعثات محلية وأجنبية، وقد اتفق العلماء على تقسيم الفترات الزمنية المكتشفة في الدولة إلى العصور التالية:

1- فترة العصر الحجري الحديث (الألف الخامس والرابعة قبل الميلاد)

2- فترة الألف الثالثة ق.م.

3- فترة الألف الثانية ق.م.

4- العصر الحديدي (الألف الأولى قبل الميلاد)

5- العصر الهلنستي (من القرن الثالث ق.م. - القرن الثالث الميلادي)

6- فترة العصور الاسلامية.

وقد تميزت هذه العصور بالتداخل فقد اختلطت المكتشفات التي يعثر عليها المنقبون بين كل من فترة العصر الحجري وفترة الألف الثالثة ق.م.، كذلك اختلطت بين الألف الثانية والأولى ق.م. وأيضا فترة العصر الحديدي مع العصر الهلنستي... وتنوعت هذه المواقع الممثلة للأزمنة الحضارية من حيث مواقعها الطبيعية بين سواحل البحار (الخليج العربي ، خليج عمان) وفي المنطقة الصحراوية وسفوح وقمم الجبال.

(*) مدير دائرة الآثار بالشارقة.

ومن هذه الآثار المهمة المكتشفة ما يطلق عليه النقوش أو الفن الصخري، الذي لوحظ كثيرا على سفوح الجبال وعلى بعض الأحجار الصلدة، إضافة لبعض النقوش على بعض الآثار المكتشفة مثل القبور وهي نادرة.

ولا يعرف ما يسمى بالرسم (أي استخدام الألوان) على الصخور، حيث لم يكتشف أي شيء يدل على ذلك.

مواقعها :

ومواقع هذه الصخور المنقوشة جلها على سفوح الجبال، وعلى بعض الصخور على الطرق الرئيسية القديمة وبالذات قرب الوديان أو العيون أو الافلاج أو شواطئ البحار أو قرب مواقع الآثار المكتشفة، وبالتحديد عثر على هذه النقوش في المناطق الجبلية من رأس الخيمة شمالا وتستمر مع سلسلة جبال عمان المسماة خطم ملاحة جنوبا وفي المنطقة الشرقية لهذه الجبال بالذات، استمرت أيضا بنفس التقنية والموضوع في سلطنة عمان في الحدود الجنوبية المتاخمة لدولة الإمارات، ونستطيع أن نقول أنها تكاد تكون واحدة إلاّ إنها تكثر وتتنوع مواضيعها في عمان.

مواضيعها :

من مشاهدتنا لهذه النقوش المنتشرة يمكن تقسيم هذه النقوش إلى:

1- نقوش فردية لبشر.

2- نقوش فردية لحيوانات البيئة المدجنة مثل الجمال والثيران والماعز والغزلان والثعابين.

3- نقوش فردية لأسماك البيئة وأشكال القواقع.

4- نقوش فردية لظواهر طبيعية كالقمر والشمس والنجوم.

5- نقوش لأشكال أقرب إلى الهندسية مثل الخطوط والنقوش والمربعات غير مشخصة الدلائل.

6- كتابات ثمودية وباللغة العربية.

7- أتت بعض من هذه المشاهد لهذه النقوش لموضوع واحد كأن يكون المشهد من البيئة حيث يضم بشرا وحيوانات بهيئة مشاهد صغيرة مختلفة لعمل احتفالي أو طقوس أو صيد أو عراك، أو قافلة من (البشر والجمال وبعض الأغنام).

وهناك مشاهد لموضـوع مثل ثور يأكل شيئا وعلى ظهره هلال ونجـمة (موقع خطم ملاحة) مثلا، وفي البعض منها أتت النقوش بتفاصيل دقيقة لحيوان تمثل رجله ورأسه وعينيه. . . الخ، وللـبشر تظهر تفاصـيل الجسم من الرأس والأيدي والأرجل وبعض الزوائد.

وعموما توضح كل هذه النقوش بشكل أو آخر مواضـيع من البيئة التي يعيش فيها الإنسان إلا أنه ليس من السهولة رؤيتها وما زلنا نكتشف كل يوم المزيد منها في أماكن اعتدنا زيارتها منذ زمن، ومساحـة هذه النقوش ليست كبيرة في نفس الموقع، وتكون من أشكال صغيرة فردية لا تتعدى 20 سم2 إلى مشـهد لا يزيد بمساحته عن متر مربع فقط.

أهم مـواقـع هـذه الـنـقـوش في الـدولـة :

تم العثـور على هذه النقوش بالقـرب من المواقع الأثرية ومما يعرف حـتى الآن موقع مصفوت (عجمان)، الرمس - وادي شعم - وادي البيح (رأس الخيمة)، قدفع - البثنة - الحيل - عين الغمـور - صفد (دبا الفجـيرة)، وادي شي - كحام مسـعود - المرقه - خطم ملاحة - اللولية - وادي الحلو (بالشارقة)، حتى (دبي)، هيلى (أبو ظبي).

في هذه الدراسة سوف أستعرض بعض هذه الاكـتشافات التي لم ينشر عنها شيء سابقـا من قبل مثل نقـوش خطم ملاحة، وحـتى (دبي)، والكتابات العربيـة الجنوبية والآرامية من موقع مليحة الأثري .

نـقـوش مـوقـع خـطم مـلاحـة :

يقع هذا الموقع ببلدة (كلبـاء) التابعة لامـارة الشارقة، ويتـكون من مجمـوعة تزيد على (40) نقشـا فوق سفوح وقمـة الجبل. هذا الموقع يشكل بيئتين : زراعـية تتكون من مجموعة من الجـبال حولها أراض صالحة للزراعة وتوفر الميـاه، وبيئة بحرية حيث لا يبعد البحر عن الموقع أكثر من كيلو متر واحد، وهذا المكان يعتبر خطا للمواصلات بين شمال رأس مسندم وجنوبه.

تم تنفيـذ هذه النقوش على حـجارة الجـبل ولوحظ أن النقاش اخـتـار بعض القطع الصغيرة المنفصلة لتنفيذ عمله ولم يتخير اجزاء مستوية طويلة لتنفيذ موضوع أو مشهد

متـرابط، ولكن ربما كانت هذه الحـجارة على هيـئة قطعة واحـدة في الماضي وتفطرت بفعل ظروف المناخ من الاختـلاف الكبير بدرجات الحرارة في الصـيف والشتاء، وفي نفس اليوم وازديـاد كمـية الرطوبة بهواء المنطقة. تم التنقيب بهذا الموقع مـن قبل بعثة جـامـعة لندن عـامي 1193، +119م، حيث تم العـثـور في السفـوح من هذا الجـبل على مناطق اسـتـيطان تعـود إلى العـصـر الحجـري الحـديث (000+ق.م.). أمـا في الأرض في نهاية الجـبل فأيضا تم العـثور في نفس الفتـرة على موقع يتكوّن من طبـقة تزيد على المتر من بقايا القواقع البحرية وعظام الاسماك والحيوانات التي يتغذى عليها الانسان هنا.

هناك صعوبة في مشاهدة هذه النقـوش وتميز الموضوع وذلك بسبب ضعف النقش (الحفـر) وذلك لوجود اختـلاف بسيط في اللون بين النقـر الجديد الذي تم تنفـيذه من قبل الناقش وبين الحـجارة الأصلية القـديمة، حيث لم يستـعمل الناقش أية ألوان على النقش (أو ربما استعملها وتلاشت بفعل ظروف المناخ) إضافة لضعف الصخور نفسها وقلة صلابتها وتميزها بسهولة التكسر والتقشر بفعل المناخ.

الـمـواضـيـع :

وهي عبارة عن نقوش لأشكال بشرية منفردة بهيئات مختلفة وحيوانات البيئة مثل الماعـز والثور والغـزال والأسمـاك والظواهر الكونية مـثل الشمس والقـمر والنـجوم. ولوحظ على هذه الأشكال انها كـانت تقابل جهة الشرق، ولـم نشـاهد أيا منها تواجه جـهة الغـرب، والشرق في هذه المنطقـة هو البـحر، واتخـذت صخـور الجبـال مكانا للتنفيذ عليها ربما باستعمـال حجارة من نفس الجبل اتخذت كأزميل لذلك وتميزت بأن مواضـيعها مـحددة كمـا ذكرنا سابقا، ولكن تـبقى هناك بعض التفـاصيل التشريحـية الدقيقة في الأشكال البشرية والحيوانية عملت بمعرفة الناقش.

الـفـتـرة الـزمـنـيـة :

الدراسـات السابقـة التي تمت على النقـوش الصخـرية في الإمارات عـام +198م أوضحت أن بعضا منها يعود إلى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، بخلاف البعض الذي يعود إلى فتـرات أحدث، وعند مقارنة النقوش في هذه المواقع ونتائج تنقـيبات الموقع نفسـه يتضح أن هذه النقـوش أقدم من غيـرها من النقوش المدروسـة، وربما تعود إلى نفس فترة الموقع، وهو العصر الحجري الحديث (000+أو 3000ق.م.)

نقوش موقع اللولية (خورفكان) :

تم اكتشاف بعض النقوش الصخرية في هذه المنطقة بالقرب من شاطئ البحر، وهذا المكان عبارة عن جبل متوسط الارتفاع قريب من جبل تم مسحه من قبل علماء الآثار حوالي 3كم جنوبا، حيث تبين وجود مجموعة من القبور تعود في فتراتها إلى الألف الأولى فبل الميلاد، وأيضا تم التعرف على فخاريات تعود إلى الألف الثانية والثالثة ق.م.

النقوش المكتشفة كانت منفذة على قطع حجرية عديدة منفصلة عن كتلة الجبل حالها حال النقوش المكتشفة بموقع خطم ملاحة، وعموما نقوش هذه المواقع قليلة وتتمثل في شكل يشبه السهم أو الاشارة في أربعة أحجار موزعة في المرتفع توصل الشخص إلى مكان (؟) وهناك حجارة أخرى مستطيلة عليها عدد كبير من هذا الشكل (أي النقوش) حوالي 15 شكلا، ربما فسر هذا النقش على أنه اتجاه أو سهم زاويته غير مدببة أو ربما يرمز إلى شكل شيء ما مثل شجرة أو غيره.

وبجانب هذا الشكل بعض الأحجار منفذ عليها نقش شكل لبشر وحيوان يشبه الجمل وهذه الأشكال شائعة في الإمارات حتى سلطنة عمان.

لم تحدد بشكل جازم الفترات الزمنية لهذه النقوش لأنها لم تدرس بعد ولم ينقب في الموقع نفسه لتحديد فترة الموقع الزمنية.

نقوش موقع قدفع :

بشمال موقع قدفع حوالي (1كم) وعلى الطريق العام من الفجيرة إلى خورفكان يوجد تجمعان لصخور منفصلة وجد على التجمع الأول لهذه الصخور بعض النقوش تمثل أشكالا معروفة لحيوانات البيئة مثل الجمال، وبشرا ويلاحظ على هذه النقوش أنها صعبة الرؤية، وذلك لضعف التنفيذ من ناحية وتقشر الحجارة من ناحية أخرى، حيث لم يشاهد كاتب هذا المقال بعضا منها بعد زيارته الأولى للموقع قبل عشر سنوات سابقة، وفي التجمع الثاني للصخور والذي يبعد عن الأول عدة أمتار هناك رسم هندسي مربع بهذا الشكل ونقوش حوله، ويتكرر هذا النقش في مكان آخر من نفس التجمع الصخري.

ان تاريخ هذا الموقع لا يبتعد عن تاريخ الموقع المكتشف في منتصف الثمانينات من هذا القرن المسمى مدفع حيث أرخ بالألف الأولى قبل الميلاد.

حصاة : (الوسوم) :

تقع هذه الحصاة (الحجارة) في منطقة الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة بين خورفكان ودبا وهي أقرب إلى دبا على خليج عمان، وهذه الحجارة معروفة منذ القدم في أحد الجبال وتتلخص أهميتها بأنها تحوي على نقوش كثيرة ومتنوعة يستفيد منها سكان المنطقة في وسم (وشم) حيواناتهم بشكل من أشكالها الكثيرة حتى يمكن للقبائل هناك من تحديد ما يتبعهم من مواش وأغنام، وإذا ما أرادت قبيلة أو أسرة وشم حيوانتها فإنها تتفق مع باقي القبائل لتحديد شكل مميز لها من أشكال هذه الحجارة.. ويضرب المثل بهذه الحجارة لكثرة الأشكال التي تحويها.. (وللأسف بحثنا عنها كثيرا في الموقع المقترح ولم نوفق في العثور عليها للآن !!).

نقوش الكتابات العربية :

توجد مجموعة من الكتابات (النقوش) في مختلف مناطق الإمارات وهي تتوزع أيضا في المناطق الجبلية مثلها مثل النقوش الأخرى التي تعود إلى أزمان قديمة.. وعلى كل حال فان الكتابات قليلة بالنسبة إلى النقوش الأخرى التي تمثل أشكالا آدمية وحيوانية تعود إلى فترات مبكرة، وتكاد تقتصر هذه النقوش على الكتابة في الشؤون الإسلامية، وهذه الكتابات عبارة عن أسطر قليلة (من سطر إلى سطرين أو خمسة)، وهنا نموذجان لهذه الكتابات عثرنا عليها بالصدفة في السنين الأخيرة أحداهما في منطقة المرقة بخورفكان والأخرى في منطقة "صفد" بالفجيرة، أما أحدث نقش فهو :

1- ـ كتابة (نقش) ميناء خورفكان ـ الشارقة :

وهي عبارة عن كتابة بالنقر على حجارة ساقطة جبلية صلدة (مكسورة) بنية اللون، عليها نقش باللغة العربية واللون أبيض، وهو لون الحجرة الأصلية بعد النقر والنص هو

* طول النقش : 80سم
* عرض النقش: 48سم

وتميز النقش بنقاط (حفر) في مختلف المساحة منها حفرة وحيدة والبعض على شكل مثلث (. . .) أو ثلاث نقاط (حفر) كبيرة، وهذه الحفر تلاحظ أيضا في

النقـوش التي تعـود إلى الفتـرة المبكرة من الكتـابة الموجـودة على هذا النقش ويلاحظ وجود تاريخ السنـة هو ما يشبـه 331 أو 831، ومن شكل الآلة المستعـملة في النقش يتضح أن الرقم الأصح هو 831 وهو قريب من الفترة الزمنية التي أعطيت لنص موقع المرقـة في سنين سابقـة، والتاريخ غـير مـوضح فيـما إذا كان هجـريا أو ميـلاديا ومن معرفـتنا باستعمـالات التقويم فإن سكان المنطقـة لم يستعملوا التـقويم الميلادي إلا في الخمسينات من هذا القرن، وبذلك فإن تاريخ النقش هو تاريخ هجري.

2- نقش منطقة صفد الفجيرة :

يقع هذا الموقع بمنطقة تسمى صـفد غرب الطريق (الفجيرة - خـورفكان) بمسافة 5 كم، وهو نقش لكتابة عربية (نص في موضـوع اسلامي) على حجارة في أعلى الجبل المتخذ كقلعة عسكرية من عصر قريب، وأمام هذه الحـجارة المنقوشة حجر آخر صغير منفصل عليـه كتابة أيضـا لم نشاهده، ويبدو أنه أخـذ من الموقع اعتمـادا على الصور القديمة، والنقش من ستة أسطر موضوعه واحد وهو :

* طول النقش : 3،96 متر
* عرض النقش : 1،83 متر

النص عادي وليس فـيه جديد من حـيث الموضوع ولا يوجد تاريخ لهـذه الكتابة، ومن دراسـة الموقع الذي هو مكان عـسكري يتضح أن الـكتابة ليـست ببـعيـدة الزمن ولكنها قريبة للكتابات التي تم ذكرها سابقا.

المـراجـع

1- Rock Art of Oman 1975 - Christopher Clarke - in The Journal of Oman Studies, Vol. 1 - 1975 Sultanate of Oman.

2 - آثار الخليج العربي ، الجزء الأول، آثار الشارقة - تأليف ناصر حسين العبودي، وزارة الإعلام، أبو ظبي 1978م.

3- دراسات في آثار وتراث دولة الإمارات العربية المتحدة - تأليف ناصر حسين العبودي - المجمع الثقافي، أبو ظبي 1990م.

4- تقارير بعثة الآثار الفرنسية المشتركة، التقرير الأول والثاني والثالث، دائرة الثقافة والإعلام 1989-1990م.

5- المسح الأثري، البعثة البريطانية - تقرير منشور 1992-1993م.

6- زيارات ميدانية للمسح للباحث.

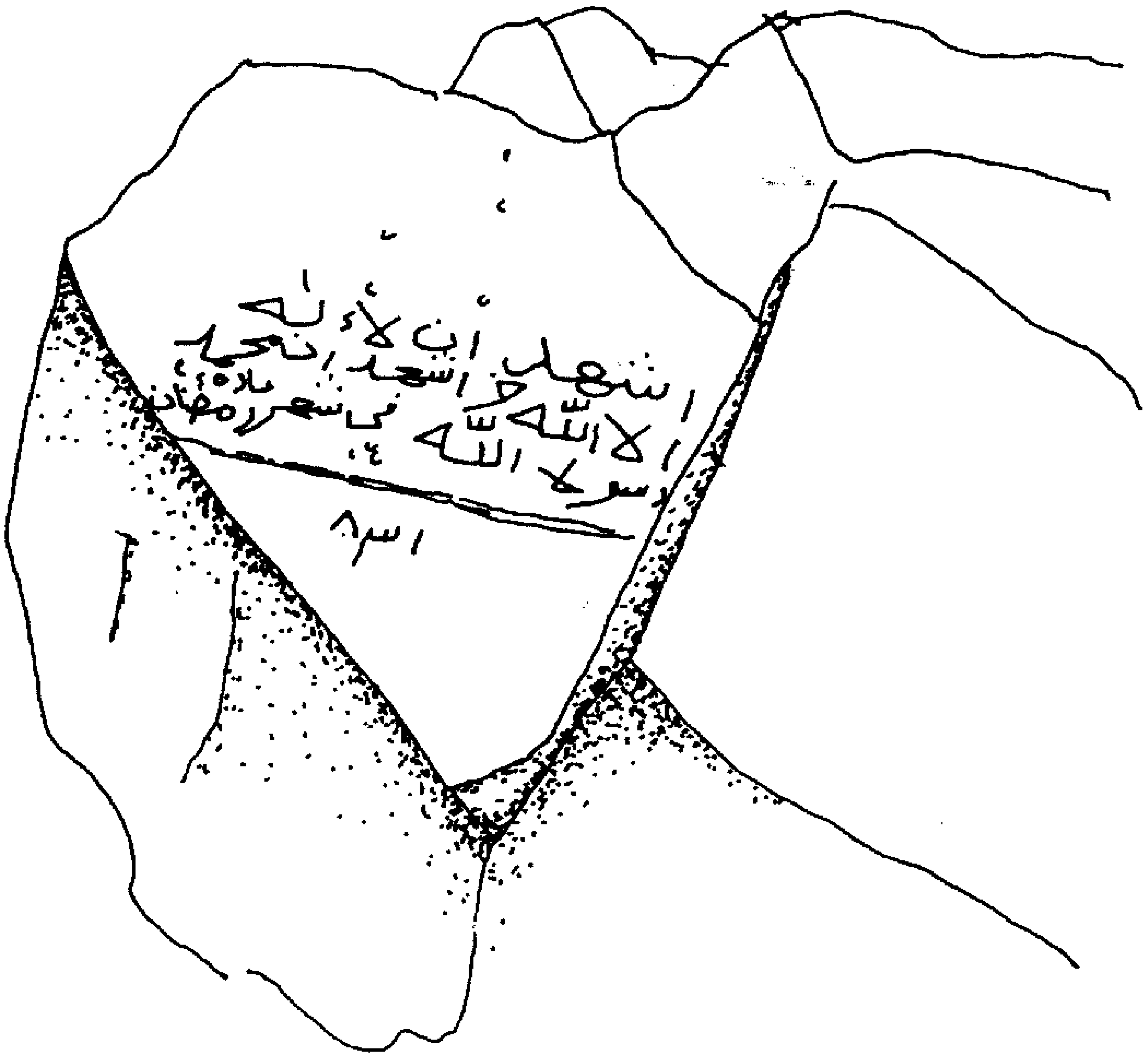

نقوش صخرية من خوزمطان

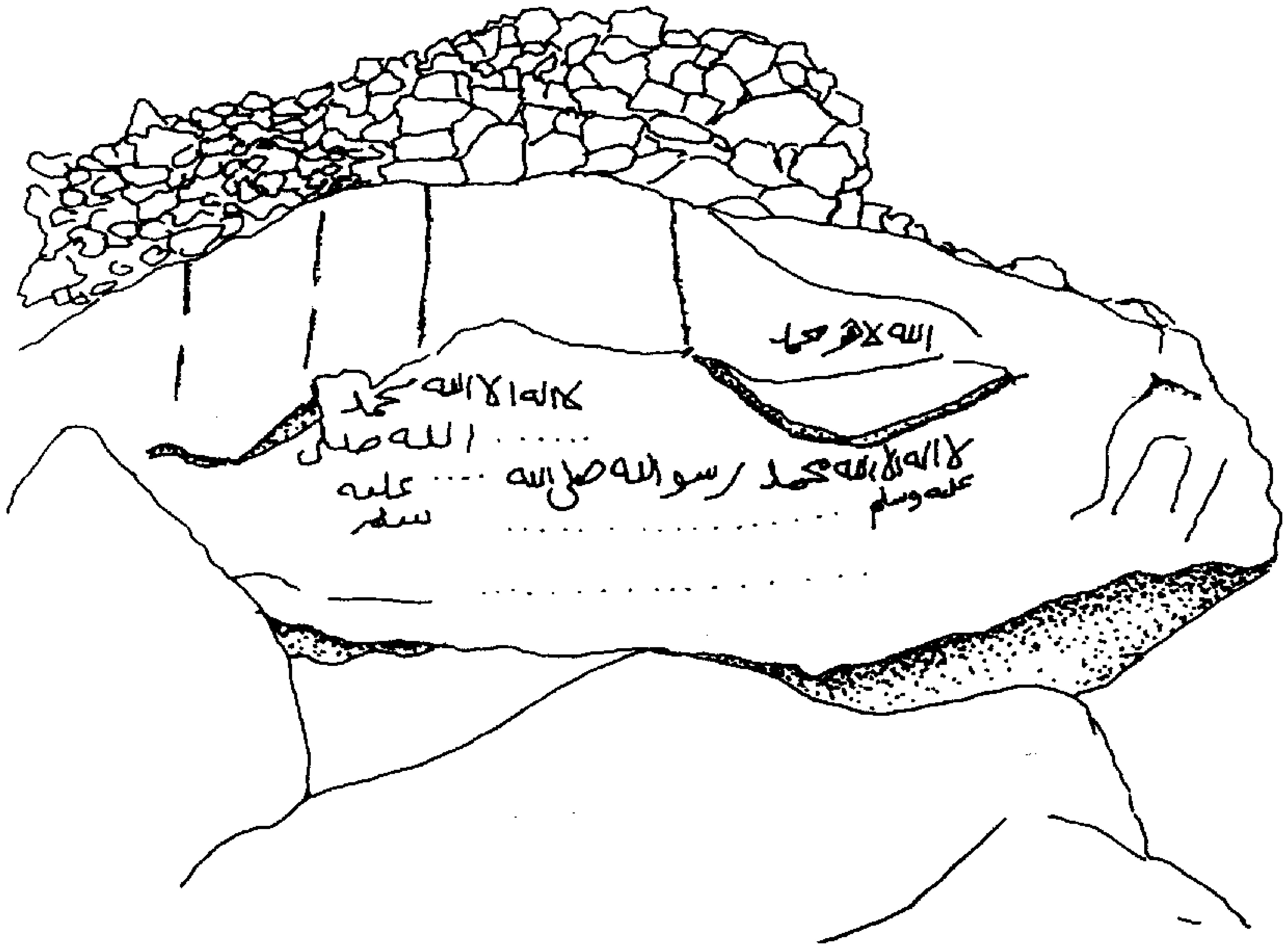

نقوش (كتابات) من صفر

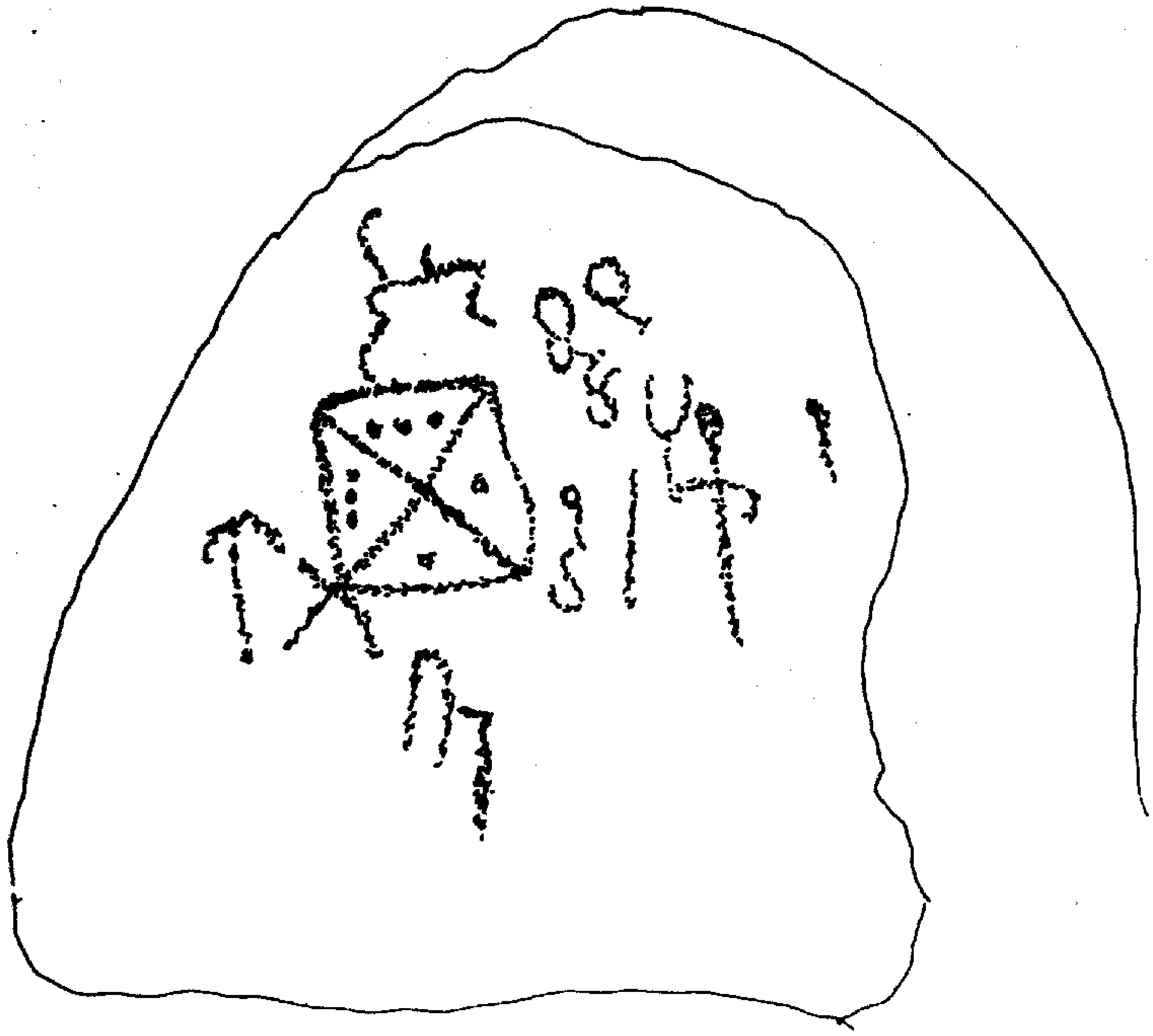

نقوش صخرية من صفر

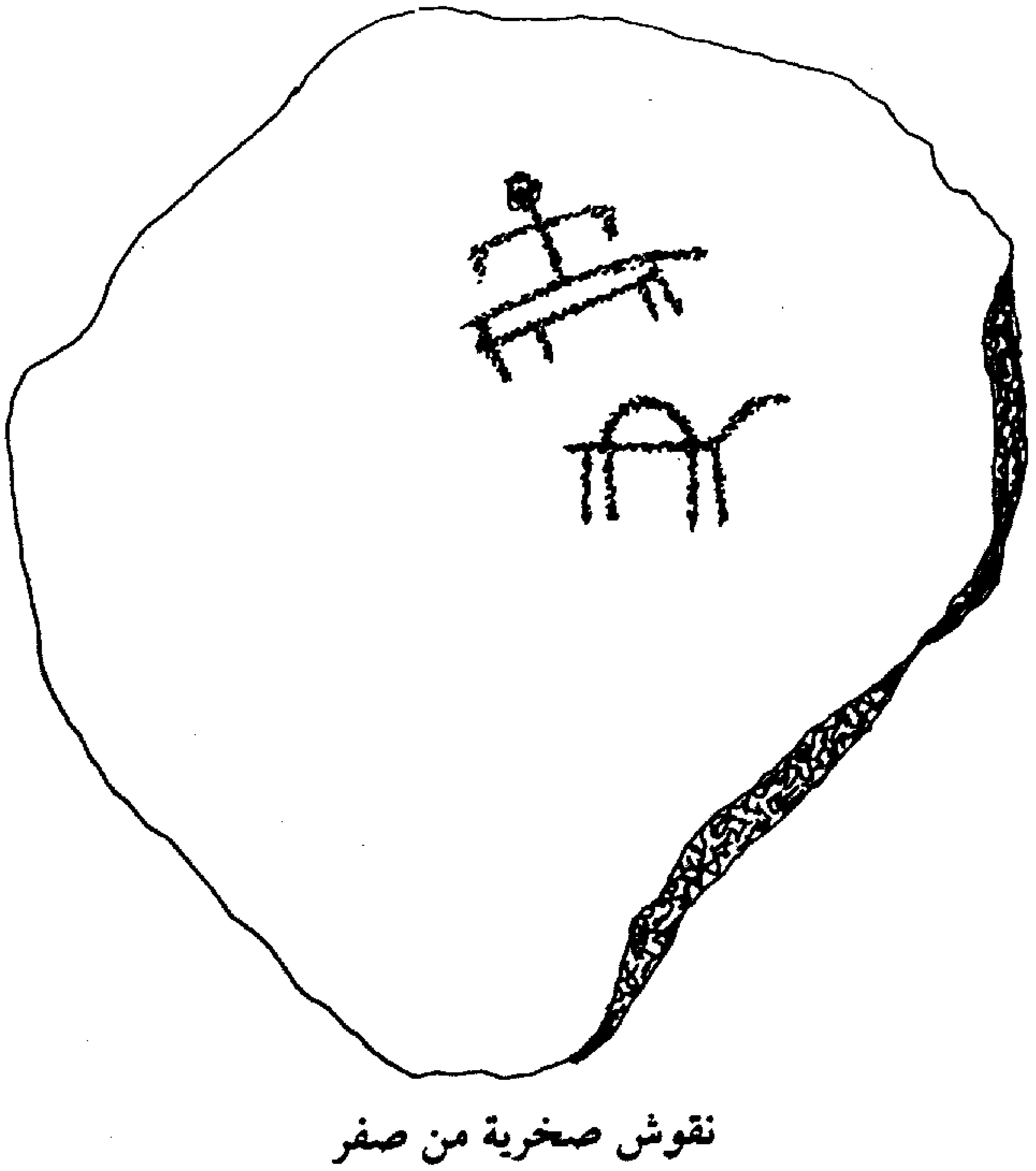

نقوش صخرية من صفر

نقوش صخرية من خوزمطان

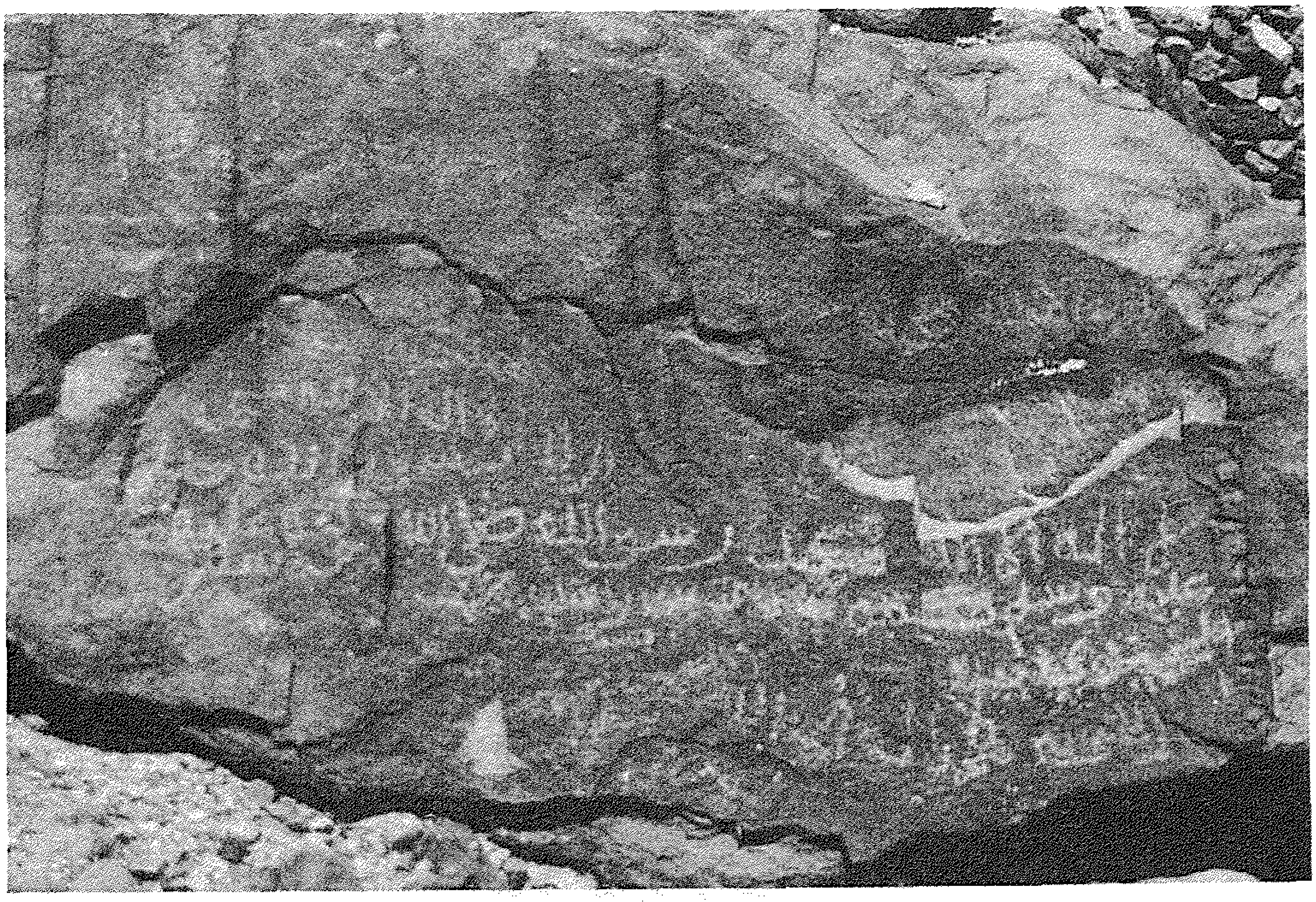

نقوش صخرية من صفر

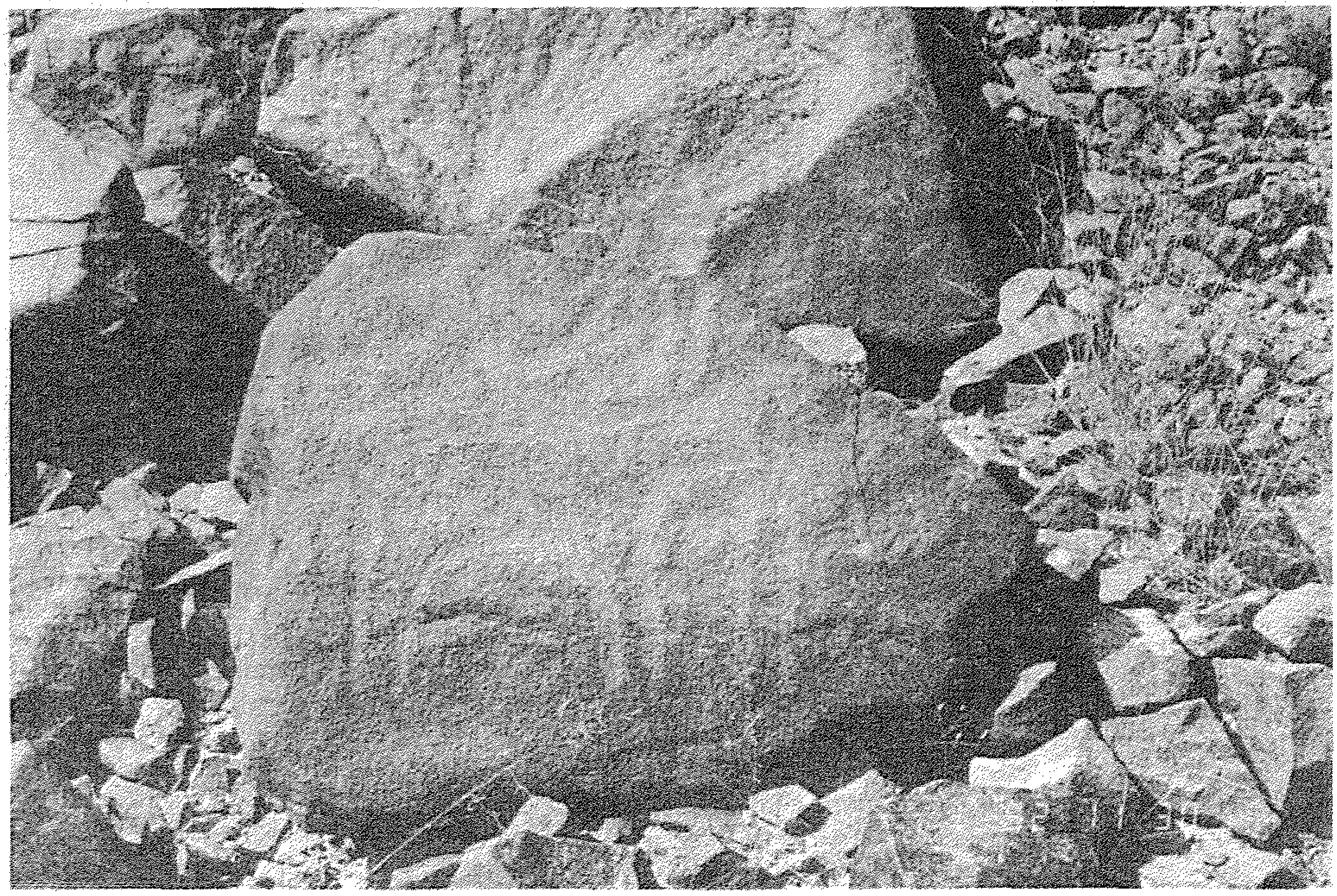

نقوش صخرية من خوزمطان

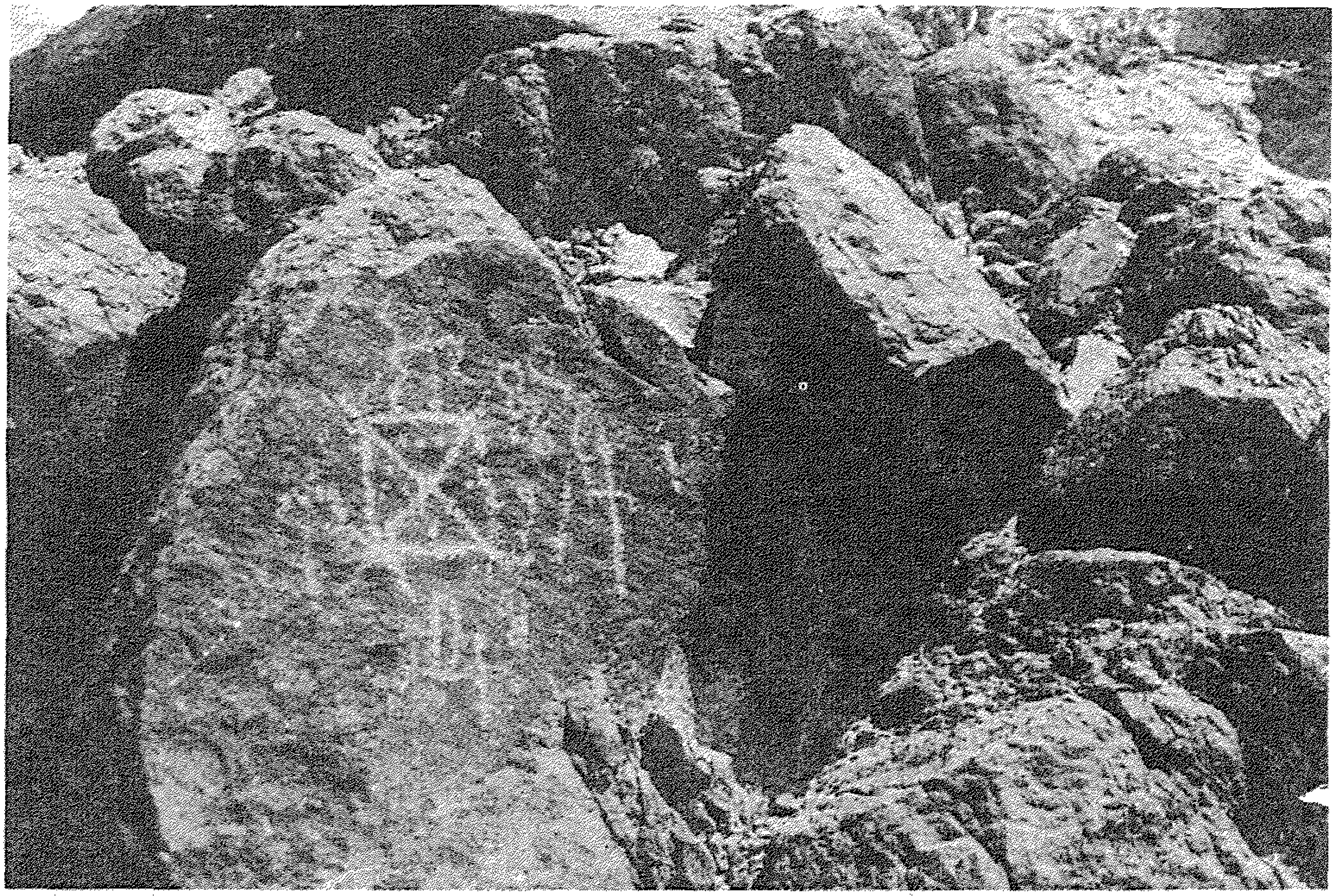

نقوش صخرية من قدفع

نقوش وادي الكوف

أ. صالح ونيس عبد النبي

قد دفعني للكتابة عن هذا الموضوع ان هذا الإرث العربي الليبي القديم لم يطرق إلا حديثا إذا قيس بالإكتشافات الأثرية في الشرق الأدنى ومصر، بحيث إن ما كتب عنهما من تأريخ وحضارة وثقافة كان قديما وسابقا لكل عهد ومهد في الوطن العربي. ولكن ما اكتشف ودرس عن النقوش والرسوم في تاسيلي وتدرارات أكاكوس والعوينات وحقفة الطيور قرب بنغازي ووادي الكوف والمقرنات بشحات وكرسة على حداثة دراسته التي لم تصل إلا إلى الوصيد، قد بهر عقول العلماء إذ اتضح إنها أقدم من الشرق الأدنى ومصر (شرق وادي النيل)، وإنها أوجدت نفسها لنفسها ثقافة وفنا، إن هذه الحقيقة تجلت الآن للعيان بفضل بعض المنصفين من العلماء الأجانب وللأسف الشديد وحتى الآن لم تأت أي بعثة عربية علمية أثرية تنقب عن هذه الحضارة والثقافة العربية الليبية سواء في جنوب ليبيا أو شمالها.

إن إطلاق أي تسمية وتنسيب أي موقع على أول إكتشاف لما قبل التاريخ والتاريخ أيضا تصبح هذه التسمية متداولة بين الباحثين والكتاب ويصعب عندئذ تغيير اسمه أو نسبته بالرغم من قدم مهد الإكتشاف الجديد. إن بعض الباحثين كما مكبرني وموري لوت وقراتسيوس اتجهوا في تتبع أدوار العصر الحجري القديم في افريقيا وآسيا لدراسة الحضارة البشرية فيما قبل التاريخ لأنهم رأوا أن هذا الجزء من العالم سيضيف إلى ذخر الحضارة البشرية الشيء الكثير فهو بكر في تنقيباته موغل في قدم حضارته وثقافته وفنه.

إن ما جمعته من هذه المعلومات والدراسات هو عن طريق مراجع مدونة، ولم يكن عن الطريق المكمل وهو المسح الشامل للأماكن المذكورة للوقوف على صحة

الخبر والقدرة على صحة الوصف باستثناء بعض الكهوف والأودية في الشمال وخاصة كهف العودة في وادي العودة الذي يرجع إلى ما قبل التاريخ وقد قمت بدراسة نقوشه لأول مرة.

إن قصدي من هذه الدراسة إبراز حضارتنا وثقافتنا بين البشر. . . وما التنقيب عنها وإكتشاف بعض أسرارها إلا ومضة من ومضات العالم العربي خاصة والشرق عامة وهل وجود الصدف إلا دليل على وجود اللآلي. .

"أو" لن نرى مرعى مغدقا مطلقا إلا وجدنا للخلق فيه إنتجاعا

وإلى "الذين" لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أهدي هذا المنتجع.

الحزام الجبلي في الوطن العربي:

تظهر السلاسل الجبلية ممثلة في جبال أطلس بالمغرب والجبل الأخضر والجبل الغربي وجبل تيبستي في الجماهيرية العظمى، والمرتفعات الجبلية على جانبي البحر الأحمر ومصر والسودان والسعودية واليمن والمرتفعات الأخدودية في غرب سوريا ولبنان وفلسطين وجبال كردستان وزاجروس في شمال شرق العراق. وقد أطلق عرفيا على بعض هذه المرتفعات تعبير " الجبال" ولكنها في الواقع حافات هضبية كالجبل الأخضر والجبل الغربي، فهما يمثلان أجزاء من الحافة الشمالية للهضبة الليبية، وكذلك جبال البحر الأحمر فهي حافات للهضبة العربية في افريقيا وآسيا[1].

كانت هذه الصحراء القاحلة في الماضي السحيق غزيرة الأمطار كثيرة النباتات والغابات التي تعيش عليها الحيوانات المفترسة الضخمة والزواحف العملاقة، فإذا بالانسان يكافح هذه الوحوش ليعيش، ويحاربها ليوجد لنفسه بينها مكانا أمينا ليطمئن فيه على حياته، وما كاد يلقي سلاحه ويفرغ لنفسه بعض الشيء بعد هذا الجهاد المضني ويأوي إلى كهفه ليستريح ويستقر به المقام في هذا المسكن الجديد، ويرضي فيه حاجات جسمه من مأكل ومشرب حتى يقوم إلى جدران هذا الكهف يزخرفها وإلى آلات صيده يجملها ويزينها[2]. ووجد نفسه أيضا أمام قوى الطبيعة

(1) حسن د. محمد ابراهيم : دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات الجامعة الليبية (1972) ص 7 .

(2) مرزوق محمد عبد العزيز : الاسلامية والفنون الجميلة، القاهرة، مطبعة دار الكتب العربية (1944) ص 6 .

أمام قوى تعمل من وراء ستار رأى البراكين المتطايرة بالحمم فتصيبه في نفسه وماله وسمع الرعود والزمجرة الصاخبة والرياح الهوجاء العاصفة والبرق يخطف الأبصار، وكانت هناك السيول الجارفة المدوية والأودية العميقة كأودية متخندوش الواقعة خلف مرزق، والوادي الذي يصل بين فزان والسودان ووادي النيل والأودية العميقة في شمال ليبيا[3].

وما أن قلت المستنقعات وبدأت المسطحات الغرينية وصلحت الأرض المحيطة بالأودية حتى حدث الإتصال والإستيطان والتلاحم والتزاوج الثقافي والأسري والممارسات الطقسية على طول الأودية والأنهار بين هؤلاء الأسلاف والشرق الأدنى، ولم تكن تلك الهجرات الجماعية الصغيرة من جانب واحد فعصر السلالات في وادي النيل لم يولد من فراغ وأكبر الظن أنه خرج من رحم العصر الآن إلا بداية وتجربة طويلة تمخضت عنها تلك الأهرامات الكبيرة في ليبيا القديمة حيث وادي النيل، وإن نجد في عهد الأسرة السادسة أهرامات صغيرة في سقارة قرب الهرم المدرج الذي بناه زوسر الأسرة الثالثة مثل هرم تيتي وهرم بيبي الأول.

ومن المقابر التي اكتشفت في بلاد النوبة على شكل بيضاوي أو دائري وقد ثبت من خلال دراسة جماجم الموتى من أنها لا تخص المصريين وإنما تخص - كما يقول بيتس شعوبا أخرى كانت تتجول في مصر من منطقة لأخرى أي ليبيين كانوا ينتشرون في جميع شمال افريقيا[4]. ومن هذه المقابر التي تطورت ولكنها حافظت على هيأتها الدائرية القديمة منها مقبرة قرب مسة ترجع إلى بداية القرن السادس ق.م[5]. وهناك أيضا معابد ليبية قديمة كمعبد اسلنطة ومعبد المحاريث وبعض الحقاف التي بجدرانها رسومات أبل في وادي الكوف وهذه جميعا أقدم عهدا مما قدر لها بدليل وجود معبد واحد منها فقط حتى الآن وحيث كانت قبيلة الاوسبيستاي المتحضرة قبل قدوم الاغريق صاحبة العربة التي تجرها أربعة خيول[6]. وإن كان هذا في العصور التاريخية وهناك مقابر ليبية قديمة في الجغبوب الأماكن المحيطة به كالفريدغة والطرفاوي واللقودعين بوزيد حيث عثر فيها على أشجار متحجرة وقبور ليبية قديمة كالمقابر التي عثر عليها في مطروح حيث كانت تسكن قبيلة قطانى أو قطعاني[7]. ولا تزال قبيلة

(3) جاد الله فوزي فهيم : أستاذ بجامعة قاريونس سابقا، حديث وحوار شفوي

(4) Bate, O., The Eastern Libyans

(5) Libyan antiqua vol. I, pp. 127-131

(6) Heodohus IV

(7) Libyan and Egypt from 1300 - 750 b.c. Ed. by antihory Leahy, London, the Univer. (1990)

القطعان تنتشر بين مطروح وليبيا. وقد استطاع الليبي القديم في بداية العصر الحجري الحديث بجوه الرطب الحار أن يتطور في صناعته ووسائل دفاعه وسكناه فصنع الهراوات والقسيّ والرماح من الشجر والمدى والخناجر من الأحجار والحبال من ألياف الشجر وصنع الثياب الكتان وصنع أواني الفخار " إن كل الإطار الصحراوي كان يسكنه جماعة الكهوف كما أن ترتيب الكهوف والمخابئ الصخرية لإستخدامها كمساكن وعنابر هو نفس الترتيب الذي نراه في أغلب أجزاء شمال افريقيا، وهذا ما يوحي بوجود عادات وحياة متطابقة أو على الأقل بوجود وحدة حضارية واحدة في بعض المناطق خضعت لنفس التأثيرات "(8).

وفي شمال ليبيا نجد أدوات ما قبل التاريخ كالمقاشط والرقاق التي تشبه الهلال والسهام والفؤوس الحجرية عثر عليها في بنينة وفي القطارة والمساحة بينهما، وفي سلوق وتوكرة والمرج وكرسة ووادي شلال بو منصور بدرنة والقبة وعثر في كرسة على فخار مثل الفخار الذي عثر عليه في تدارات أكاكوس ووان موهاجوج في فزان يرجع تاريخها إلى الألف السابعة ق.م. مما أدى إلى إعتبار هذا الموطن المهد البدائي للصناعة(9).

ولما كان الإنسان ميالا بطبعه للديانة والفن وحب البقاء فقد رأى في الحيوانات المفترسة والعملاقة قوة تفوق قوته، فكان لزاما عليه أن يسترضيها بقدر ما وصل إليه عقله الفطري أو المطبوع فهداه تفكيره وغريزته الفنية إلى رسمها ونقشها على الجدران داخل تلك المآوي كي يمتع الصيادون وأبناؤهم أنظارهم بمرأى الحيوانات ومعرفتها عندما يأتي المساء ويأوون إلى أعماق كهوفهم أو عسى أن يستجلبها بنوع العامل الديني أو التعاطف السحري فتسهل قيادتها والتحكم فيها فيتحقق له بهذه القوة السحرية الغاية الإقتصادية بالتعبير الحالي فحاكى ما رآه في محيطه من حيوانات وزواحف بالرسم والنقش بطريقة سليمة وسواء كان ذلك لهذا الغرض أو الجمال أو البقاء أو الذكرى أو تقديسها واحترامها لأنه رأى فيها قوة أعظم من قوته فعبر عن عبادته لها بهذه الرسوم والنقوش فهي خطوة من خطوات الأديان التي ترجع في جذورها إلى ما قبل التاريخ بعد أن عجز الانسان عن ادراك كنه الله وطال عليه الأمد. وقد تجمع هذه الاتجاهات الثلاثة: الدينية والفنية والتذكارية جنبا إلى جنب.

(8) بو لم، دنيس : الحضارة الافريقية، ترجمة على شاهين، بيروت، مكتبة الحياة، ص

(9) Libyan studies, vol. 25 (1994). p. 41, cf. R. c.b. 3, pp. 1031 - 1032

فهذه الذخيرة بحق تمثل حياته وأحاسيسه الفنية في بيئته الاجتماعية وصور الحيوانات والزواحف والطيور التي كانت تعيش في عصره، إنها لآية من آيات نبوغ الأجداد وعبقريتهم الفذة.

النقوش والرسوم الصخرية :

استطاع الانسان الليبي القديم أن يستلهم فنه من طبيعة أرضه التي أحبها بما فيها من أشجار وحيوانات وزواحف وطيور فسجل تلك المظاهر اليومية الصميمة على جدران الكهوف والمغاور والأهوية والحقاف مستخدما فيها ألوانها الطبيعية من أحمر وأصفر وأخضر وأزرق مع بعض اللمسات السوداء والبنية، وتتميز الخطوط الزخرفية بجمالها الأخاذ والأناقة والدقة والاحتفاظ بخصائص الأشكال التي رسمها مما يدل على أن ظهورها لا بد وأن يعتبر ثمرة لعملية تمهيدية طويلة قد حدد بعضهم تاريخ بعضها للعصر الحجري القديم(10).

ومن النماذج على سبيل المثال في تدرارات أكاكوس/ مورى :

* رسم بلوحة سندار(1) ثعبان بألوان مختلفة تزيد أبعاده عما تم إكتشافه حتى الآن مع ملاحظة دقة العمل وإنسجام الألوان الدور النهائي للرؤوس المستديرة.

*رسم انشال (2). . وعل راكض يبدى شكله بكامله آثارا " ضعيفة بلون أخضر وغامق على طرف الغلاف الخارجي، ويتراءى هذا اللون ضعيفا" على الحطم والقرون الطويلة المصقولة والمعقوفة إلى الوراء. وقد خطط كفاف البدن بخط أصفر فاتح عريض وسميك.

نهاية دور الرؤوس المستديرة.

* وان موهجاج (3) لوحة وعل جميل رابض وقدور كفاف الشكل والرأس والقوائم ومؤخرة الجسم باللون الأبيض وطلي غير هذه باللون الأحمر. وهناك لوحة منفصلة فيها نموذج رائع لكركدن ورغم أن هذا الرسم جاء مبسطا فإنه مع ذلك أظهر إحساسا بالنسب ودقة الرسم. لون الجسم في الكركدن أحمر أما الكفاف فبنفس اللون مع وقع صبغي داكن.

(10) ليبيا القديمة ز اليونسكو (1988) ص 163، قارن برامة محمد، تاريخ ليبيا، الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ، 3200 ق.م. بيروت، دار صادر (1973) ص ص 186 - 188

* وادي إيكي. . تمثل هذه اللوحة ثورا أصيب بسهم فأحنى رأسه أمام شكل بشري يلبس ما يشبه التنورة ويتراءى لنا من قرني الحيوان قرص يشبه شمسا صغيرة. ويكتسي هذا الموضوع بشيء من الأهمية لما يقدمه من إحتمالات تأويل حول فترة تأهيل الحيوانات التي سبقت التدجين الفعلي. الدور الرعوي القديم(11).

وفي شمال ليبيا نجد رسومات لبعض الحيوانات أمكن تمييز الحصان والحجل من بينها على جدران حقفة الطيور قرب بنغازي.

وفي كهف العودة في وادي العودة شمال زاوية العرقوب (الراية الخضراء) بحوالي إثني عشر كيلو مترات نجد رسومات لطيور ورأس خنزير وأرنب يقع تاريخها في دور الصيد درس لأول مرة. وفي كهف المقرنات في وادي ملجة محقن شمال غرب شحات نجد عددا من الرسوم تمثل أحد مجتمعات العصر الحجري القديم من بينها الودان وأنواع الماعز والبقر والثيران يقع تاريخها في الفترة بين الألف السابعة والسادسة ق.م.(12) وفي رزس الجمل بكرسة نجد رسومات صخرية تتميز بالأسلوب المحلي بخطوط هرمية متموجة من بينها بقرة أو ثور ترجع إلى عصر الرعاة في ما بين الألف السابعة والألف الرابعة. حيث كانت قبيلة الجيليتماي في عهد هيردوث (ق5ق.م.)(13) وإن كان في العصور التاريخية.

والآن ما أطالب به هو المسح الشامل لمواقع الكهوف والحقاف والأهوية والمواقع الأثرية الأخرى وعمل خريطة حديثة وإعداد دراسة علمية للقى الأثرية والنقوش والرسوم الصخرية وخاصة لا يزال الكثير منها في الجبل الأخضر مجهولا لدينا حتى الآن فحققفه العدوى لم تنشر دراستها إلى الآن فهي لم تبتعد كثيرا عن حقفة الجمل وكهف المحاريث بوادي الكوف ويقع في شرق هذه قرافة بشحات وهو افطيح الذي عثر فيه على قشور بيض النعام (90000سنة) شرقي سوسة وفي شرق هذا الموقع كرسة وفي درنة سيدي كريم وادي بو منصور.

ونجد في العوينات جنوب ليبيا رسومات تمثل أحد مجتمعات العصر الحجري الحديث من بينها الحصان والعربة بما يؤكد قول هيردوث عن استخدام القرامنت لها

---

(11) ليبيا القديمة، اليونسكو، نفس المرجع

(12) Antiquilty vol. 39 n° 154 June (1965) pp. 95-96, 101

(13) Libyan studies vol. 25, pp. 32 - 41

في فزان وان كان ذلك في العصور التاريخية. وهناك بعض النقوش في وادي الآجال تعود إلى ادوار ما قبل التاريخ ووادي زقزة ووادي مسعود وغيرها من مواقع في فزان وصخور جبال الهروج والبترجوج في فزان فيها أعمال جدارية خالدة تبعد عن الأكاكوس بحوالي ثلاثمائة كيلو متر والسودا حيث توجد رسومات لحيوانات مشابهة كما في كهف المقرنات في شحات[14]. وفي أودية متخندوش الواقعة خلف فزان توجد رسومات ترجع إلى الفترة المناخية الثالثة التي أطلق عليها عصر الصيادين في الفترة من خمسة آلاف وخمسمائة إلى ألفين وخمسمائة ق.م. فيها رسومات من بينها تمساح بقوائم طويلة تظهر واقعية الفنان في دقته في رسم حراشف التمساح والتفاصيل الدقيقة لرأسه وذيله وهناك رسومات تمثل صيادي الزوارق والنعام ورعاة البقر والثيران الكبيرة وهم طوال القامة والأطراف.

وتشير الرسومات إلى تطور عادات هذا الشعب تطورا "بطيئا" إلا أن أفراده مرسومون ببشرتهم البيضاء والشعر الأشقر مرتدين عباءات ترجع إلى الفترة ما بين الألف السادسة والرابعة ق.م.[15] كالتمحو الذين ذكروا في نصوص الدولة القديمة الألف الرابعة ق.م. وإن كان هذا في العصور التاريخية إلا أننا نجد منطقة تمحو في نواحي الأكاكوس وتاسيلي، كما يطلق على الطوارق أيضا تماحك[16]. ونجد في مقابر دير المدينة بالأقصر في الدولة الحديثة مناظر الحقول وأشجار الدوم وغيرها مما اعتبر سجلا حافلا للحياة المصرية القديمة. وهذا يجرنا إلى ذكر وادي الدوم بجنوب ليبيا الذي اشتهر بهذا الشجر. واستعمل الليبيون القدماء في رسم أبقارهم الألوان الطبيعية وقد وصفها محمد أيوب بأنها (انتاج قوم على درجة عالية من المعرفة والذوق الفني) وبأنها مثلت الحيوانات المرسومة (بواقعية منقطعة النظير[17] ويقرر موري بأن أقوام الصحراء الكبرى فيما قبل التاريخ قد بلغت مستوى عاليا من التطور الثقافي[18].

---

(14) مصطفى عبد الحليم. Quaderni della Libya vol. 5, cf. دراسات في تاريخ ليبيا القديم ز بنغازي، المطبعة الأهلية (1966) ص 5 .

(15) Libya antiqua vol. 3/4 (1968), p. 101 قارن بزامة المرجع السابق ص 62, 63، قان أيوب، محمد سليمان ـ معالم أثرية من جنوب الجماهيرية، الشركة العامة للورق والطباعة (1993) ص 87 .

(16) بزامة : المرجع السابق، ص 62

(17) أيوب : مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811 . طرابلس الغرب، المطبعة الأهلية، ص 40 . قارن تاريخنا الكتاب الأول ص 73 .

(18) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 167 .

وفي تدرارات أكاكوس يمكن مشاهدة رسومات على الصخور بينها ما يرجع إلى الحيوانات الضخمة إلى الأدوار القديمة جدا وأنواع من الفيلة والصيادين يحملون السهام ويلبسون جلد وحيد القرن وأقنعة للرسومات ورسومات للبقر أو الجاموس والثيران كما في وان أميل (Uan Amil) ومن بين الرسومات أيضا نجد صيادا يتحلى بذيل حيوان وهناك في وادي تدارارات رسم لفرس البحر، والزراف ووحيد القرن، وفي ثمد الحار في الهروج السوداء (فزان) نجد أربع زرافات منقوشة بعمق كبير تنسب إلى عهد أقدم. وإلى عهد أحدث تعود تصاوير حيوانات قسمها الداخلي هو محفور ومصقول تماما[19]. مما يدل على وجود الأرض الخصبة والمياه الغزيرة الدائمة في هذا الوادي. ونرى هيرودوث في القرن الخامس ق.م. يذكر الحيوانات المتوحشة ومن بينها القردة والأفيال وقطعانها الكبيرة التي تملأ المنطقة وإذا إتجهنا إلى مصر نجد أن بعض العلماء قد لاحظوا وجود بعض أوجه الشبه بين مواطن حضارة العصر الحجري الحديث في مصر ومواطن هذه الحضارة في ليبيا إذ يرجع إنتشار الآلات الحجرية الخاصة بهذا العصر في الفيوم والقسم الجنوبي من وادي النيل وحتى الواحة الخارجة من شمال حلوان حتى سيوه[20]. وكانت مظاهر الحضارة الغالبة ليبية[21].

ويتضح هذا من سكان البداري في مصر حيث نجدهم يحلون شعورهم بوضع الريش فيها وهو ما يتميز به الليبيون. ومن فحص الهياكل العظمية في جنوب غربي الدلتا في مرمدة بنى سلامة تبين أنهم فرع من سكان البحر المتوسط من ذوي الجماجم التي تميل إلى الإستطالة وجباههم عريضة.

وهم فرع من حضارة انتشرت على شاطئ افريقيا الشمالي ووصلت إلى أوربا حوالي عام 3000 ق.م.[22] ويرى البعض أن حضارة نقادة أو جرزة التي بلغت أوجها أنها ليبية إزاء وجود عناصر ليبية واضحة في هذه الحضارة[23]. ويرى فلندرز بترس أن حضارة العمرة بصعيد مصر ليبية الأصل[24].

---

(19) Libya antiqua, vol. I, p. II psq

(20) عبد العليم، د. مصطفى : المرجع السابق، ص 8 .

(21) نفس المرجع

(22) عبد العليم : ص 8، قارن Jones, A.H., the ceties of the Eastern Roman provwieces Oxford, the clarendon press 2nd ed. (1971), p. 353

(23) عبد العليم : المعرجع السابق، ص 10

(24) داقدس، بازل : افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد، بيروت، دارالثقافة، ص 117

ويرى البعض الآخر أن شعبة من الجنس الحامي السامي قد استقرت في شمال افريقيا والصحراء الكبرى قبل ألف ق.م. ثم خرجت هجرة من هذه الشعبة بعد أن تم تخصصها الحضاري في الفترة ما بين 1000 و 800 ق.م. إلى الشرق ونشرت حضارتها في وادي النيل وغرب آسيا حتى في بلاد النهرين[25]. وهذا يعني أن حضارة كل من مصر وبابل قد نشأت في الأصل في شمال افريقيا والصحراء الكبرى إلا أن إقامتها الطويلة في مصر جعلتها تتخذ صفات جديدة وترسي قواعد حضارة تختلف عن الحضارة التي أتت بها من مواطنها الأولى[26].

وإذا رأى أغلب المؤرخين أن حركة الفكر العقائدي في وادي النيل انتقلت إلى داخل القارة ووسطها وجنوبها من جانب واحد، فإني أؤيد ما أكد عليه باذل دفتس بأن عصر السلالات لم يولد من فراغ وأكبر الظن أنه خرج من رحم العصر الحجري الأخير في افريقيا. فالفلاحون في بحيرة الفيوم وهم الذين وضعوا الأسس الأولى للمجتمع المصري كانوا ولا شك يؤمنون بآراء عن الحياة والكون تميزهم عن غيرهم من الشعوب وأرجح القول أنها انبثقت من قلب افريقيا وخالطها شيء قليل من آسيا[27].

كان وادي فزان السودان في الفترة المطيرة عامرا بالمياه وكان الناس يأتون إلى مصر في جماعات صغيرة عن طريق هذا الوادي وعن طريق العوينات مما جعل الإتصال قائما بين الواحة الخارجة وسيوه والفيوم وبين الجغبوب والعقيلة[28]. إن الأهرام الصغيرة التي انبعثت في فزان قد بدأت صغيرة بعد معاناة من التجربة والإرهاصات، وقد طاب لبعض الليبيين القدماء الإستقرار في الجناح الشرقي من ليبيا القديمة فبنوا تلك الإهرامات الكبيرة حيث رأينا في البداري والفيوم ومرمدة بني سلامة، فليس إذن من المستغرب إذا رأينا على الأثار المصرية الليبية ذوي ملامح يتضح فيها مسحة أثر طفيف للملامح الزنجية[29]. وإن كان هذا في العصور التاريخية.

وقد ظلت الصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث رطبة ومزدهرة كما ظلت الحيوانات السودانية تهاجر موغلة نحو الشمال وفي أرجاء الصحراء الكبرى كلها،

(25) نفس المرجع ص 9
(26) نفس المرجع
(27) نفس المرجع، ص ص 113 - 114
(28) عبد العليم : المرجع السابق، ص 9
(29) Bates, O. op. cit. p. 48

كما نجد بعض الحيوانات الرخوية القارية والأسماك والتماسيح وقد أشار عالم النبات اوقست شيفاليه إلى أهمية مناطق الصحراء الكبرى بصدد البحث عن المواطن الأولى للنباتات المزروعة، فالذرة الرفيعة التي تزرع الآن يرجح أنها كانت تنمو في العصر الحجري الحديث الرطب، فضلا عن إن نبات البنيسيلير (Penicillaires) وصنف من الأرز نوع أو جلا بريا (O. glaberrima) وربما كان هذا الأرز هو المعروف لدى جماعات الجرمنت ونبات الفونيو (Fanio) وتف الحبشة (Agroslis Tef) والشمام والبطيخ بل ولا يزال نوع من القطن ينمو بريا في الاستبس بين مرجو اير وتيبستي[30].

كما كانت غنية بالنباتات الطبية وحدائق الكروم وأشجار الزيتون ومختلف النباتات التي كانت تعيش عليها الحيوانات المختلفة. وهذه الحقيقة يمكن استنتاجها من الغنائم التي جلبها ساهور من السلالة الخامسة ألفين وأربعمائة وخمس وسبعين ق.م. حيث ذكر بأنه جلب معه ألف رأس من الماشية وأكثر من مائتي ألف من كل من الحمير والماعز والغنم[31]. فالاقليم إذن غني بالثروة الحيوانية كما يستدل أيضا من وثائق العالم الحيواني يستحيل أن يحي دون وفرة المياه ماء وكلأ[32] ماءا غزيرا وأرضا خصبة[33]. غير إن القرائن التي تعتمد على الدراسات الميترولوجية تؤكد أن المنطقة الوسطى بالصحراء قرابة الألف الرابعة ق.م. تدهور فيها المناخ الجوي بحيث أثر في أنواع المزروعات فظهرت أعشاب الارطماسيا (قيصوم) وأعشاب المناطق شديدة الجفاف الأرستيدا الشفشوف بينما تناقص الحضاء "التيناء" ومع ذلك فقد ظلت بعض المراعي باقية ويستدل على ذلك من وجود صور للمواشي حتى فترة ظهور الخيل سواء كان بعجلات أو لا - في الألف الثانية ق.م. لكن الماء بدأ يقل في تلك المنطقة ونزح الرعاة الى مناطق أخرى وبدأت القطعان في الاندثار[34]. فقد هيأ نهر النيل العظيم الذي يتدفق في ذلك الوادي مقاما جديدا تتوفر فيه المياه لصيادي العصر الحجري في الهضبة الافريقية الشمالية مما جعلهم يتركون موطنهم الأصلي ويستقرون على امتداد شاطئ النيل وأصبح هذا الوادي العظيم وطنا آمنا إذ كانت الصحراء الجافة

(30) فيرون ريمون : الصحراء الكبرى، القاهرة، نهضة سجل العرب (1963) ص 53

(31) هنري : فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص 40

(32) موري : تدرارات أكاكاوس، ترجمة عمر الباروني وآخرين، الجماهيرية، طرابلس، دار الكتاب (1988) ص 33 .

(33) Libya antiqua vol. 3/4 p. 100

(34) Ibid, p. 101

تحميه من الجانبين ولم تكن الثلوج وموجات البرد الشديد شمال البحر الأبيض المتوسط تصل إليه، وعاش السكان في هذا الوادي وسرعان ما تقدموا ومن ثم تحولوا من جامعين للغذاء إلى منتجين له[35].

وإذا وضعنا في الاعتبار هضبة عير كموقع من مواقع ليبيا القديمة الذي أعلن عنها منذ عام 1980 فان هذه الرقعة تحدد بداية انتاج أقدم الفخاريات أو ما يسمى في كثير من الأحيان الانتقال الى العصر الحجري الحديث بالألف العاشرة قبل الميلاد على حين كان التاريخ المسلم به في عام 197+ هو الألف السابعة قبل الميلاد[36]. وبالمقارنة نجد في أوروبا الشمالية ان إنتاج الفخار يرجع إلى أواخر العصر الحجري الحديث (البيولوجي) من سبعة آلاف وخمسمائة إلى ثلاثة آلاف قبل الميلاد[37].

وهذا يعني أن ليبيا القديمة تسبق أقدم مواقع الشرق الأدنى[38]. فلا غرو اذا رأينا اسم ليبيا يعم الشمال الافريقي ووسطه طوال الأحقاب التاريخية فكانت وحدة لا تفصلها أسماء ولا حدود سياسية حتى مطلع القرن الحالي وقد عمم هيرودوت هذا الاسم على القارة الافريقية بأسرها[39].

إن هذا السلف العظيم قد ترك علاوة على أدواته نقوشا وصورا طبيعية في البقعة الممتدة من موريتانيا إلى وادي النيل، ومن جبال أطلس إلى النيجر والعوينات، فلا يمكن دراسة الصحراء الليبية منفصلة عن الصحارى لأن هذا الحزام الصحراوي يكون وحدة جغرافية وثقافية واحدة.

ويمكن تقسيم النقوش المحفورة والرسوم - وإن كان من الصعب حتى الآن ترتيبها ترتيبا زمنيا - إلى ثلاث مجموعات:

1- النقوش ذات الأحجام الكبيرة واللون الأسود القاتم التي تمثل حيوانات تعيش في بيئة مائية كالجاموس الضخم القديم والخرتيت والفيل وفرس البحر والزرافة

(35) برستد، جيمس هنرى : إنتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. احمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية (1969) ص 34 .
(36) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 120
(37) آثارالعرب، العدد السادس، الربيع مارس (1993) ص 96 .
(38) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 119 .
(39) تاريخنا الكتاب الأول ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع ق.م. (1977) ص 95

والنعامة وهي واقعية الاسلوب[40]. بحجمها الطبيعي فبلغ ارتفاع الزرافة ستة أمتار والفيل ثلاثة أمتار كما أنها أحيانا تمثل رجالا مقنعين، وكان الحفر يتخذ شكل "V" في وضوح وعمق[41] ترجع للعصر الحجري القديم.

2- نقوش أحدث من سابقتها وأقل حجما وأنصع لونا تعبر رسومها عن حيوانات سهول الأعشاب كالضأن والماعز والبقر. إن الرسوم هنا أصغر كما إن الحفر يتخذ شكل "U" وكثير من الكباش والثيران يحمل كل منها بين قرنيه قرصا[42]. ويضع بعض القناصة والرعاة الذين عاشوا في عصر الرعاة أنواعا من أغطية الرأس. إن هذه الرسوم المنحوتة أو الملونة للبقر والثيران التي وجدت في وادي مسعودة وأكاكوس ووادي مرسيت وواحة غات التي ترجع إلى الألف السادسة ق.م. يحمل بعضها فوق رأسه وبين قرنيه قرصا أو ما يمثل قرص الشمس هي آلهة الغرب سيدة بلاد يام[43]. وهذا الرسم يجرنا إلى السؤال الذي يطرح نفسه. أمن الجائز أن يكون شعب يام من سلالة يام بن نوح الذي عرف أما في الشمال الشرقي من افريقيا أو ما يطلق عليه الآن مصر فقد رسم الرعاة كباشا يحمل كل منها قرصا تمثل أجداد آمون رع ترجع إلى الألف الرابعة ق.م. وهو يتفق في أحداث التاريخ.

3- رسوم حيوانات البرارى ورجال يحملون مزاريق ودروعها مستديرة مستخدمين عربات من ذوات العجلتين والأربع عجلات. وقد تميزت بطابع فني مدروس برشاقة الأشخاص والإبداع الذي يمثل عصر نهضة الفن القرامنتي كما تظهر في رسوم جبل زنككرا (جبل العسل) التي يصفها فرانكو ساتين (Franco Sattin) بقوله : "يزدان الجانب الشمالي لهضبة زنككرا بنقوش حيوانية وآدمية ترتقي إلى الدور الأخير من حقبة الرعاة وتدجين المواشي والخيول، كما يظهر بين مجموعة النقش نحت قليل البروز يمثل رأس إنسان من جنس البحر المتوسط يحتمل إنه قرمنتي، وقد لاحظ أيضا نقشا يشكل أربع نعامات صغيرة بالإضافة إلى نقوش تظهر على حدة فيها محاكاة

---

(40) جوليان، شارل أندرية : تاريخ افريقيا، ترجمة طلعت عوض أباضة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (1978) ص 12 - 13 . قارن فيرون، المرجع السابق ص 54 .

(41) فيرون : المرجع السابق، ص 54

(42) المرجع نفسه

(43) بزامة : المرجع السابق، ص 235 - 236

للطبيعة بطريقة سليمة ونقوش أخرى شبه تخطيطية، وهناك تخاطيط مع أشكال آدمية وفارس وأشكال حيوانية. . .(44).

" ويصفهـا أيوب بقوله: " أما من الناحية الجنوبيـة للقمة فنجد نقـشا يمثل الزرافة وقد رسم بأداة حادة فوق الصخـر ومثلت النقط الرقطاء للحيوان على الشكل بواسطة الطرق بآلة حادة. والرسم جـميل الشكل رشيق لـلغاية وقد مثل الـزراف فيه بواقعـية منقطعة النظيـر أما من الناحيـة الشرقية فـيوجد نقش يمثل الزراف ويليـه نقش آخر في غاية الروعة يمثل مـجموعة كبـيرة من الأبقار وقد اتخذ الفنـان تنوع ألوان الصخر من الأحمر إلى الأصـفر ليمثل ألوان البقـر المتفاوتة(45). " وقد أرجع كثـير من المؤرخين تاريخـهـا إلى القرن الأول الميـلادي لأنهـا تظهـر الجمل، ولـكن عثـر على عـملة أو مسكوكات عليها جمل ترجع للقرن الأول قـبل الميلاد، وفي مجال الخيل يقول العالم الفرنسي ماسبـيرو: " قد اختفى الحصان من افريقيـا الشمالية في أول الدور الأرضي الرابع لينتـقل إلى آسيـا الوسطى أثر التبـدل الذي طرأ على المناخ، ولكنه عـاد فدخل افريقيا عن طريق مصر أثر غزوة الهكسوس كحـيوان يستعمل للجر والركوب فهو قد استـعمل أولا للجـر ثم بعد ذلك للركـوب، أما في افريقـيا فـيبدو إنه اسـتعـمل لجر العربات الحربيـة وهناك رسوم صخرية تعين الطريق التي استطاع المغـرب بواسطتها أن ينقل لحصـان إلى جنوب الصحراء في الـقرون الأولى التي سبـقت الميلاد. وليس من المستبعد أن يكـون قد وجد في مناطق الصحراء خيول مشـابهة للتي نقلها المغرب التي جاءتها عن طريق مـصر والسودان الأوسط(46) وخلاصة القول اسـتطاع الليبي القديم بمواهبه الكبرى الحـفر والرسم على الصخور وشقف الأحجـار وجذوع الشجر وصنع الأواني والأواعي الفخـارية، وظهرت لديه ربما أصول النظم الاجتـماعية والمعـتقدات الدينية وانتهى باختراع لغة مكتوبة حـيث استقر وبنى القرى والمدن فـولدت الحضارة والثقافة وظلت آلاف السنين بدليل انتشار الفن الصخـري في مساحات شاسعة وكثرة الانتاج والتنوع.

فالوطـن العربي يحتـل مركز القلب لـلكرة الأرضية ويـجمع بين حضـارات الهند والصين وفـارس وجنوب أوروبا وجنوب افـريقـيا ويضم حـضـارات شمـال افـريقيـا

(44) Libya antiqua vol. II

(45) أيوب : معالم أثرية ص 87

(46) بولـم : المرجع السـابق، ص 35 - 36

والرافدين واليمن والشرق الأدنى ووسط شبه الجزيرة وشرقها. فهو بحق أحد مواطن الحضارات الأولى وملتقى حضارات العالم القديم تفاعلت عليها مختلف التيارات فكانت فيها حضارات أصيلة ووصلها قبس من حضارات مجاورة فأخذت منها وأعطتها، فكانت أرض الوطن العربي الكبير تنتج وتأخذ وتمزج وتختار وتشع[47].

يقول ديورانت مؤلف قصة الحضارة: " إن قصتنا تبدأ بالشرق لا لأن آسيا كانت مسرحا لأقدم مدينة معروفة لدينا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية التي ظن سير هنري مين خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث " يؤيد هذا الاتجاه المنطقي موري بقوله: " أفسدتنا طرق التفكير المبتسرة التي جعلتنا نفسر غياب الشواهد على عدم وجود شيء ما بأنه دليل على عدم وجوده[48].

نقوش صخرية في كهف العودة

يقع وادي العودة شمال زاوية العرقوب (الفجر الجديد) بحوالي 12 كم، ويبتعد عن البحر خط مسطرة بـ 10 كم ويسمى هذا الوادي من أعلى الطرطاق في بعض الخرائط. ويتصل وادي العودة بوادي الكوف المتجه شمالا إلى البحر بعد ستة كيلو مترات ويلتحم وادي الكوف بوادي جرجار أمه الذي يصب في البحر.

يقع كهف العودة في الجانب الغربي ويتجه إلى مطلع وادي العودة، نزلنا الوادي من الجهة اليسرى خلال طريق وعر حتى وصلنا الكهف الذي يقع في أعلى جرف الوادي.

والكهف يتكون من ثلاثة مخابئ متتابعة يعبر من المخبأ الأول الواسع إلى مخبأ آخر أصغر حجما ثم ينفذ منه عن طريق فتحة أو ثقب مقاس (90سم من أسفل x 53 سم) تؤدي إلى مخبأ النقوش (ارتفاع المخبأ يتراوح بين 130سمx 150سم).

توجد لوحة النقوش في الجدار الشمالي من المخبأ (3م x 90 سم).

وقد جاء بعضها متراكبا على الآخر وخاصة في الجهة المحاذية يسار الداخل من الثقب، ومن المحتمل إن هذا التراكب بني على أسس كرونولوجية.

---

(47) الرفاعي، أنور : قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة، دار الفكر (1973)، ص 41 .

(48) ليبيا القديمة، اليونسكو، ص 163 .

- يوجد على يسار الداخل رأس أرنب وأغلب خط الظهر.

وأما على يمين الداخل فتوجد بقية اللوحة وهي لوحة مصقولة صقلا جيدا وبها رسوم دقيقة ممتازة.

- يوجد نقش يحتمل انه خنزير (46 x 90 سم) خطوطه واضحة عميقة نوعا وتتجه إلى جهة يمين الناظر، نقشت العين والأذن والفم والأنف بدقة، وتظهر رجلاه الأماميتان متساويتين ومتوازيتين (صورة رقم 3) ويؤيد هذا الاحتمال ما ذكره هيرودوت في كتابه الرابع بأن الخنازير كانت مقدسة عند الليبيين القدماء. كما كانوا يقدمونه أيضا قربانا للاله القمر وخاصة قبيلة الأوسبستاي[49] وهذا المشهد يؤيده أيضا ما عثر عليه في معبد اسلنطه (لاسانيكي) من منحوتات بارزة للخنازير وإن كان هذا في العصور التاريخية فهو يفسر نوعا من الطقوس الدينية في مرحلة عصر الصيد كما يشجع الصيادين ويدلهم على أماكن الصيد الوفيرة وكان المصريون أيضا يقدمون لهذا الاله قربانا[50]. والدليل خوف الطيور ومن المحتمل وجود صياد أو صيادين في الجزء المفقود بين الخنزير والأرنب.

- يظهر على الخنزير رأسا ودان متقابلان بخطوط رفيعة لهما قرون طويلة غليظة معكوفة إلى الوراء يشعر الناظر اليهما إنه أمام منظر نابض بالحركة والقوة مما يوضح اهتمام الليبي القديم بالتفاصيل والحركات واللمسات الخفيفة الرقيقة وتوجد في فزاقه نقوش الودان.

- هناك أربعة طيور تفيض بالحركة والحيوية برقاب طويلة وتنتهي برؤوس متجهة إلى أعلى بنسب متفاوتة.

وينتهي كل رأس بمنقار معكوف رأس احدهما يلتفت إلى الخلف وهي تتميز بوضوح في الرسم وكمال في التفصيل إلى الدرجة التي ترى فيها عيونها. هذه الطيور تتجه إلى جهة يسار الناظر (طول الطير الذي على يمين الناظر 90سم) كما يوجد طير مشابه لهذه الطيور على ختم شيشنق الأول (لوحة رقم 92)[51] وإن كان هذا في العصور التاريخية. وهناك العديد من النقوش لم أحدد ماهيتها بعد.

(49) تاريخنا، الكتاب الأول، ص 90، فارن Herodolus IV

(50) تاريخنا المرجع السابق ص 90 فرن، عبد الفتاح محمد وهيبة - مصر والعالم القديم. الاسكندرية منشأة المعارف (1970) ص 172 فرن herodulus

(51) تاريخنا المرجع السابق ص 202

إن هذه اللوحة التي درست لأول مرة في هذا البحث تعكس منظرا حيا بالغ التعبير عن روح خلاقة مبدعة، وبهذه المناسبة العربية الطيبة أطالب بمسح كامل وعمل خريطة مفصلة لكل موقع على مستوى الجماهيرية وفي كل اقليم في الوقت الحالي يوضح فيها النقوش والرسوم وأماكن الكهوف والأهوية أو الطرارات والحقاف. وهضبة الجبل الأخضر هي إحدى المناطق التي وصل فيها الفن الصخري في دور ما قبل التاريخ إلى أكثر الأشكال سموا وتطورا.

فهذه المواقع ليست بعيدة عن بعضها فكهف العودة قريب من وادي الكوف وهناك كهف المقرنات بشحات في الفترة بين الألف السابعة والألف السادسة قبل الميلاد وهواء فطيح تسعين ألف سنة قبل الميلاد شرقي سوسة، ورأس الجمل بكرسه غربي درنه وحقفة سيدي اكريمور بدرنه وغيرها مما تمثل نقوشها ورسومها وأدواتها مجتمعات الصيد والرعي والزراعة.

إن هذا العمل الجماعي المقترح سيكون مفتاحا للاكتشافات الجديدة عن تاريخ ليبيا خاصة والوطن العربي والعالم عامة.

المراجع

المراجع العربية :

- أيوب محمد سليمان - مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811، طرابلس الغرب، المطبعة الأهلية.

- أيوب محمد سليمان - معالم أثرية من جنوب الجماهيرية، الشركة العامة للورق والطباعة (1993).

- برستد، جيمس هنري - انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. أحمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية (1969).

- بزامة، محمد مصطفى - تاريخ ليبيا، الجزء الأول في عصور ما قبل التاريخ. . .، 3200 ق.م.، بيروت، دار صادر (1973).

- بولم، دنيس - الحضارة الإفريقية، ترجمة علي شاهين، بيروت مكتبة الحياة.

- جوليان، شارل أندريه - تاريخ افريقيا، ترجمة طلعت عوض أباظة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (1986).

- حسن، د. محمد ابراهيم - دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات الجامعة الليبية (1972).

- دافدنس، بادل - افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد بيروت دار الثقافة.

- الرفاعي، أنور - قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة، دار الفكر (1973).

- عبد الجواد توفيق أحمد - العمارة والفنون في العصور الأولى، الجزء الأول، المطبعة الفنية الحديثة، ط. (1970).

- عبد الحليم، مصطفى كمال - دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، المطبعة الأهلية (1966).

- مرزوق، محمد عبد العزيز - الاسلام والفنون الجميلة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية (1944).

- موري - تدرارات أكاكوس، ترجمة الباروني وآخرين، طرابلس، دار الكتاب (1988).

- نيرون، ريمون - الصحراء الكبرى، القاهرة، مؤسسة سجل العرب (1963)

- النيهوم - تاريخنا، الكتاب الأول ، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد (1977).

- وهيبة، عبد الفتاح محمد - مصر والعالم القديم، جغرافية تاريخية، الاسكندرية، منشأة المعارف (1970).

- ويللارد، جيمس - الصحراء الكبرى، ليبيا طرابلس، مكتبة الفرجاني (1967)

- آثار العرب، العدد السادس، الربيع، مارس (1993)

- ليبيا في التاريخ (1968)

- ليبيا القديمة ، اليونسكو، لبنان، الطبعة الكاثولوكية (1988)

المراجع الأجنبية :

- Bates, O, The eastern Libyan - London (1914)

- Jones, A.H. The cities of the Eastern Roman Provices, Oxford, The clarendon press 2th ed. (1971)

- The George, Jour. vol. 64, n° 4 Oct. 1924 Hassanien.

- Libyan and Egypt frol 1300-750 18c. ed. by anthony leahy, London, The university (1990).

- Libya antiqua vols. I, II and III-IV.

- Rivista della Libia, vol. 5, Roman "L'erma" (1967).

- Rivista della Collonie Italian, anno IIIB, and anno IV A (1930).

المنشآت المائية في مصر الإسلامية
من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي

د. عاصم محمد رزق

مقـدمـة :

ترتبط المنشآت المائية أينما وجدت - ارتباطا مباشرا بالأنهار ومجاري المياه، ومن ثم فقد ارتبطت هذه المنشآت في مصر أساسا بنهر النيل الذي قيل أنّه يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة، وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله (ص) عندما وصل ليلة الإسراء إلى سدرة المنتهى، وجد في أصل السدرة أربعة أنهار منها اثنان ظاهران واثنان باطنان، فسأل عنهما جبريل عليه السلام فقال: أما الباطنان ففي الجنّة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ويجري النيل من الشمال إلى الجنوب خلافا لجميع الأنهار، ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفافها، وابتداء نقصه عند زيادة الأنهار وفيضانها، وعليه - عندما تصل زيادته الى ست عشرة ذراعا ويعم الرخاء والنماء - يجبى خراج مصر.

ولم تحدث المجاعات في مصر منذ العصر الفرعوني وحتى اليوم إلا إذا أخلف النيل وعده في فيضانه، وكانت أولى هذه المجاعات هي التي حدثت قبل الاسلام على عهد يوسف عليه السلام، أما في العصر الاسلامي فقد حدثت على عهد الدولة الإخشيدية (323-358هـ/ 934-968م) مجاعة استمرت تسع سنوات، ومجاعة ثانية على عهد الدولة الأيوبية خلال سلطنة العادل (596-615هـ/ 1200-1218م)، ومجاعة ثالثة على عهد دولة المماليك البحرية خلال سلطنة الناصر محمد بن قلاوون (693-694هـ/ 1293-1294م).

لذلك اهتم المصريون منذ القدم بضبط ماء النيل والمحافظة عليه، لأنه كان يفيض أحيانا حتى يصيب البلاد بالغرق، ثم يشح أحيانا أخرى حتى يصيبها بالجدب والمجاعة، وكان لزاما عليهم - من ثم - أن يفكروا في كيفية الاستفادة من مياهه إذا زادت لتكون لديهم فرصة الانتفاع بها اذا انحسرت، ومن هنا نشأت فكرة إنشاء المقاييس والخزانات والآبار والسدود والجسور والخلجان ونحوها (انظر الأشكال من 1-3).

فأنشأ الفراعنة سد اللاهون بمنخفض الفيوم حتى لا تضيع فيه مياه الفيضان، وعمل لهذا السد عتب يسمح بتصريف المياه في الفيضانات العالية التي كان يخشى منها على الوجه البحري من الغرق، وقد ظل هذا السد باقيا الى نهاية عصر الدولة الأيوبية وكان يعرف حينذاك - بالجدار اليوسفي.

أما في العصر الاسلامي فإن أشهر ما عمل في هذا الصدد هو ذلك المقياس الذي أمر به الخليفة العباسي المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (205-207هـ/ 820-822م)، وهو بناء عظيم في جزيرة الروضة لا زال باقيا حتى اليوم، ثم نالت المنشآت المائية في مصر الاسلامية بعد عصر العباسيين عناية كبيرة حفرت فيها الخلجان وبنيت فيها السدود والآبار، وعملت فيها السواقي الخشبية لرفع المياه من هذه المصادر واطلاقها الى مقاصدها في مجار خاصة فوق سلاسل من القناطر والعقود، فكان من ذلك كله - في الفترة التاريخية التي بين أيدينا علاوة على المقياس المشار اليه بجزيرة الروضة - قناطر ابن طولون بالبساتين، وبقايا الساقية الأثرية بقلعة الكبش، وبئر صلاح الدين يوسف بقلعة الجبل، وقناطر مياه القلعة من فم الخليج حتى ميدان السيدة عائشة حاليا.

وفي الصفحات القليلة التالية سنقصر حديثنا عن المنشآت المائية في مصر الاسلامية من الفتح العربي حتى نهاية عصر الدولة الأيوبية على المنشآت الخمس المشار اليها، لنعطي من خلال هذا الحديث فكرة واضحة عن تاريخها وعمارتها مدعمة بصورها ورسوماتها.

أثر رقم (79)

1 ـ مقياس النيل بالروضة (247هـ/ 861م)

1) نبذة عن منشئه:

بني هذا المقياس في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر على عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد الذي ولد سنة (205هـ/ 820م) وقيل سنة (207هـ/ 822م) وبويع بالخلافة سنة (232هـ/ 846م) بعد الواثق بالله، فأظهر الميل الى السنة ونصرة أهلها، وانتهت في عهده محنة خلق القرآن، وكتب بذلك الى الآفاق سنة (234هـ/ 848م)، وكانت وفاته في الخامس من شوال سنة (247هـ/ 861م)، وكان الشاد على عمارة هذا المقياس في أرجح الآراء هو المهندس العربي احمد بن محمد الحاسب [1].

وقد أشار المقريزي - نقلا عن ابن عبد الحكم - الى أن أول من قاس النيل بمصر هو يوسف عليه السلام الذي وضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دولكة ابنة الزباء - صاحبة حائط العجوز - مقياسا صغير الذرع بأنصنا، ومقياسا بأخميم، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا صغيرا بحلوان، ووضع أسامة بن زيد التنوخي مقياسا بالجزيرة في خلافة الوليد كان أكبر هذه المقاييس جميعا، وقد أطلقت على هذا المقياس بعد اتمام عمارته عدة أسماء منها المقياس الهاشمي والمقياس الجديد والمقياس الكبير[2].

ولم تمض على بناء هذا المقياس ثلاث عشرة سنة حتى احتاج الى الترميم والإصلاح، فقام احمد بن طولون باصلاحه سنة (259هـ/ 872م) وانفق على هذه العمارة الترميمية ألف دينار، وظل المقياس على هذه العمارة حتى عمره للمرة الثانية بدر الجمالي سنة (485هـ/ 1092م) على عهد المستنصر بالله الفاطمي، وبني الى القرب منه جامعا سماه جامع المقياس [3].

---

(1) المقريزي :
ـ الخطط (طبعة الشعب مصورة عن طبعة بولاق 1853) ج 1، ص ص 104-112 .
ـ محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة (طبعة بولاق 1938 ص 31).
(2) محمود أحمد : نفس المرجع، ص ص 31-36 .
(3) نفس المرجع، ص 31 .

وفي عصر السلطان الظاهر بيبرس البند قداري أقيمت قبة لهذا المقياس فوق البئر، وفي عصر السلطان الأشرف قايتباي رممت أساسات المقياس وأصلحت بعض عمارته، فلما كان العصر العثماني نسب الى السلاطين سليم الأول وسليمان الأول وسليم الثاني إجراء عمارات بالمقياس، وفي سنة (1023هـ/ 1721م) قام على بك الكبير باصلاحات كثيرة فيه، وفي سنة (1170هـ/ 1756م) أمر حمزة باشا الوالي بتجديد العتب الخشبي الأفقي الموضوع على رأس عمود المقياس لتثبيته في موضعه وضمان عدم اهتزازه، وفي سنة (1214هـ/ 1799م) قام الفرنسيون بالكشف عن عمود المقياس ورفع ما تراكم بقاعه من الطمي حتى انكشف معظم العمود، وصنعوا له تاجا تعلوه قطعة رخامية ارتفاعها ذراع واحد كتب على وجهها الشرقي سنة 1215هـ/ 1800م).

وفي سنة (1305هـ/ 1887م) طهرت نظارة الأشغال المصرية بئر المقياس حتى بلغت الذراع الثالث، فوجدت بين الأنقاض المستخرجة بقايا الأعمدة التي عملها الفرنسيون منقوشا عليها الذراع الثامنة عشرة والبالغ ارتفاعها (58ر0متر) ، كما أنشأت النظارة مقياسا متريا جديدا في الضلع البحري لزاوية سلم المرساة بحري المقياس القديم[4].

2) نبذة عن موقعه :

يقع مقياس النيل في الطرف الجنوبي الشرقي من جزيرة الروضة التي حددها الإصطخري في القرن (4هـ/ 10م) بأنها جزيرة يعبر من الفسطاط اليها على جسر في سفن، ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر الى أبنية ومساكن على الشط الآخر يقال لها الجيزة[5]، وقال الإدريسي في القرن (6هـ/ 12م) ان بالروضة المباني والمنتزهات ودار المقياس، وسميت بالجزيرة لأن النيل اذا زاد أحاط بها من كل ناحية [6]، ولذلك كانت هذه الجزيرة من بداية العصر الاسلامي أهم مركز لصناعة السفن، وفيها ولدت أول قوة بحرية مسلمين، فلما جاء عصرا الأيوبيين واتخذ الصالح نجم الدين من جزيرة الروضة

---

(4) نفس المرجع، ص 35 وانظر أيضا : كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : من الكراسة (11) عن سنة (1894) ت 163 ص ص 32-33 وما بعدها الى الكراسة (40)، (46-1953) ت 856 ص 2 وما بعدها.

(5) الإصطخري : مسالك الممالك (طبعة ليدن 1927) ص 49 .

(6) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق (طبعة ليدن 1866 م) ص 144 .

مقرا لحكمه، وبنى فيها قلعته وثكنات مماليكه زادت أهمية الجزيرة، ولم تزل على أهميتها حتى تخربت بعد سقوط الدولة الأيوبية إلى أن عمرها الظاهر بيبرس وأعاد الحياة الى دار صناعتها، فاستمرت فيها هذه الحياة حتى نهاية عصر المماليك (7).

3) نبذة عن عمارته :

تتكون عمارة هذا المقياس من بئر مربعة التخطيط عرض فوهتها ستة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا، ذات جدران حجرية منحوتة أغلبها من النوع المبوص غطيت في السنوات الأخيرة من الخارج بقبة ذات قمة مخروطية مرصصة، أسفل طاقيتها شريط كتابي نسخي داخل بحور باللون الذهبي على أرضية زرقاء نصها بعد البسملة قوله تعالى : وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون الى قوله عز من قائل لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون "صدق الله العظيم".

وكان الفراغ من نقش هذه القبة وتذهيبها في شهر ذي القعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف، وغشيت جدرانها من الداخل بطبقة ملاطية من مونة الخافقي (القصر وميل) التي لا تسمح بتسرب الماء إلى الجدران، وقد راعى مهندسه أحمد بن محمد الحاسب زيادة سمك هذه الجدران كلما زاد العمق لتتحمل الضغط الأفقي للأرض الذي يزيد بازدياد عمق النزول فيها (8).

وتضم هذه البئر ثلاث طبقات العليا والوسطى مربعتان أما السفلى فدائرية فتح المعمار في الجانب الشرقي منها ثلاث فتحات على هيئة انفاق ذات عقود مدببة ترتكز على أعمدة رخامية مثمنة لها تيجان كورنثية وقواعد مقلوبة، كان الغرض منها أن ينساب ماء النيل من خلالها إلى داخل البئر.

ولكي يمكن قياس زيادة مياه النيل أو نقصانها، قام المعمار بوضع عمود رخامي مثمن ذي تاج روماني مركب في وسط البئر، يرتكز على أرضية خشبية، ثبته من أعلى بواسطة كمرة أفقية نقشت عليها كتابات كوفية قرآنية باللونين الأزرق والذهبي، ثم استبدلت هذه الكمرة في عصر لاحق بعقدين مدببين يرتكزان على الجدران، وقد

---

(7) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة ليدن 1909) ص 408، وانظر أيضا : آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أوريدة (بيروت بدون) ج 2، ص ص 362-364 .

(8) كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر (طبعة هيئة الكتاب 1983) ص ص 17-18 .

حفرت علامات القياس على هذا العمود بوحدتي الذراع والقيراط، كما نقشت عليه كتابة كوفية بارزة نصها " الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، الى قوله تعالى وهو العلي العظيم" .

وقد جعل يزيد بن عبد الله التركي والي مصر على هذا المقياس أبا الرداد المعلم البصري الذي قدم إلى مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر حينذاك سبعة دنانير في كل شهر، وقد توفي أبو الرداد سنة (266هـ/ 879م) وظل المقياس في يد أولاده وحفدته إلى عهد المقريزي في القرن (9هـ/ 10م) [(9)].

وقد فصل عمود المقياس اثنتين وعشرين ذراعا قسمت على أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع، فإذا انتهى الفيض عندهم إلى أن يستوفى الماء تسعة عشر ذراعا منغمرة فيه، فهي الغاية عندهم في طيب العام، وربما كان الغامر منه أكثر بعموم الفيض، والمتوسط عندهم ما استوفى سبعة عشر ذراعا، وهو الأحسن لديهم من الزيادة المذكورة، والذي يستحق به السلطان خراجه على بلاد مصر هو ستة عشر ذراعا فصاعدا، وإن قصر عن ذلك فلا مجيء للسلطان في هذا العام ولاخراج له[(10)].

ومن الجدير بالذكر ان صغر هذا المقياس الذي يعلو عن سطح البحر المتوسط بمقدار (12ر50مترا)، يطابق الذراع الثامن والقيراط الخامس عشر ونصف، وأما آخر تقسيماته فتنتهي عند المستوى الذي يعلو سطح البحر بمقدار (21) مترا [(11)].

وكان ينزل إلى قاع هذا المقياس عند انحسار ماء النيل بواسطة سلم في جانبه الشرقي يهبط النازل منه أربعا وعشرين درجة يصل بعدها إلى بسطة في الزاوية الجنوبية الغربية، ثم يستدير إلى اليمين ليصل بعد أربع درجات إلى ضفة تشغل بقية الجانب الغربي، وبعد قلبتين من ثلاث عشرة درجة يصل النازل إلى بسطة في

---

(9) المقريزي : المصدر السابق : ج 1 ، ص 105 .

(10) ـ عبد الرحمن زكي : القاهرة، تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ (القاهرة 1966) ص 86 .

ـ حسن عبد الوهاب : بين الآثار الاسلامية (القاهرة 1947) ص 4 .

(11) فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها (طبع جامعة الرياض 1982) ص ص 33-34

الزاوية الشمالية الشرقية ومنها بعد درجتين أخريين إلى نهاية الجزء المربع وبداية الجزء الدائري الذي يبلغ قطره (4,35متر) وعمقه (2,9متر)، ثم ينتهي النازل بعد ثماني درجات إلى القاع (12).

وكان الغرض من بناء هذا المقياس وعمل تقسيماته المشار إليها أن تعرف به زيادة ماء النيل وقت الفيضان، لأن الخراج كان يجبى بمقتضى هذه الزيادة التي تبين رخاء البلاد أو قحطها.

وقد نقشت قبة المقياس من الداخل بعناصر زخرفية نباتية عثمانية الطراز، كما نقشت جدرانه وعقوده بكتابات كوفية عبارة عن آيات قرآنية تتعلق بالماء والزرع، وتعد هذه الكتابة أقدم مثل للكتابة الكوفية المؤرخة في عمارة مصر الاسلامية ونصها بعد البسملة قوله تعالى " الله الذي خلق السموات والأرض أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، إلى قوله عز من قائل : ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما، كما تعد عقود المدببة أقدم عقود مدببة في هذه العمارة أيضا (13).

(12) راجع : كريزويل وترجمة عبد الهادي عبلة : الآثار الاسلامية الأولى (دمشق 1984) ص 385

(13) كمال الدين سامح : المرجع السابق ص 17 . ولمعلومات أخرى عن المقياس ومنشئه وعمارته انظر :

— ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية 1931) ج 2، ص ص 324-326

— السيوطي : حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة بولاق 1908) ج 2، ص 201 .

— أمين سامي باشا : تقويم النيل (المطبعة الأميرية 1916) ص ص 65-92 .

— أحمد بن عبد الغني الحنفي : أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني (القاهرة 1978) ص 256 .

— حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الاسلامية (القاهرة 1979) ص ص 216-218 .

وانظر أيضا من المراجع الأجنبية عنه :

1 - Creswell (K.AC.) :

- The Muslim Architecture of Egypt (Oxford 1952-9) vol. 1, p. 163.

- Early Muslim Architecture (Lodon 1958) p. 296.

2 - Rivoira (G.T.) : Muslim Architecture (Oxford 1918) p. 148.

3 - Sauvaget et Comb: Repertoire Chronologique d'epigraphie Arabe, (Le Caire1937) T. 2, p. 53, texte 472.

4 - Van Berchem (M.) : Corpus Inscriptionum Arabicarwn, (Paris 1903) T. XIX, p.p. 18-19.

أثر رقم (306)

2 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين (ق3هـ/ ق9م)

1) نبذة عن منشئها:

منشئ هذه القناطر هو الأمير أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور الفراتية [14] ولد ببغداد سنة (220هـ/ 835م) لأب مملوكي تركي من بلاد منغوليا، وتلقى علومه العسكرية في سامراء حتى نال قسطا وافرا من التعليم ولا سيما الديني، ولشجاعته واقدامه اختاره الخليفة العباسي المعتز بالله لمرافقته فخرج معه وأخلص له، ووافق دخوله سامرا بعد عودته من واسط تقليد الأمير باكباك حكم مصر، وبحثه عمن يخلفه عليها فأشاروا عليه باحمد بن طولون فوافق عليه وأرسله إلى مصر نيابة عنه فدخلها ابن طولون في رمضان سنة (254هـ/ 868م)، وتسلمها من احمد بن المدبر عامل خراجها، فاهتم ابن طولون بعمارة جسورها وبناء قناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها، فاستقامت أحوالها وساد عدلها وعم رخاؤها، حتى وصل خراج مصر في أيامه اربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس [15]، وبعد وفاة باكباك عين ماجور التركي واليا على مصر، وكان ابن طولون قد تزوج من ابنته فترك له الولاية التي ظل بها ولاية واستقلالا حتى توفي سنة (280هـ/ 884م) بعد أن حكمها ست عشرة سنة وبضعة أشهر، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من بابها [16]، وظلت مصر خاضعة لابن طولون ولذريته من بعده حوالي ثماني وثلاثين سنة أسس فيها مدينة القطائع وأنشأ القصر بميدان الرميلة، وعمل البيمارستان بمدينة العسكر ودار الإمارة التي كانت ملاصقة لحائط القبلة بجامعه، وأنشأ القناطر التي بين أيدينا لتنقل المياه من النيل جنوبي الفسطاط إلى مدينته المشار إليها، وبنى الجيش واستقل بالبريد والخراج، فكان بذلك أول من استقل بهذا الخراج من اثنين وسبعين أميرا أولهم عمرو بن العاص وآخرهم أبو العباس أحمد بن الإخشيد [17].

---

(14) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (بدون) ج 1، ص ص 68-69، ص 173 .

(15) ـ ابن خلكان : المصدر السابق، ج 1، ص 174 .
ـ ابن الزيات :الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى (طبعة بولاق 1907) ص 278 .

(16) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (طبعة هيئة الكتاب 1982) ج 1، ص ص 37-40، ص ص 161-162

(17) نفس المصدر : ج 1، ص 184 .

2) نبذة عن المدينة التي عملت لها :

شغلت مدينة القطائع الطولونية - التي عمل لها بن طولون هذه القناطر لمدها بالمياه - مساحة امتد طولها من قبة الهواء - التي صار مكانها قلعة الجبل - إلى جامع ابن طولون، وامتد عرضها من أول الرميلة الذي يعرف حاليا (بميدان القلعة) إلى الموضع الذي عرف بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين، فكانت مساحتها بذلك ميلا في ميل، وكانت عبارة عن قطع لعبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه، لكل منهم قطيعة (أي حارة) فكانت للنوبة قطيعة، وللروم قطيعة وللفراشين قطيعة، ولكل صنف من الغلمان قطيعة.

ثم بنى القواد بالقطائع، وتفرعت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأسواق، حتى صارت مدينة عامرة أحسن من الشام، ثم بنى فيها ابن طولون قصره وجامعه، وجعل للقصر ميدانا كبيرا عمل له سورا وأبوابا، منها باب الميدان (لخروج الجيش)، وباب الصوالجة وباب الخاصة ونحوها، ثم بنى العين والساقية (التي نحن بصددها)، كما بنى تنور فرعون فوق الجبل، وظلت القطائع عامرة إلى أن قتل أبو موسى هارون بن خمارويه على يد رجال الخليفة المكتفي، وعلى رأسهم محمد بن سليمان الكاتب الذي أشعل النار في القطائع فخربها وقضى عليها، وكان فيها مائة ألف دار محدقة بالجنان والبساتين.

3) نبذة عن عمارتها :

أشار المقريزي إلى أن قناطر ابن طولون وبئره كانت قائمة حتى عصره في القرن (9هـ/ 15م)، وكانت تمتد من بئر ابن طولون ببركة الجيش التي كانت تعرف ببئر عفصة، حتى تنتهي إلى مدينة القطائع، ولكن أطلالها كانت في القرن المشار إليه قد توقفت عند القرافة الكبرى واختفت أجزاؤها التالية بعد أن كانت واحدة من أعظم المباني[18]، وقال المقريزي أن السبب في بنائها هو أن ابن طولون كان قد ركب في عسكره حتى مر بمسجد الأقدام، فتقدم العسكر -وقد كده العطش - الى المسجد وكان به خياط فقال له يا خياط أعندك ماء قال نعم وأخرج له كوزا فيه ماء وقال له اشرب ولا تمدّ فتبسم ابن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره ثم ناوله اياه وقال

(18) المقريزي : المصدر السابق، ج 3، ص 472 (طبعة بولاق 1853 م) ج 2، ص ص 146، 457 .

له يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد فقال نعم، موضعنا - أعزك الله - منقطع، وأنا أخيط جمعتي حتى أجمع ثمن راوية، فقال له ابن طولون والماء عندكم ها هنا معوز؟ قال نعم، فمضى ابن طولون حتى رجع إلى داره وطلب احضار الخياط فأحضروه فقال له سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء، وهذه ألف دينار خذها، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير(19).

ومن ثم فانه يمكن القول ان هذه القناطر كانت قد بنيت في الجهة الجنوبية الشرقية من القطائع بآجر يماثل في الشكل والحجم آجر الجامع الطولوني، وكانت تبدأ من برج المأخذ الذي يقع جنوب المنطقة التي تعرف اليوم باسم "بئر أم سلطان" بالبساتين، وتمتد ناحية الشمال في انحدار بسيط لزيادة سرعة جريان الماء فيها حتى يصل إلى المدينة التي بناها ابن طولون على جبل يشكر حيث الجامع والقصر ودار الامارة والميدان(20)، وقيل أن الناصحين لابن طولون كانوا قد أشاروا عليه -كما أسلفنا - أن يجري الماء من عين مجاورة للموقع تسمى عين أبي خليد، لكنه اعترض عليهم بأن هذه العين لا تعرف الا باسم صاحبها، وأنه يريد عينا تعرف به هو، فعدلوا عن العين المشار إليها إلى عين ثانية جهة الشرق وبنوا عليها قناطر شبيهة بالقناطر الرومانية سماها المؤرخون بالساقية، يقال ان الذي أشرف لابن طولون على بنائها هو المهندس النصراني الذي بنى له الجامع(21).

ويتكون ما بقي من عمارة هذه القناطر من مجموعة من العقود المدببة المخموسة، كل منها عبارة عن عقد مدبب منتفخ ينتهي من أسفل على هيئة حدوة الفرس مثل عقود الجامع أيضا، وقد اندثر جزء كبير من هذه القناطر، ولم يبق منها إلا الجزء الواقع بين المدافن الحالية ومعسكر الخيالة، ويشتمل على بعض الأجزاء الأصلية التي

(19) ــ نفس المصدر : (طبعة الشعب) ج 3، ص 472 .
ــ فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية، عصر الولاة (طبع هيئة الكتاب 1972) ص ص 501-510 .
ــ ولنفس المؤلف : المرجع السابق، ص 35 .
ــ لين بول وترجمة حسن ابراهيم وآخرين : سيرة القاهرة (طبع مكتبة النهضة المصرية 1950) ص 83 .
(20) - علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة (طبعة هيئة الكتاب 1983) ج 3 ص 371.
- كريزويل: الآثار الاسلامية الأولى وترجمة عبد الهادي عبلة (دمشق 1984) ص 398 .
(21) سيدة اسماعيل كاشف : احمد بن طولون (طبعة القاهرة 1965) ص ص 251-252 .

لا زالت مبنية بالآجر الطولوني، كما يشتمل على بعض الأجزاء التي بنيت في ترميم لاحق بالحجر[22].

ومن المؤسف أن الزحف العمراني العشوائي قد أطبق على ما بقي من هذه القناطر بعدما كانت بعيدة عن العمران في الصحراء، فأحاطت المساكن ببرجها الملىء بالمياه الراكدة من كل جانب، وتسربت المياه الجوفية إلى اطلالها، وتخربت فتحات سواقيها رغم أهميتها التاريخية والأثرية من ناحية، ورغم ندرة ما لدينا من آثار معمارية ترجع إلى عصر الطولونيين من ناحية أخرى، ورغم أنها كانت المثل الأول لهذا النوع من العمارة الاسلامية في مصر قبل قناطر الأيوبيين التي أجروها لمياه القلعة من ناحية ثالثة[23].

(22) - زكي حسن: الفن الاسلامي في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الطولوني (طبعة القاهرة 1981) ص ص 63-65.
- محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني (طبعة دار الكتب المصرية 1927)ص ص 124-125، حاشية 34.

(23) لمعلومات أكثر تفصيلا عن هذه القناطر ومنشئها وترميمها ، انظر:
- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص 5.
- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية: من الكراسة (10) عن سنة (1893 ص ص 58، 63 وما بعدها إلى الكراسة (39) عن سنة (1942) ت 812 ص 105 وما بعدها.

أثر رقم (432)

3 ـ بقايا الساقية بقلعة الكبش (355-358هـ/ 966-968م)

1) نبذة عن منشئأها :

تأسيسا على ما ذكره علي باشا مبارك في خططه التوفيقية الجديدة عندما قال عن درب الساقية بقلعة الكبش بحي السيدة زينب رضوان الله عليها، أنه عرف بهذا الاسم لأن به أثر الساقية التي كانت ينقل منها الماء إلى الدار التي بناها كافور الإخشيد في هذه الخطة، وكانت تعرف بدار الفيل، وأن بقايا هذه الساقية كانت لا تزال موجودة على عهده في القرن (13 هـ / 19 م) يراها من يسلك من عطفة حوش أيوب بك إلى جهة الخلاء[24]، وتأسيسا على ذلك ـ كما أسلفنا ـ فإنه يمكن القول أن منشئ هذه الساقية هو أبو المسك كافور بن الإخشيد الذي تولى إمرة مصر من سنة (355 هـ / 966 م) إلى سنة (358 هـ / 968 م) على عهد الخليفة العباسي المطيع لله بن المقتدر بالله الذي تولى الخلافة من سنة (334 هـ / 945 م) إلى سنة (363 هـ / 973 م)[25] .

2) نبذة عن عمارتها :

لم يبق من عمارة هذه الساقية خلف جامع ابن طولون سوى البئر، وبقايا الطارة أو العلبة الدائرية المحيطة به، وبقايا البرجين [26]، ورغم اندثار مكونات هذه الساقية فإنه يمكن مقارنتها بالأمثلة الباقية حتى الآن من السواقي المشابهة ولا سيما ساقية ابن طولون بالبساتين التي تعرف اليوم عند العامة ببئر أم السلطان (ق 3هـ/ 9م) وسواقي قناطر المياه المملوكية بفم الخليج (ق 7هـ/ 13م) التي سجلها علماء الحملة الفرنسية في وصف مصر تصويرا ورسما، وساقية الناصر محمد بن قلاوون خلف مسجده بالقلعة في نفس القرن المشار إليه، وساقية السلطان حسن الملحقة بمدرسته المطلة على ميدان القلعة (ق 8هـ/ 14م)، وساقية سراى المسافر خانة بالجمالية (ق 12هـ/ 18م) وغيرها.

---

(24) علي باشا مبارك: المصدر السابق ج 2 ص 119.

(25) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار (طبعة بولاق 1892) ص 99.

(26) فهرس الآثار الاسلامية بالقاهرة (طبع مصلحة المساحة 1951)،
خريطة الآثار الاسلامية بالقاهرة (طبع مصلحة المساحة 1951) ،
خريطة رقم 1 مربع 8هـ.

ومن هذه السواقي يمكن القول أن ساقيـة قلعة الكبش كانت تتكون من علبة دائرية حول البئر، يتم رفع المياه منها بواسطة عدة طنابير أو قواديس على مستويات متساوية ثنائية أو ثلاثية لتصب في حوض كبير تتصل به مجراة مقامة على مجموعة من العقود أو القناطر، تمتد إلي الجهة المراد توصيل الميـاه إليها، وكانت هذه الطنابير تدار بواسطة ترسين بأعلى العلبة أحدهمـا رأسي والآخر أفقي مثبت بهمـا ذراع واحد أو أكثر تربط فـيه الـثيـران أو الدواب التي يتـولد من سـيـرها الدائري داخل المدار دوران التـرسين بعاشق ومعشوق، فتدور الطنابيـر مع دورانها وترفع الماء من البئر السفلية إلى الحوض العلوي، ومن ثم الى القناة المتفـرعة منها، وكان ضروريا لوصول الثـيران إلى مدارها المشار اليه أن يكون لها طريق صـاعد بغير درج لتصعد عليـه عند إدارة الساقية وتنزل منه بعد إدارتها[27].

(27) كراسات لجنة حفظ الآثار العربية: الكراسة (31) عن سنة (1914-1915) ت ,485

أثر رقم (305)

4 ـ بئر صلاح الدين يوسف (بئر الحلزون) بالقلعة

(572-589/ 1176-1193م)

1) نبذة عن منشئها :

منشئ هذه البئر التي عملت داخل قلعة الجبل هو السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية في مصر الذي تولى الحكم من سنة (565هـ/ 1169م) إلى سنة (589هـ/ 1193م)[28]، والذي قام على حفره وشد عمارته هو وزيره المشهور بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الملكي الناصر الذي قيل أنه استخدم في حفرها بعد بناء القلعة الآلاف من أسرى الصليبيين[29].

2) نبذة عن أوصافها التاريخية :

أشار المقريزي - نقلا عن ابن عبد الظاهر - إلى أن بئر القلعة هي واحدة من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها، وتدور أبقار في وسطها فتنقل الماء من أسفلها، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء، وقيل أن أرضها مسامتة لأرض بركة الفيل، وماؤها عذب لأنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا، فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها، وأنه ينزل اليها بدرج عدده نحو ثلثمائة درجة[30].

وجاء فيما ذكره بول كازانوفا - الذي نزل إلى هذه البئر ثلاث مرات وقام بوصفها ورسمها في كتابه تاريخ ووصف قلعة القاهرة - أن في أعلى البئر يقوم ثوران بادارة ساقية عادية لرفع سلسلة من القواديس التي تمتلئ بالماء من الحوض الأول الذي يقع في

(28) Van Berchem: Op. cit., T. 2, p. 97.

(29) ـ بول كازانوفا: تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة احمد دراج ومراجعة جمال محرز (طبع هيئة الكتاب 1974) ص 83،

ـ محمود احمد: المرجع السابق ص 85.

(30) المقريزي: المصدر السابق ج 3 ص 22.

منتصف البئر، وفي هذا المكان توجد ساقية أخرى يديرها حصان لرفع الماء من قاع البئر إلى هذا الحوض، وهـذان القسمـان من البئـر لا يقعـان على مستوى عمـودي واحد، ويبلغ حجم أولـهما خـمسة أمـتار مربعـة، وحجم ثانيهـما متـرين وثلاثة أعشـار المتر، والمسـافة بين كل قـادوس وآخر تقدر بـحوالي (1,80متـر)، ويبلغ عـدد قواديس البـئر السفلي (138) قادوسـا، أما قطر الساقية فـيبلغ (1,98مترا) ، ويستـغرق رفع أحد هذه القواديس بالماء من الحوض الأول إلى مستوى سطح القلعة أربع دقائق وعشرين ثانية.

واستنتج بول كـازانوفـا من ذلك أن كـميـة الماء التي يـحتـويهـا كل قـادوس تبلغ (+,000) من المتـر المكعب، وأن المائة والثمـانية والثـلاثين قادوسا تمد في أربـع دقائق وعشرين ثانية بكمية من الماء تقدر بحوالي (0,0552) من المتر المكعب، وأن مقدار ما ترفعه هذه القـواديس في الدقيقة الواحدة - عـدا ما يفقد من هذه المياه أثناء رفـعها - يقدر بحـوالي (0,0127) من المتر المكعب، وأن القـسم العلوي من البئـر يبلغ عمـقه خمسين متـرا وثلاثة أعشار المتر، وأن القسم السفلي يبلغ عمـقه أربعين وثلاثة أعشار المتر، وأن طول الحلقة الأولى من الجبال التي تتعـلق بها القواديس يبلغ مائة وخمسين ذراعا، وطول الحلقة الثانية منها مائة ذراع، وأنه إذا ما أسقط حجر من أعلى البئر إلى القاع فإن الوقت الذي يستغرقه منذ اللحظة التي يسـقط فيها حتى تسمع الأذن صوت ارتطامه بالقاع يبلغ خمس ثوان.

أما المنحـدر الذي ينزل الإنسان عليه إلى الحـوض الأول من البئر، فـقد نحت في الصخر على هيئة مدار حلزوني ذي خطوط مستقيمة تنحدر انحدارا مريحا عرضه (2) متر وارتفاعـه (20ر2) متر، وبه أربع طاقات للتهوية والإنارة فـي جهاته الأربع، وقد نحت هذا المنحدر في براعة ومهارة فائقتين حيث يبلغ سمك الحاجز الذي يدور حوله (0,16) متر فقط[31].

ووجود هذه البئر في المنطقة التي اقتطعها محمد علي باشا من القلعة لأبنيته، يدل دلالة قاطعة على أن هذه المنطقة كانت جـزءا من قلعة الجبل التي أنشأها صلاح الدين وليس خارجها[32].

---

(31) - بول كازانوفا : المرجع السابق، ص ص 83-87،
- ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 159,
(32) فريد شافعي: العمارة العربية الاسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها (طبع جامعة الرياض 1982 ص 109).

3) نبذة عن عمارتها الحالية :

أما العمارة الحالية لهذه البئر فهي عبارة عن ثلاث طبقات يلتف حولها - كما أسلفنا - سلم حلزوني (عرف بسببه بئر الحلزون) يضيق في الطبقة السفلى عنه في الطبقة الوسطى التي عملت فيها ساقية خشبية كانت تستخدم لرفع الماء من قاع البئر إليها بواسطة قواديس تديرها الدواب التي خصص لها منحدر بغير درج لتسهيل نزولها إلى هذه الطبقة وصعودها منها، وقد فتح المعمار في الجوانب الأربعة لهذه الطبقة أربع فتحات للتهوية والإنارة، كما جعل الوصول إلى الطبقة العلوية عن طريق فتحة باب في ناحيتها الجنوبية الشرقية تفضي إلى حجرة مربعة ذات سقف خشبي معرق، وأرضية مفروشة ببلاطات من الحجر، في أسفلها قبو آجري للسلم الحلزوني، وبها ساقية خشبية ثانية كانت تستخدم لرفع الماء من الطبقة الثانية إليها بواسطة قواديس تديرها الدواب أيضا.

وقد استخدم من مواد البناء في هذه البئر الحجر للأرضيات والجدران ودرجات السلم، والآجر لقبوات هذا السلم، والخشب للساقيتين والأبواب وسقف حجرة الطبقة العلوية.

ويبلغ عمق هذه البئر ابتداء من أرضية القلعة الحالية إلى أرضية الطبقة الثانية خمسين مترا وثلاثة أعشار المتر وعمقها من أرضية الطبقة الثانية إلى قاعها في الطبقة السفلية أربعين مترا وثلاثة أعشار المتر، وبذلك يكون مجموع عمقها في طبقاتها تسعين مترا وستة أعشار المتر.

والواقع أن هذه البئر التي حفرت بهذه الضخامة والعمق لتضمن للقلعة حاجتها من المياه عند أي حصار، لم تكن هي مصدر المياه الوحيد لهذه القلعة، بل كانت مياه النيل العذبة تصل اليه على عهد بناتها من الأيوبيين ومن تبعهم بواسطة قناة على ظهر سور صلاح الدين الذي كان يمتد من الفسطاط إلى القلعة، والذي ما زالت بعض بقاياه قائمة حتى اليوم، ثم نالت مصادر المياه للقلعة عناية سلاطين مصر بعد الأيوبيين، فشيد الناصر محمد بن قلاوون بين سنتي (710-712هـ/ 1310-1312م) أربع سواق على النيل لنقل الماء عبر القناة التي بناها فوق سلسلة من القناطر إلى القلعة، كما شيد سنة (741هـ/ 1343م) عدة سواق أخرى عند ساحل النيل اتصلت عبر قناطرها المملوكية بالقناطر الأيوبية القديمة حتى تتجمع المياه للقلعة في مستودعين، وظل الحال على ذلك

حتى أمر السلطان الغوري سنة (912هـ/ 1506م) بإبطال مجرى المياه القديم، وشرع في بناء مأخذ ذي ست سواق على النيل عند فم الخليج، تسير مياهها في مجراة فوق قناطر تمتد من مآخذها لتتلاقى مع بقايا قناطر الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مشهد السيدة نفيسة، ثم بسور صلاح الدين القديم، وقد ظلت هذه السقاية تؤدي عملها في نقل المياه للقلعة حتى القرن التاسع عشر الميلادي[33].

4) نبذة عن آبار المياه القديمة في مصر:

لم تكن بئر يوسف - كما أسلفنا - هي البئر الوحيدة من نوعها في مصر، بعد أن اكتشفت خمس آبار قريبة الشبه منها بين أطلال مصر القديمة أسفل الجبال التي يتوقف امتداد الفسطاط عندها منذ بدايته على شاطئ النيل في المنطقة التي سماها المقريزي بالرصد، وهذه الآبار المكتشفة محفورة في الصخر بأعماق كبيرة أيضا، ولكنها لا تتكون من قسمين كما هو الحال في بئر يوسف، وإنما يتكون كل منها من حفرة واحدة ذات اتساع واحد في كل أجزائها بحيث يطابق اتساعها في القاع اتساعا في القمة، وتقع أربع من هذه الآبار الخمس على امتداد واحد يتجه صوب الجنوب بجانب القصر الذي عمله ابن طولون بالقطائع، وهذه الآبار الأربع هي آبار أكثر عمقا وأكثر قربا من الجبل، أما البئر الخامسة - التي لا تزال صالحة المياه - فانها كانت تستخدم لمد مسجد ومشهد الجيوشي بما يحتاجه من المياه، ويغلب على الظن أنها حفرت عند بناء هذا المسجد على يد بدر الجمالي سنة (478هـ/ 1085م)[34].

(33) - لمعلومات أخرى عن بئر القلعة، انظر عبد الرحمن زكي: قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول (طبعة بولاق 1950) ص 7. كراسة لجنة حفظ الآثار العربية: من كراسة (21) عن سنة (1904) ت 330 ص ص 51-52 إلى كراسة (23) عن سنة (1906) ت 358 ص ص 77-78.

(34) بول كازانوفا: المرجع السابق ص 146.

أثر رقم (78)

5 ـ قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون) (572-920هـ/ 1176-1516م)

1) نبذة عن منشئها :

الواقع أن المنشئ الأصلي لقناطر مياه القلعة هو السلطان العادل أبو بكر بن أيوب الذي تولى الحكم من سنة (596هـ/ 1200م) إلى سنة (615هـ/ 1218م) وكانت حينذاك عبارة عن مجرى ماء فوق السور الشرقي للعاصمة والذي كان يبدأ طرفه الجنوبي من شاطئ النيل عند الموضع المعروف الآن بدار السلام، ويمتد حتى يتصل بأسوار القلعة، وقد جعل العادل فوق هذا الجدار قناة يرفع الماء اليها بالسواقي من النيل ويسيل فيها حتى يصل إلى القلعة، وكان ذلك عندما استقر رأيه على الإقامة الدائمة في القلعة بدلا من حصن القاهرة التي اضطر إلى الاقامة فيها كل من سبقه من سلاطين الأيوبيين، وعندما تبين له أن ماء يوسف الذي حفر بأمر من صلاح الدين لا تتمتع مياهه بالعذوبة الكافية التي يمكن استخدامه معها في حياته اليومية[35]، ثم جددها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (712هـ/ 1312م) وعمل لها أربع سواق على النيل لنقل الماء في مجراة فوق قناطر إلى القلعة[36]، ثم شيد سنة (741هـ/ 1343م) عدة سواق أخرى عند ساحل النيل، بعدما حفر بئرا ثانية ركب عليها هذه السواقي حتى اتصلت مياهها عبر القناطر المملوكية بالقناطر الأيوبية في بئرين ويصير ماؤها واحدا يجري إلى القلعة[37]، وظل الحال على ذلك حتى أمر السلطان الغوري سنة (912هـ/ 1506م) بابطال مجرى المياه القديم، وشرع في بناء مأخذ ذي ست سواق على النيل عند فم الخليج تسير مياهها في مجراة فوق قناطر لتلتقي مع بقايا قناطر الناصر محمد بالقرب من مشهد السيدة نفيسة ثم بسور صلاح الدين القديم حتى القلعة.

(35) فريد شافعي: المرجع السابق ص 111.
(36) - المقريزي : المصدر السابق، ج2 ص ص 229-230،
- عبد الرحمن زكي: المرجع السابق: ص 43.
(37) - المقريزي : المصدر السابق ج 2 ص ص 229- 230،
- عبد الرحمن زكي: المرجع السابق: ص 45.

2) نبذة عن مأخذها :

لما أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون القصور والخانقاة بناحية سرياقوس، رأى أن يحفر خليجا يخرج من بحر النيل عند موردة البلاد ببركة الحبش ويصب في الخليج الكبير عند أرض الطبالة لتمر المراكب فيه من القاهرة إلى سرياقوس محملة بكل ما تحتاجه الضاحية الجديدة من الغلال وغيرها، وقد بدأ حفر هذا الخليج الذي عرف بالخليج الناصري - نسبة إليه - في جمادي الأولى سنة (725هـ/ 1325م) وانتهى بعد شهرين في جمادى الثانية من السنة المشار اليها[38].

وكان الخليج الكبير الذي يصب فيه الخليج الناصري بجوار مدينة الفسطاط غرب القاهرة، وهو خليج قديم حفره - على ما قيل - بعض ملوك الفراعنة، ثم تعهده أباطرة الرومان بالرعاية من بعدهم، غير أنه ما لبث أن أهمل خلال العصور التاريخية التالية حتى كان الفتح العربي لمصر سنة (21هـ/ 641م) فجدد عمرو بن العاص حفره بإشارة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان هذا الخليج يصب حينذاك في بحر القلزم، وتسير فيه السفن إلى البحر المالح ومنه إلى الحجاز واليمن وبلاد الهند، وقد عرف هذا الخليج أولا بخليج مصر حتى أنشأ جوهر الصقلي مدينة القاهرة سنة (358هـ/ 969م) إلى الشرق منه فعرف بخليج القاهرة[39]، وظل متنزها لأهلها إلى أن حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري، فظل مستعملا لعدة قرون إلى أن تم ردمه سنة (1315هـ/ 1897م) بعد أن أصبح مصرفا لفضلات البيوت المطلة عليه وبؤرة للأمراض والأوبئة التي تصيب الناس.

وقد عمرت على هذا الخليج الناصري خمس قناطر هي قنطرة الفخر، وقنطرة قدا دار، وقنطرة الكتبة، وقنطرة باب البحر (التي عرفت بقنطرة الليمون)، وقنطرة المدبولي، وقنطرة الحاجب التي كانت توصل إلى أرض الطبالة التي أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة (725هـ/ 1325م) وعرفت بقنطرة البكرية، وجرت فيه السفن، وأنشأ الناس على شاطئيه السواقي وزرعوا من حوله البساتين والأشجار،

(38) المقريزي : المصدر السابق، ج 2 ص 145.
(39) نفس المصدر، ج 2 ص 139.

فقامت العمائر على جانبيه فيما بين المقس وساحل النيل في بولاق، حتى اتصلت هذه العمائر من أوله عند موردة البلاط ببركة الحبش إلى حيث يسير في الخليج الكبير عند أرض الطبالة ومن ثم إلى سرياقوس، ثم أنشئت بين تلك العمائر الحمامات والمساجد والأسوار، وصار الخليج موطن افراح ومنزل أنس لأهل القاهرة والجيزة[40].

3) نبذة عن عمارتها :

لما أنشأ صلاح الدين الأيوبي قلعة الجبل (572-589هـ/ 1176- 1193م) أمر بإجراء المياه اليها من النيل عبر مجرى مائي فوق قناطر تدفع فيه المياه بواسطة السواقي حتى تصل إلى القلعة، ويتم تخزينها في الآبار التي تم حفرها لهذا الغرض، ولكن هذه القناطر العتيقة ما لبثت أن اندثرت ولم تعد صالحة للقيام بوظيفتها حتى اهتم بها الناصر محمد بن قلاوون[41]، وقام بتجديد عمارتها على مرحلتين كانت أولاهما سنة (712هـ/ 1312م) وأنشأ خلالها أربع سواق على النيل عند فم الخليج من جهة بركة الحبش تأخذ الماء من النيل وتدفعه عبر مجرى مائي هائل يجري من فم الخليج إلى القلعة فوق مجموعة ضخمة من العقود الحجرية المدببة حيث يتم تخزينها في مجموعة كبيرة من الآبار لا زالت باقية فيها حتى اليوم، وعمل نقالة (رافعة) من المصنع (خزان المياه) الذي عمله الظاهر بيبرس (658-676هـ/ 1260-1277) عند زاوية تقي الدين رجب التي بالرميلة تحت القلعة إلى الاسطبل السلطاني بجوار قصره الأبلق، وكانت ثانيتهما سنة (741هـ/ 1340م) وفيها أمر بحفر بئر عند بركة الحبش تنقل مياهه عبر خليج صغير يخرج من البحر عند حائط الرصد الذي يعرف اليوم باصطبل عنتر تجاه مسجد زثر النبي بمصر القديمة بعد أن تنقر في الحجر تحته (أي تحت الرصد) عشرآبار يصب فيها الخليج المشار اليه، فتجمع الماء من البئرين ويصير ماء واحدا يجري الى القلعة.

---

(40) نفس المصدر ، ج 2 ص ص 146- 151

(41) - نفس المصدر، ج 2 ص 239،
- علي باشا مبارك: المصدر السابق، ج 1 ص 93

وفي عصر السلطان الغوري (905-920هـ/ 1501-1512م)[42] أقيم لهذا المجرى مأخذ مياه آخر ثم توصيله بالمجرى القديم بالقرب من السيدة عائشة لتقوية تيار المياه الواصلة الى القلعة، وما لبثت يد التخريب أن امتدت لهذا السور العظيم ولا سيما عندما اتخذت الحملة الفرنسية على مصر بعض أجزائه للمراقبة، وجعلت فيها فتحات كبيرة لمدافعها، وها هو المجلس الأعلى للآثار يقوم اليوم جاهدا لترميم هذه القناطر وإعادتها إلى ما كانت عليه لتظل شاهدة على عظمة العمارة الاسلامية في مصر[43].

(42) المقريزي : المصدر السابق، ج 2 ص 244.

(43) معلومات أخرى عن قناطر مياه القلعة، انظر :

ـ عبدالرحمن زكي : القاهرة، تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ (القاهرة 1966) ص ص 108-111 .

ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : من الكراسة (5) عن سنة (87/ 1888 م) إلى الكراسة

- Creswell (K.A.C.) : The Muslim Architecture of Egypt (Oxford 1952-9) part 1, pp. 250-264

- Van Berchem (M.) : Op. cit. T. 10, pp. 5, 88.

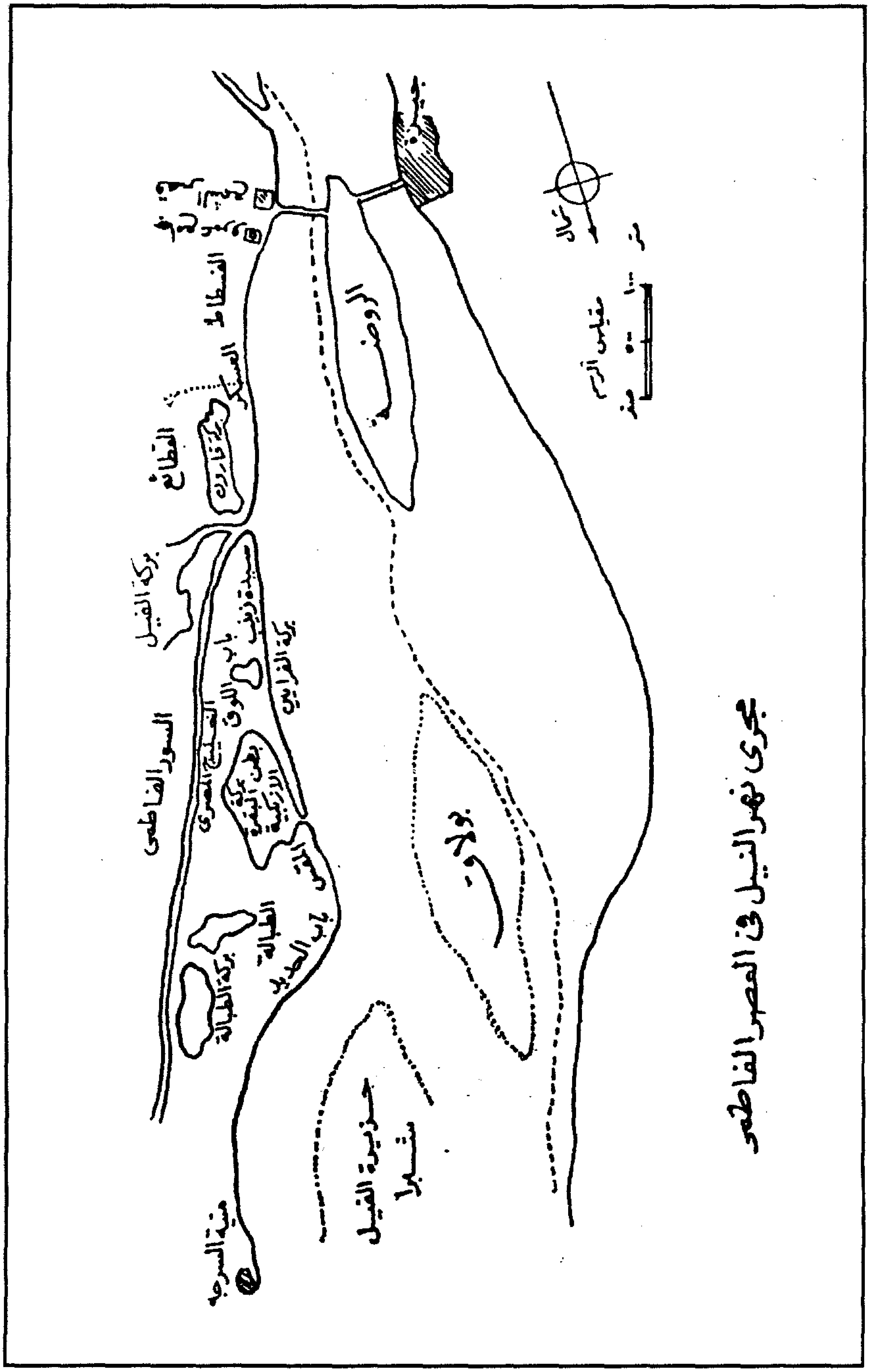

1 — مجرى نهر النيل بين القرنين (4-6 هـ / 10-12 م) — عن عبد الرحمن زكي

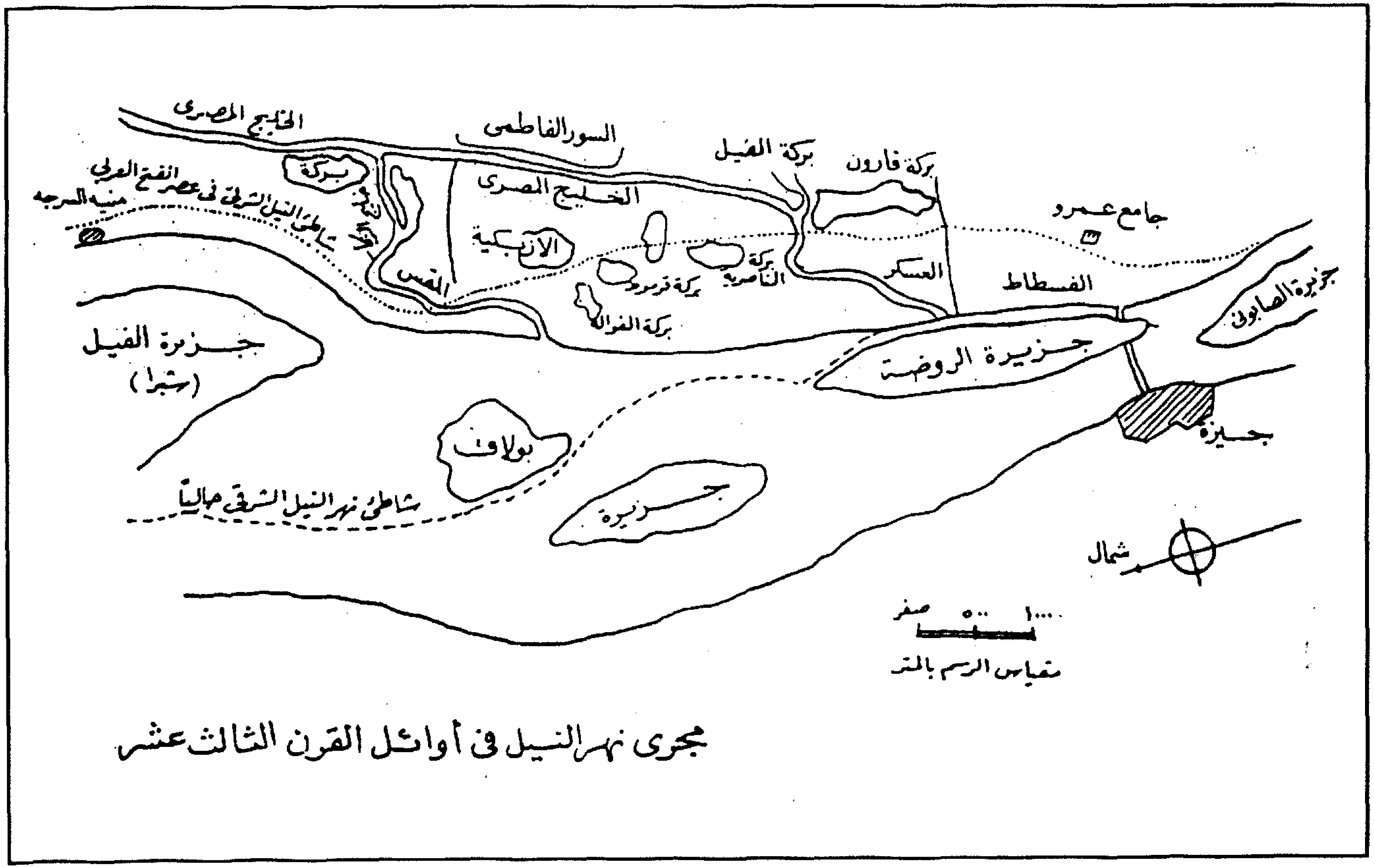

2 ـ مجرى نهر النيل في أوائل القرن (7 هـ / 13 م) ـ عن عبد الرحمن زكي

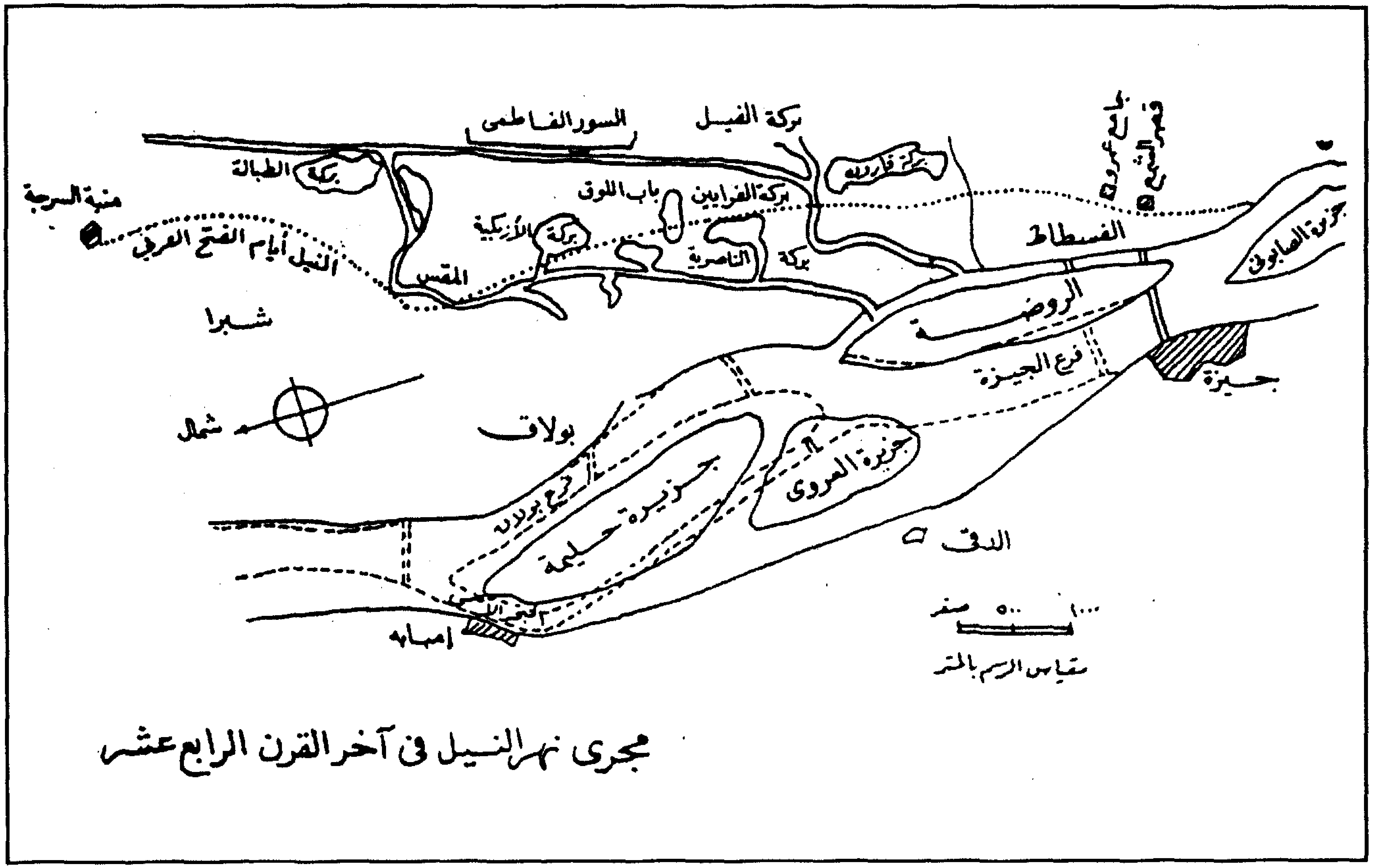

3 ـ مجرى نهر النيل في أواخر القرن (8 هـ / 14 م) ـ عن عبد الرحمن زكي

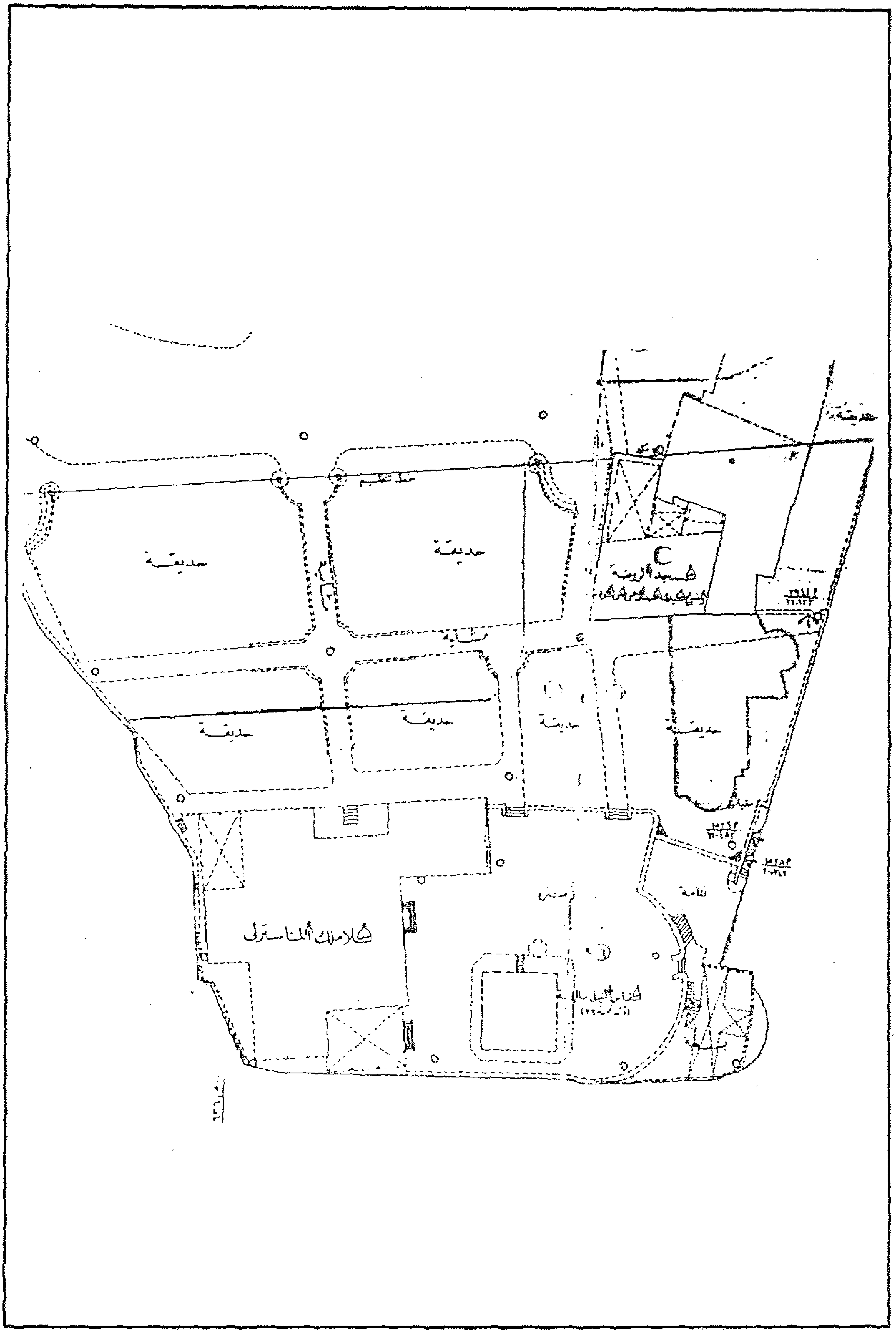

4 ــ مقياس النيل بالروضة ــ خريطة موقع

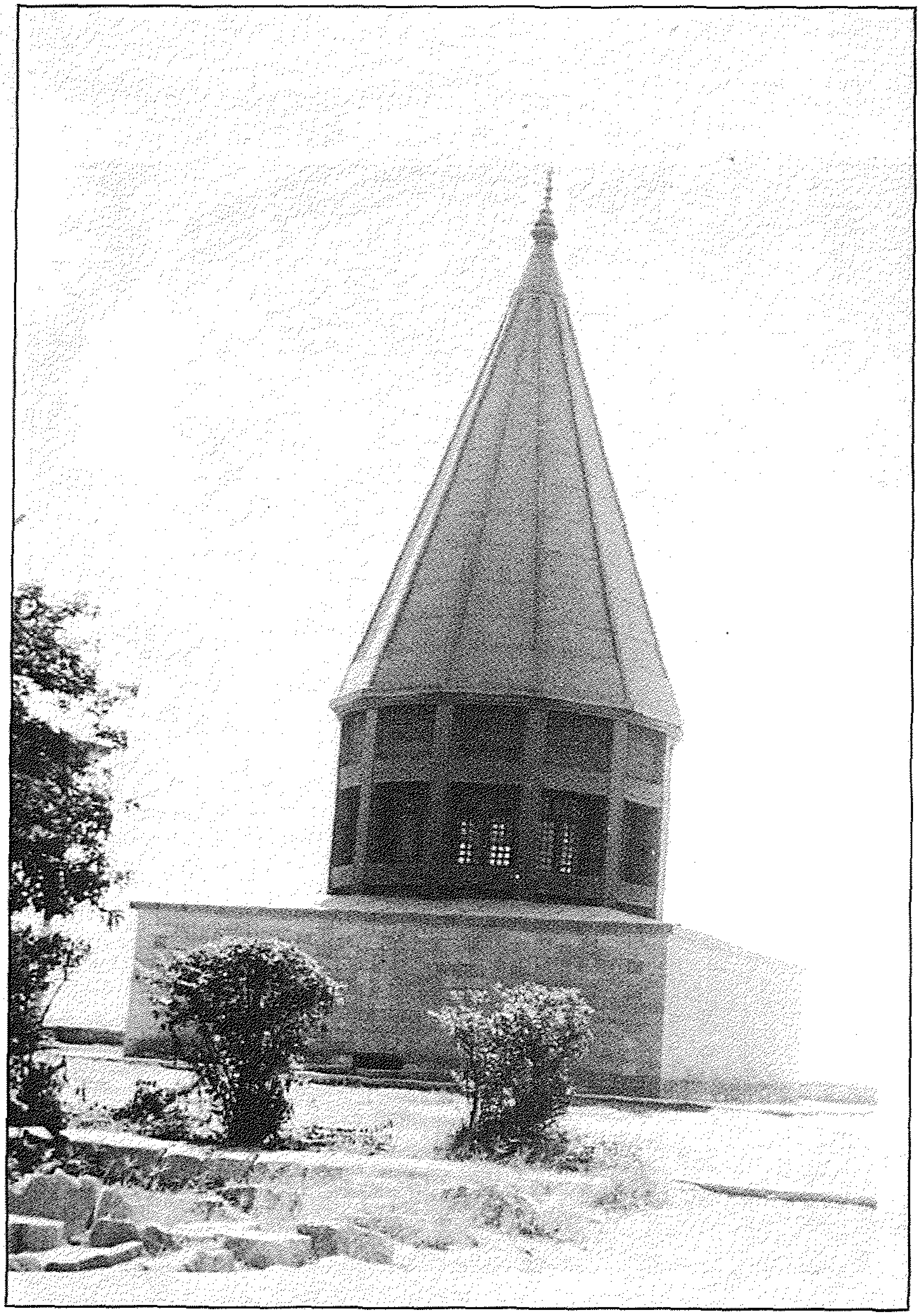

5 ـ مقياس النيل بالروضة ـ قبة المقياس المرصصة من الخارج

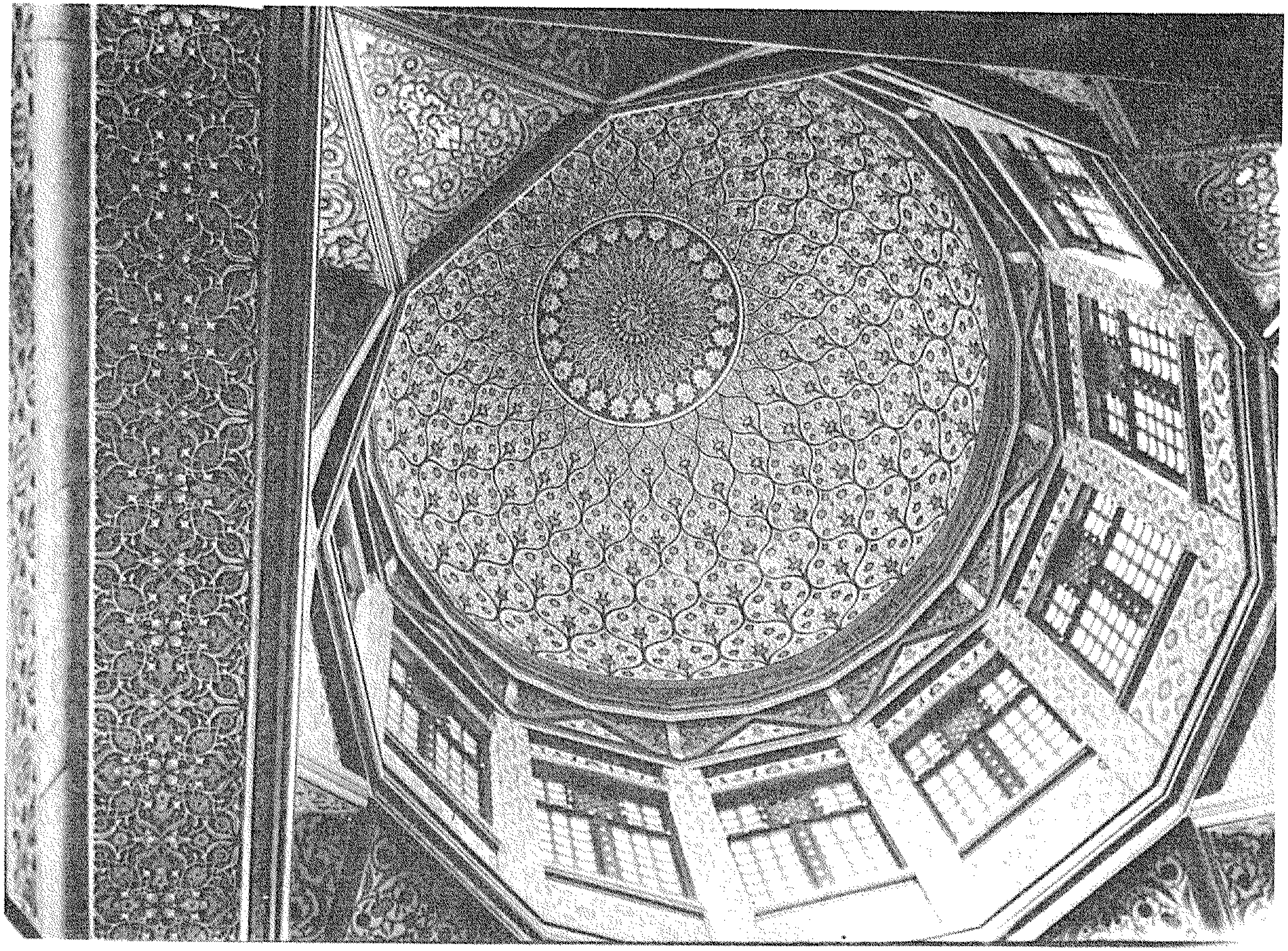

6 ــ مقياس النيل بالروضة ــ زخارف القبة من الداخل

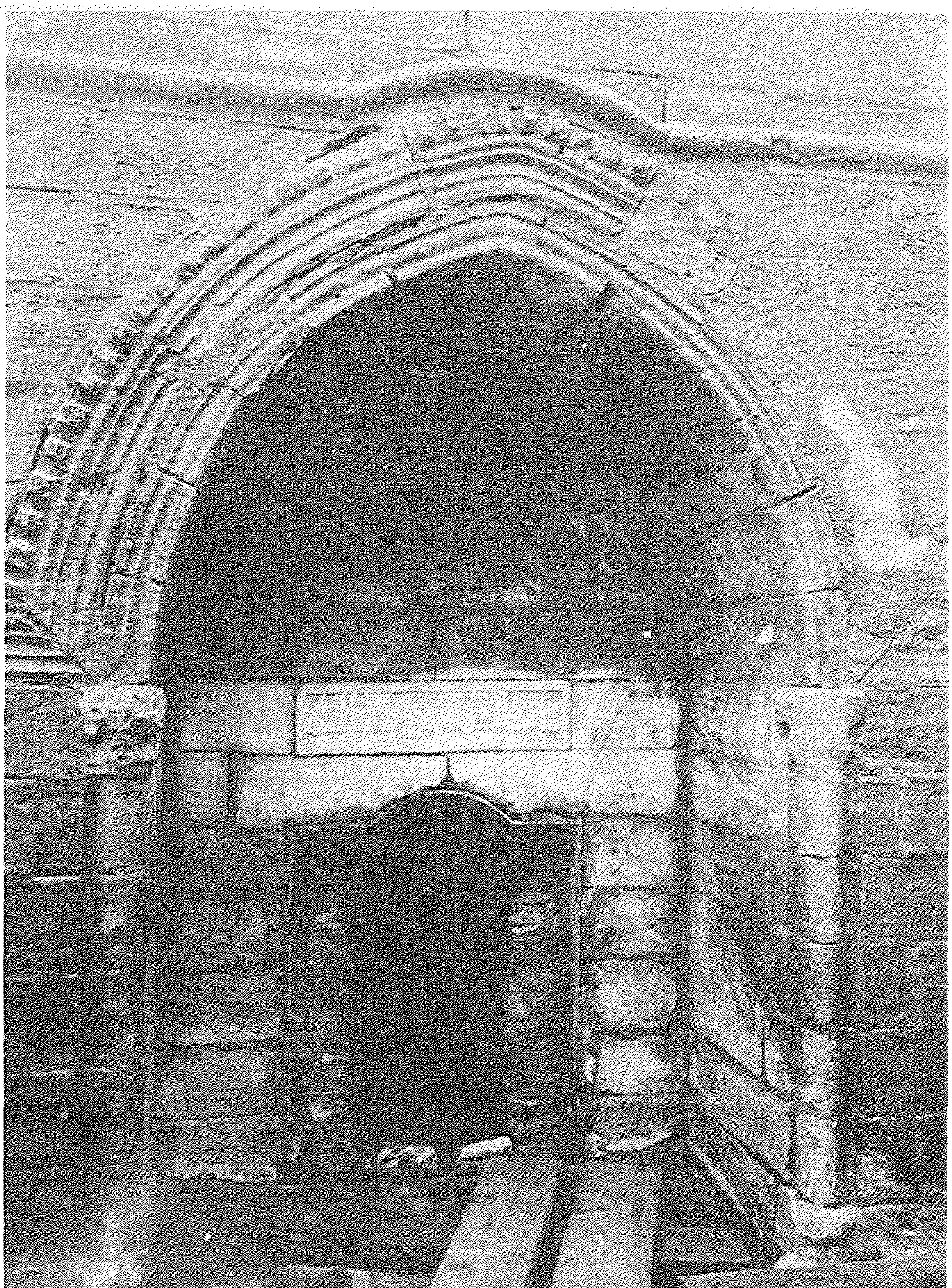

7 ــ مقياس النيل بالروضة ــ داخل البئر

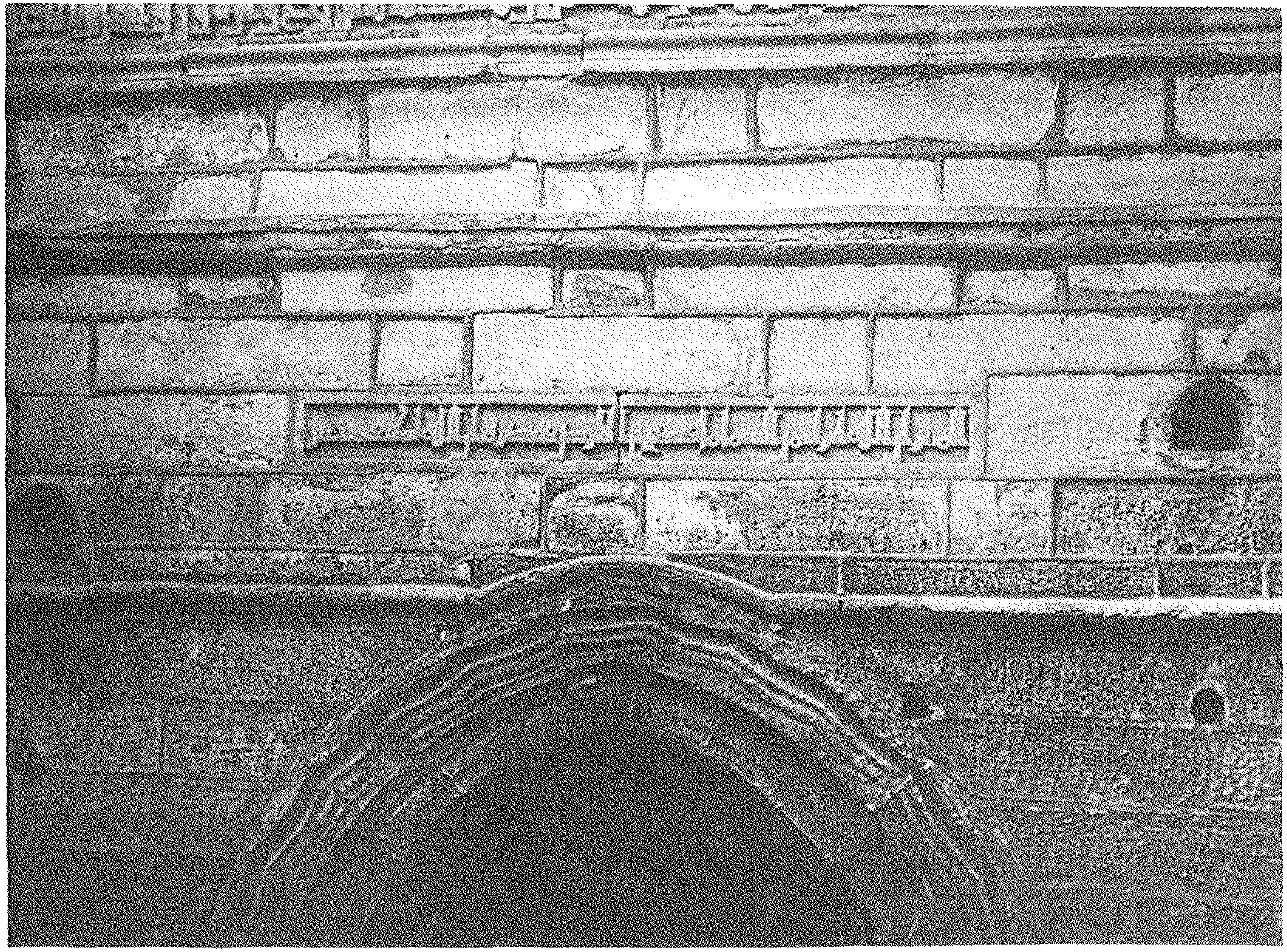

8 ــ مقياس النيل بالروضة ــ منظر من داخل البئر به بعض الكتابات الكوفية

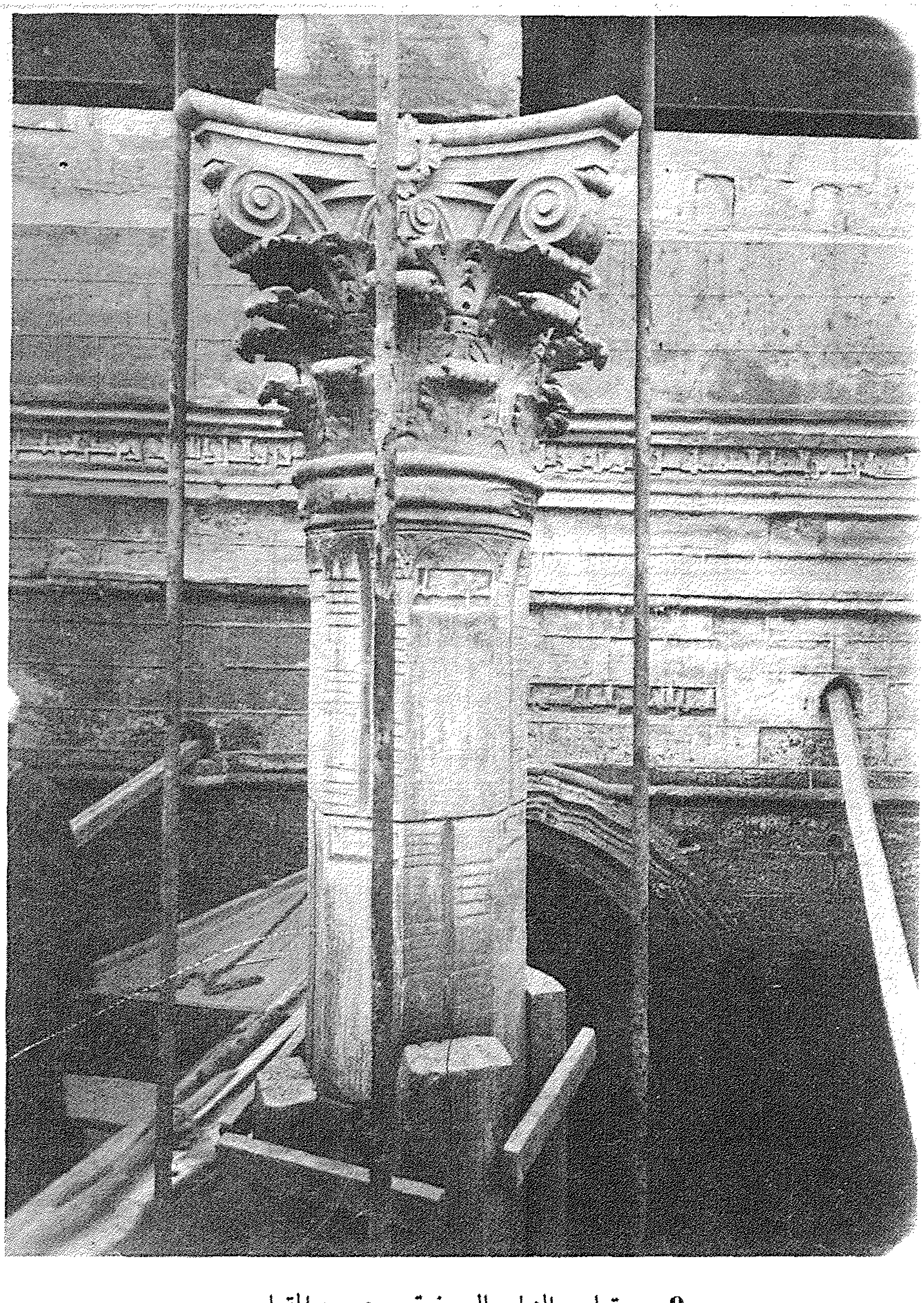

9 ــ مقياس النيل بالروضة ــ عمود المقياس

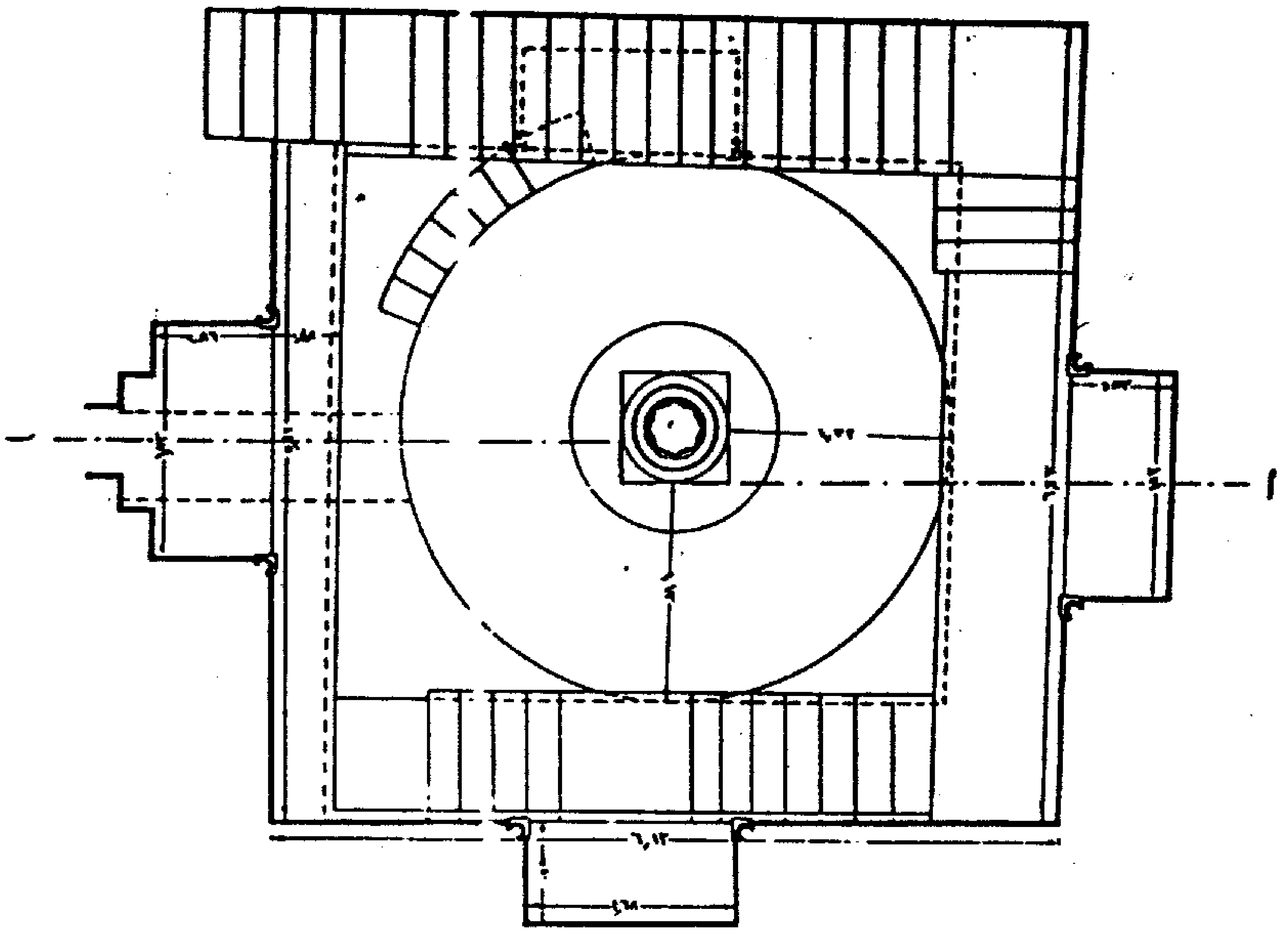

10 ــ مقياس النيل بالروضة ــ مسقط أفقي

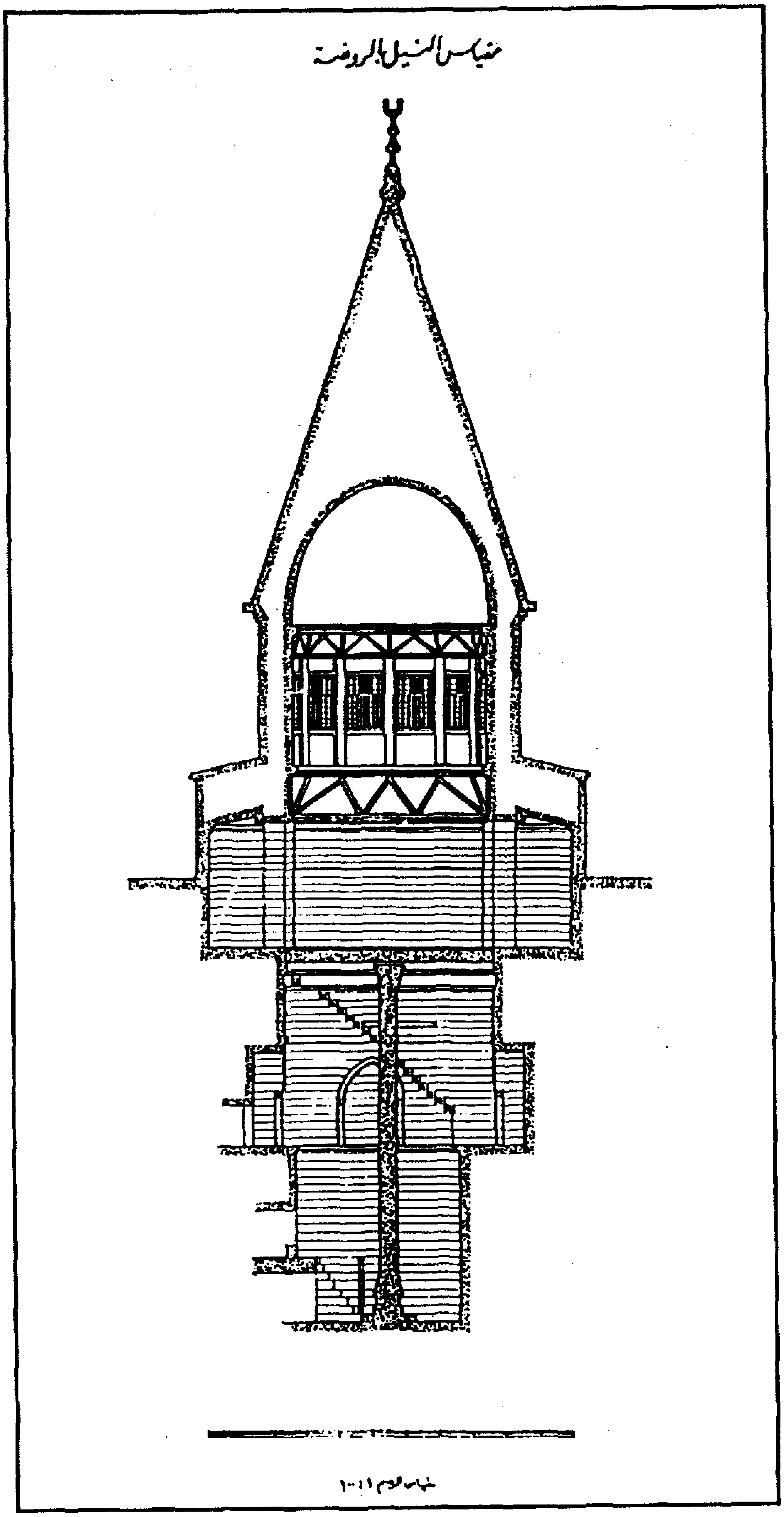

11 ــ مقياس النيل بالروضة ــ قطاع رأسي مع القبة

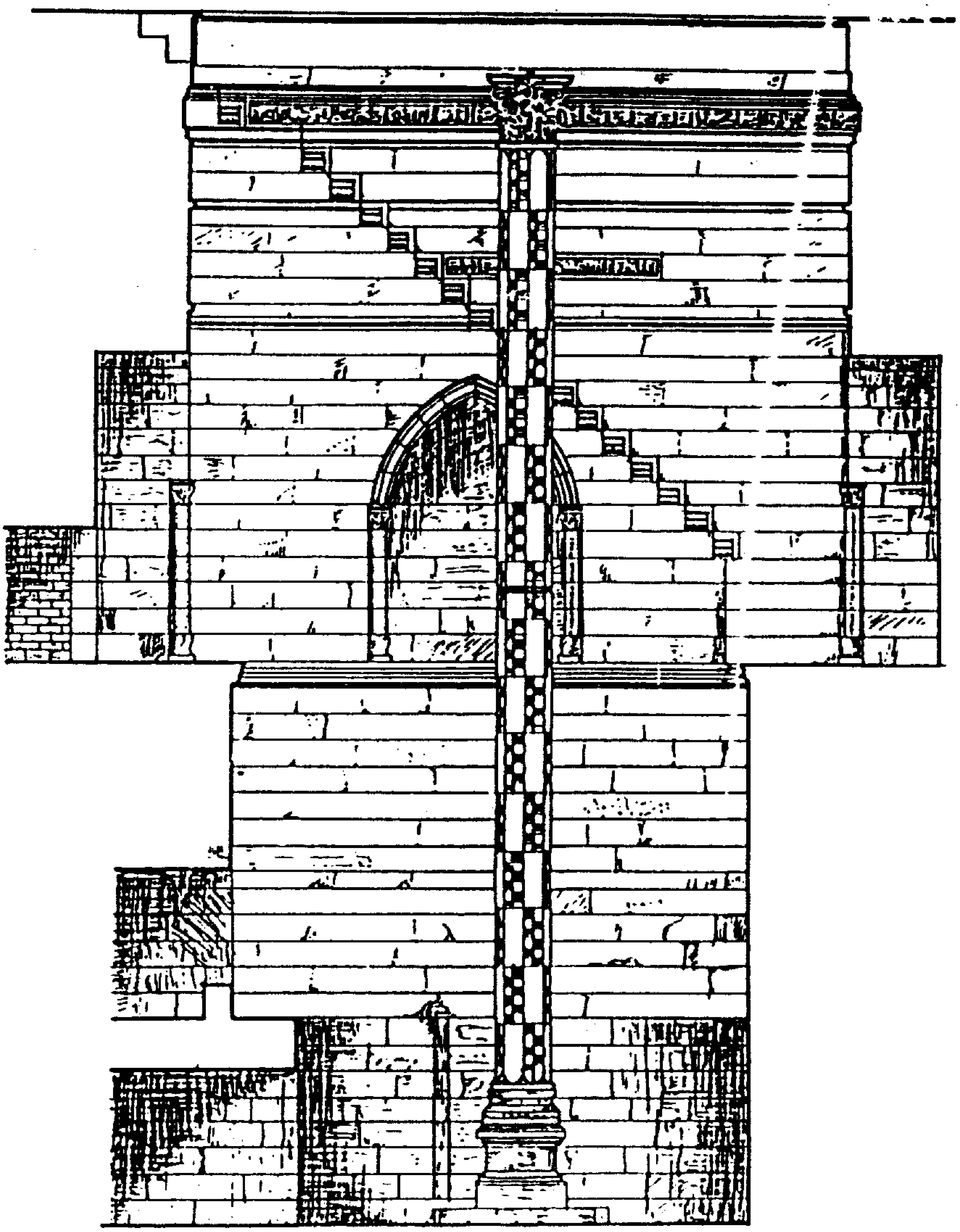

12 ـ مقياس النيل بالروضة ـ قطاع رأسي

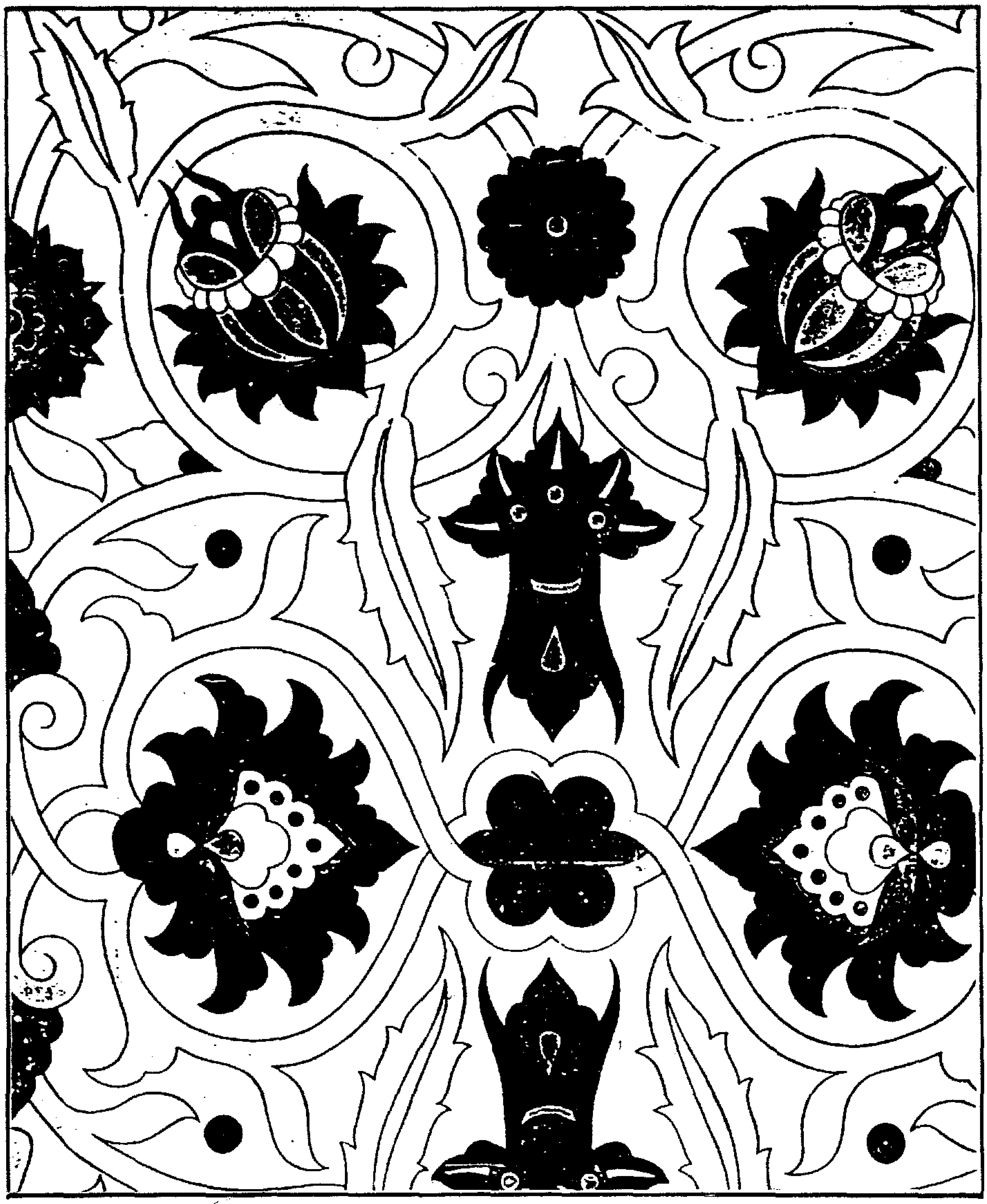

13 ـ مقياس النيل بالروضة ـ زخارف نباتية عثمانية بالقبة

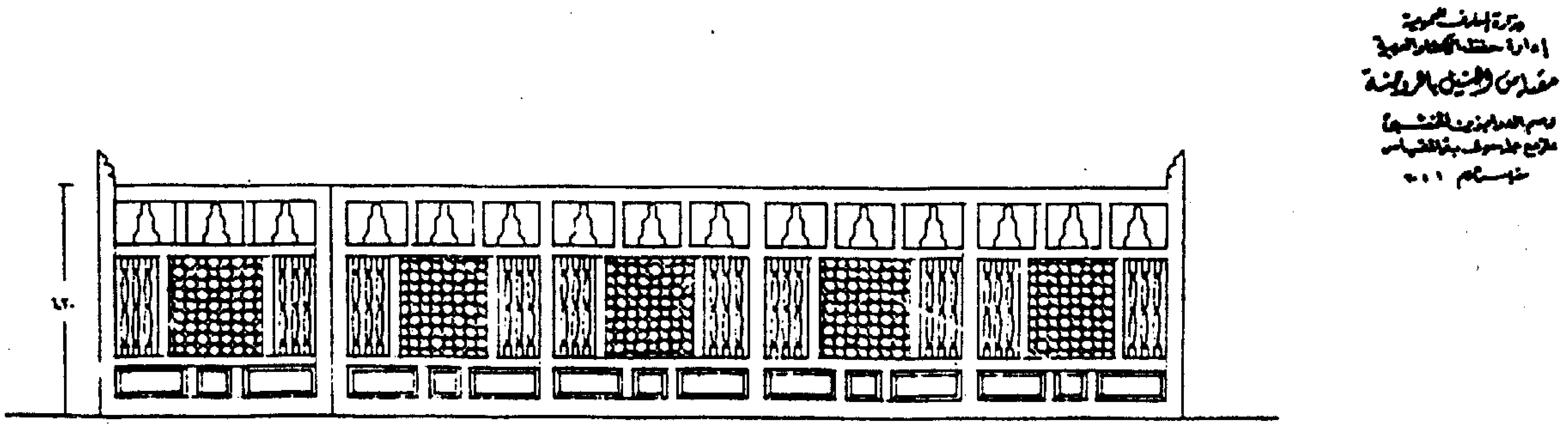

14 ـ مقياس النيل بالروضة ـ الدرابزين الخشبي

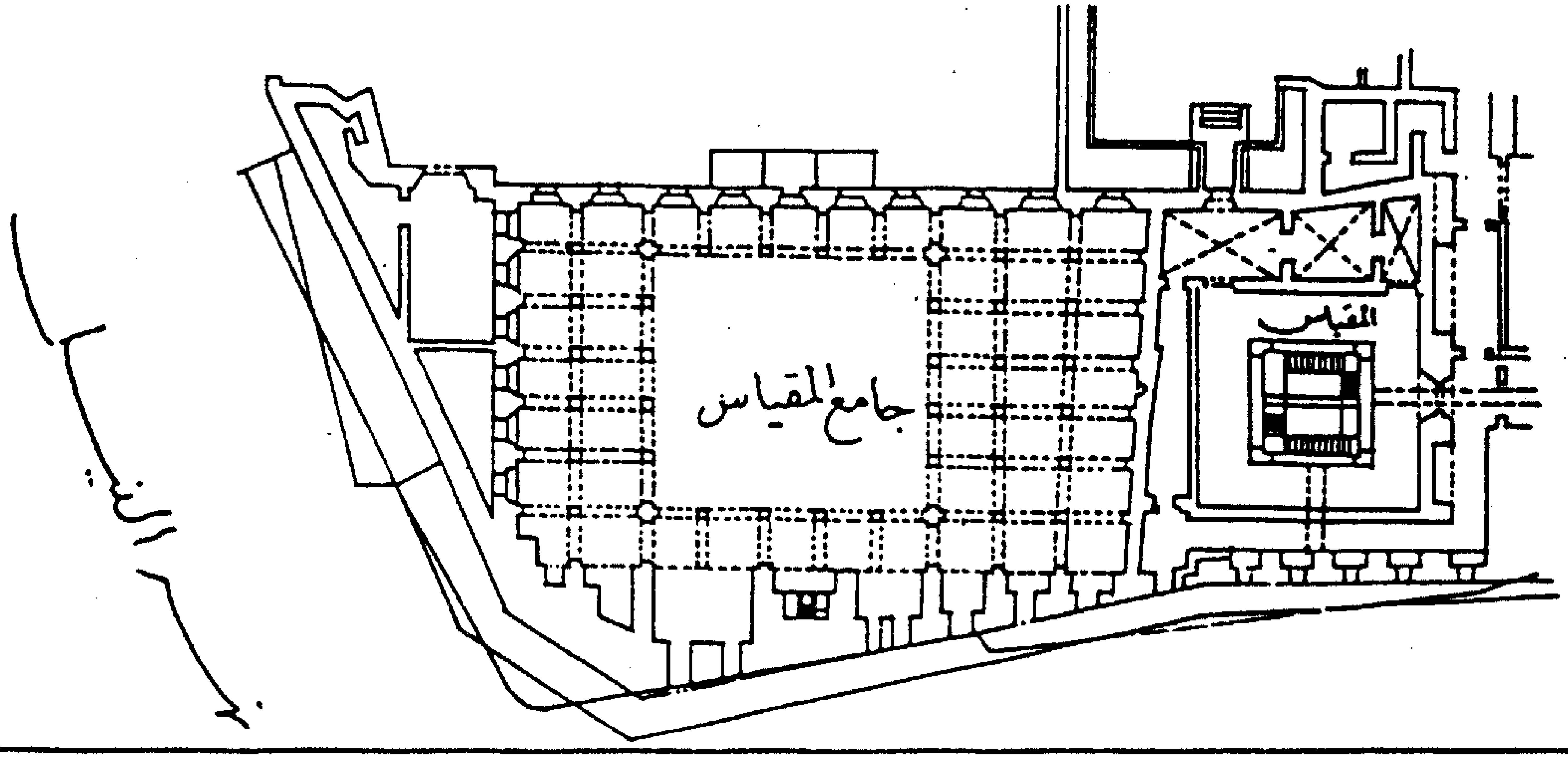

15 ـ جامع المقياس المتدعر ـ مسقط أفقي

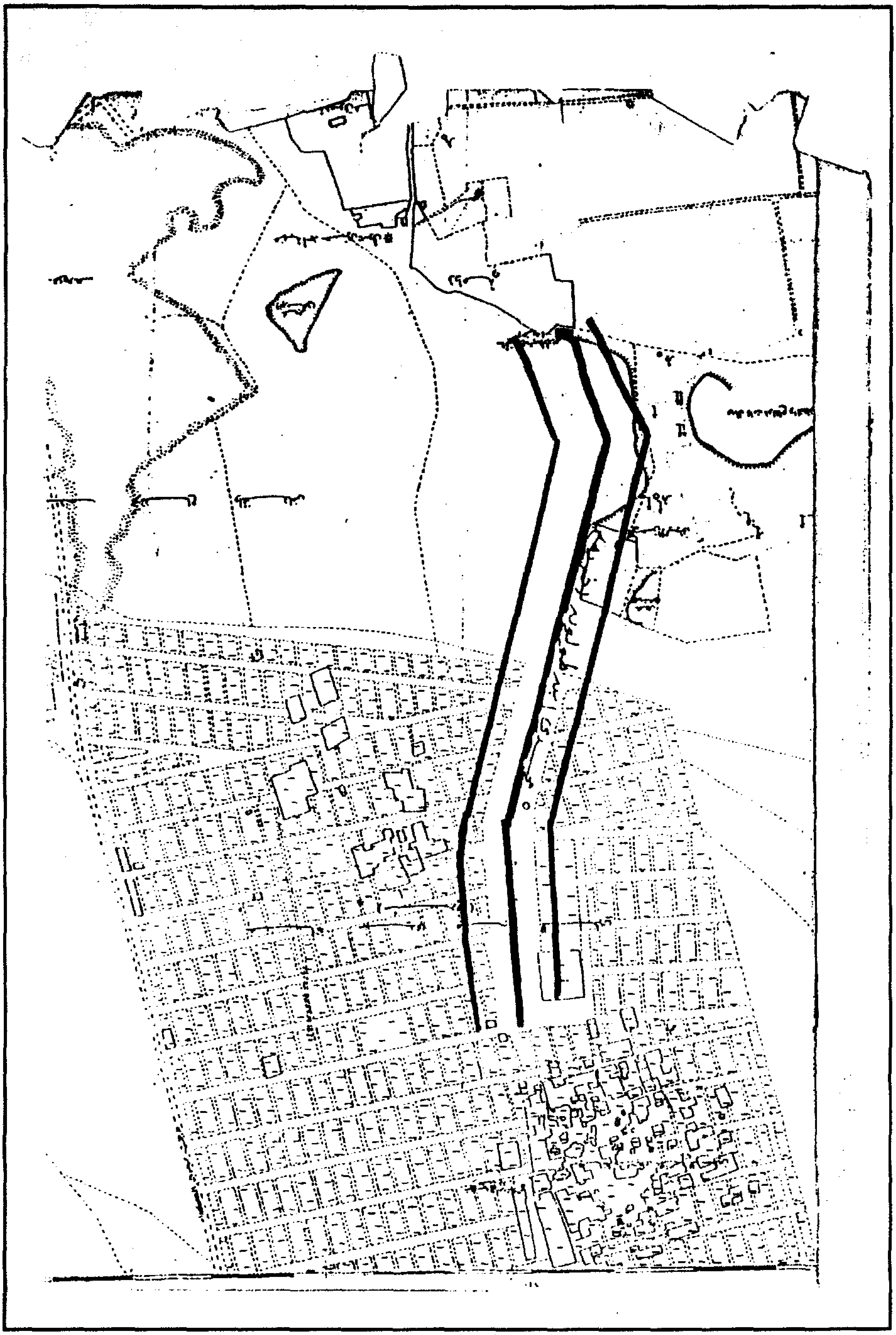

16 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين

17 ــ قناطر ابن طولون بالبساتين ــ منظر عام من الخارج

18 ــ قناطر ابن طولون بالبساتين ــ جزء من القناطر

19 ــ قناطر ابن طولون بالبساتين ــ جزء من القناطر

20 ــ قناطر ابن طولون بالبساتين ــ مدخل بئر الساقية

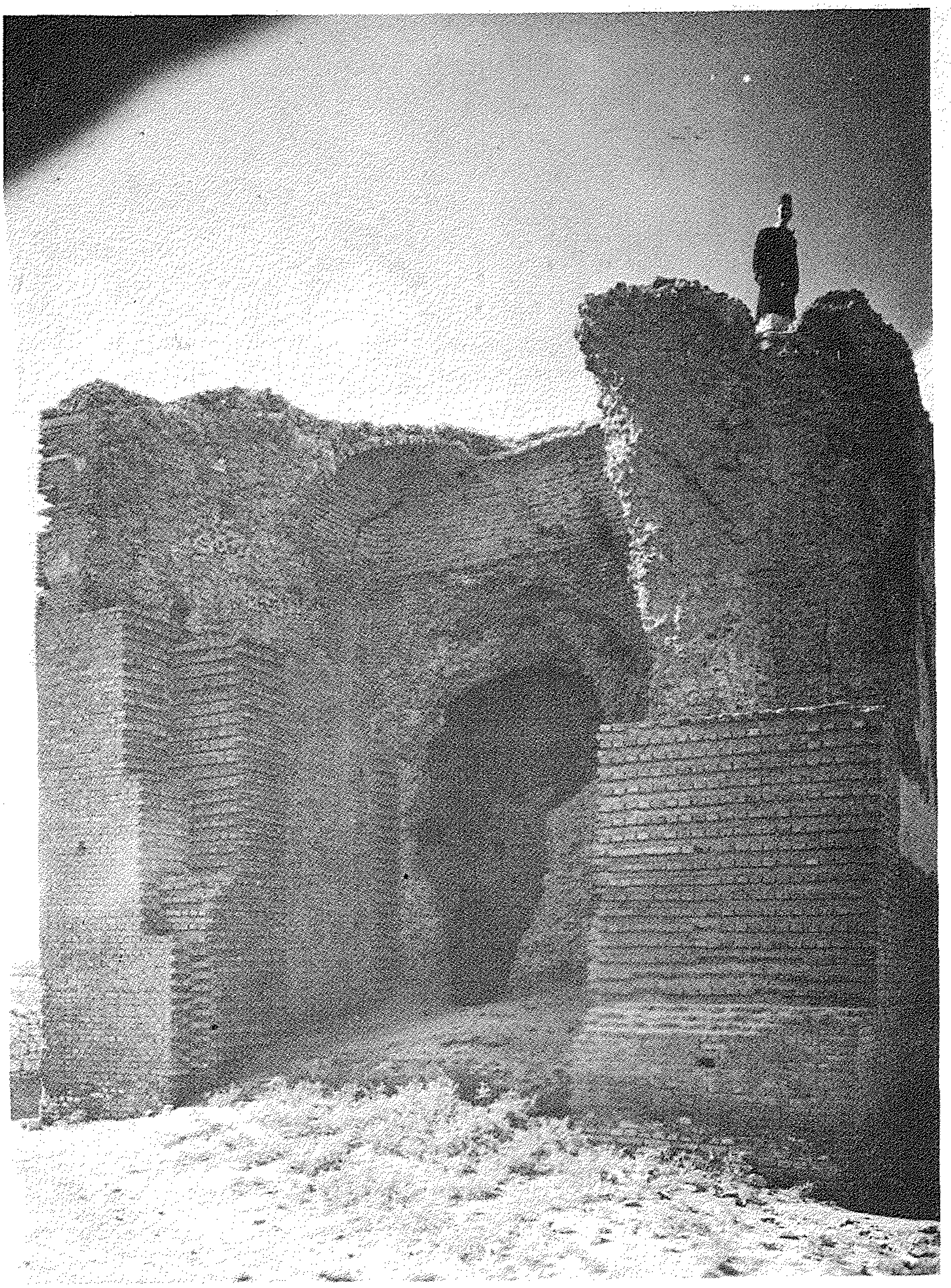

21 ــ قناطر ابن طولون بالبساتين ــ مدخل بئر الساقية

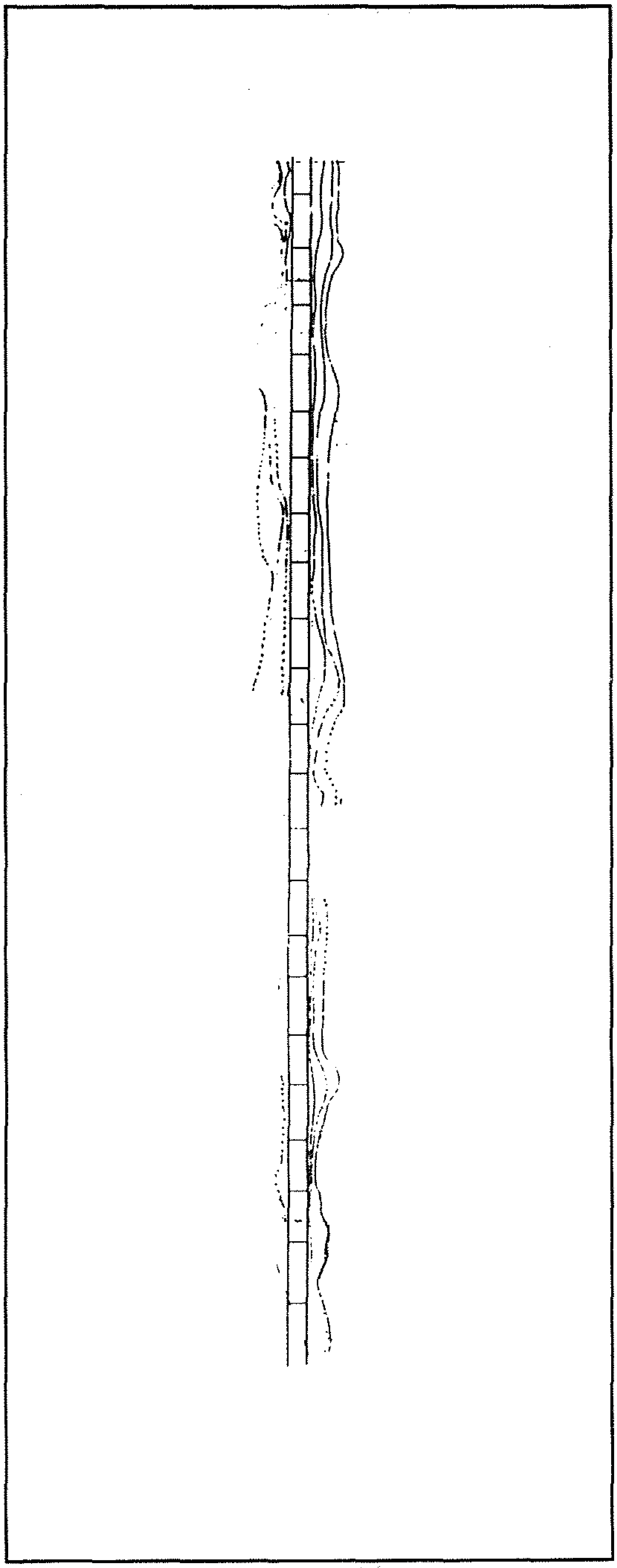

22 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

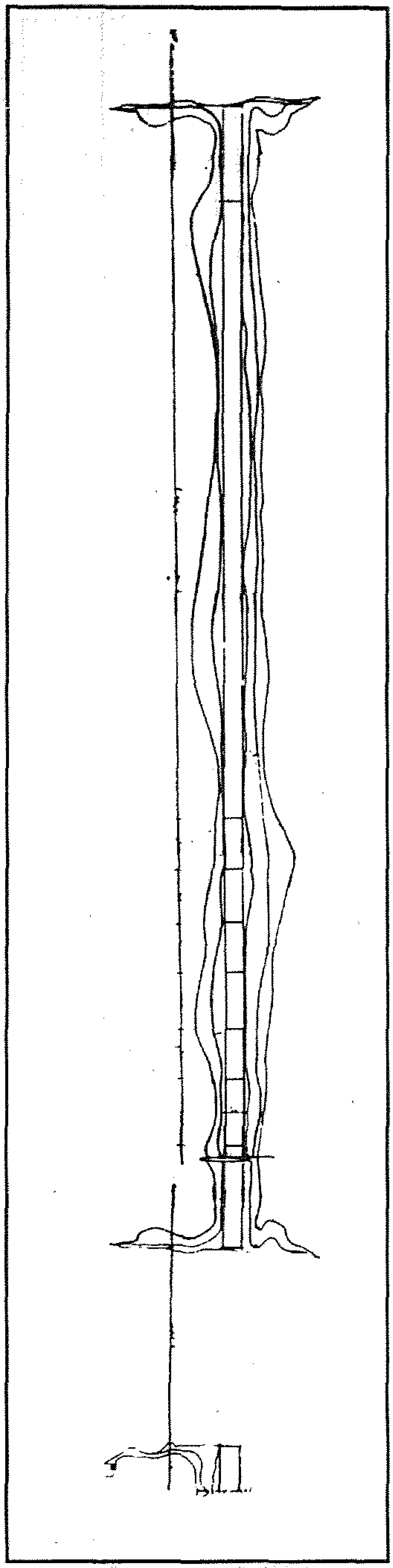

23 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

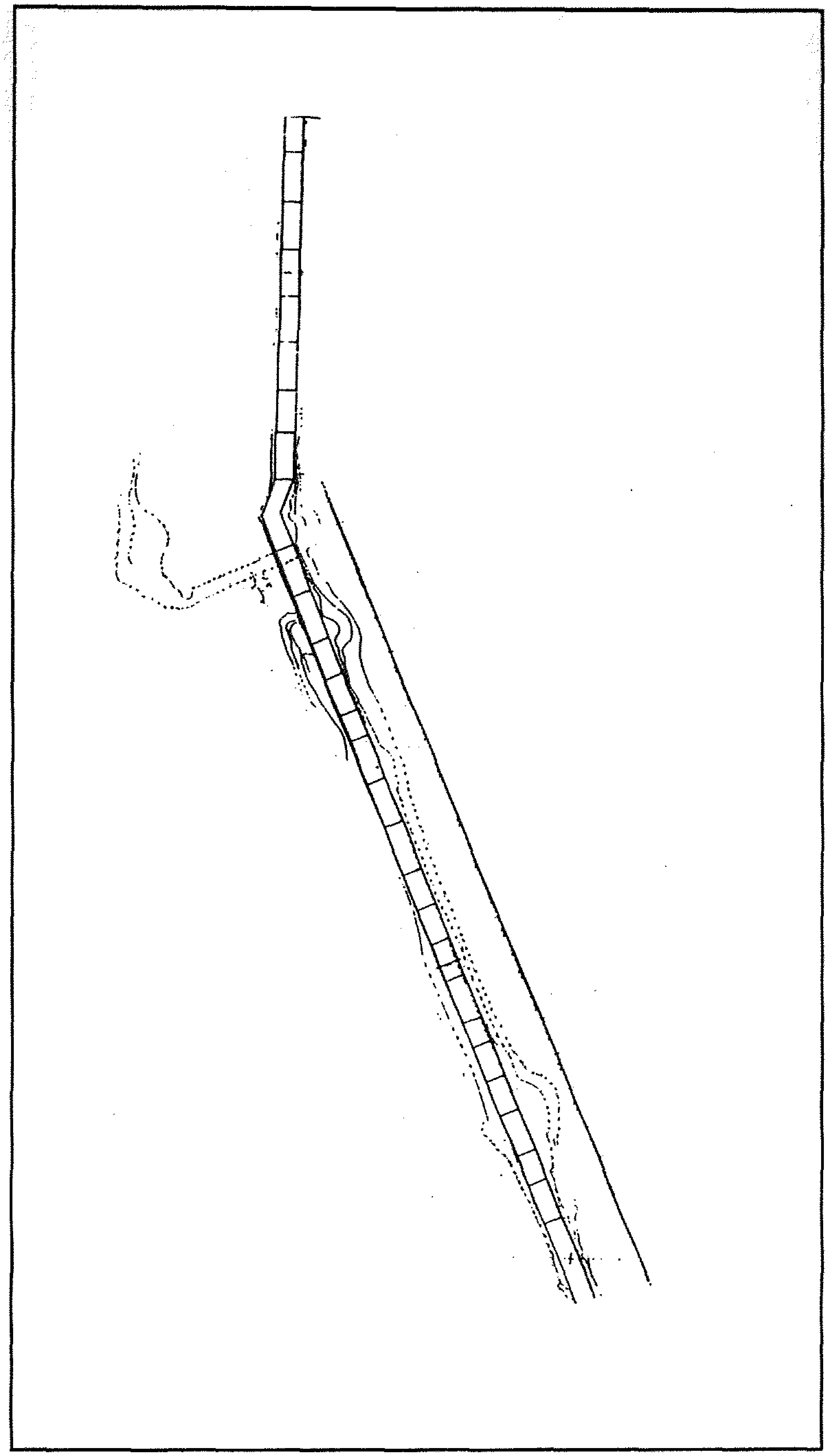

24 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

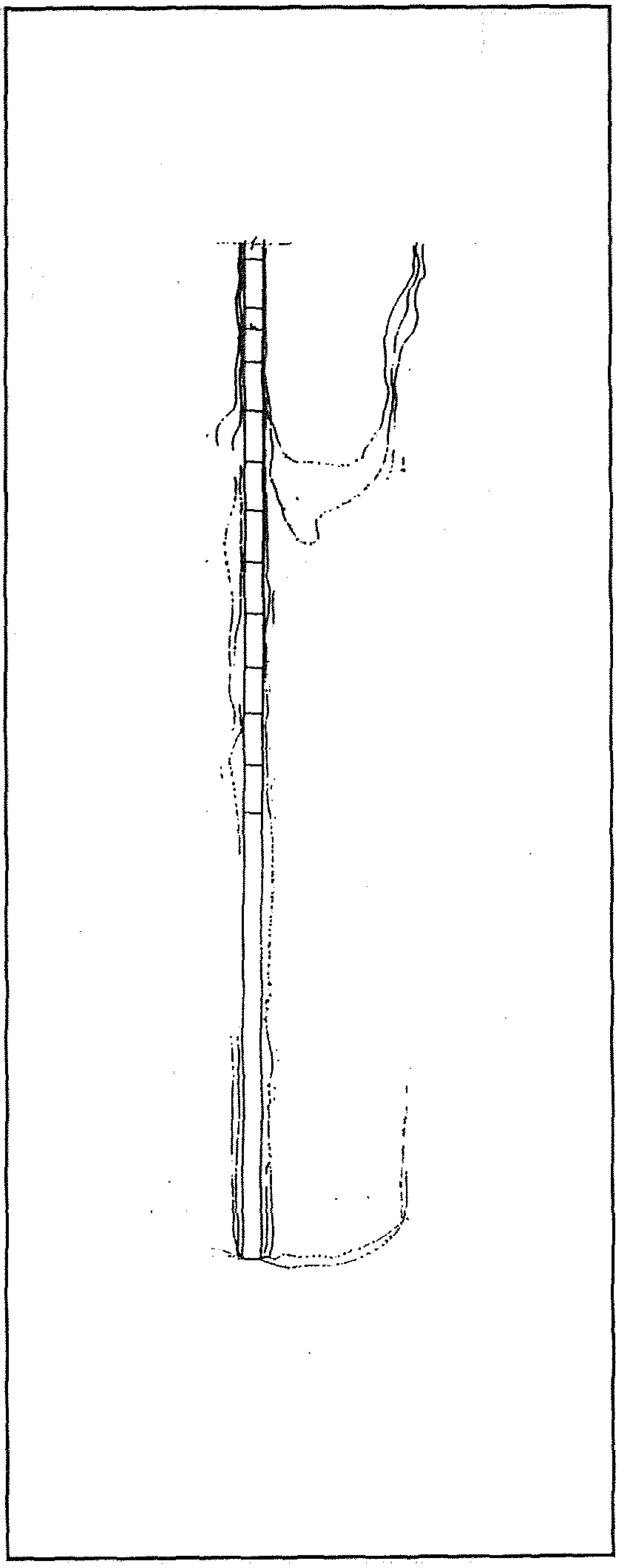

25 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

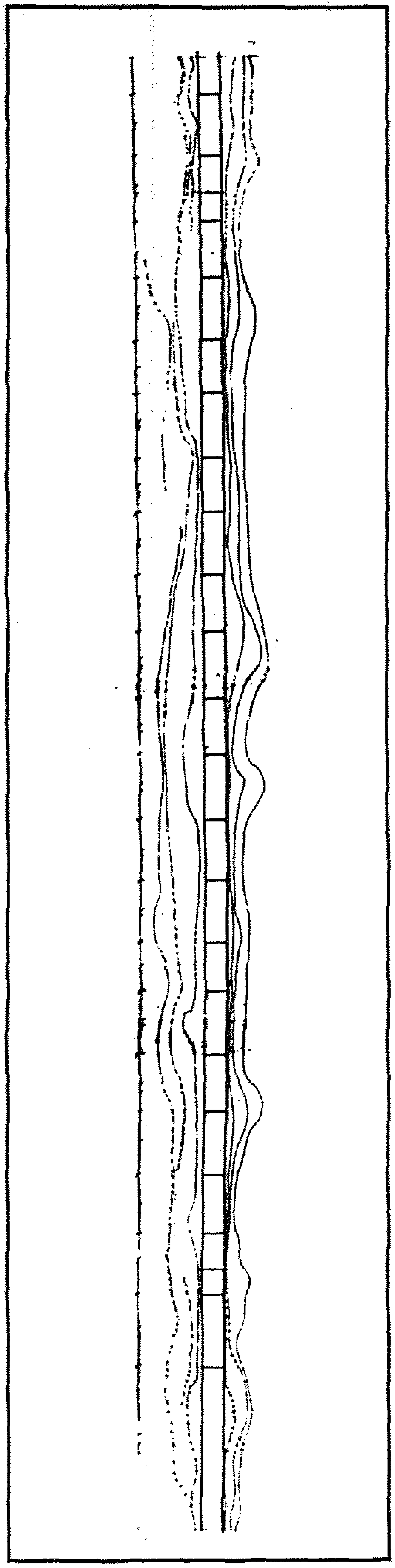

26 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

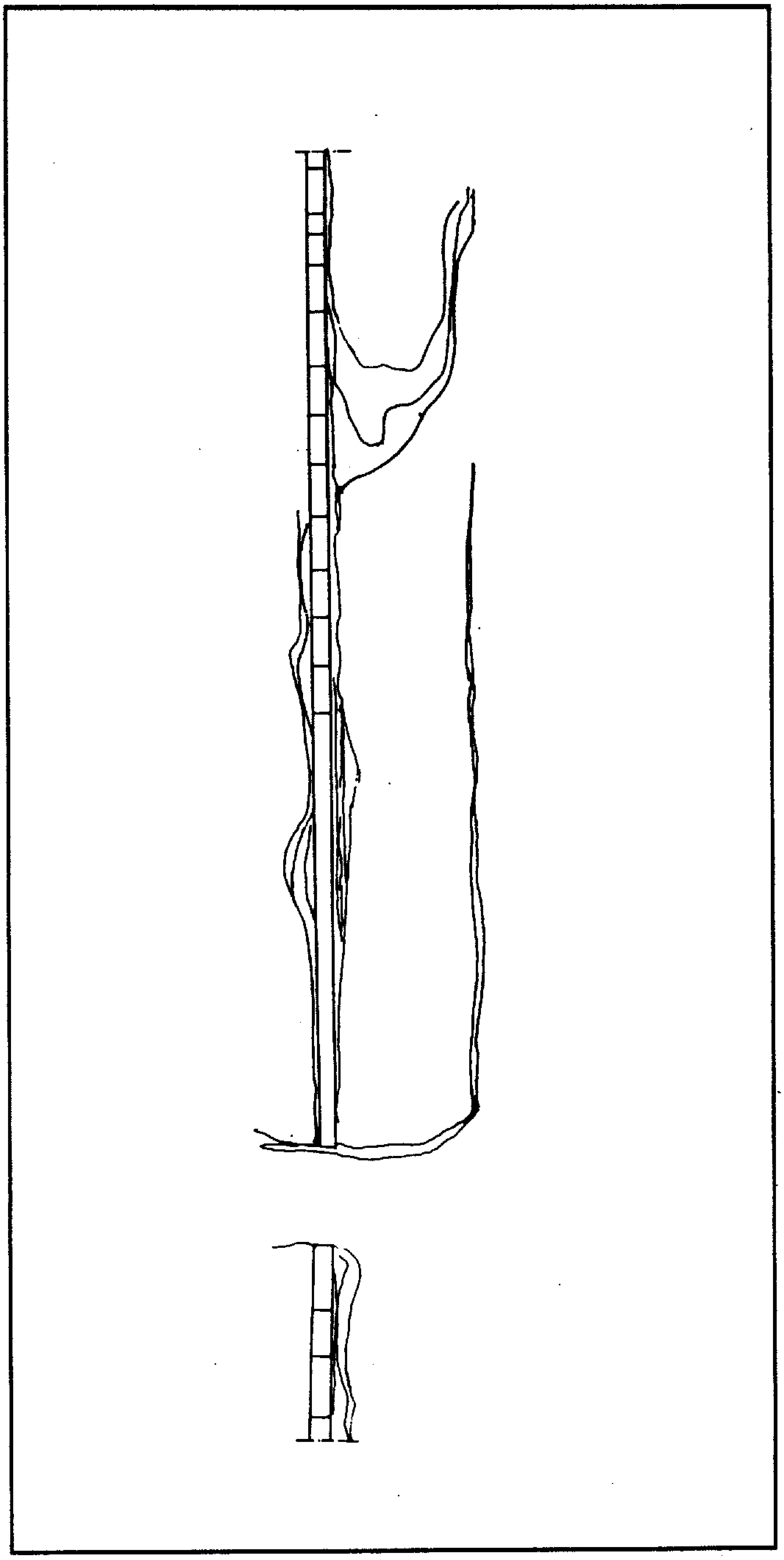

27 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

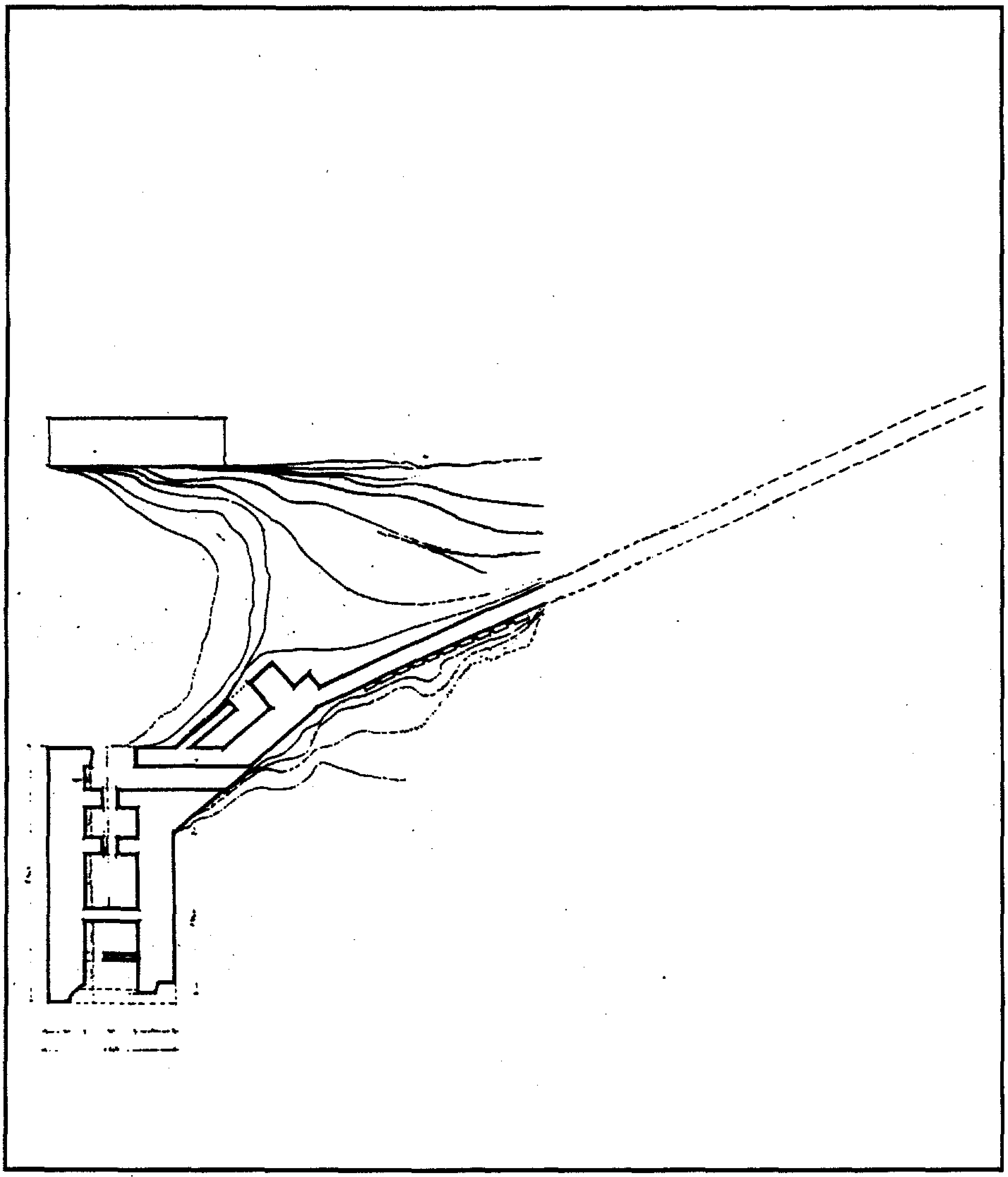

28 ـ قناطر ابن طولون بالبساتين ـ مسقط أفقي لجزء من القناطر

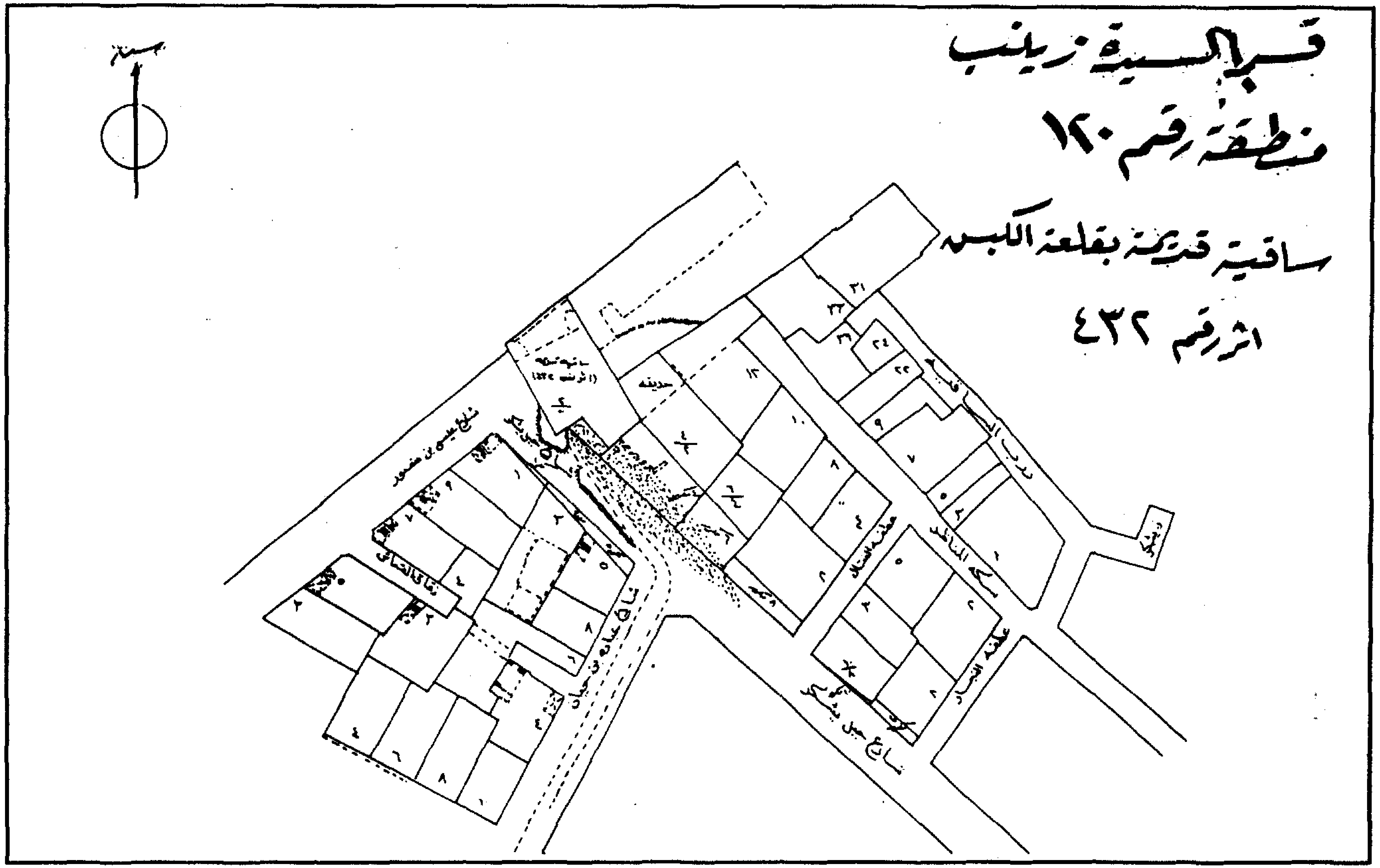

29 ــ بقايا الساقية بقلعة الكبش ــ خريطة موقع

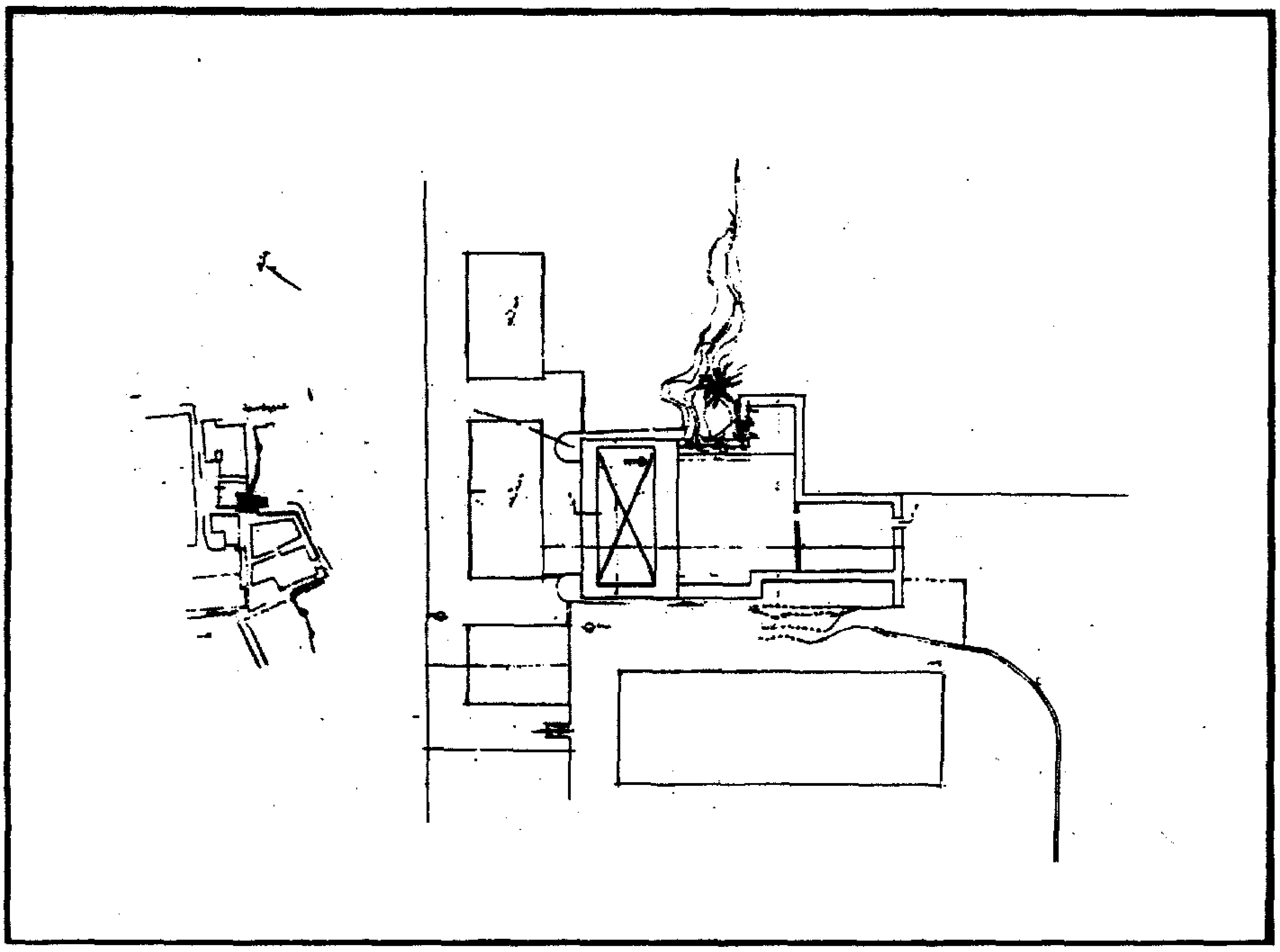

30 ــ بقايا الساقية بقلعة الكبش ــ مسقط أفقي وخريطة موقع

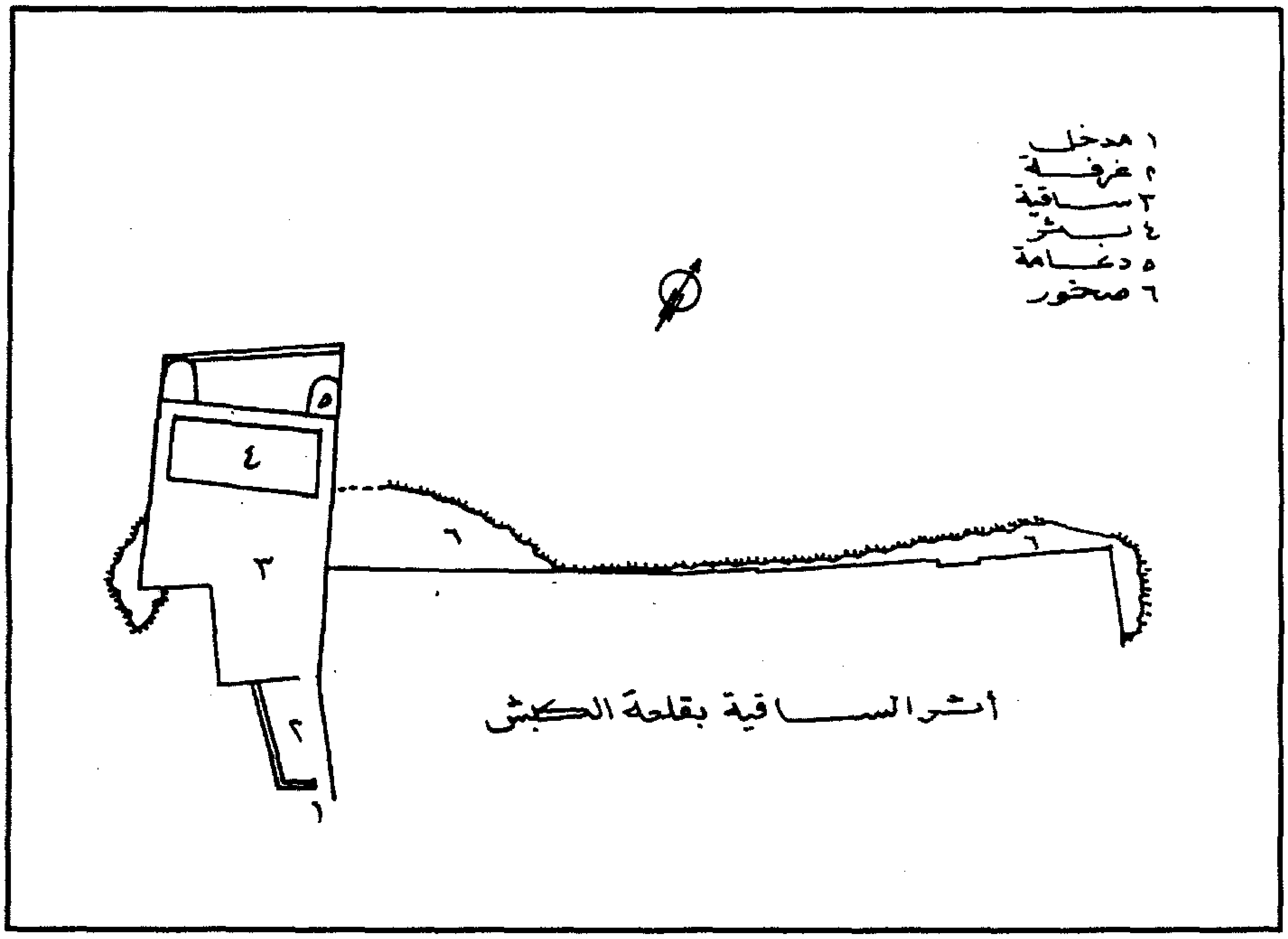

31 ــ بقايا الساقية بقلعة الكبش ــ مسقط أفقي للساقية

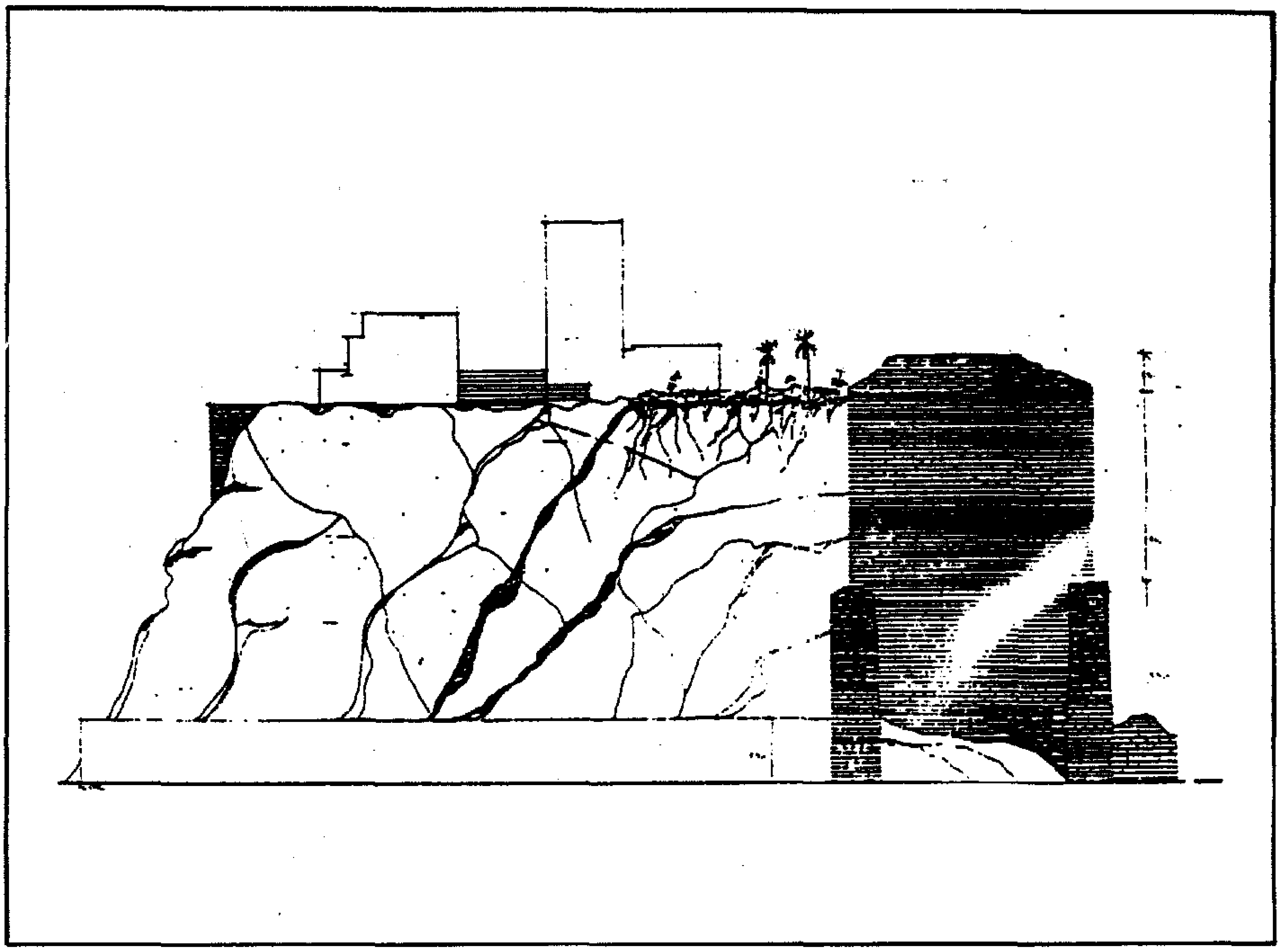

32 ـ بقايا الساقية بقلعة الكبش ـ واجهة بحرية

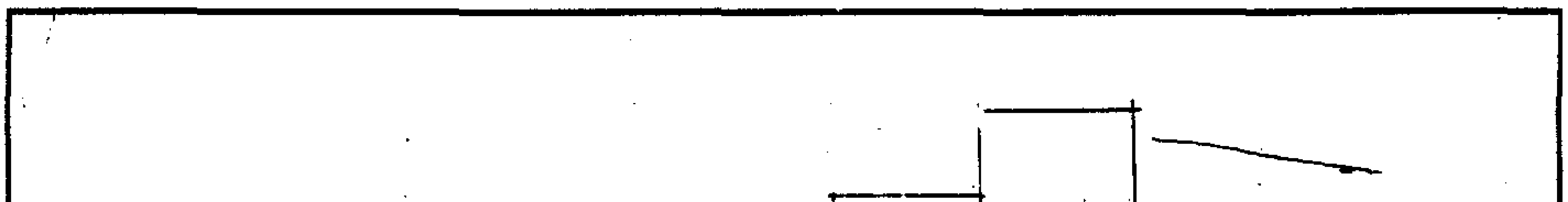

33 ـ بقايا الساقية بقلعة الكبش ـ قطاع رأسي

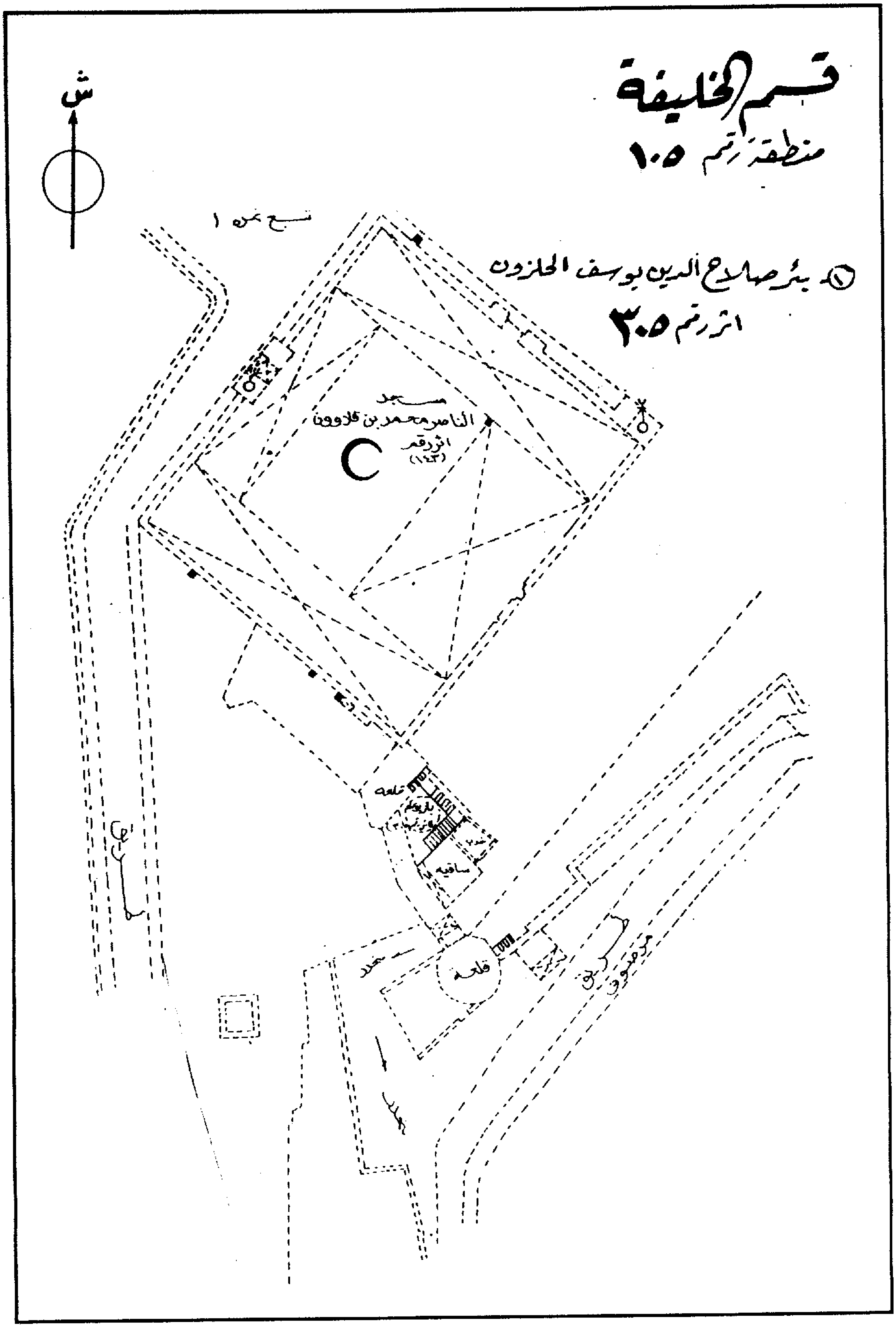

34 ــ بئر صلاح الدين (بئر يوسف الحلزون) بالقلعة ــ خريطة موقع

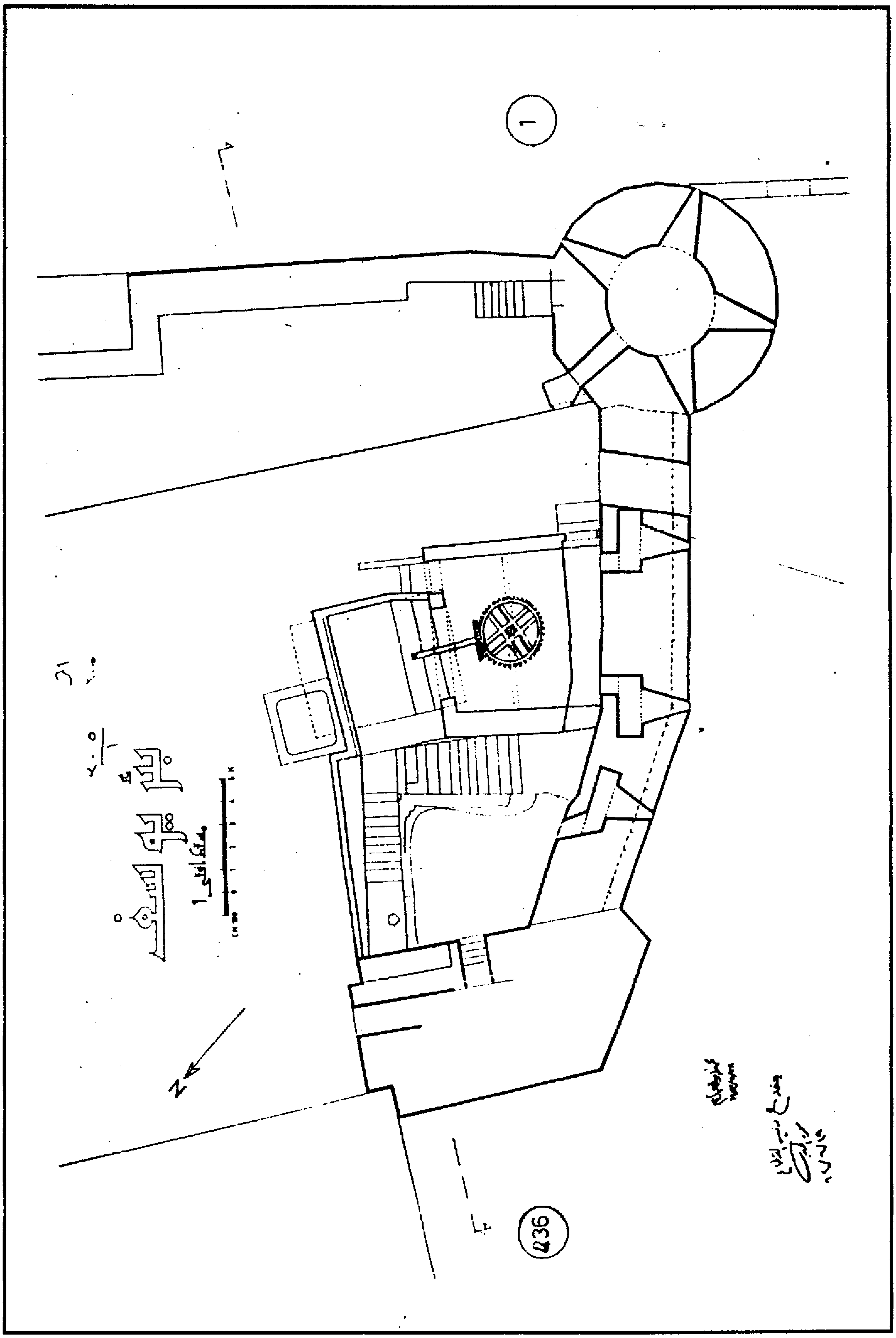

35 ـ بئر صلاح الدين (بئر يوسف الحلزون) بالقلعة ـ مسقط أفقي (1)

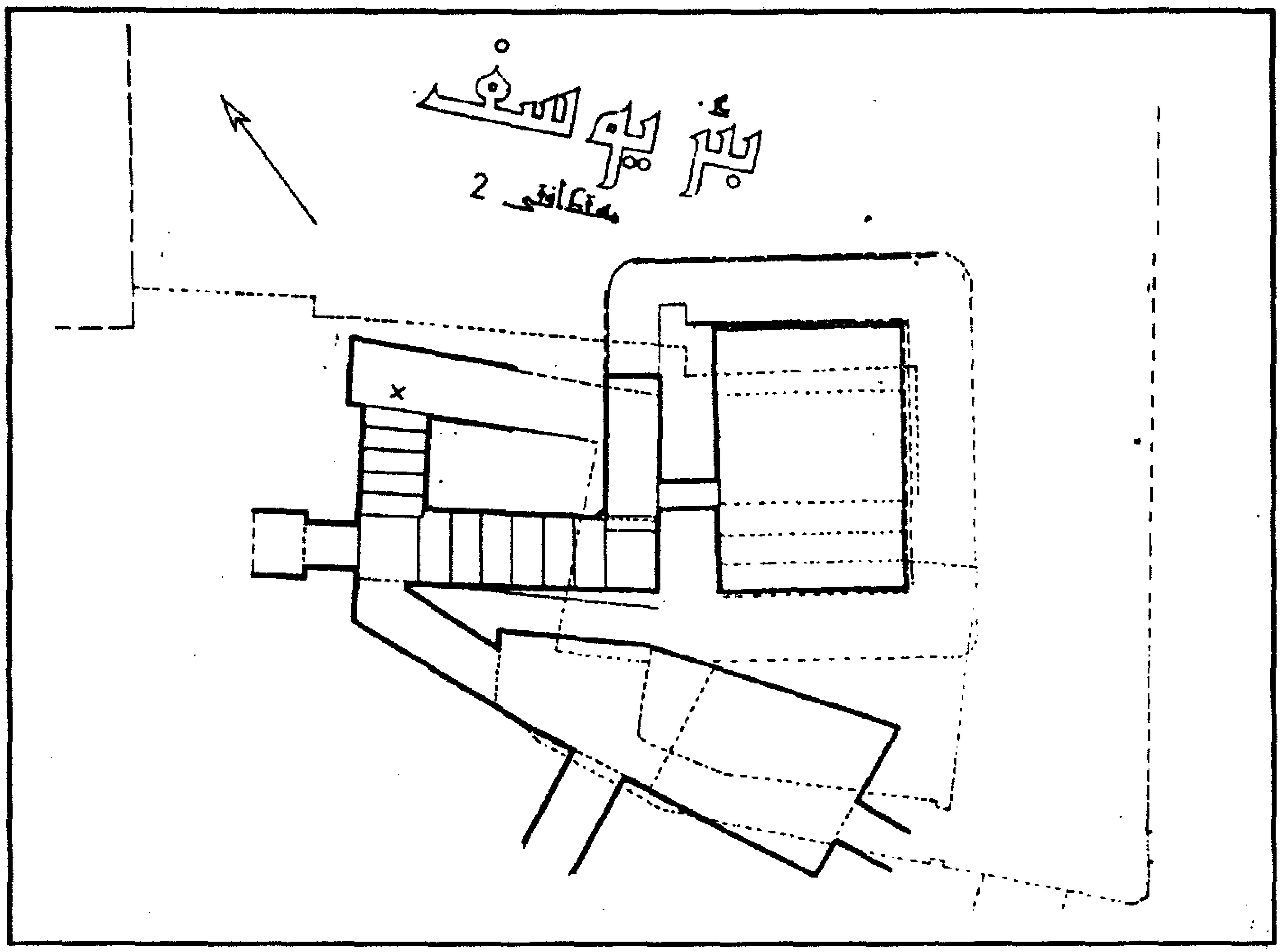

36 ـ بئر صلاح الدين (بئر يوسف ـ الحلزون) بالقلعة ـ مسقط أفقي (2)

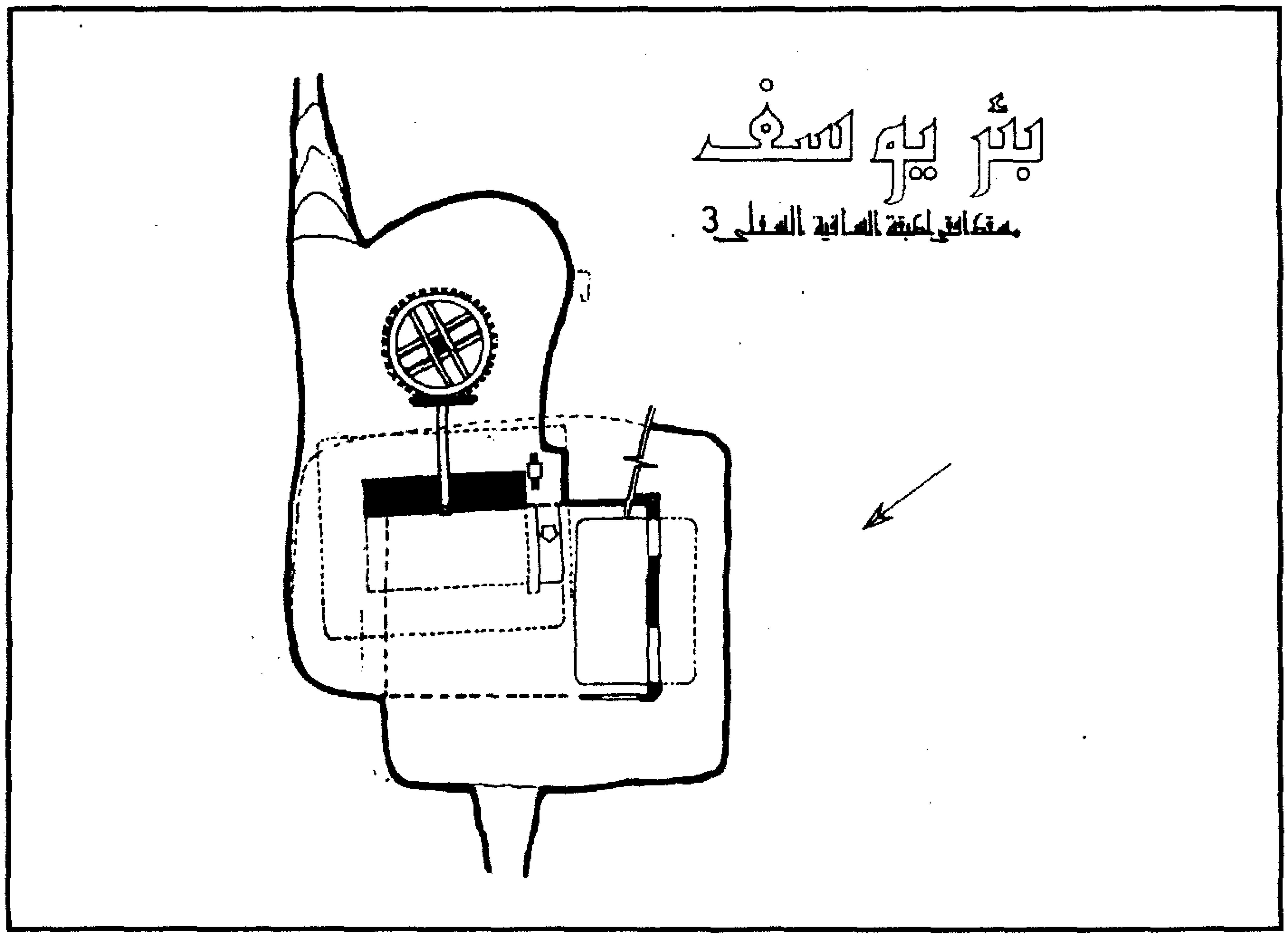

37 ـ بئر صلاح الدين (بئر يوسف ـ الحلزون) بالقلعة ـ مسقط أفقي للساقية السفلية (3)

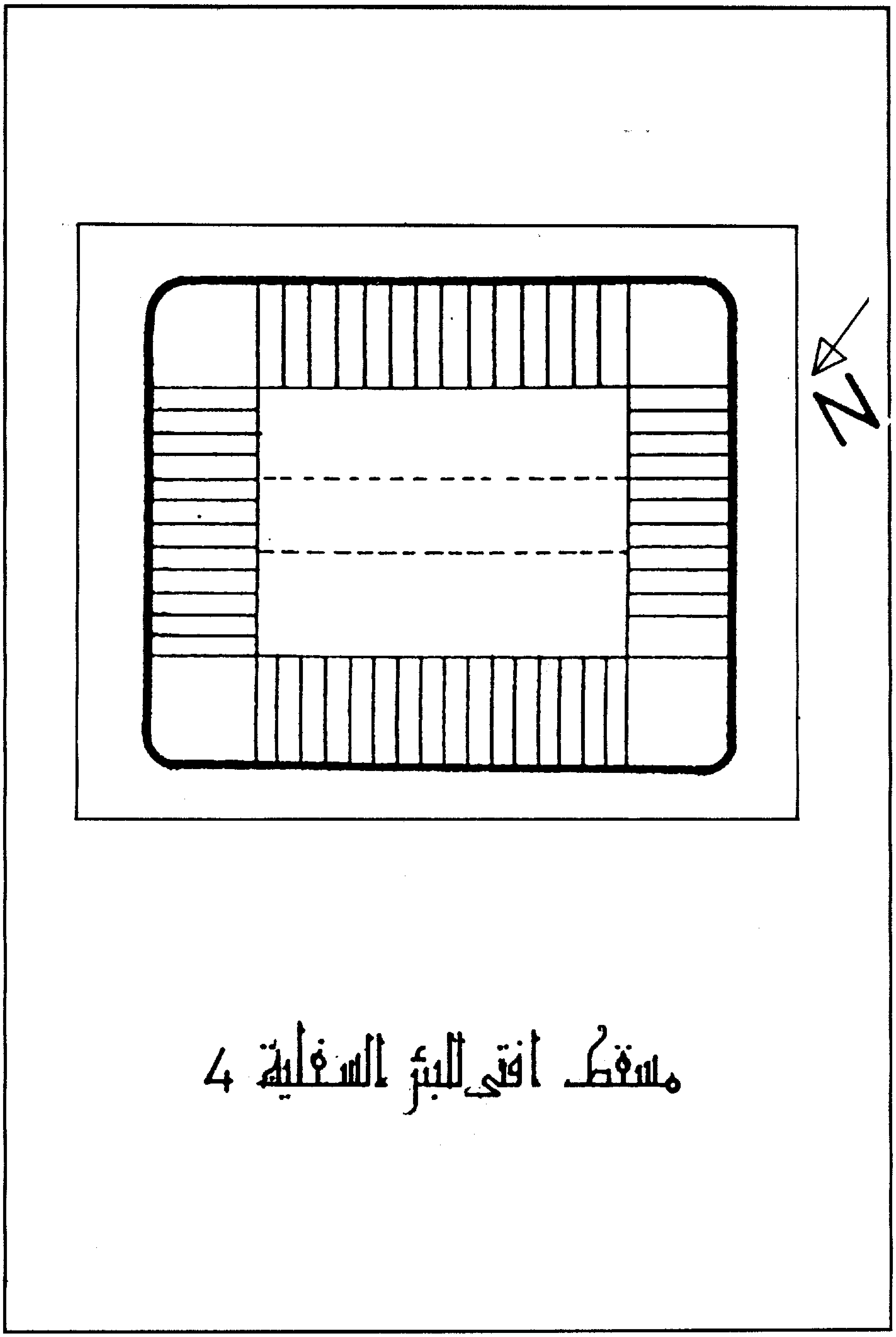

38 ــ بئر صلاح الدين (بئر يوسف ــ الحلزون) بالقلعة ــ مسقط أفقي للبئر السفلية (4)

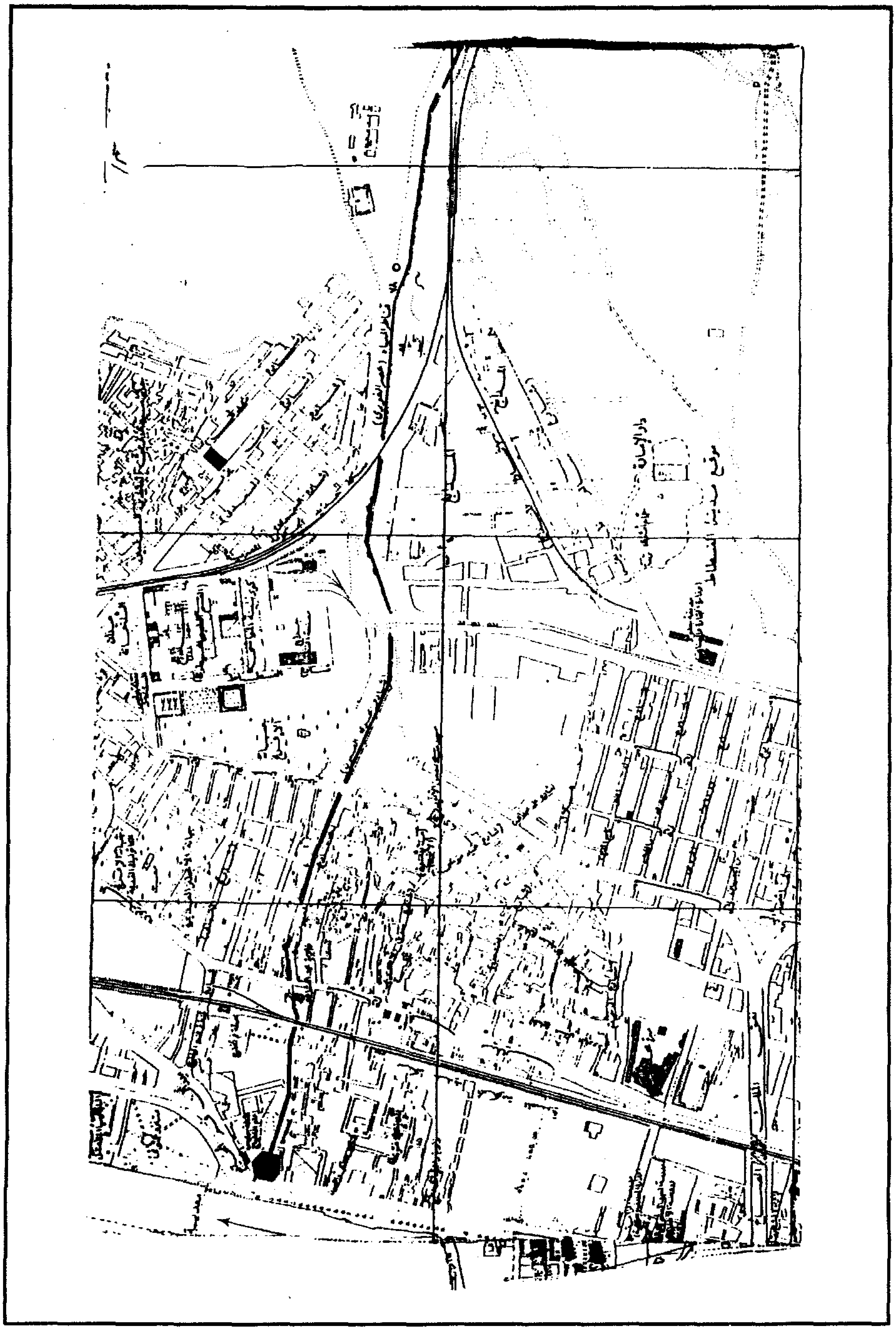

39 ـ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ـ خريطة موقع

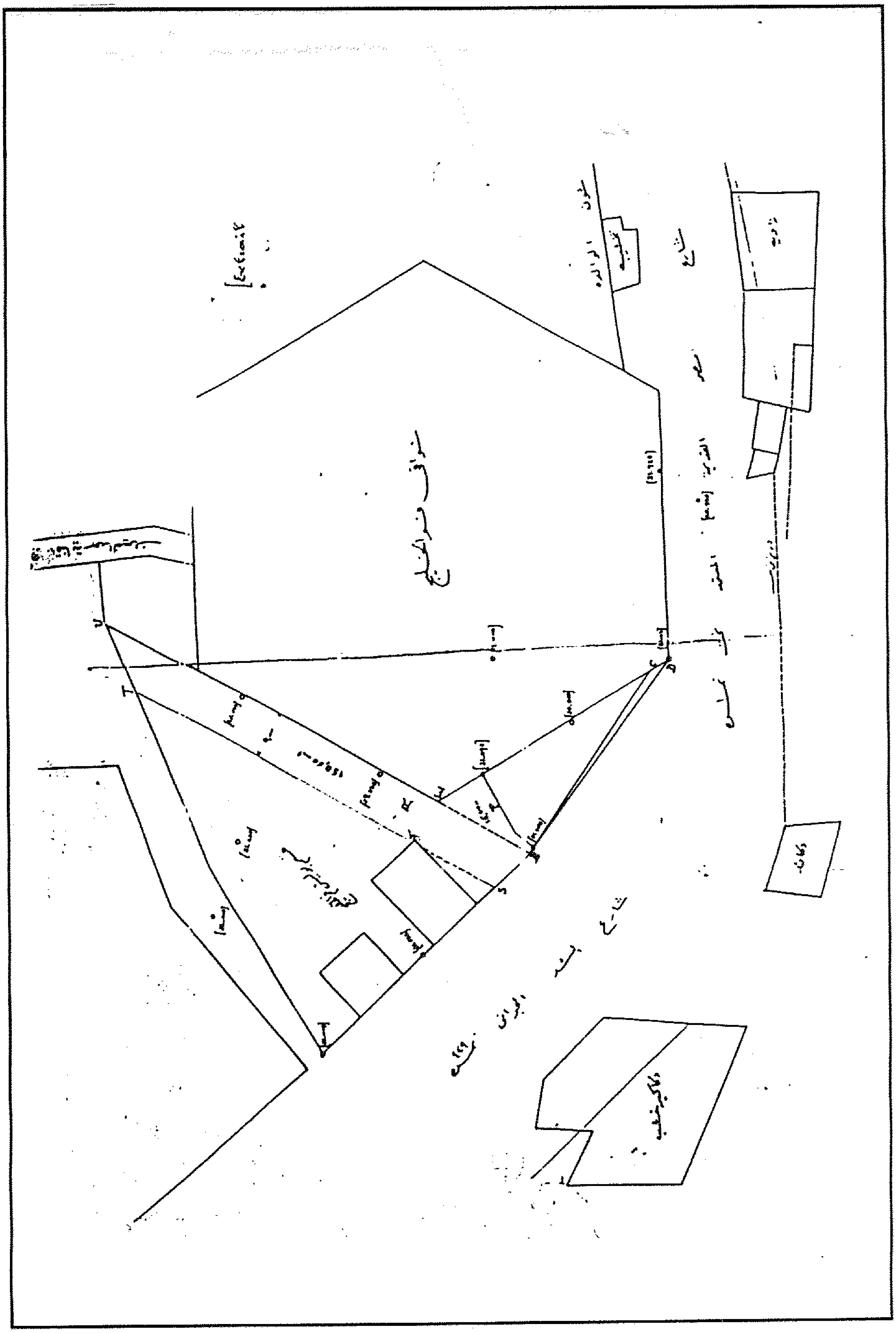

40 ـــ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ـــ خريطة موقع

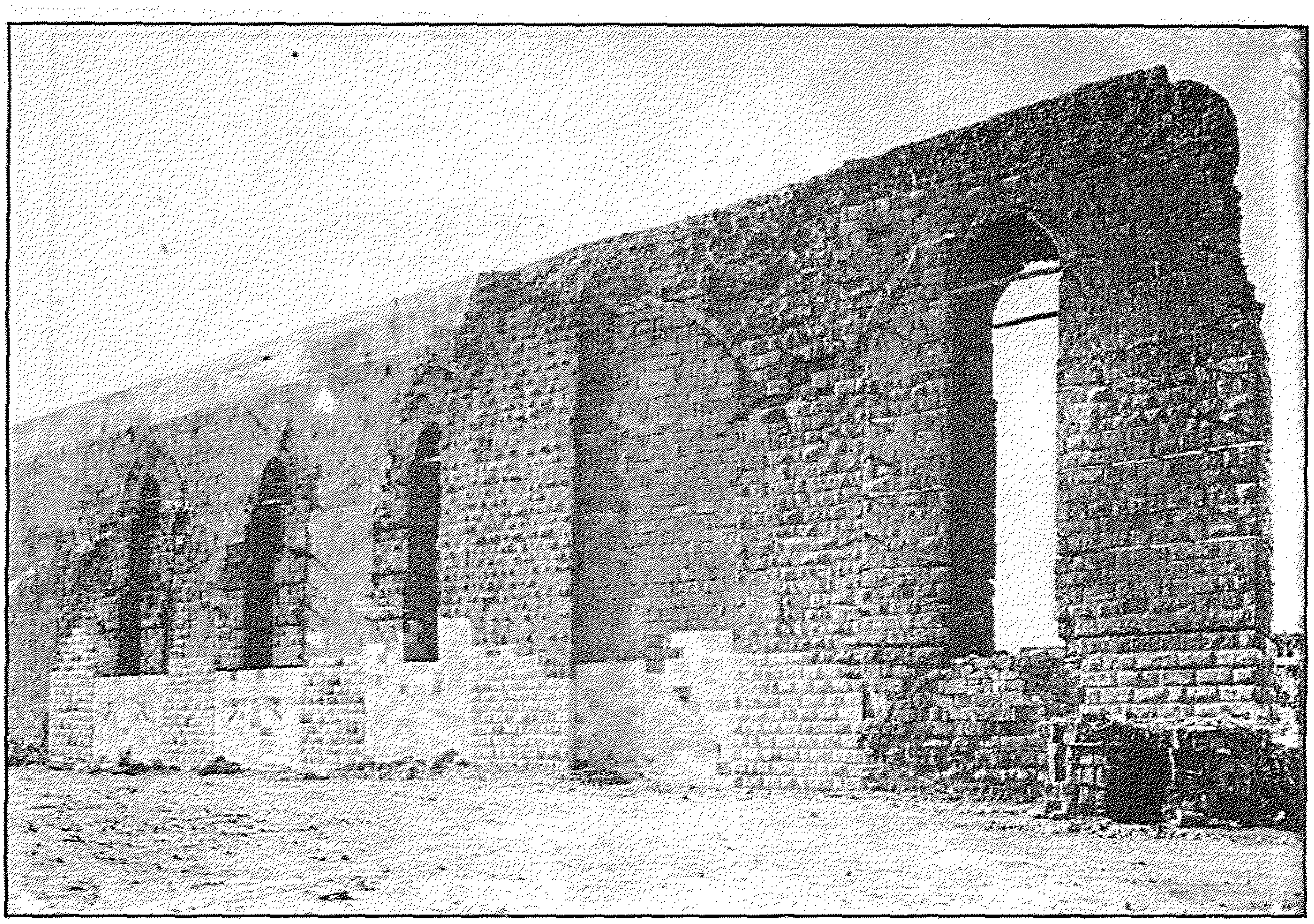

41 ــ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ــ جزء من القناطر بعد ترميمه

42 ــ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ــ جزء من القناطر بعد ترميمه

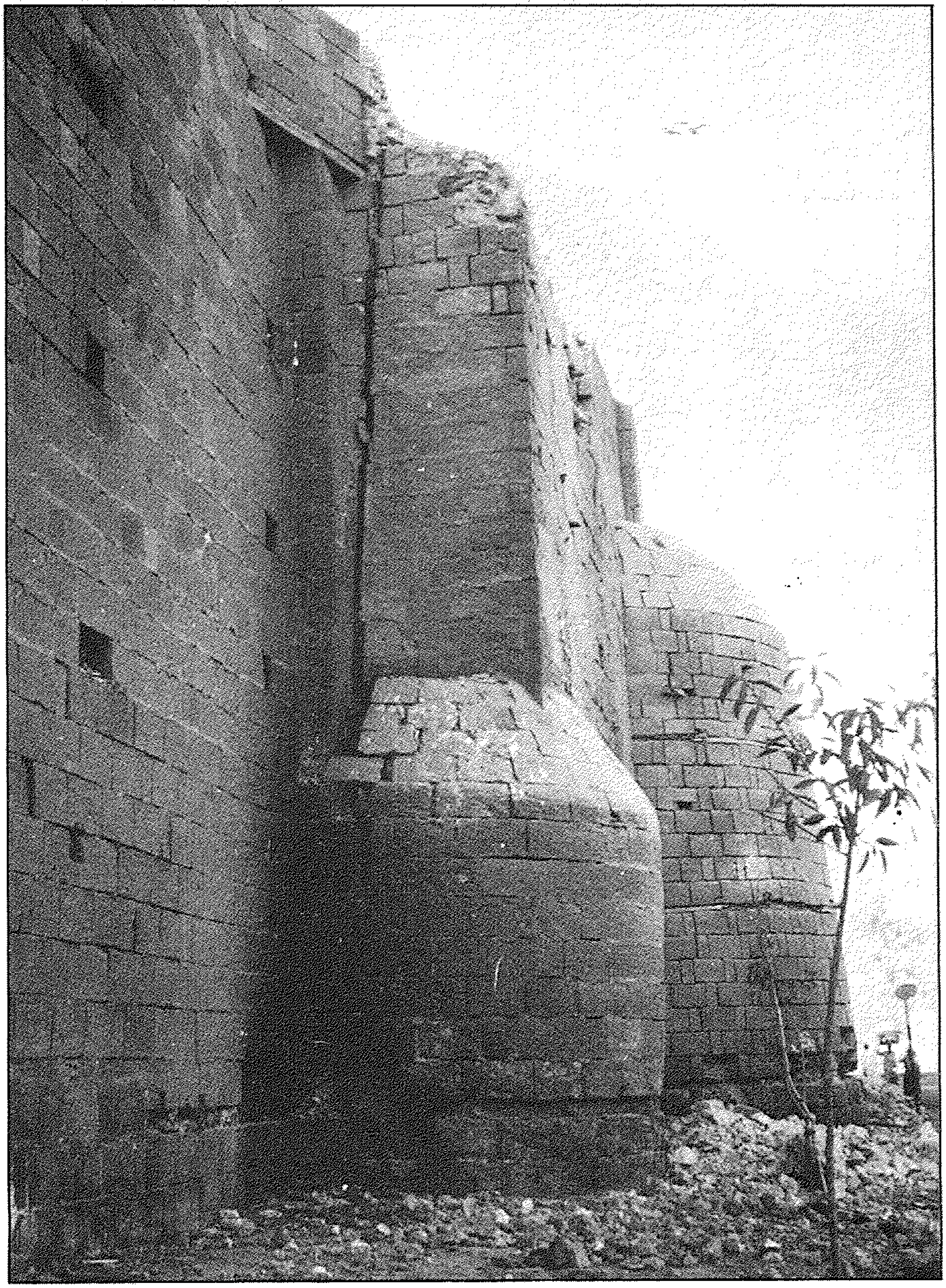

43 ــ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ــ احدى الدعامات القديمة الساندة للسور

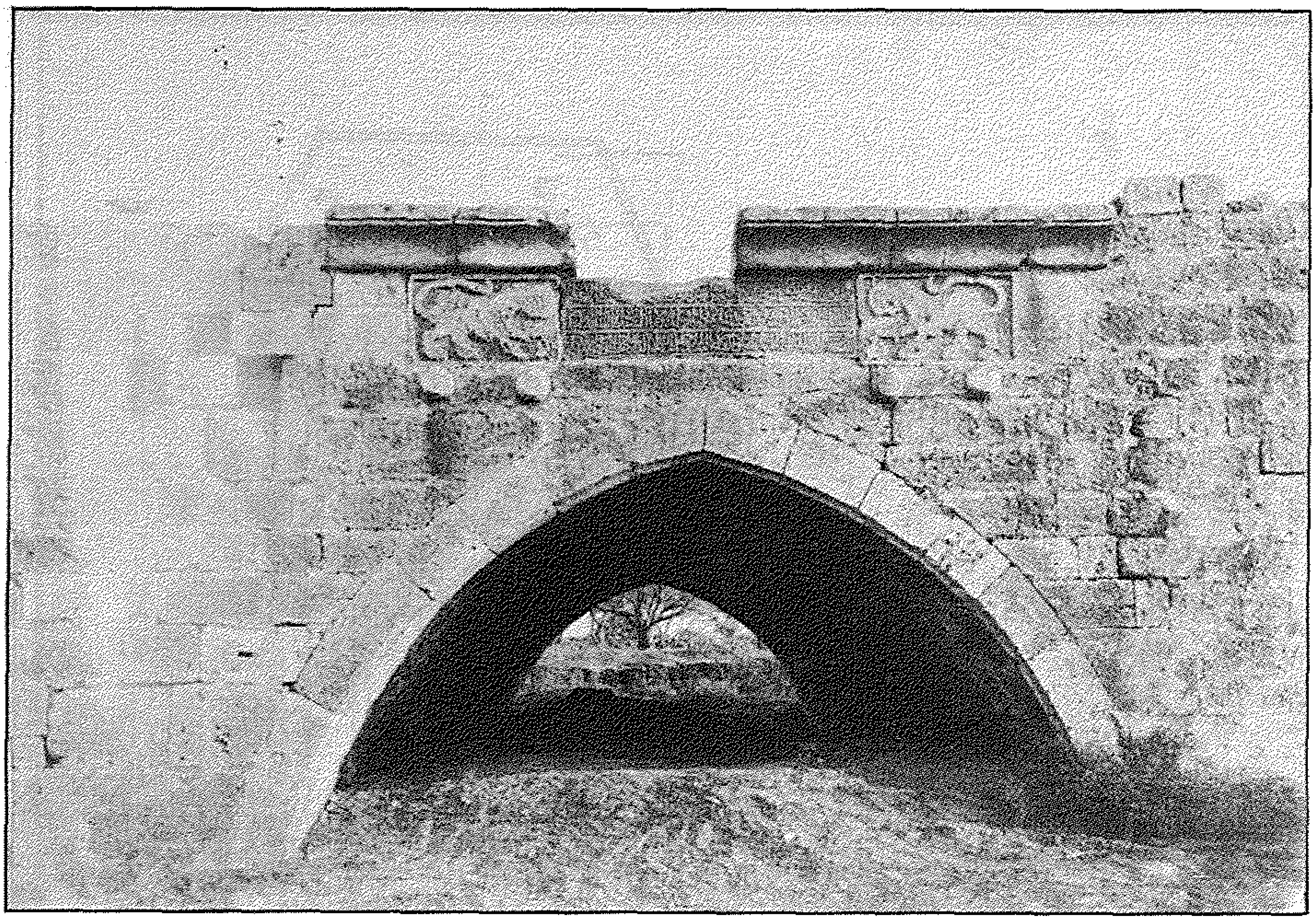

44 ـ قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون) ـ إحدى قناطر الظاهر بيبرس

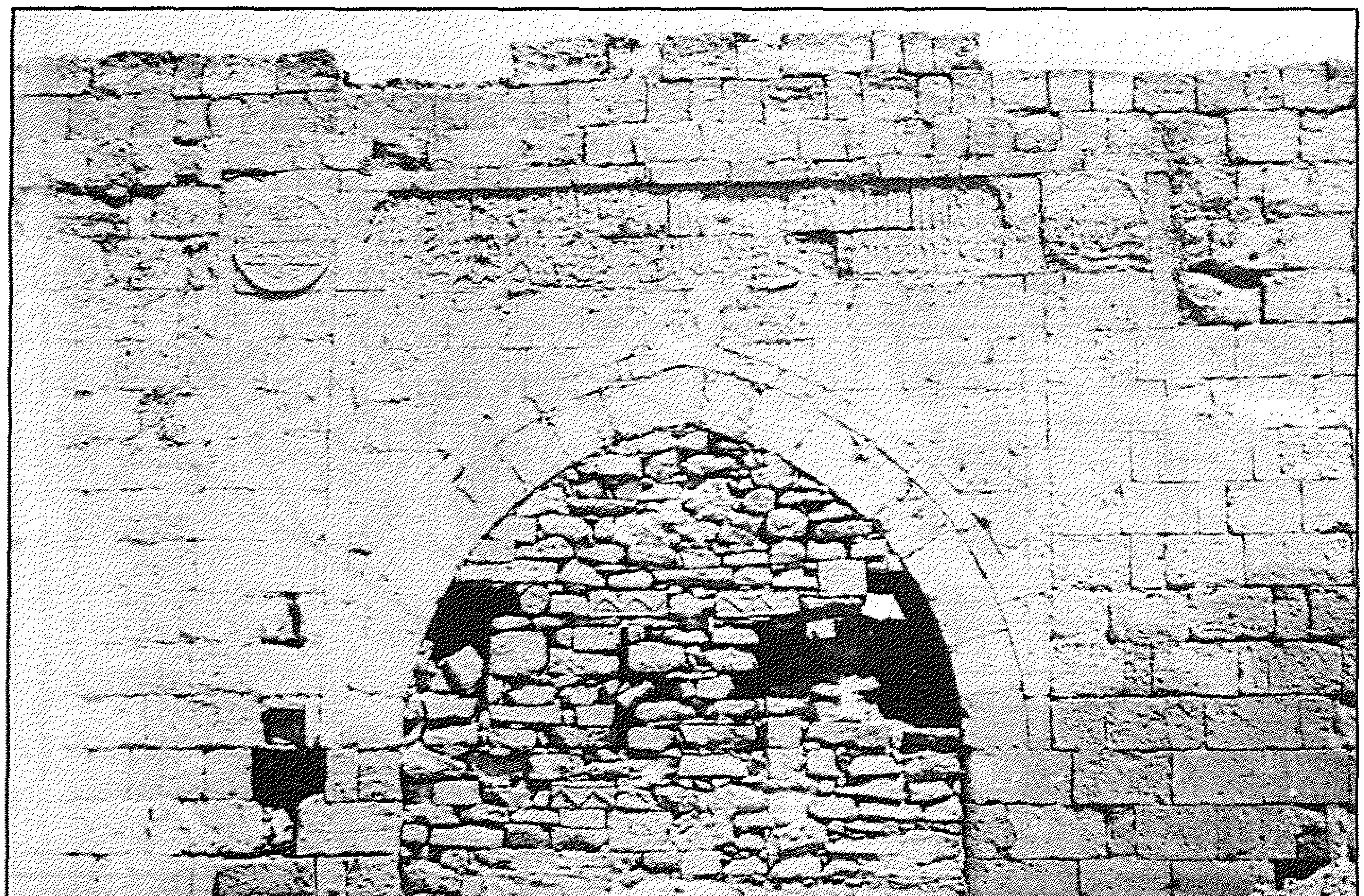

45 ـ قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون) ـ أحدى قناطر الغورى

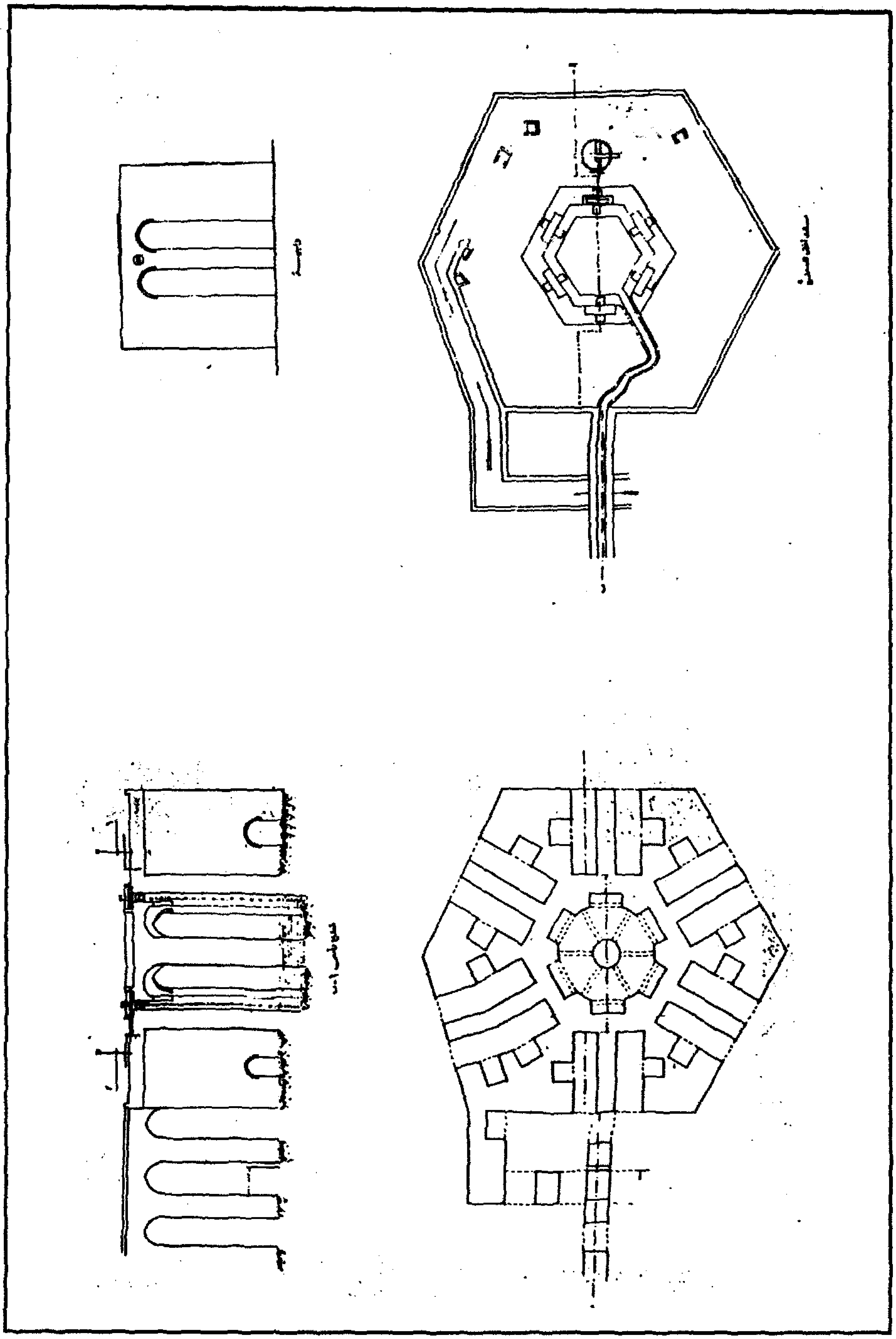

46 ـ قناطر المياه (سور مجرى العيون) واجهة ومسقط أفقي وقطاع رأسي للسواقي

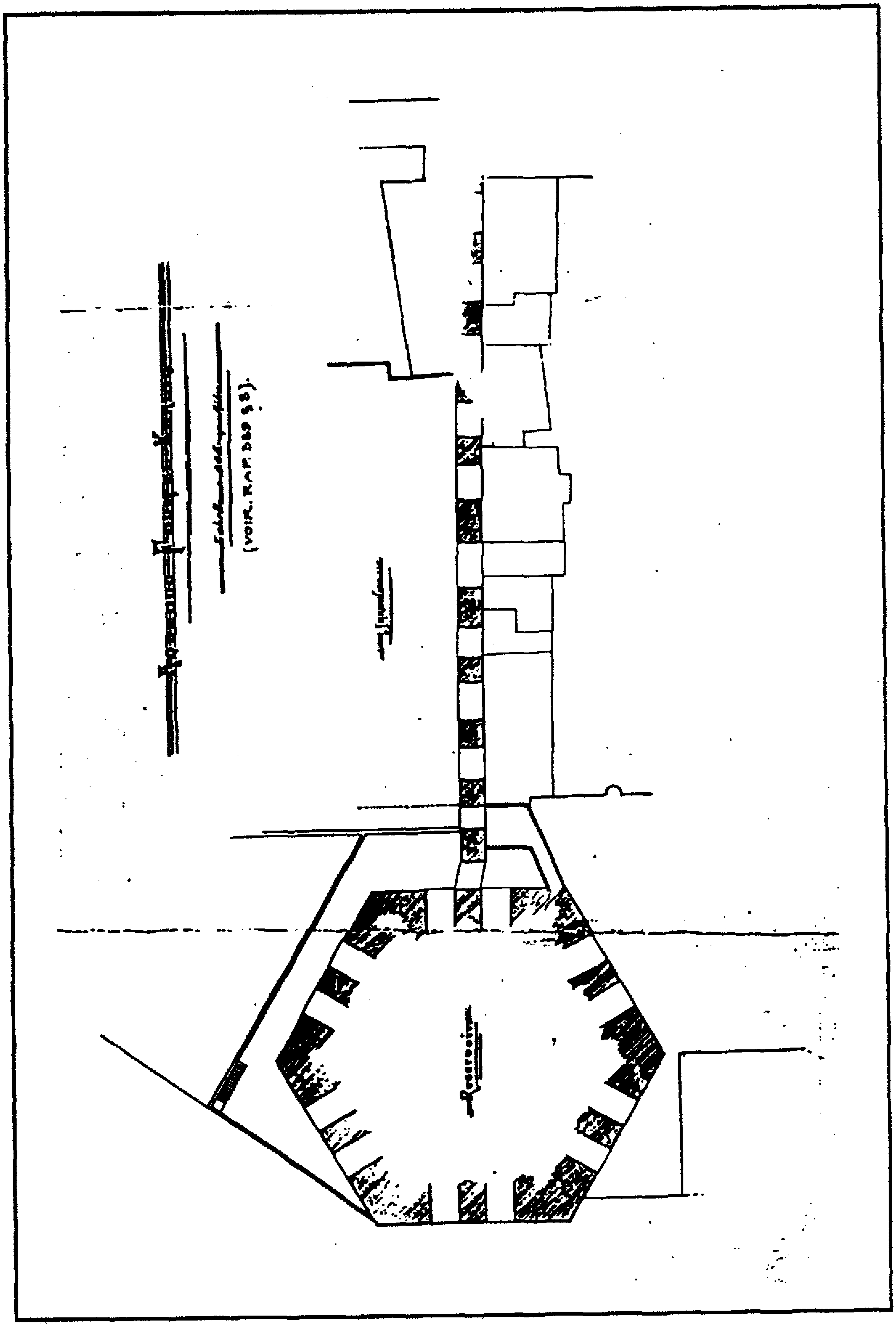

47 ـ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ـ مسقط أفقي للساقية

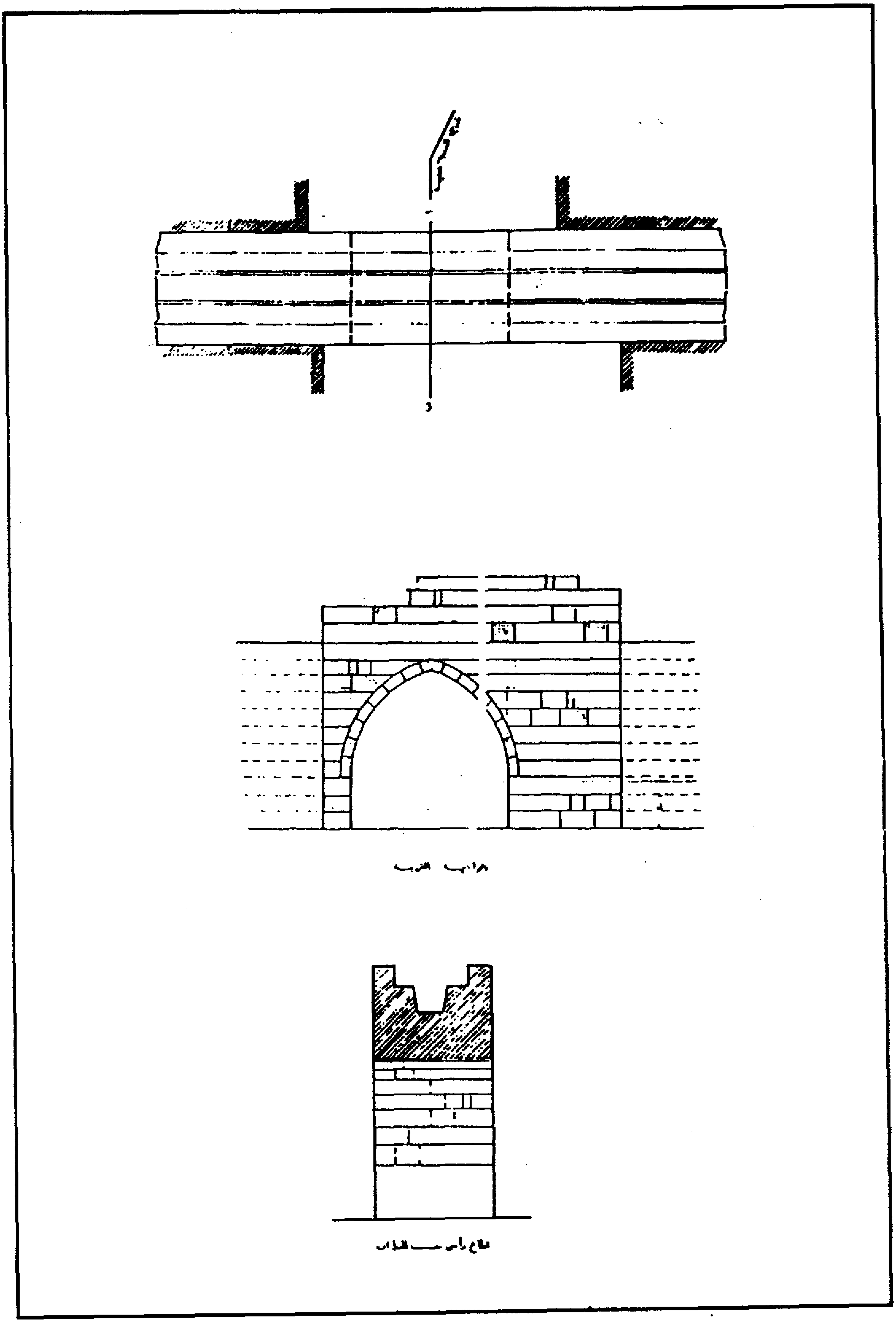

48 ــ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ــ واجهة ومسقط وقطاع رأسي عند شارع السيدة نفيسة

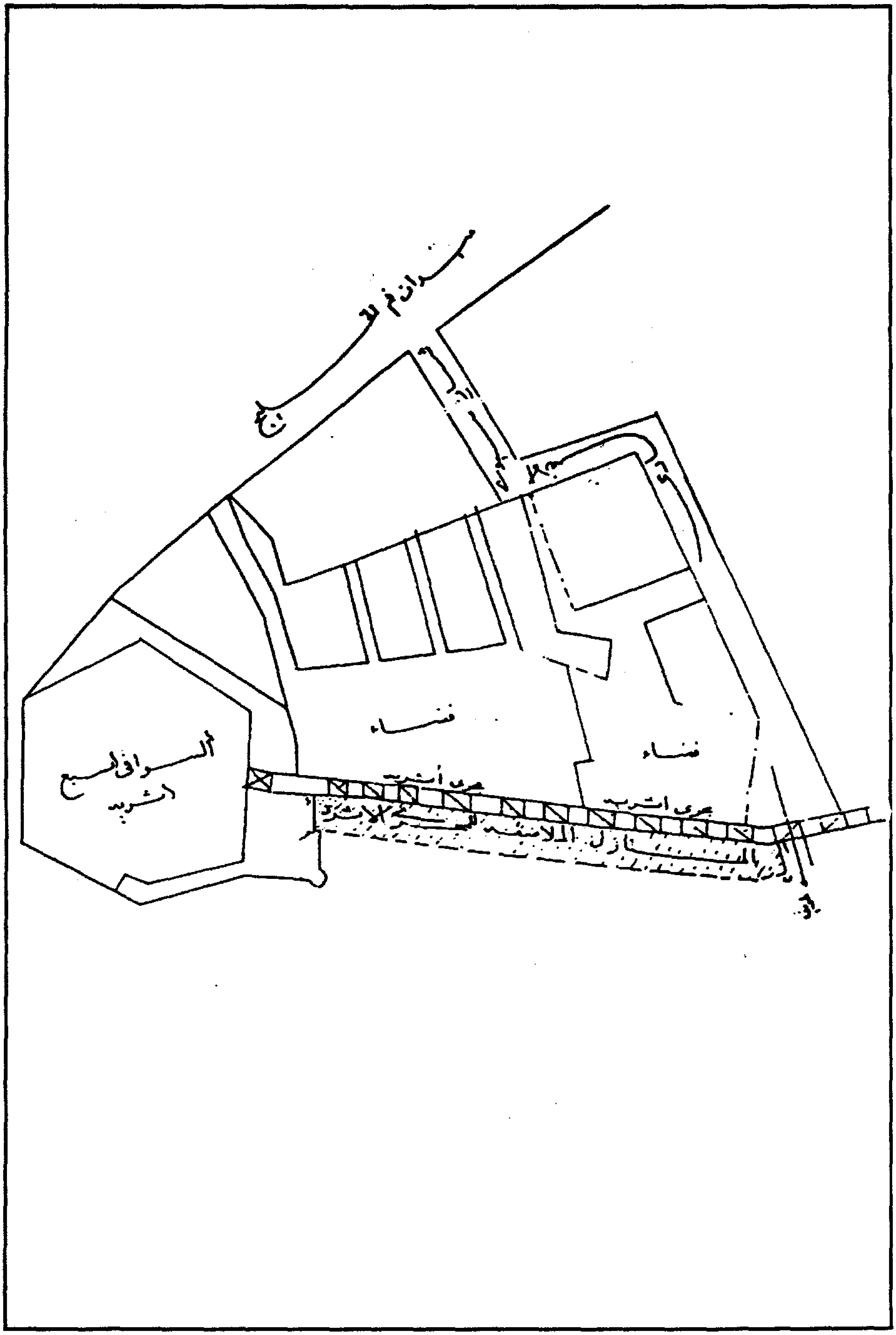

49 ـ قناطر المياه (سور مجرى العيون) ـ مشروع تخلية حول السور

ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بافريقية في العهد الاسلامي المبكّر

د. مراد الرماح(*)

يجمع أهل الاختصاص على أن أغلب الحضارات القديمة التي عرفتها الانسانيّة قد ارتبطت فترات ازدهارها بمدى قدرة أهلها على حل معضلة الماء وتوفيره وحسن استغلاله وترويضه.

وتتناسب التقنيات المائيّة المتّخذة عادة مع العوامل المناخيّة والتضاريس الطبيعيّة ونوعيّة الطبقات المائيّة وتوزيع مياه الأمطار حسب الفصول والأعوام. وهي تعكس في تطورها مدى تبحر هذه الحضارة أو تلك في العمران ومدى قدرتها على حل المشاكل المعبّرة عن معركتها ضدّ العطش وانعدام الماء.

وتستوقف مختلف هذه الظواهر الدراسة للمنشآت المائية بافريقية في العهد الاسلامي المبكر حيث أن المتفحص لكتب التاريخ والجغرافيا والطبقات يمكنه انتقاء مجموعة من الاشارات المبعثرة التي تسمح ببسط بعض الفرضيات والنظريات حول مرحلية اعتماد افريقيّة التقنيات والحلول الفنيّة التي اتّخذت خلال العهد الاسلامي المبكر أي قبل الزحفة الهلاليّة لحل معضلة الماء. فهل أن مختلف التقنيات المائيّة التي تشير إليها المصادر من حفر للآبار وبناء للصهاريج والبرك واحداث لقنوات جلب المياه قد تزامن اعتمادها بافريقية أم أنها تعود لمراحل وحقب زمنيّة مختلفة يمكننا ضبط كلّ تاريخ منها؟

ثم هل أن مختلف هذه التقنيات هي استمرار لتقاليد هندسيّة ومعماريّة سابقة أو أنها ابتكارات افريقية تستجيب للمقتضيات المناخيّة ولمتطلبات التطوّر العمراني الذي عرفته البلاد في تلك الفترة؟

(*) مكلف بصيانة مدينة القيروان بالمعهد الوطني للتراث بتونس.

فالبرك والفسقيات الممتدّة الأبعاد التي تميّزت بها الهندسة المائيّة الافريقيّة من بين الأقاليم الاسلاميّة في ذلك العهد، هل يمكن ضبط تاريخ نشأتها وخريطة امتدادها والتأثيرات المعمارية التي شهدتها؟

وان الاجابة عن مختلف هذه التساؤلات والفصل فيها تمكننا من بلورة مسألة نسبة بعض المنشآت المائيّة للقائمين بها من الدول التي تعاقبت على الحكم بافريقية.

1) مرحلة احتفار الآبار :

لما استقر المسلمون بافريقية كان قد تراجع عمرانها ولم تعد تزخر بكامل المنشآت المائيّة التي عرفت بها في العهد الروماني وان تواصل اعتماد بعضها في العهد البيزنطي.

وان مختلف المواضع ذات المنشآت المائية التي أشارت اليها المصادر خلال الفتح وبعده على امتداد ما يربو عن القرن لم تعمّر بوصول المسلمين اليها بل أنها كانت تزخر بمعالمها المائيّة منذ العهد الروماني. وقد تواصل الانتفاع بها إلى مجيء الفاتحين. من ذلك فان أول المواقع التي تذكرها المصادر وهي ساقية ممّس التي كانت مسرحا للمواجهة بين كسيلة وزهير بن قيس البلوي سنة تسع وستّين للهجرة، يستشف من سرد الأحداث المتعلقة بها أنها لم تكن انجازا اسلاميا وكانت تعرف بغزارة مياهها منذ ذلك التاريخ أي قبل توطد قدم المسلمين بافريقية، وهو ما يفسّر اختيار كسيلة النزول بها للتربّص بجيش المسلمين. اذ يذكر المالكي في رياض النّفوس أنه لما بلغ كسيلة دنو جيش زهير بن قيس البلوي من القيروان شاور أصحابه وقال لهم : " أرى أن ننزل بممّس لئلا يركبنا من بالقيروان اذا التحم القتال فنهلك فيكون عسكرنا بممّس لأن ماءها كثير فان هزمناهم دخلنا معهم طرابلس وقطعنا آثارهم وان هزمونا كان الجبل منا قريبا فتحصنا به "(1).

---

(1) " كتاب رياض النفوس " تأليف أبي بكر المالكي، تحقيق بشير البكوش، 3ج، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان 1983، 1/ 45، انظر كذلك " ابن عذاري "، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان واليقي بروفنسال، 4ج، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983. 1/ 32.

وساقية ممّس هي في الأصل من المدن الرومانيّة وتعرف في العهد البيزنطي بـ: Mammes أو: Mamma[2] وأصبحت في العهد الاسلامي مكن القرى العامرة التي توجد في الطريق بين القيروان وسبيبة[3].

وكذلك كان الأمر بالنسبة لقصر الماء الذي كان يوجد على بعد ميلين قبلي القيروان[4] ويستشف من تسميته أنه كان يحتوي على منشآت مائيّة هامة، ويذكر ابن عبد الحكم أن أبا المهاجر دينار قد أساء عزل عقبة وحبسه ثم افلت من قيده وأقام بقصر الماء منقطعا للعبادة قبل تحوله الى المشرق[5].

كما تذكر المصادر أن موسى بن نصير قد عسكر بالموقع ثلاثة أيام عند شخوصه من الأندلس إلى القيروان سنة خمس وتسعين[6].

والنصّان واضحان في التدليل على أن قصر الماء كان يعرف بذلك من قبل استتباب الأمر للمسلمين بافريقية، وقد أصبح فيما بعد محط رحال القوافل السالكة عبر الجادة العظمى نحو طرابلس والمشرق.

وقد أمكنني من خلال وثائق الملكيّة والخارطة العسكريّة[7] التعرف على الموقع وأثبتت الحفريات الأوليّة أن الأمر يتعلّق بوجود عيون تنبع من الطبقة الجوفيّة المحيطة بالقيروان عند مستوى وادي مرق اللّيل، وكان صبيبها إلى عهد قريب يتزاد وينقص بقدر تكاثر الأمطار وسيلان الأودية. وقد أمكن التعرف هنالك على بقايا صهاريج يبدو أنها كانت تتجمع فيها المياه المناسبة من العيون.

وتتسم المصادر التي بين أيدينا بالصمت الكامل حول وجود منشآت مائيّة اسلاميّة متطوّرة أقيمت في الفترة الممتدّة من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني

---

(2) M. Solignac: "Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et des steppes Tunisiennes du VII au XIeme siècle (J.C.). "A.I.E.O. (Faculté des Lettres de l'Université d'Alger) Tomes X-XI . Années 1952-1953, I/155.

(3) البكري: "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" من كتاب "المسالك والممالك" تحقيق دي سلان - مكتبة المثنى - بغداد، ب. ت. ص 146.

(4) الرقيق القيرواني: قطعة من "تاريخ افريقية والمغرب"، تحقيق د. عبد الله العلي الزيدان ود. عزّ الدين عمر موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان 1990، ص 54.

(5) ابن عبد الحكم: "فتوح افريقيّة والأندلس"، تحقيق أ. قاطو، الجزائر 1942، ص 63,

(6) الرقيق: "تاريخ افريقيّة والمغرب..." ص 55.

(7) انظر: سولونياك: "المنشآت المائيّة" ص 19 وما يليها، وأقوم حاليا ببحث مدعم بالخرائط والصور حول الموقع لابراز المنشآت المائيّة التي كان يزخر بها.

هجري. وقد اكتفى المسلمون بمواصلة استعمال ما توفّر منها منذ العهدين الروماني والبيزنطي[8] وربما تعطّل استعمال بعضها مثل الحنايا الموصلة للماء من زغوان إلى قرطاج كما يؤكّد ذلك نصّ للقاضي النعمان[9].

إلا أن الحاجة للماء لا بد مبسوطة بالنسبة للجيش الاسلامي عند تقدمه في فتح افريقيّة وعند اختيار قواده اقامة معسكر لم يكن محل تعمير من طرف الحضارات السابقة وهو موقع القيروان. وقد وردت في المصادر اشارات تؤكّد أن الحل الذي اتّخذ لتجاوز ذلك تمثّل في احتفار الآبار والأحاسي وفي اقامة الصهاريج المجمّعة لمياه الأمطار المناسبة على السطوح وفي الصحون بالنسبة للدّور والمؤسسات العموميّة. وتأكّد هذا التوجّه منذ أن عسكر المسلمون عند مشارف افريقيّة فقد احتفر عقبة بن نافع عند وجوده بفزّان سبعين حسيّا لما أصاب جيشه العطش وسمّي الموقع بماء الفرس[10].

كما تفيدنا المصادر أن معاوية بن حديج " دخل افريقيّة غازيا ثلاث مرّات وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهودة شريفة، وكان قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة "للقيروان"، وأقام بها مدة اقامته بافريقية وحفر آبارا عند باب تونس

---

(8) من ذلك فان العيون التي تنسب في المصادر لأبي المهاجر وهي توجد على مقربة من تلمسان لم يتم حفرها أو استغلالها من طرف المسلمين بل أنه أطلقت عليها هذه التسمية بمجرد وصول أبي المهاجر اليها. انظر: المالكي: "رياض النفوس" 1/ 33. كما أن العيون التي كانت توجد بباجة التي أصبحت خلال العهد الاسلامي احدى أهم المدن الافريقيّة هي عيون أزليّة استعملت من طرف جميع الحضارات التي تعاقبت على افريقيّة منذ القدم. انظر: البكري: "المسالك والممالك" ص 56.

(9) انظر ما سيأتي ذكره.

(10) المالكي: " رياض النفوس. . . " 1/ 98، وهو يذكر عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال: لما فتح عقبة بن نافع "ودان" و"فزان" وأسلموا على يديه، سألهم: " هل من ورائكم أحد؟ "قالوا: "نعم، أهل جاوان" وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر الجبل، وهو قصبة "كوار" فسار اليهم خمس عشرة ليلة، فحاصرهم فلم يستطع فتح الحصن، فصالحهم ثمّ انصرف راجعا. فأقام بموضع اسمه اليوم "ماء فرس" ، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت، فصلى عقبة ركعتين، ودعا اللّه تبارك وتعالى، فجعل فرسه يبحث بيديه في الأرض (حتى) كشف عن صفاة، فانفجر منها الماء، وجعل الفرس يمص من ذلك الماء، فانصرف عقبة فنادى في الناس أن احتفروا، فاحتفروا سبعين حسيا، فشربوا وسقوا وصار ذلك ماء معينا، فسمى لذلك "ماء فرس" إلى اليوم".

في ناحية الجبل منه منحرفة للشرق بالقرب من " مصلى الجنائز" تسمى للآن "آبارحديج" غلب عليها اسم أبيه حديج، وذلك قبل تأسيس القيروان"[11].

ولعلّ من أبرز الأسباب التي جعلت عقبة بن نافع يحوّل موضع القيروان الذي اختاره معاوية بن حديج إلى الموضع الحالي عدم توفّر طبقة مائيّة عند موقع القرن وهو ما أكّدته الاكتشافات العلميّة في مجال الهندسة المائيّة في العصر الحديث. في حين يتميّز موقع قيروان عقبة بتواجد طبقة مائيّة جوفيّة ثريّة قريبة من وجه الأرض وهي ان كانت على درجة من الملوحة فانها ليست أجاجا ويمكن أن تتّخذ للشرب أو أن تستعمل للحاجات اليوميّة والسقي. وخلافا لأمّهات المدن الاسلاميّة التي كانت تتمتّع بأنهار أو بعيون تزودها بالماء الصالح للشراب فان القيروان تفتقد لجميع ذلك. في حين بدأ المعسكر يعمر باتّخاذه قاعدة أساسيّة لاتمام فتح افريقيّة والمغرب وبتأكد نيّة استقرار المسلمين الدّائم بالمنطقة. وتؤكّد المصادر على أن الاستراتيجيّة التي اتّبعها المسلمون في حل مشكل تزويد العاصمة الجديدة بالماء خلال هذه المرحلة اقتصر كذلك على حفر الآبار وبناء الصهاريج أو المواجل المغطّاة. وكان من أول الآبار التي احتفرت بالقيروان.

وعرّجت عليها المصادر بئر أم عياض[12]. وهي توجد غربي الجامع، كما يوجد بجنان لبني فهو بئر كان بجوفي الجامع[13]. وتبدو النيّة واضحة في تجميع المنشآت المائيّة العموميّة في أول الأمر قرب الجامع لوجوده في صرة البلد.

ويذكر البكري أنه لما كانت خلافة هشام بن عبد الملك " كتب اليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله وأن بجوفه جنّة كبيرة لقوم من فهر فكتب اليه هشام يأمر بشريها وأن يدخلها المسجد الجامع ففعل وبنى في صحنه ماجلا وهو معروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بئر الجنان ونصب

(11) المالكي: " رياض النفوس" ا/ 93. وهو يذكر في موضع آخر (ا/ 30) أنه لما وصلت الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان أعان معاوية بن حديج بجيوش الشام ومصر إلى افريقيّة، وذلك في سنة 50 وكان عبد الملك ابن مروان معه فوصلوا إلى افريقية، واحتفروا الآبار التي تسمّى اليوم "آبار حديج، بباب تونس، وانما احتفرها اذ كان عسكره هناك".

(12) المصدر نفسه ا/ 170.

(13) البكري: " المسالك والممالك" ص ,23

أساسها على الماء "[14]. وتواصل هذا المجهود مطردا بقدر تعمير المدينة وتزايد عدد سكّانها ويفيدنا الشاطبي نقلا عن الرّقيق أنه " في مدّة اقامة هرثمة (بن أعين) بالقيروان حفر بها بئرا واسعة الفم لها سفرة رخام غزيرة الماء بالقرب من سوق الأحد "[15] ولا يستبعد أن تكون هذه البئر هي بئر روطة التي اشتهرت بها القيروان وورد ذكرها في قصائد شعرائها كابن شرف وأترابه[16]. وقد شملت هذه العناية ضواحي القيروان وأجنّتها ومنتزهاتها حيث يفيدنا الرقيق القيرواني أن يزيد بن حاتم والي افريقيّة من قبل العباسيّين (155-170هـ) هو الذي حفر البئر العذبة التي تعرف بمنية الخيل[17] وبناها وجعل خيله هنالك في اصطبلات أمر ببنائها[18].

وتثبت مختلف هذه الأمثلة أن حفر الآبار كان يعدّ من الأعمال الجليلة التي تسجّل للقائمين بها وكانت من مآثر الولاة والأمراء خلال تلك الحقبة الزّمنيّة. ويستشفّ من خلال تصفح واستقراء المصادر التي بين أيدينا أن عمليّة حفر الآبار تمثّل التقنية المائيّة الهامّة الوحيدة التي كانت سائدة بافريقيّة إلى أواخر القرن الثاني على الأقل[19] وان صمت المصادر ثم افصاحها عمّا سوى ذلك خلال الفترات الموالية تجعلنا نكاد نجزم بهذا الأمر. ولا ينفي ذلك امكانيّة القيام باصلاح بعض المنشآت المائيّة الرّومانية أو البيزنطيّة البسيطة واعادة استعمالها وهو ما لم تسجّل ذكره المصادر لقلّة أهميّته ولا يمكن اعتباره من الاضافات الاسلاميّة.

2) مرحلة بناء المواجل خارج الأسوار والمناطق العمرانيّة :

الا أن فترة الازدهار التي ستعرفها افريقيّة خلال العهد الأغلبي والتطوّر العمراني التي شهدت أهم التجمعات السكنيّة بها وخاصة منها عاصمتها القيروان كانت تقتضي البحث عن حلول أيسر تستجيب للحاجة.

---

(14) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(15) حسن حسني عبد الوهاب: " ورقات " 1/ 49.

(16) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ومن قصيد لابن شرف بعد خراب القيروان :

يا بئر روطة وشوارع حولها   معمورة أبدا تغصّ وتمتلي

(17) وهي من المنتزهات والأجنّة المحيطة بالقيروان، انظر: المالكي: " رياض النفوس " 1/ 190.

(18) الرقيق : " تاريخ افريقية والمغرب "، ص 121.

(19) ولم يشذ عنها الا البكري: " المسالك والممالك "، ص 26، حين ذكر أن بعض المواجل من بين الخمسة عشر التي كانت خارج أسوار القيروان سقايا لأهلها هي من بناء هشام بن عبد الملك. وهو ما سنفنده في مقامه. انظر ما سيأتي ذكره

أ- نشأة المواجل الكبيرة

يبدو أن اقامة المواجل الضخمة المتّخذة لتجميع مياه الأمطار يعود إلى تلك الفترة، الا أنه يعسر ضبط ذلك بصفة مدقّقة، فالمصادر تتميز بالغموض في الافصاح عن نشأتها. وانّ أوضح النصوص المتعلّقة بذلك تشير إلى أن في سنة 245هـ . أخرج أبو ابراهيم أحمد " مالا كثيرا لحفر المواجل وبنيان المساجد والقناطر لكلمة كانت منه على سكر "[20] وقد أمر سنة بعد ذلك خادمه خلف " بحفر الماجل الكبير الذي بباب تونس "[21].

وقد سلم هذا المعلم من غوائل الزمن وهو يدلّ بأبعاده الشاسعة وتناسق هندسته وأحجامه واستيفائه لجميع العناصر المتمّمة لحسن قيام المواجل بمهمّتها في خزن المياه واستغلاله من حيث تواجد ثلاثة عناصر أساسيّة به[22]؛ ويثبت كل ذلك أن المهندسين الأفارقة قد تجاوزوا مرحلة الدّربة في اقامة المواجل ووصلوا إلى مرحلة النضج. ولا شك أن أيّة هندسة جديدة ومبتكرة تحتاج إلى بعض العقود الزّمنيّة لتأخذ شكلها المتناسق والمتكامل. والثابت أن المصادر لم تدوّن من بين مآثر الأمراء الأغالبة الذين سبقوا أبا ابراهيم أحمد مواجل. ثم ان ابراهيم الأول الذي أنشأ العباسيّة سنة 180هـ لم يقم بها ماجلا وتولى ذلك كما يذكر ابن الخطيب أبو ابراهيم أحمد الذي لم يهنأ له بال الا لما أتاه خبر سيلان الماء بداخله[23]. ولعل في ذلك دليلا على أن المواجل لم يكن قد تواتر استعمالها بعد في عهد مؤسس الدولة الأغلبية الذي ما كان ليتوانى عن محاباة عاصمته بذلك. كما أن زيادة الله الأول (201-226هـ) الذي كان من أكبر الأمراء الأغالبة عناية بالبنيان والذي عدّدت كتب التاريخ مناقبه في بناء الرباطات والقناطر وتوسيع الجوامع وتشييدها، لم تذكر من بينها بناء المواجل في حين أن ذلك يعد من أهم الأعمال الخيريّة في الاسلام[24]. ولا يعني صمت المصادر انتفاء امكانيّة حدوث ذلك الا أنه يمثل حجة اضافيّة على ما ذكرنا. وقد أورد المالكي في كتابه " رياض النفوس" نصا هاما قد يؤكد ما ذهبنا اليه، فقد ذكر في ترجمة سحنون أن

---

(20) ابن عذاري : " البيان المغرب. . . " ا/ 113، يراجع في ذلك كذلك: ابن ناجي: " معالم الايمان. . . " اا/ 147-148.

(21) ابن عذاري : " البيان المغرب. . . " ا/ 113.

(22) انظر وصفنا لهذا المعلم فيما سيأتي ذكره.

(23) ابن الخطيب (لسان الدين) : " كتاب أعمال الأعلام" القسم الثالث، تحقيق ابراهيم الكتاني وأحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ص 23.

(24) ابن عذاري: " البيان المغرب" ا/ 106.

زيدان ابن اسماعيل قال: "سمعت سحنونا يقول - وقد ذكر بعض هذه المواجل التي بناها هؤلاء الولاة فقال: " انما هي حجارة، جمعوا ذلك فبنوا به ماجلا، فدخل فيه ماء ساقه الله اليه، فما أرى بشرب ذلك الماء بأسا" قال: فحدثت بذلك سعيد بن اسحاق فقال لي: ما شرب سحنون من ماجل بناه لأمراء حتى لقي الله عز وجل، تورعا ونزاهة"[25].

والنص هام في التدليل على أن الفترة التي انتصب فيها سحنون للقضاء كأحد كبار فقهاء افريقيّة أي فيما بين أوائل القرن الثالث وقبل وفاته سنة 240هـ لمدّة زمنيّة لا يستهان بها كما نستشف ذلك من آخر الخبر كانت ساعة افتاء في مدى شرعيّة استعمال ماء المواجل أي أن الظاهرة حديثة وقد أصبح هذا الابتكار الجديد في مجال الهندسة المائيّة محل اهتمام الفقهاء ودعت الحاجة لانارة السبل لجمهور المسلمين حول الاستفادة به ولو كان الأمر عكس ذلك لتم الفصل في شأنه منذ مدّة ولم يعد محل اجتهاد ومراجعة. من ذلك فان المشكل لم يطرح من بعد للفقهاء الذين تلوا سحنون وفترة نشأة المواجل ولم يعد له أي ذكر في كتب الطبقات والفتاوي[26].

ويدعم هذا العنصر تخمينا بأن نشأة المواجل الكبيرة بافريقية تعود الى العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث هجري وهو ما لا تنفيه المصادر الا ما ذكره البكري أنه كان بخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء سقايات لأهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره[27] وهو ادعاء خاطيء لأسباب عدّة أهمها:

1- أنه يستبعد أن تكون نشأة المواجل الكبيرة تعود إلى بداية القرن الثاني بدون أن يرد أي ذكر لها في المصادر الافريقيّة.

2- ان البكري معروف بميوله الأموية وقد دأب في كامل مؤلفه على نسبة العديد من الأعمال افتراء الى هشام بن عبد الملك وغيره من الخلفاء الأمويّين من ذلك فانه ينسب إلى هشام بن عبد الملك بناء مأذنة جامع القيروان وهو ما يتعارض مع المعطيات التاريخيّة والمعماريّة المتعارفة لدينا حولها[28].

(25) المالكي: " رياض النفوس" I/ 357.

(26) بل أننا نجد في " المعيار" اشارة إلى فتوى أخرى تتعلق ببيع موضع أحد المواجل بالقيروان وهي منسوبة كذلك لسحنون. انظر: الونشريسي: " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيّة والمغرب " دار الغرب الاسلامي - بيروت 1981، XI/ 571.

(27) البكري: " المسالك والممالك" ص 26.

(28) البكري: "المسالك والممالك" ص 23.

3- أنّ البكري ربما يخلط بين المواجل التي كانت توجد خارج الأسوار ومـاجل الجامع الأعظم بالقيروان وهو الصهريج الذي سبق أن نسب بناءه هو بنفسه لهشام بن عبد الملك. ولم تكن ثقافته الأندلسية لتسمح له بالفصل بين نمطي الماجلين لاعتماد نفس التسمية لشكلين متباينين من الهندسة المائيّة.

ب - تموين المواجل بالماء

تتفق المصادر على أن تموين المواجل الكبيرة كان يتم عن طريق سيلان مياه الأودية فكانت تحفر على مقربة من مجاريها بحيث تنساب اليها المياه عند فيضان الأودية عبر مجرى يربطها بحوض لطيف يتّخذ للتصفية وهو متّصل بماجل كبير تجمع فيه المياه المصفّاة. وقد تستكمل هذه العناصر بصهريج يحفظ فيه قسم من الماء يتخذ للشرب. وهذه الطريقة التي تبدو واضحة من خلال هندسة المواجل تتدعم بما ورد في النصوص التاريخية حيث يذكر اليعقوبي الذي زار المغرب في أواسط القرن الثالث هجري عند حديثه عن القيروان" اذا كان الشتاء وقعت الأمطار والسيول دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجن"[29].

وهو ما يؤكّده وصف البكري لعمليّة تموين بركة ابن ابراهيم أحمد بالماء[30]. ويذهب مارساي إلى أنها كانت الى جانب مواجل رقادة تموّن بفضل القناة التي تجلب المياه من الشريشيرة إلى القيروان[31].

وسنبيّن في مقامه أن هذه القناة قد أقيمت في عهد المعز لدين الله الفاطمي وكانت تجلب المياه من عين زيوب إلى قصره بصبرة المنصوريّة ثم منها إلى مواجل القيروان[31].

ج- ماجل أبي ابراهيم أحمد ومؤثراته المعماريّة :

يشير البكري في كتابه "المغرب في ذكر بلاد افريقيّة والمغرب" متحدثا عن مصادر مياه القيروان بقوله " . . . . وأعظمها شأنا وأفخمها منصبا ماجل أبي ابراهيم أحمد بباب تونس " وكانت هذه المواجل بأبعدها الشاسعة وتناسق كتلها ودقّة تنفيذها تثير الاعجاب واعتبرت من عجيب البناء.

---

(29) اليعقوبي: البلدان، ترجمة Gaston Wiet، طبع المعهد الفرنسي للآثار الشرقيّة ، القاهرة 1973، 1/ 269.

(30) البكري: " المسالك والممالك" ص 26، انظر كذلك، المالكي: " رياض النفوس" II/ 449.

(31) G. Marçais:"l'art musulman:l'Architecture" Paris 1926,I/ 53.

ويتكون هذا الماجل من ثلاثة عناصر أساسيّة:

* بركة كبيرة مستديرة الشكل يبلغ قطرها 127,7 مترا، عمقها 4,8 متر تتوسّطها صومعة مثمّنة الأضلع كنت تعلوها قبّة. ويسند جسم الفسقيّة 64 كتلة من الدعائم الدّاخلية و118 من الدعائم الخارجيّة، وتبلغ حمولتها 57,500 م3.

* بركة صغيرة وهي ماجل صغير، قطرها 34 مترا، تسندها 17 دعامة داخليّة و 26 خارجيّة وتتّصل البركة الصغيرة بالماجل عن طريق فتحة تسمى "السرح" وتبلغ سعتها 4100م3.

* صهريجين متّصلين بالماجل الكبير وقد بنيا على طريقة الأقبية المحمولة على العقود وقد وصفهما البكري بقوله: " تقع في قبلي الماجل، وهي أقباء طويلة معقودة أزاجا على أزاج". ويفوق حملها 900م3.

وتتميز هندسة هذه المنشآت المائيّة بصلابتها وتناسق أحجامها رغم اتّساع رقعتها، وتعتبر عمارة المواجل التي كانت وليدة الحاجة نموذجا فريدا من بين المنشآت المائيّة في العصر الاسلامي المبكر.

ولا ريب أن مبدأ تجميع مياه الأمطار في برك قد اعتمد في مختلف البلاد الاسلاميّة كما يدل على ذلك المواجل الموزّعة على طول طريق درب زبيدة. كما أن مصر كانت تزخر بالبرك المموّنة بمياه النيل وكان من أهمها بركة الفيل[32] الا أنها متواضعة في حجمها، كما أن المصادر تشير إلى أن العباسيين قد أقاموا في نفس الفترة بركا عظاما بقصورهم من ذلك بركة القادسيّة التي يبلغ طولها 220م وعرضها 90م وعمقها ثلاثة أمتار[33] إلا أنها كانت تختلف من حيث الحاجة والهندسة عن المواجل الافريقيّة خاصّة بافتقارها لعضائد وأكتاف تكتنفها. ويبدو جليّا أن افريقيّة قد استطاعت من خلال تأثيرات مختلفة صياغة نمط من المواجل يكتسي شخصيّة متميّزة ويستجيب لمقتضيات المناخ والتطوّر السكاني، ويبدو ذلك جليّا من خلال توزيع المواجل بافريقيّة نفسها، فقد أمكن لسولينياك دراسة ما يزيد عن المائة وسبعة وثمانين ماجلا[34].

(32) سولينياك: " المنشآت المائية..." 28/X وما يليها.

(33) المصدر نفسه، ص 234 وما يليها.

(34) المصدر نفسه، وفي الحقيقة فان عددها يفوق ذلك بكثير كما تؤكّده الاستكشافات الأثريّة.

فقد ثبت أن جلّها موزّع بمنطقة السباسب جنوب الوطن القبلي وعند مستوى قفصة فيما عدا السواحل، وتتميّز هذه المنطقة بتقبّلها كميّة من الأمطار غير منتظمة تتراوح بين 400مم و180مم سنويّا.

وان الناحية التي توجد شمالها وهي تشمل باجة وتونس وبنزرت وغيرها تتمتّع بنصيب سنوي منتظم من الأمطار يقيها الحاجة لتخزين كميات وافرة من المياه في حين أن المنطقة التي توجد أسفل السباسب هي منطقة صحراويّة لا يرجى من تجميع مياهها في برك عظام فائدة نظرا لقلّة الأمطار بها وسرعة التبخّر فيها.

وقد انتشر مثال هندسة المواجل الافريقيّة فيما بعد في المغربين الأوسط والأقصى ووصل قلعة بني حماد ومراكش.

3- مرحلة بناء المواجل وسط النسيج العمراني :

ان بنيان المواجل الافريقيّة كان خلال هذه المرحلة يأخذ بعين الاعتبار طوبوغرافيّة الموقع والحاجة إلى مكان منخفض يسهل جريان السيول نحو الماجل، ويكون في منطقة انتشار الأودية التي قد تكتسحه مياهها اذا فاضت جوانبها. لذا فقد دأب المهندسون الأفارقة على اقامة المواجل خارج مناطق العمران وعلى مقربة من الأسوار حتى لا تغمر الفياضانات الدور والمساكن.

وان تجاوز هذه المرحلة واقامة المواجل الكبيرة لتجميع مياه الأمطار داخل النسيج العمراني يقتضي اقامة سدود عند مجاري الأودية وتصفية مياهها من الرّواسب واستدراجها عبر قناة تتدارك الاختلافات الطوبوغرابية وتستطيع النفاذ حسب صبيب معقول وغير جارف إلى وسط العمران. ويقتضي ذلك تقنيات أكثر تقدّما لحسن ترويض المياه واستغلالها.

ويبدو حسب المصادر أن المهندسين الأفارقة قد وصلوا هذه المرحلة الفنيّة في الرّبع الأخير من القرن الثالث الهجري. ونحن نجد صدى لأول مثال منها بمدينة سوسة حيث يذكر المالكي في رياض النفوس أن الفقيه السوسي أبا الأحوص المتوفي سنة 284هـ قد سأله ابراهيم الثاني عند احدى زياراته لمدينة سوسة أن يكلّفه حاجات يقضيها له فقال له: هذه الدواميس الأوليّة التي وسط المدينة تجري اليها ساقية من

خارج المدينة وتوصل اليها ماء السماء، فينتفع بذلك الناس والأرامل والأيتام ويجد فيه راحتهم أهل الموسم من الغرباء والمرابطين المنقطعين إلى رب العالمين لحلّه وقدم أجله " [35].

وفي هذا النص اشارة لأول مرّة لاقامة قناة تمتدّ على بعض الكيلومترات لاستجلاب مياه الأمطار نحو مدينة سوسة والماجل المذكور يعرف حاليا بماجل السفرة وهو يوجد وسط نسيج مدينة سوسة العمراني. ويتمثّل في مستطيل يبلغ طوله حوالي تسعة وعشرين مترا وعرضه ما يفوق العشرين، في حين يبلغ ارتفاع الصهريج أحد عشر مترا وهو يتّسع إلى حوالي 3000م^3 من الماء. وهو عبارة على صهريج مبني بالدبش المطلي بملاط يحمل نسبة كبيرة من الرماد والفحم ويبلغ سمك جدرانه حوالي السبعين سنتيمترا. ويشتمل المعلم على خمس بلاطات طولا وأربع عرضا تتخلّلها أعمدة مربّعة الشكل، يبلغ ضلع الواحدة منها 1,5م، ثم يتراجع سمكها على ارتفاع أربعة أمتار من العرض فلا يتجاوز المتر وتبعد الواحدة عن الأخرى بما يناهز الثلاثة أمتار. وهي تحمل أقباء طوليّة ونصف دائريّة مبنيّة من الحجارة المصقولة، تستند الجانبيّة منها إلى الجدران حيث تتلقى العقد ناتئة بارزة. ويتخلّل سقف الأقباء فتحات لايراد الماء مربّعة الشكل. وقد فرش الصهريج بنفس الملاط المستعمل في تغطية البناء. ويلاصق الماجل من ناحية الجنوب بركة صغيرة كانت تصلح لتصفية الماء وهو مستديرة الشكل ويبلغ قطرها ثلاثة أمتار ويربط بين الجهازين قنة مستطيلة وقع طمسها حاليا.

ولا يستبعد حسب النص المالكي والدراسة التي شملت الماجل أن يكون عمل المهندسين الأغالبة قد تمثّل في اصلاح جذري لشبكة مائيّة رومانيّة كما توحي به اللّقى الأثريّة التي وجدت بالمنطقة[36]. وربّما مثّلت هذه الحلقة أحد مجالات التمرّس بالنسبة لهم قبل أن يتمكّنوا من حذق ذلك كما يبدو واضحا من خلال ماجل زيادة اللّه الثالث برقادة. اذ يذكر ابن الآبار أن في سنة 293 هـ عاد زيادة اللّه الأغلبي من تونس إلى رقادة فبنى بها قصرا سمّاه البحر " وحفر بها حفيرا بناه صهريجا طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع وأجرى اليه ساقية وسمّاه البحر. وبنى فيه قصرا سمّاه العروس على أربع طبقات أنفق فيه سوى عشر اليهود والعجم، مائتي

---

(35) المالكي: " رياض النفوس " ا/ 486.

(36) انظر دراستنا حول: " سوسة في العهد الاسلامي المبكر " بحث مرقون اا/ 359 وما يليها.

ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار"[37]. وماجل زيادة الله ما زال قائما الى اليوم بموقع رقادة وهو مترامي الأطراف مضلع الشكل ويبلغ أقصى طوله 182م وأقصى عرضه 130م. وتثبت الدراسة التي قام بها سولينياك أنه كان يموّن بفضل مجموعة من الأجهزة المائيّة تنتهي بقناة مقبيّة تحمل مياه الأمطار المناسبة في مجرى وادي مرق اللّيل القريب من رقادة نحو الماجل المذكور[38] وبذلك تمكن المهندسون الأفارقة من "ترويض" مياه الأمطار و"استدراجها" إلى وسط مدنهم. وهو ما سيؤهّلهم إلى المرحلة الفنيّة القادمة.

د - مرحلة مدّ القنوات واقامة الحنايا :

لا شك أن التجربة قد أثبتت لأهل افريقيّة بعد تداول سنوات القحط والخصوبة أن تواصل فترة انحباس الأمطار التي قد يطول أمدها تشكل خطرا يهدّد حسن تموين الأهالي بالماء الذي يحتاجون اليه في حياتهم اليوميّة. وقد عرفت افريقيّة في أواخر القرن الثالث فترة ازدهار وأصبحت ترنو الى رفاهة العيش بقدر تبحّر أهلها في العمران وميلهم للبذخ. وقد وافق ذلك تجذّر في السيطرة على الفنون المائيّة تواصل ما يربو عن القرن مرورا بالمراحل التي ذكرناها. فمن البديهي أن يقع التفكير في هذا الاطار في استغلال المياه الجوفيّة وجلبها نحو مواطن العمران باعتبارها مصدرا مضمونا لتموينها بالماء الصالح للشراب. وان أول اشارة في المصادر لاعتماد هذه التقنية بافريقية تعود إلى أوائل القرن الرابع، وهو ما لا يخل بالتسلسل الزمني الذي ضبطناه بالنسبة لمراحل تاريخ المنشآت المائيّة بافريقيّة. ويتعلّق الأمر بجلب المياه من طرف عبد الله المهدي لعاصمته الجديدة المهديّة التي أسسها في حدود سنة 308 هـ.

وتوجد المهديّة عند هضبة صخريّة جعل منها قصبة تعوزها المياه الصّالحة للشراب اذ أن الطبقة المائيّة الجوفيّة بعيدة ويصعب الوصول اليها نظرا لصلابة أرضيّة الموقع. فاستلزم ذلك بناء مواجل لتجميع مياه الأمطار. ويذكر البكري أنه كان بالمهديّة من المواجل العظام ثلاثة مائة وستون[39].

---

(37) محمد الطالبي: "الامارة الأغلبية" ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985، ص 608-609.

(38) سولينياك: "المنشآت المائيّة" X/ 247 وما يليها.

(39) البكري: "المسالك والممالك" ص ,30

ولم يقتصر تمويل المهديّة بالماء الصالح للشراب على ما توجد به الأمطار بل "جلب لها المهدي -حسبما يذكره البكري- الماء الجاري من قرية "ميانش" على مقربة من المهديّة في أقداس ويصب في الصهريج داخل المهديّة عند جامعها ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدّواليب وكذلك يستقي أيضا بقرب ميانش من الابار بالدواليب ويصبّ في محبس يجري منه في تلك القناة"[40]. وقد اندثرت أغلب معالم هذه المنشآت المائيّة إلاّ أننا يمكن أن نتّبع خطّها من خلال بعض الآثار التي ما زالت قائمة بالجهة فقد حافظ موقع ميانش على تسميته القديمة وهو يوجد حاليا على بعد ستة كيلومترات غربي المهديّة وبه غابة للزيتون يطلق عليها اسم هنشير ميانش. وتوجد بالجهة طبقة جوفيّة مائيّة تستغلّ حاليّا كذلك لتزويد المهديّة بالماء الصالح للشراب وقد تمّ العثور هناك على آثار فسقيّة نفترض أنها المحبس الذي يتحدث عنه البكري وهو يوجد على حافة الطريق في النقطة الكيلومتريّة عدد 195,200 بين تونس والمهديّة. وتبدو الفسقيّة من خلال جزئها المتبقّي مستديرة الشكل يبلغ قطرها 23 م ولم يسلم الاّ ربعها تقريبا ويبلغ سمك جدارها 0,68 وتستند من الداخل ومن الخارج إلى أكتاف متخالفة وهي نصف دائريّة ويبلغ شعاع الواحدة منها 0,40م ويحيط بها افريز من البناء. ويستوقفنا التطابق في الآراء في كيفيّة استعمال الطبقة المائيّة الجوفيّة بين مهندسي المهدي والمهندسين المعاصرين، فقد اهتدوا الى ضرورة استغلال نفس الطبقة المائيّة وإلى ضرورة استعمال الدواليب لاخراج المياه، وقد اختاروا نفس الموقع لاقامة صهريج تجميع مياه الآبار الجوفيّة. وما من شك أن هنالك قناة تنطلق من المحبس وتستعمل لسقي الأراضي الفلاحيّة والحقول التي كانت توجد بالموضع حسبما يفيدنا به أبو منصور العزيزي الذي يذكر في سيرة سيده جوذر أن عبد اللّه قد اقتطع رجال كتامة عدّة سواقي بضواحي المهديّة مما نتج عنه مشاجرات بينهم[41] وهو ما يؤكّد أن مياه ميانش كانت تستعمل كذلك لأغراض فلاحيّة إلاّ أنه ليست لنا أية فكرة حول كيفيّة تقسيم الضياع وحول التقنيات المائيّة التي كانت مستعملة لذلك. ولم يبق أي أثر للقنوات التي كانت تجري فيها المياه حتّى تصل المهديّة. أمّا في المهديّة نفسها فقد عثر بعض الأهالي، بصفة عفويّة، على بقايا بعض القنوات إلا أن هذه الاكتشافات ليست لها أي قيمة علميّة يمكن أن نعتمد عليها في

(40) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(41) الجوذري (أبي علي منصور) : " سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق د. محمد كمال حسين ود. عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر 1954.

رسم خط مجرى المياه حتى تصل الصهريجين اللذين كانا يوجدان عند الزاويتين الشرقية الشماليّة والغربيّة الشمالية لواجهة جامع المهديّة. وقد درس ليزين(42) أحدهما وهو الذي كان يوجد عند الزاوية الغربيّة وهو مقبي الشكل ويبلغ عرضه 8,20 م وعمقه تسعة أمتار ويشتمل على ثلاثة أجزاء تستند إلى جدار الصحن الشرقي. ويرى ليزين(43) أن بناءه ليس معاصرا لأقدم أجزاء الجمع اذ أن جوانبه ليست لها أية صلة بجدار الصحن ويفترض أن الصهريج قد استعمل في الفترة الأولى كماجل لحفظ مياه الأمطار اذ تعذّر على مهندسي المهدي اقامة صهاريج جوفيّة لأن مستوى الأرض للجامع كان قريبا جدا من مستوى البحر. ثم استعمل في فترة لاحقة لتجميع مياه ميانش التي تصل الى المدينة. وتوجد قرب الصهريج قاعة مستديرة الشكل يبلغ قطرها أربعة أمتار وسمك جدارها 1,50م وهي تحمل قبّة وقد تكون استعملت لايواء الجهاز الذي كان يرفع الماء من الصهريج إلى القصر(44). وقد كان مستواه أعلى من مستوى الجامع بـ: 13م تقريبا مما يستلزم اقامة حنايا عند جانبي الجامع لنقل المياه عند دخولها أو عند خروجها من الصهريج. ونحن نلاحظ عند التدقيق في صورة للمهديّة تعود إلى منتصف القرن السّادس عشر وهي من رسم Sceppere وجود بناء على قنطرة يشابه تماما الحنايا ينطلق من الجامع ويصعد في هضبة حتى يصل إلى عمارة في شكل برج. فهل تمثّل هذه الحنايا نفس القناة التي كانت ترفع الماء من صهريج الجامع إلى قصر عبد الله؟

ويستنتج من جميع ذلك أن الفاطميين قد تمكنوا من جلب المياه المتواجدة بالطبقة المائيّة المحيطة بالمهديّة بفضل قناة مقبية واستطاعوا باستعمال تقنيات متطورة تتمثّل خاصّة في الدواليب والصهاريج تدارك الصعوبات المرتبطة بأرضيّة الموقع حتى أوصلوا الماء إلى قصر المهدي الذي يوجد في مكان شامخ.

وتوجت هذه المرحلة بالأعمال المائيّة الضخمة التي أنجزها المعز لدين الله الفاطمي بصبرة المنصوريّة في حدود سنة 348 هـ. ويورد القاضي النعمان في كتابه " المجالس والمسايرات" نصا بليغا حول الحيثيّات والصعوبات التي حفت بذلك: " قال: واعتزم المعزّ لدين الله على اجراء نهر عين أيّوب إلى المنصوريّة، وقد كان القائم (عم) ابتدأ

(42) Lézine "Mahdiya", Recherches d'archéologie islamique, Paris 1965, p. 95-96.

(43) Lézine : "Mahdiya" op. cit. p. 96.

(44) G. Marçais: "L'architecture musulmane d'occident": Paris 1954,p. 93.

العمل فيه على أن يجريه إلى مدينة القيروان ثم جاءت الفتنة فقطعت ذلك، وهمّ المنصور بذلك فهوّل عليه أمره. ثمّ اعتزم المعزّ (عم) على اجرائه. وبدأ بالعمل فيه أول يوم من المحرم سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وذلك يوم الأحد. وقيس ما بين المكان الذي بلغ به القائم الى المنصوريّة فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع. فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير تأخذ في اسناد جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آزاج يجري الماء من فوقها. واستهال ذلك بعض من حضر. فقال المعزّ (عم): قد هوّل مثل هذا التهويل على القائم (عم)، وقيل له: والله لو جعلت في ساقية من زجاج ما جرت. وقيل للمنصور (عم): يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار، ثم الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا. وكان ذلك سبب تركها. ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل. والله لو علمت أنّ الزجّاجين يستطيعون بناءها من الزجاج لأمرت بعملها ولأجريتها فيها، ليعلم من يهوّل ذلك أنه لا يهوّلني ولا أستعظمه. وانّما تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال، بالعزم عليها والحزم فيها. ثم ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة قرطاجنّة فقال: أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحت تلك القناة ولأجريته فيها. وان كان الناس يتعاظمون أمرها ويرون أن أحدا لا يقدر على ذلك، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدّم ولا يجوز لمن تأخّر!؟ اللّهم إلاّ أن يصحّ في عقولهم الفاسدة أنهم كانوا في القوّة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام. وكما زعموا أنّ المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة، يرونها تحملها على رأسها ومغزلها في يدها. فان كان بمثل هذا من المحال تصوّب هذا عندهم، فنعم.

ثمّ قال: والله لقد صرت إلى ناحية تونس ومالي نظر إلاّ إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصوريّة، فلقد رأيته ممكنا. وانّي لأرجو، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها، أن أجريه بعونه وتأييده وتوفيقه. وما يتعاظم من مرام مثل هذه الأعمال إلاّ أن يكون الأجل يقطع دونها، فيأتي، بعد من رام ذلك وابتدأه، من أهل العجز من يقعد عنه فينسب مبتدئ ذلك الى تعاطي ما لا يقوم به والهمّ بما لا يتهيّأ له فينتقصه بذلك، والنقص أولى بمن قال ذلك فيه ونسبه اليه"(45).

---

(45) القاضي النعمان: "المجالس والمسايرات" تحقيق الحبيب الفقي وابراهيم شبّوح ومحمّد اليعلاوي، المطبعة الرسميّة، تونس 1978، ص 331 وما يليها.

وقد أنجز المعز هذه القناة في أوشك مدّة وبأيسر مؤونة. بل أن المقدسي يفيدنا بأنه قد أجرى لأهالي القيروان قناة من الجبل تملأ مواجلهم بعدما تدخل قصره بصبرة[46].

وتشتمل هذه المنشآت المائيّة الفاطميّة على ثلاثة عناصر أساسيّة :

1- شبكة لجذب مياه الطبقة الجوفيّة والعيون المناسبة منها

2- شبكة لنقل المياه

3- شبكة لتجمّع وتوزيع المياه

وقد قام سولـينياك بدراسة اضافية لهـذه القناة الا أنه ينسبها إلى عهود مـختلفة لا يسمح المجال بمراجعته فيها[47].

وقد وافق احـداث هذه الأعمال المائيّـة الجبـارة أوج الحضارة الافـريقيّة في العـهد الاسلامي في زمن أمكن للفاطمـيّين فيه السيطرة على الحوض الغـربي للبحر الأبيض المتوسط وتسكين المغرب وفتح مصر وبناء القاهرة.

وتتّسم المصـادر بـالصمت المريب حـول الانجـازات المائيّـة التـي تمت في العـهـد الصنهاجي رغم أنه يمثّل كذلك فترة ازدهار لافريقيّة قبل الزحفة الهلاليّة ولا يسعنا الا التوقف في انتظار فك رموز ذلك.

وخلاصة القـول، فان المتأمّل في مرحلية تطـوّر المنشآت المائيّة الافريقيـة في العهد الاسلامي يسترعي اهتمامه توصل المسلمين بعدمـا يربو عن السبعة قرون إلى اكتساب نفس التـقنيـات المائيّة التي اعـتـمدت في العـهـد الروماني بعـد أن اندرست التـقاليـد والمعارف المـتعلقـة بأهمّها خـلال العهـدين الوندالي والبـيزنطي - وان بدت الأعـمال المائيّة الرومانيّة أكثر اتقانا وجودة - الاّ أن الفترة الاسلاميّة تتميّز بتوصلها لابتكار حل عملي وهو بناء المواجل الضخمة لتجميع مياه الأمطار. وتعبّر هذه الطريقة عن عبقرية فذة وهي تتميّـز بجدواها وقلّة كلفتها. وتمثل هذه السمة احدى أهـم سمات الحضارة الاسلاميّة في عهد عزّها.

---

(46) المقدسي : «أحسن التقاسيم» ص 226 .

(47) سولينياك : «المنشآت المائيّة» 32/X وما يليها.

ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية في اقليم طرابلس

Latino Neo-Punic inscriptions

د. عبد الحفيظ فضيل الميار

قبل الاحتلال الروماني كان هناك لغتان تستعملان من قبل السكان في طرابلس وهما اللغة الليبية والفينيقية.

وبطبيعة الحال فان سكان المناطق الريفية كانوا يتكلمون اللغة الليبية، بينما يتحدث من يعيشون في المدن باللغة الفينيقية والتي استمرت طيلة العهد الروماني[1].

ان الأدلة الأدبية تقدم لنا صورة عن انتشار هذه اللغة في شمال افريقيا الرومانية، بينما الدليل الوثائقي كالعملة مثلا فهو محدود جدا ذلك ان العملة المعدنية التي عليها نقوش فينقية التي ضربتها كل من لبدة الكبرى واويا وصبراتة وهي مدن حرة (Liberae civitates) استمر ظهورها من بداية عهد الامبراطورية حتى منتصف القرن الأول الميلادي[2].

والأدلة الأثرية هي بدورها تؤكد على استمرارية مواصلة سكان المدن الثلاث لنشاطهم الحضاري ويدل على ذلك وجود العديد من الآثار ذات الطابع الفينيقي يرجع تاريخها إلى العهد الروماني[3]، ويذكر سالوست (Sallust) ان اللغة الفينيقية المستعملة في لبدة كانت صرفة ما عدا كلمات قليلة دخلت عليها بسبب الاختلاط بالبربر (أو الليبيين) , "Eius civitatis lingua modo Convorsa[4] Conubio, Numadarum legum cultursque pleraque Sidonica" وكانت اللغة الفينيقية هي لغة الحديث حتى بين

(1) Muller L., Numismatique de l'ancienne Afrique, Copenhagen (1880), p. 2ff.
(2) Ibid.
(3) Bartocini, R. Africa Italina 1 (1927), 232; cf. IRT.852.
(4) Bell. Lug.

أفـراد الطبقـة الارسـتقـراطيـة، وهذا واضح مما ذكره الشـاعـر الروماني سـتـاسيـوس (Stasius) عن الخطيب سبتموس سويروس جدّ الامبراطور الذي يحمل نفس الاسم[5].

"Nascius africae, non Sermo Poenus, non habitus Tibi externa, non mens, itafus"

وهذا قد يدل على ان اللغة الفينيقية لم تكن مصـدر للفخر كما ان من يتكلمها يصبح موضع سخرية خصومه وقد تسبب الاحراج لأصدقائه وأقاربه[6].

وهذا يتـضح جلـيـا مما ورد في اعـتـذار أبوليـوس (A Pology) عندمـا تحـدث في محكمة صبراته رافضا تصديق ادعاء ابنه بالتبني ومعيرا اياه بانه لا يفهم الا الفينيقية[7] " Loquitur numquam nisi Punice... Enim Latine Loqui neque potest" ولا شك ان الثقافـة الفينيقيـة - القرطاجية كـان لها تأثيرها في المنطقة السـاحلية من اقليم طرابلس حيث المراكز التجارية الثلاث (لبده الكبرى - أويا صبراته) (emporia) ثم انتشرت في المناطق الداخلية عن طريق الأهالي.

ان آثار هذه الثـقافـة واضـحة في لغـة الاقليم وهذا يؤكـده نقوش مـكتوبة باللغـة الفينيقـية الجديدة على بعض الأواني الفخارية التي جـرى اكتشافهـا في لبدة و كذلك نقـوش البـروقنصل لامـيـا الذي تم اكـتشـافـه عند رأس الحـداجـيـة بتـرهونه باقليم طرابلس[8].

ويرى البعض ان اللـغة الفينيـقية قـد استعـملت بصورة رسـمية في عـهد الأباطرة الرومان الثلاثة اغسطس، تـيبريوس ودومشيان وأن النقوش المكتـوبة باللغتين اللاتينية والفينيقية والمكتشفة في لبده تظهر لآخر مرة في عهد الامبراطور الأخير[9].

وهكذا وبسرعة أوقف الرومان اللغة الفنيقية في المعـاملات الرسمية ففقدت بذلك مركزها الرسـمي، الذي كان لها في افريقـيا ولكنهم اتخذو هذا الاجراء بطـريقة توفر الانسجام بين المدن والسلطات المركزية، ففي الحياة الخاصة والمعاملات التجارية استمر استعمـال هذه اللغة بصورة واسعة ولمدة طويلة وخـاصة في اقليم طرابلس وظلت لغة

(5) Silvae, Iv. 5

(6) HA. VIT. Ser.5

(7) Apology 98.

(8) Romanelli, P. "La Tripolitania nel Quadro dell' archeologia Nord Africana", Libya in history, 1968, 133-142.

(9) Millar f., " Local cultures in the Roman Empire: Liban, Punic and latin in Roman Africa", JRS, 58,1968, 126-134.

الحديث إلى جانب اللاتينية حتى بين المثقفين وهذا واضح مما قيل عن الامبراطور سبيتموس سويروس (septimus severus) من انه كان يجيد هذه اللغة وانه كان فصيحا وبليغا[10] (punica elquenta promitor quippe gratus apud leptim) وفي موضع آخر يوصف ببلاغته وطلاوة حديثه ليس في افريقيا بل في كل مكان (Canorus voce, sed Afrum quiddam usque ad Senectutem sonnans)[11].

وهذا قد يدل على أن اللغة الفينيقية ازدهرت من جديد ولو لفترة قصيرة على الأقل في عهد هذا الامبراطور الافريقي الأصل. ولقد سبق ايضاح ان استعمال اللغة الفينيقية لم يكن قاصرا على الحياة الخاصة وانما في مظاهر معينة عامة وهو ما يؤكد قوة وحيوية هذه الأمة واستمرار الثقافة الفينيقية في اقليم طرابلس حتى بعد الاحتلال الروماني، وكذلك الاحترام الذي أظهره الحكام الجدد تجاه العادات المحلية والمؤسسات الفينيقية التي استبدلوها بعاداتهم وقوانينهم الرومانية[12].

ولم يتم ذلك باجراءات عنيفة وانما عن طريق التسرب والاستيعاب[13]. ويجدر بالملاحظة ان هذا التعايش بين اللغتين الفينيقية واللاتينية، واستمرارية استخدام اللغة الفينيقية ليس كلغة حديث وانما في الكتابة أيضا لم يحدث الا في اقليم طرابلس، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه في بداية عهد الامبراطورية الرومانية كان عدد السكان الفينيقيين كبيرا وكان لهم ثقافتهم الخاصة وايمانهم باستقلالهم الوطني الذاتي ومثل هذا الايمان أو الاعتقاد وجد الاعتراف به من جانب حكومة الرومان المركزية. وعليه فان حضارتين فنيقية ورومانية عاشتا جنبا إلى جنب في سلام طيلة عدة قرون[14].

وإلى جانب اللغة هناك بقية بعض العناصر الأساسية للحضارة الفينيقية مثل الدين، ومؤسسات سياسية معينة وعادات.

وتسجل النقوش الفينيقية بعض المؤسسات السياسية مثل السوفيتس (Sufetes) والموحازيم (Muhzm) (IRT, 599)، وكان السوفيتس ومساعدوهم من الشخصيات البارزة ومن الأغنياء ومن ارستقراطية لبدة. وكانوا حكاما (أو قضاة) ينتخبون

(10) Aurel voc. Epit. 207.
(11) HA. VIT. SEV. 19.
(12) Levi della Vida, Riv. Trip.3 (1927), 91-2.
(13) Victor; HA. ibid.
(14) Levi della Vida, OP. CIT.

سنويا. ويبدو ان للموحازين وظائف أخرى مثل سد شمر ديمن (Sd Shmr dymn)، وهو أمين الخزانة والمسؤول عن الأسعار وشؤون الاسواق. ويظهر مصطلح سد شمر ديمن) في النقش (IRT 559). سد= خزانة، شمر= مراقب، ديمن= سعر وهي في العادة واجبات لمحازيم. وهناك وظيفة أخرى للمحازيم وردت في نقوش لبدة وهي يقمك (Ygmk)، وهو المحازيم المسؤول عن النشاط الرياضي العام وقد ورد في أحد النقوش التي عثر عليها في اقليم طرابلس (IRT, 559)، ويبدو ان هذه التسمية مشتقة من المصطلح الاغريقي قيمنازيارخ (Gymnasirch) - وهو منصب هام يكون شاغله مسؤولا عن الأنشطة الرياضية العامة. وربما كان هو المسؤول عن المباني الخاصة بذلك في المدينة مثل المسارح (Theatres) والمسارح المدرجة (amphitheatres) ومضمار السباق (circus) ويوجد منصب آخر(Shhm) كما يظهر في النقش (IRT, 319) وكان يشغله سوفيت مسؤول عن الشؤون الزراعية، وهناك وظائف أخرى خاصة بالشؤون الدينية ادر عزريم (Adr azrm) وهي باللاتينية تعادل وظيفة (Praefectus Sacrorum) (IRT, 319, 321, 322, 323) وكذلك ادركوهينم (adr kohenum) التي تعادل في اللاتينية (Phontifex Maximus = الكاهن الأعظم)[15]. وتخبرنا النقوش أن بعض المباني العامة في المدن كانت قد أقيمت على نفقة بعض الشخصيات القيادية، مثلا سوق لبدة بني في السنة الثامنة قبل الميلاد على حساب أحد أبناء لبدة البارزين وهو طبابيوس روفس (IRT, 319)، والمسرح في السنة الأولى أو الثانية ميلادية (IRT 332) والسوق الثانية في 11-12 م (IRT, 324). وكاعتراف بالجميل منح أهالي لبدة هؤلاء الأشخاص ألقابا شريفة مثل محب وطنه (amator Patriae) ومزين موطنه (Ornator Patriae) (IRT 318,321,347). وفيما يتعلق بالدين فقد اظهرت النقوش الفنيقية الجديدة أسماء بعض الالهة التي كانت تعبد وتبجل في الاقليم (rend. del. naz. linc. 8.x, 1955, 55-61) وبعض هذه الالهة فينيقية مثل شادراف (Shadrafe) وملك اشتارت (malk Ash-tart) (راعية مدينة لبدة). وكذلك الالهة الليبية مثل قورزل (Gurzil) الذي سوى بالاله الروماني ساتورن، وجوبتر هامون اله طرق القوافل. وعلاوة على ذلك فان الالهة الفينيقية مثل بعل وتانيت وعليوس (Hellios) ظلت تكرم وتبجل حتى وقت متأخر من العصر الروماني متطورة من رموز بسيطة إلى أشكال انسانية (Tertullian). والليبيون الذين قلدوا الفينيقيين في عاداتهم عبدوا الالهة الفينيقية وقدموا لها الضحايا

(15) Renolds, J.M. and Ward-perkins, J.B. 1952 - Inscription of Roman Tripolitania, Roman and London = IRT. 79,80; DISO, 6n.4,51 n.2, 310

وذلك اعتقادا منهم بان الضحية والتي تسمى ملك (mlk) كان لها تأثير على الالهة فهم يقدمون الأضاحي الحيوانية معتقدين بانها ستغفر لهم خطاياهم[16]. وكانوا يعتقدون ان الاضحية ستجعل روح من يقدمها في اتصال مع معبوده وتؤمن له ما كان يصلى من أجله.

وفي بعض الحالات لا تكفى الأضاحي الحيوانية أو تكون غير مقبولة فنجد ان النوميديين في المناطق المعزولة أو النائية من شمال افريقيا الرومانية كانوا يمارسون عادة تقديم الأضاحي الانسانية. وتدلنا النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية (IRT 893) على ان هذه العادة كانت تمارس في اقليم طرابلس. فالأضاحي البشرية (ملك عدم mlk 'dm) كانت مثل غيرها من الأضاحي التي تقدم عادة للوفاء بنذر أو تكريما للاله بعل أو في وقت الازمات[17].

وكان المؤمنون بهذه الالهة يقدمون لها النقود أو يشيدون المباني الدينية، كالمعابد، المذابح، الأروقة، الأعمدة والتماثيل (IRT, 877,893).

وهذه النقوش ترجع إلى أواخر القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الثاني الميلادي وان آخر ما عثر عليه من النقوش الفينيقية الجديدة (التي يطابقها نقوش لاتينية) كان قد ظهر في لبدة في عهد الامبراطور دوميشيانوس (IRT, p. 80, nos. 318, 349 a)، وبالمثل النقوش الفينيقية الجديدة التي جرى اكتشافها في وادي العمود، بير جيريه ومسلاته يبدو ان تاريخها يرجع إلى القرن الأول الميلادي[18]. غير أن القبر الذي عثر عليه في سهل الجفارة بطرابلس فهو بالاضافة إلى أنه يحمل مناظرة ريفية مستمدة من الأساطير القديمة يصور بوضوح رومنة عائلة ثرية تعيش في الريف فقد وجد به نقش باللغة اللاتينية مع مثيله باللغة الفينيقية الجديدة وأهميته ترجع إلى أن تاريخه يعود إلى آخر القرن الثاني وربما أوائل القرن الثالث الميلادي[19].

ان عدم العثور على نقوش فينيقية بعد نهاية القرن الثاني الميلادي جعل البعض يعتقد بان اللغة الفينيقية المكتوبة قي اختفت منذ القرن الثاني وبصورة عامة بعد القرن الثالث الميلادي[20]، إلاّ أنّه بعد ذلك ظهر نوع جديد من النقوش في طرابلس فقط

(16) Picard, G.CH. 1954. Les Religions de l'Afrique ". Paris; El Mayer, A. " The Libyan studies 13, 1982, 49; Rebuffat, R. 1973, LA 9-10: 167.

(17) Jacob Hoftizer,1965,"Dictionnaire inscriptions simitiques de l, ouest"=DISO, 154.

(18) Levi dela Vida, G. 1964, " Le is crizione neopuniche di wadi El- Amud" Libya antiqua 1:57.

(19) Millar, F. 1968, op. cit. 132.

(20) Cortois, C. "S. Augustine et le probleme de la Survivance du punique", dans20 Revue Africaine, t.94 (1950), p. 270.

دون غيرها. فقد عثر في هذا الاقليم على عدد من النقوش مكتوب بحروف لاتنية لكن لغتها ليست لاتنية. من الأماكن التي وجدت فيها هي : لبده (IRT.826)، زلتين، فبرزدو[21] (Zdu)، سرت، قبر بير الواعر (أولاد بريش IRT.865)، قصر دوغة (IRT. 873)، حوض وادى سوف الجين (IRT.884). وهناك نقش عثر عليه في قرزة واعتقد البعض ان لغته ليبية ولكن بعد دراسته تبين لنا أنه مكتوب باللغة الفينيقية الجديدة (انظر شكل 3). وأكبر مجموعة جاءت من موقع بئر دريدر (تسعة عشر نقشا) نشر بعضها في مجلد نقوش طرابلس الرومانية (IRT. a,b,c,d,e,f,g,h).

وجاءت المحاولة الأولى لترجمة هذه النقوش على يد قودشايلد[22].

وقد خرج من دراسته لها بنتائج أولية منها : أولا - أن لغة هذه النقوش على الرغم من وجود اثر فينيقي واضح فيها الا أنه من المحتمل جدا أن تكون لغتها ليبية. ثانيا - ان هذه النقوش يجب أن تكون متأخرة عن النقوش الفينيقية الجديدة التي عثر عليها في نفس المنطقة، كما يجب ربطها بعملية تأسيس مليشيات الحدود (Limitanei) من بداية القرن الثالث الميلادي وصاعدا، وقد رأى قود شايلد في تكرار كلمة تريبونس (Tribunus) في نقوش بئر دريدر ما يدعم فريضته بمسألة ربطها بالتنظيمات العسكرية في منطقة الحدود.

وهكذا نرى أنه علي الرغم من كتابة اللغة الفينيقية بالحروف اللاتينية قد ظهرت في وثائق مؤكدة مثل قطعة أدبية في بوينولوس (Poenulus) لبلاوتوس (Plautus) وكذلك الاشارات الواردة عند القديس اوغسطين فان بعض الباحثين لم يستطيعوا فهم لغة النقوش الفينيقية الجديدة المكتوبة باحرف لاتينية ولا زالت ترجمة بعض هذه النقوش صعبة.

وبعد ذلك توالت عملية اكتشاف ونشر المزيد من هذه النقوش ففي عام 1955 نشر نقشان من وادى سوف الجين ووادى زمزم[23] وفي عام 1960 نشرت ثلاثة نقوش من أودية أخرى[24]. وفيما بعد بيّن ليفى ديلافيدا أن أجزاء من العديد من هذه النقوش

(21) Bartocini 1927, loc. cit.
(22) Good child, R.G. the laino- libyan inscriptions of tripolitania, Antiquaries journal 30 (1950), 135.
(23) Renolds J.M. 1955 " Inscription of Roman Tripoltania " a suppl. PBSR 23 : 124, nos 20,24.
(24) Brogan, O. renolds J.M.1960, "new inscrption from Tripolitania " PBSR 28: 51f. nos 5-6.

يمكن قراءتها على أنها فينيقية أو بالأحرى فينيقية ركيكة[25] وعلى ضوء هذه المعلومة التي قدمها نشرت ثلاث نقوش أخرى جرت محاولة لفهمها على هذا الأساس[26].

ان حقيقة اكتشاف هذه النقوش باللغة الفينيقية دعت البعض إلى القول بان سكان المناطق الداخلية من اقليم طرابلس كانوا مزار عين جاءوا من أصول ليبية فينيقية مختلطة ولكن لغتهم وثقافتهم كانت فينيقية وهم ولا شك كانوا قد استقروا في تلك المناطق منذ القرن الأول الميلادي وقبل اقامة القلاع الرومانية في الجنوب لتغطي منطقة الحدود منذ بداية العهد السفيري[27]. والمشكلة التي تواجه الباحث هنا هي معرفة تاريخ النقوش ذلك انه في ضوء المعلومات المتوفرة يصعب تحديد تاريخ معين لها. ان ظهور أسماء رومانية مثل فلابيوس ويوليوس في نقوش ترابنة بئر دريدر جعل قودشايلد (1954) يرجع تاريخها إلى عهد يوليوس كونستانس (Constans) وفلافيوس يوليوس كونستاتيوس (Constatius 340-350م)[28].

ومع ذلك يبدو أن بعضها يرجع إلى فترة متأخرة فنقش زليطن المشار اليه أعلاه وهو عبارة عن رسم محفور (grafitto) يرجع إلى القرن الثالث الميلادي؛ وكذلك النقش (IRT 877) الذي عثر عليه في جنوب غرب لبدة قيل انه يرجع الى القرن الرابع - الخامس الميلادي.

ويشير ميلر[29] إلى ندرة النقوش الفينيقية المطولة سواء ما دون منها على الآثار العامة أو الخاصة بعد نهاية القرن الأول الميلادي، ويرى انه من غير الثابت استمرارية كتابة الصيغ الغير موجزة حتى القرن الأول الميلادي بينما في طرابلس نجد الدليل على استمرارية كتابة اللغة الفينيقية حتى القرن الرابع. ويبدو ان الأدلة الوثائقية المتمثلة في نقوش طرابلس الفينيقية - اللاتينية تؤكد صحة ما ذكره أوغسطين من أن اللغة الفينيقية كانت لغة الحديث في نوميديا في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس بل ويمكن القول بان الأدلة الأدبية والوثائقية تشير إلى أن اللغة الفينيقية كنت واسعة الانتشار كلغة حديث في افريقيا الرومانية ولكن اذا قبلنا بان الفينيقية لغة المجتمع

(25) Levi della Vida, 1963, "Sulle iscrizione" latino libicha "della Tripolitania" Oriens Antiquus 11: 65; idm, parerga neopunicia ibid. 4 (1965), 59.
(26) Brogan O. 1964, Lib. Ant. 1: 43
(27) A. di Vita, 1964 Il " Limes" romano di Tripolitania nella sua concretessa archeologica e nella sua realta storica , Libya Antiquq 1: 65.
(28) Goodchild 1967; Libyan studies, edt. J. Renolds, 70.
(29) Millar, F. op. cit. 133.

الزراعي في المناطق الداخلية في اقليم طرابلس حيث عثر على النقوش الفينيقية الجديدة المكتوبة بالأحرف اللاتينية فستواجهنا مشكلة هنا: وهي لماذا كتبت هذه النقوش بالحروف اللاتينية؟

بما ان بعضا من هذه النقوش وجد ببيوت المزارع المحصنة وان هذه المزارع جرى اقامتها بعد القرن الثالث الميلادي وان اللغة الفينيقية كان معترفا بها رسميا في القرن الأول كلغة للتعامل مع سكان المناطق الداخلية الا أن اضمحلال هذه اللغة في المدن الساحلية وانتشار النفوذ الروماني في جنوب الاقليم كنتيجة لعاملي الهجرة والرومنة أدى إلى انتشار اللغة اللاتينية على حساب اللغة الفينيقية وشيوع الترجمة للأخيرة إلى الحروف اللاتينية في القرنين الرابع والخامس.

ولا شك أنه بوصول الرومان الذين مدوا نفوذهم في داخل اقليم المحطات التجارية الثلاث (لبدة - أويا - صبراته) جعل الليبيين في اتصال مباشر مع الحضارة الرومانية كما ان السياسة الرومانية خلال هذه الفترة سعت إلى نشر اللغة اللاتينية والتي أصبحت اللغة الرسمية في المحاكم والمجالس والمراسلات الادارية. وهذه حقيقة أكدها القديس أوغسطين عندما قال ان روما التي عرفت كيف تحكم الشعوب: " لم تكتف بفرض سيطرتها على الشعوب الخاصة لها وانما أيضا لغتها"[30]. ويستنتج جوليان مما قاله أوغسطين ان عددا كبيرا من الليبيين اضطروا لتعلم اللغة اللاتينية حتى يستطيعوا استعمالها في المعاملات الرسمية و يشاركون في الحياة العامة، بينما اغلبيتهم يتحدثون فيما بينهم باللغة الليبية وفي بعض الأحيان باللغة الفينيقية، وأضاف قائلا أن سكان الدواخل ظلوا يجهلون اللغة اللاتينية لمدة طويلة. وعليه يبدو ان عدم انتشار اللغة اللاتينية في المناطق الداخلية هو السبب في اكتفائهم باستخدام حروفها فقط كتابة النصوص باللغة الفينيقية الجديدة التي هي لغة الحديث في دواخل الاقليم بالاضافة إلى أن تريبونات بير دريدر كانوا من أهالي منطقة الحدود الرومانية وان اتصالهم بالسلطات الرومانية جعلهم يقلدون الرومان في استعمال الحروف اللاتينية في كتابة لغتهم الفينيقية مثلما فعل الفرس والهنود (الباكستان) والأتراك في العصر الحديث في كتابة لغاتهم بالحروف العربية واللاتينية. هذا وكما توقع قودشايلد فان للنقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية التي تم اكتشافها في دواخل طرابلس أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة تاريخ منطقة التخوم الطرابلسية (Limes Tripolitanus)، ذاك

(30) Julien, Ch. A.1931, Histoire de l'Afrique du Nord,Tunisie-Algérie - Maroc. Paris.

ان ترجمة البعض من هذه النقوش القت مزيدا من الضوء على تاريخ المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والنظم الادارية والعسكرية في منطقة الحدود الطرابلسية وساعدت على فهم بعض النقاط التي كان يشوبها الغموض خاصة فيما يتعلق ببيوت المزارع المحصنة الكنتوناريا (Centenaria) والتي يسميها الليبيون بالقصور ولا زالت أثارها باقية في منطقة الحدود الطرابلسية الممتدة شمال خط القلاع الرئيسية الثلاث قولايا (بونجيم)، القريات الغربية وحصن غدامس (Cydamae).

عندما درس قودشايلد (دراسات ليبية، 1976) هذه القصور لا حظ متانة جدرانها الخارجية وقلة النوافذ بها وصغرها ولها مداخل محمية مع احاطتها بخنادق لسهولة الدفاع عنها واقامتها في أماكن مرتفعة كلما أمكن ذلك. كل هذا جعله يقرر أهميتها كمواقع دفاعية أنشأها مهندسون تابعون للجيش الروماني لسكنى جنود فلاحين (Limtanei) معتمدا في ذلك على التشابه والتصميم بين هذه القصور وقصر دويب العسكري (في قاطع حدود منطقة الزنتان) وكذلك تسميتها بكنتناريا التي رأى فيها دلالة على الصفة الرسمية، الا أن الدراسات التي اعقبت ذلك أظهرت ان هناك عوامل بيئية واقتصادية ربما كان لها دور في انشاء هذه القصور وان بعضها ربما كان بيوتا خاصة. هذا وقد ثبت من ترجمة النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية[31] ان بعضا من هذه القصور كان بيوتا خاصة أقامها أصحابها من رجال القبائل على أرضهم الخاصة حيث قاموا بتحصينها وبنائها في أماكن معينة يسهل منها مراقبة طرق الاقتراب من مزارعهم وحماية حدودها من تعديات رجال هذه القبائل القاطنين خارج منطقة الحدود والذين اطلق عليهم الرومان اسم البربر تميزا لهم عن رجال القبائل الموجودين داخل الحدود بما فيهم سكان هذه القصور الذين كانوا يسمون (بالجنتيلز gentiles) وهي باللغة اللاتينية تعنى رجال القبائل[32]. أما كلمة بربر(Barbari) فيقصد بها الأجانب أو الغرباء الذين تنتشر مضاربهم خارج منطقة النفوذ الروماني. وتشير مصادر العصر الروماني لهذه الفترة إلى أن الرومان كانوا يضعون القبائل الخاضعة لهم تحت اشراف ضباط رومانيين ولو ان هذا النظام قد يصلح للقيام بالحفاظ على الأمن وواجبات الشرطة الا أنه لا يكفي لمواجهة الغزوات الخطيرة كما كانوا يعينون مشائخ هذه القبائل كأمراء مواقع وهذا ما أثبتته النقوش

(31) El Mayer, A. 1985, "The Centenaria of roman Tripolitania", Libyan studies, 16: 77,84.
(32) Jones A.H.M. 1968, "Frontier deffence in Byzantine Libya", in History, 293-94.

الفينيقية الجديدة - اللاتينية التي عثر عليها في مقبرة تريبونات بير دريدر (كم جنوب شرق مزدة) حيث قام الرومان بتعيين بعض رؤساء القبائل المنتشرة في منطقة حدود طرابلس والداخلتي في خدمتهم، قادة وذلك منهم رتبة عسكرية عالية " نقيب " مع تخويلهم السلطات الادارية وشؤون العدالة في مناطق الحدود المتواجدة بها قبائلهم وهو ما يؤكد بأن سكان بيوت المزارع المحصنة كانوا من رجال القبائل الليبيين(33). وبما أن هؤلاء التريبونات الذين هم رؤساء القبائل كانوا من الليبيين فقد ساعد ذلك على حل المشاكل التي قد تحدث بين القبائل وتوطيد الأمن والاستقرار، كما ان الليبيين البربر الذين يدخلون منطقة الحدود الواقعة شمال خط القلاع الثلاث قولايا، القريات الغربية، وحصن غدامس وذلك لغرض البحث عن عمل أو لأي أمر آخر، كانوا يجدون سهولة في أداء القسم بآلهتهم الوثنية وفقا لمعتقداتهم الوثنية حيث يتعهدون فيه بالمحافظة على حسن السلوك خلال تواجدهم بمنطقة الحدود. وكان رؤساء القبائل يتقبلون منهم ذلك اذ انهم في الواقع منهم وغير بعيدين عن ثقافتهم.

وكان يعتمد على هذا القسم سلامة المسافرين وملاك الأراضي من سكان منطقة الحدود(34).

خاتمة :

ان ترجمة هذه النقوش ليست عملا سهلا وذلك لصعوبة لغتها وكثرة الاختصارات فضلا عن اندثار بعض أجزائها وهو عمل يصعب حتى على المختصين في هذا المجال. ومن خلال محاولتنا لترجمة هذه النقوش ظهرت لنا بعض المصاعب منها :

أولا: ندرة وقلة مفردات اللغة الفينيقية المعروفة جعلتنا نعتمد في ترجمة هذه النقوش على بعض اللغات السامية الأخرى مثل العبرية - الارامية والعربية.

ثانيا: ان كتاب هذه النقوش ارتكبوا الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية كما ان ضياع بعض أجزاء من هذه النقوش بسبب الاضرار التي أصابت الأحجار التي كتبت عليها وهذا واضح من النقوش التي عثر عليها في بعض المواقع خاصة بير دريدر (IRT 886 b,e,h,f).

---

(33) El Mayer,A. 1983, "The reinterpretation of latino-punic inscriptions from Roman Tripolitanian" Libyan studies 4: 86-95.

(34) Augustine, letters, 119.4; Ibid.46; Orosius, 1, 11.90.

ثالثا: أنه خلال فترة الحكم الرومـاني لا يتوفر أي دليل على وجود عمل أدبي ذي أهمية كـتب باللغة الفينيـقية التي لم تكن أبدا وسيلة لنقـل ثقافة أدبية هامـة أو ترجمة اليها، وحتى الأناشيد المسيحية المقدسة التي قال أوغسطين أنها تؤلف باللغتين الفينيقية واللاتينية لا يوجد مـا يدل على كتابتهـا باللغة الفينيقيـة وأنه لو حدث شيء من ذلك لربما ساعد على فهم لغة هذه النقوش.

هذا وإلى جنب اللغة الفينيقية واللاتينيـة اللتين استعملتا في الاقليم كن هناك اللغة الاغريقـية والتي ربما كانت مسـتعملة كلغـة حديث في المناطق السـاحلية خـاصة المدن التي يوجد بهـا نشاط اقتصادي حـيث الموانى البحرية (لبدة - أويـا - صبراته). وهذا واضح مما ذكره الشـاعر الروماني سيليـوس الايطالي عندما وصف لغة نسـاء في لبدة الكبرى وقـال انهن يتكلمن لغـة اغريقيـة ولاتينية بلهـجة ركـيكة تبدو غـريبة بالنسـبة للرومان. وبسـبب كثرة المهاجـرين الاغريق وضع السكان أسطورة ذكرها الشـاعر بان لبدة أنشـأها الاغريق[35]. ولا بد وان أويا كانت مثل لبدة يـسكنها اغريق الأمر الذي جعل الشاعـر يصفها بالمسـتعمرة الاغـريقية (Ibid,295). وهيرودوتس هو الآخر أشار إلى انشاء مـستعـمرة في حـوض نهر كنبس (Cynips) (وادي كعام) القـريب من لبدة حوالي عـام 520 ق.م. وقد جرى تدميـر هذه المستعمـرة على يد الليبيين من قـبيلة المكاى (Macae) بمعاونة القرطاجيين.

هذا ومن وجود هذه المسـتعمرة ومـا ذكرته المصادر القديمة وقـرب الاقليم من برقة الاغريقـية يمكننا أن نستنتج ان اللغـة والثقافة الاغـريقية كانت منتـشرة في اقليم المدن الثلاث. وهذا مـا تؤكده النقوش المكتوبة بـثلاث لغات متـحدة أو منفصلة اغريقـية، لاتينية وفينيـقية جديدة والأسماء الواردة في النصـوص الأدبية أو المنقوشة[36]. ويبدو أنه كان هناك ارتباطا وثيقا بين استعمـال اللغة الاغريقية ومهنة الطب ذلك ان الطبيب بونكار مكراسى (Boncar Mcrasi) الذي اتخـذ لنفـسه اسم كـلاوديوس وكـتب نقشـا (IRT 654) بلغات الثلاث اللاتينيـة والاغريقية والفينيقـية وقد يدل هذا ولا شك على ممارسـة الطب الاغـريقي الروماني. كـمـا عثر على نقش آخـر (IRT 655) في نفس المكان الذي عـثر فيـه على نقش الطبـيب مكراسي في لبـدة وقد كـتب بطريقـة مماثلة باللاتينية والاغريقـية والفينيقيـة ويبدو أن صاحبة هذا النـقش هي أم الطبيب المذكور.

(35) Reid J.S. 1913, the municipalities of the Roman Empire, Campridge, 256, 294.
(36) Romanelli, p. 1927, Lepcis Magna, p. 22, n2.

وفي المقبرة الكاثوليكية بالخمس عثر على نقش لشاهد قبر لأحد المفكرين ويدعى دي لارخس (أو لارخس) سجل في هذا النقش احتفاله بعيد الحكمة العالمي[37].

ومن الصعب تحديد أصله نظرا لورود اسم كل من الاسكندرية وكريت في النقش وهو ربما جاء من كريت بسبب العلاقات الادارية التي كانت توحد بين جزيرة مينوس والساحل الافريقي عن طريق قوريني. وآخرون مثل تيموقراطيس (IRT 749) ربما جاء من قوريني واستقر في لبدة الكبرى. وهذا يدل على أن التأثير الثقافي لمستوطنة قوريني الاغريقية على اقليم طرابلس كان كبيرا وقد يرجع ذلك إلى قرب هذين الاقليمين من بعضهما.

وفي مجال الفن نجد أن التأثير الاغريقي واضح ذلك أن الخطة العظيمة لتزيين وتجميل لبدة السفيرية أدت إلى استقرار عدد كبير من العمال الاغريق في هذه المدينة[38].

ان الأدلة النقشية متوفرة وبكثرة حيث يوجد مجموعات كبيرة من النقوش محفورة على قطع من الرخام عثر عليها في الميدان السفيري (Forum) والبازيليكا السفيرية (Basilica) (IRT 799-807). هذه النقوش ولو أنها تتباين بالشكل العام والعمق الا أنها تتشابه في أنها مكتوبة بحروف اغريقية وتحمل اسما واحدا يختصر في بعض الأحيان، وهوكما يبدو اسم العامل الذي قام بعملية نحت تيجان الاعمدة (Capitals) أو قواعدها في الموقع (ibid. 545).

ان دراسة تحليلية للفن اللبدوى تظهر ان أغلبية عمال الرخام شأنهم في ذلك شأن المهندسين المسؤولين عنهم كانوا ولا شك من الشرق بصفة عامة واليونان واتكا بصفة خاصة[39].

أما بالنسبة إلى اللغة الليبية فانه لم يرد ذكر لها عند الكتاب اللتين وربما كان ذلك لعدم أهميتها كما انها لم تستعمل في الكتابات المدونة على العملة حتى تلك التي ضربت في عهد العائلات الحاكمة من أهل البلاد[40] ومع ذلك فقد عثر على العديد من النقوش المكتوبة بهذه اللغة في عدة مناطق من شمال افريقيا خاصة سرته - عنابة ودواخل اقليم طرابلس في مواقع مثل قصر خنافس (وادي شطاف) قصور القارة

(37) Garducci, 1948, Epigraphica 10, 74-80, IRT 690.
(38) Ward -perkins, J. 1954, "Tripolitania and the marble trade", JRS, XLIV : 94.
(39) ibid. 59, 72.
(40) Merighi A. 1940 " storia della Libya", vol. 2.

(وادي غزلان)، عـصر شـديوه وقصـر نقازة (وادي سـوف الجين) وهناك مـجمـوعة أخرى وجدت شمـال بئر بو غراب (على طريق مزدة)[41]. وعلى الرغم من الانتشار الواسع للغة الفـينيقية كلغـة حديث فقد اسـتمر في استعـمال اللغة الليبـية في المناطق الواقعة فـيما وراء خط الحدود الرومـانية، ونظرا لأهميتـها وحيويتـها في المناطق التي تنتـشر فيـها مـضارب القـبائل الليـبية خـاصة في المنطقـة التي تقع خـارج خط الحدود جنوب القلاع الرومـانية الثلاث (بونجيم ، القـريات الغربية ، حصن غـدامس)، فقد عـاشت هذه اللغـة سنين عـديدة خـلال فـتـرة مليـئـة بالأحـداث والاضطرابات التي تعرضت لهـا منطقة شمـال افريقيا وهي لا زالت في شكـل لهجات كمـا هي في لغة الليبيين القاطنين في منطقة الجبل وزوارة في اقليم طرابلس[42].

---

(41) Brogan O. and Smith D.J. GHIRZA, 1984, p. 252.

(42) Gascou, J. "La politique municipale de l'Empire, 1972, p.51; cf. Goodchild, Antiquaries journal, 3à (1950), 135

ملحق خاص ببعض النقوش الواردة في البحث

1- نقش اهدائي للاله أمون براس الحداجية.

2- نقش اهدائي للاله الليبي قرزل (Gurzil) من لبده.

3- نقش من قرزه (IRT 901) .

4- نقش قصر وادي البتر (IRT 889) .

5- بعض من نقوش بئر دريدر (IRT 886 a,b,e,f) .

6- نقش قصر العزيز بوادي مردم (IRT 893) .

نقش اهدائي باللغة الفينيقية الجديدة للاله أمون في رأس الحداجيه (قودشايلد - دراسات ليبية، 1967، 93-96).

عثر ماثيزويزو على هذا النقش عام 901م عند رأس الحداجيه.

وقام بترجمته كليرمونت قانيو ومن بعده ليفى ديلافيدا على النحو التالي:

1- الى الاله امون، هذا التمثال الجميل (؟) (حرفيا : تمثال للاله) وحرم معابده والأروقة المعمدة، التي بنيت واهديت.

2- في سنة بروقنصل افريقيا (حرفيا : أرض الليبيين)، لوكيوس اليوس لاميا، (اقامها) تكصوف بن

3- شاسيدواسانت بن نت مرار ، الذي ينتسب الى أبناء ماسينكو، مع ملحقاتهم، على نفقته.

شرح مفردات النقش:

امن = وتعنى هنا الاله امون وليس (بعل) امون

ماش = تمثال حيث وردت في نقوش أخرى (Cooke G.A. "A text book of north semitic inscriptions", 1903, 158)

شفير = غير معروفة

صت = اسم اشارة للمؤنث والمذكر

وخيرفات = قد تكون صيغة محرفة لعرفات = أروقة معمدة

بنى ويقدس = بنيت واهديت

تحت = وهي تعنى هنا بـرقنصل ولا بد وانهـا تعنى مصطلـح في لغة الادارة وقـد وردت في نقش آخـر من طرابلس (neo punic 27= IRT 319) ويوجـد اختلاف بسـيط بين هذا المصطلح ونظيره في اللغة اللاتينية (tribunica potestate).

رب متنح = رئيس الأركان العامة للجيش

سد لوبيم = أرض الليبيين وهنا تعنى ولاية افريقيا.

بنو ماسينكو = من بنى ماسينكو

بت صاتم = قد تعنى مع ملحقاته أو على نفقته الخاصة.

النقوش الفينيقية الجديدة في اقليم طرابلس :

الالهة الليبي قرزل Gurzil في نقش من طرابلس الرومانية (انظر شكل 2)

في عام 1846 عثر على نقش فنيقي جديد سيـاج مبني دير مسيحي (كنيسة البربر) بطرابلس. وهو في الأصل من مدينة لبدة.

وقد قامت راهبـات هذا الدير بتسليمه إلـى قنصل نايولى في طرابلس الذي سمح للرحـالة الفرنس ف فـرسفـل بأخذ نسـخة عنه حـيث قام الأخـيـر بنشرها في مـجلة الدراسات الآسوية (Fresnel, 1846) ولم يعثر عليه بعد ذلك.

ويتكون النقش من ثلاثة أسطر حـيث اندثر جزء منـه بسبب الاضرار التـي حدثت للحجر الذي كتب عليه.

وقـد جـرت عدة مـحـاولات لتـرجـمتـه (Levy 1846; Levi del.vida,1972). ولم يلاحظ أحـد أن الحروف الأربعـة الأخيـرة تعطى اسم الاله الليبي قـرزل الذي وصـفه الشاعـر اللاتيني كوريبـوس بالاله العظيم المقدس، كـما تحدث عن مـحاربي قـبيلة " لواته" فـوصفـهم بالشـجـاعة والقسـوة وأنهم كـانوا ينشرون الـرعب في الاقليم كله معتمدين على الههم ليحقق لهم النصر. وطبـقا لما ذكره الشاعر فقد قامت هذه القبيلة بالتعاون مع قـبيلة الاستورى (Austurii) بقيادة إتحـاد القبائل الليبـية في ثورة 546 م ضد البزنطيين.

وقد دخلت قـبيلة لواته أرض المعـركة وهي تحـمل صورة تمثل الهـهم قرزل والذي يعتبـرونه ابنا للاله أمون من بقره. وبعد أن هزم الليـبيون وتفرق اتحادهم سـقط جيرنا قائد الاتحـاد ذلك الشيخ العـظيم وكاهن لواته صـريعا على أرض المعـركة عندمـا كان يحاول انـقاذ تمثال الـه لواته قرزل الذي هو على شكل ثور. هذا وقـد استطاع ليـفى ديلافيـدا (1972) قراءة الحروف الأربعـة الأولى من السطر الثاني على أنهـا "ساتور" وهنا نتساءل: هل يعنى هذا التعاقب أن الاله الليـبي قرزل كان يعادل بالاله الروماني ساتون وذلك على الرغم مـن عدم توفر أي دليل آخـر على أن الليبيين كـانوا يعادلون الهتهم.

إن الحروف الـتي تسبق قـرزل يمكن قراءتهـا على أنها تكـملات (Tklat) وهي ربما جاءت من كلمة تكله (Tklah) " نفقه، حساب " (Diso, 1965, 328). أن قراءة م. أ. ليـفي (M.A. levy 1864) للحـروف الثـلاثة الأولى علـى أنهـا تعنى "نذر" تستـحق الاهتمام، عـلى الرغم من أن أشكال حرف الدال في الفينيقـية الجديدة والتي رسـمها فريدريش (Fredrich) لا تبدو منحنية الظهر.

إما بقية النقش فيصعب قراءته. وعليه فإنه يفهم: أن هناك مالا تم إنفاقه كنذر من أجل الاله ساتورن".

وهكذا نرى أن هذا النقش به معلومات هامة وجديدة تتـعلق بالديانة الليبية القديمة وانتشار اللغة الفنيقية في الاقليم واستعمالها في تأدية الشعائر الدينية.

المراجع

Bibliography :

- Fresnel F. 1846, journal asiatique 2: 353-355.
- Friedrich J. and Rollig,W. 1970. phoniziche Grammatik; rome, appended table of scripts.
- Jean,C. and Hoftijzer. 1965. dictionnaire des inscriptions Semitiques de l'ouest. Leiden.
- Levi della Vida G. 1927. Le iscrizionei Neo puniche della Tripolitania. Rivista della Tripolitania 3.
- Levy, M.A. 1864. phonizische studien 2:91-93.
- Lexicon Totius Latinaatis , vol. 5, 1940. Appendix.
- Paul- Wissowa. 1912. Real.- Encyclopadie der Classischen Altertumswissenschaft 7.

نقش - لاتيني من قرزه (- IRT 901 = CIL VIII 10991 Brogan, Smith, Ghirza 1984, 181,263).

عثر على هذا النقش ضمن مجموعة أحجار نقوش قرزه التي كانت موجودة في اسطنبول وقد أخذ عنه Dethier نسخة قبل عام 1873 وكذلك Tissot ثم صوره Reinach . وقد اعتقد البعض ان لغة هذا النقش ليبية ولكن بعد دراسته تبين لنا انه مكتوب باللغة الفينيقية الجديدة وترجمته هي: " نصب للذكرى الذي أقامته فيليثوالاث ابنة ناصف لوالديها الثنين" .

ترجمة مفردات النقش :

1- MEMORIA =M: M قد تكون للكلمة الفينيقية MSBT = نصب أو شاهد قبر (IRT. 828) . (30 !CIS 159; 778; DISO, p. 164 n).

MEMORIA : وهي كلمة لاتينية تعني ذكرى.

MV: أداة وصل = التي وقد وردت في نقوش أخرى من اقليم طرابلس (IRT 828, 873, 877).

2- FELYTHVALATH : اسم وقد ورد في نقوش أخرى بصيغ مختلفة (Bartoccini,Al 1,1927,232).

3- BYTH : ابنة وهي صيغة محرفة عن الكلمة الفينيقية بت = ابنة وقد وردت في نقوش أخرى عثر عليها في اقليم طرابلس (IRT = CIL VII 16, Garbini, LA 12, 1982; 19,20, 655).

3/ + - NASIF : اسم ورد في نقوش أخرى من اقليم طرابلس (IRT 886f).

4- MV= التي

FELA: FELA= اقامت وهي تصريف للفعل FEL= أقام

5- LY BYTHIA : LY = ل (من أجل)

BYTHIA : BYTHIA= والديها.

LISENM : LISENM= للاثنين وقد وردت في نفس آخر من اقليم طرابلس (Bartoccini, Al, 1927, 232

(Kra hmalkov, MOS, 1976, 57-64).

نقش قصر وادى البئر (TRT.889) .

عثر على هذا النقش فوق مدخل باب قصر وادي البئر قرب شيمك في حوض وادي سوف الجين. والآن مودع بمتحف لبده. ويتألف هذا النقش من ثلاثة أسطر كالآتي:

1- فلابيوس داساما وابنه FLABI DASAMA VY BINIM

2- مكرين مالكي الأرض أقاما (هذا) الكنتناريوم

MACRINE FELV CENTE NARI BAL ARS

3- لحراسة وحماية كل المنطقة (حدود مزروعتهما).

SVMAR NAR SABARE SAUN

الترجمة "فلافيوس داساما وإبنه مكرينوس مالكى الأرض من أقاما هذا الكتنا ريوم Centenarium (البيت) لحراسة وحماية جميع حدود أرضهم"

شـرح الـمـفـرادات :

1- داساما DASAMA: م. سينزر (SZYNCER, 1965) قرأ هذا الاسم "Flavi Dasama v binim"، بينما قرأها فاتيوني (Vattioni) : "فلابيوس داساماوبنم" "FLABI DASAMA VY BINIM"

2- مكرين مالكى الأرض أقاما (هذا) الكتناريوم

MACRINE FEL CENTE NARI BALARS

3- لحراسة وحماية كل المنطقة (حدود مزوعتهما)

SVMAR NAR SABARE SAUN

الترجمة " فلافيوس داساما وإنه مكرينوس مالكى الأرض من أقاما هذا الكتناريوم Centenarium (البيت) لحراسة وحماية جميع حدود أرضهم"

شـرح الـمـفـردات :

1- داساماDASAMA: م. سينزر (SZYNCER, 1965) قرأ هذا الاسم "Flavi Dasama v binim"، بينما قرأها فاتيونى (Vattioni): "فلابيوس داساماوينم" "FLABI DASAMA VY BINIM". وحيث أن حرف العطف U=UY، فان كلا القراءتين مقبولة. كراهملكوف (1973) رأى أن الحرفين الأولين من كلمة داساما (DA) كأداة عطف ليبية، إلا أن راية لا يدعمه دليل. ونجد ليفى ديلافيدا (.Levi dei vide, 1967) تبع م. سسينزر في قراءته وترجمته لهذا النقش ووافق قاربينى على ذلك (Garbibi, 1974). وفي الحقيقة أن هناك بعض العائلات الليبية خاصة " البربر" لا زالت تحمل أسماء مشابهة لاسم داساما مثل نيسامو وتسامو ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نقول أن داساما ليس اسما صحيحا.

1- بنم V.V. BINIM= و ويمكن أن تجد تفسيرا لها فيما أورده بونيولوس (Poenulus) في هذه العبارة ALONIM U ALONUTH= باللاتيني = does deagur= الهة والهات (709+5).

BINIM= "إبنه" والاسم هنا في حالة الرفع، والاضافة الأخيرة IM- كانت تضاف إلى الاسم " فقط عندما يكون في حالة الاضافة" (Krahmalkov, 1970).

2- ماكرين MACRINE: اسم = ماكرينوس (MACRINUS)

2- فيلو FELV : " هم أقامو أو صنعوا" اشتقت من الجذر FEL= فعل، صنع والذي نجده في نقش آخر من نقوش طرابلس (IRT 906,1,989,2) =FEL "صنع" (IRT873.2 929, 1, 3,)، =FELA "صنعت" (IRT 826.1/2.3)

2- كينترى CENTENAR= وهو منزل خاص ارتبط اسمه بآسم حصن لمائة جندى الذي كان يسمى بهذا الاسم. إن أثار بعض هذه البيوت لا زالت باقية حتى الآن في منطقة الحدود الطرابلسية (Limes Tripolitanus) . وحصون الكنتوناريا هذه يطلق عليه الليبيون " القصور" وكلمة قصر ربما جاءت من الكملة العربية "قصر" ونجد أيضا الكملة اللاتينية (Castrum) التي تعنى الحصن. وهذه القصور أطلق عليه قود شايلد بيوت المزارع المحصنة (goodchild, 1976).

2- BAL ARS : ليفى ديلافيدا (1976) قال انها تعنى مقاول (Contractor) وفي مكان آخر نجد أنها تعنى فنان (DISO, p. 40) و لكن هذا يبدو غير صحيح لعدة أسباب منها :

أولا : لا يبدو أن فلافيوس داساما أو ابنه كان أمر الوحدة عسكرية أو أميرا (شيخ) مثل تريبونات بئر دريدر (IRT, 886 a,b,d,f).

ثانيا : ان اشتراك أب وابنه في تشييد بيت محصن يدل على أن هذا البيت خاص باالعائلة وانهما اقاما على أرضهما التي يملكانها.

ثالثا : نجد في نفس الفقرة ان هناك بعض ملاك الأراضي في منطقة الحدود بنو بيوتا مشابهة على أرضهم وذلك لحماية سكانها المقيمين فيها = من تعديات الليبيين المقيمين خارج منطقة الحدود (IRT. 8949) ؛ قودشايلد، دراسات ليبية، 1976، 112؛ اولوين بروقان، ليبيا القديمة 13-14 (1983)، 127.

وعليه فان BAL يمكن ترجمتها على انها (مالك) (DISO, p. 40) وARS قد تكون صيغة محرفة لكلمة RS = أرض (DISO, p.25 n47). لذلك فان BAL ARS تترجم (مالكي الأرض والتي تناسب المعنى.

3- SVMR : يحرس (CF. DISO. p. 310) NAR: يبدو انها صيغة محرفة لكلمة NSR الصيغة = يحمى (DISO, p. 185 n24). وعليه فإن شومر ونشر SVMR (W) NSR يحرس ويحمى (RES 20.1).

3- شابار SABARE: قد تكون صيغة محرفة لكلمة الفينيقية SBRT-SBR، التي تعطى معنى "كحل" (DISO, 290. N.22).

3- SAVN: في هوفتزر Hoftizer (DISO, pp.30-35) نجد أن هذه الكلمة تعنى مكان فمثلا:

- سون بيجرت (SAVN BjRr)= حصن بيجرت (DISO,p.35.5) وفي مثال آخر بيسون بيجرت (BSAVN BjRT) = في حصن سوف (DISO,p.30. n.33).

وفي مثال آخر : رب هجل زج سون SAVNز .Z ____ د RB H= آمر حامية سون (DISO p.271, n.12).

في ترجمتي السابقة مشار اليها أعلاه رأيت سون SAVN= ZONE والتي تعنى في اللاتينية وجود حزام أو حد حول أرض المالكين.

نقوش بئر دريدر

النقش (رقم1 ,IRT 886a) (بئر دريدر) 65 قودشايلد، دراسات ليبية 1976 ص 65

ترجمة النقش :

"فلافيوس سيقام بن مكراكوم، سوغون تريبونوس، أمير (أو شيخ قبيلة)، هذا النصب أقامه ماكروس".

الشرح :

بما أن الأسطر الأربع الأولى هي عبارة عن مجموعة من الأسماء فان ترجمتها لا تشكل أية صعوبة والكلمة BN= ابن وهي من الصيغ النادرة في مثل هذه النقوش حيث الصيغ المستعملة هي BVN,BYN,BEN(على سبيل المثال (IRT 892,TRT 886f,IRT 906).

الأسطر 5/ 6 : تريبونوس (Tribunus) وهي في اللغة اللاتينية تعنى شيخ قبيلة، رقيب، قائد عسكري، وهو لقب يطلق على ضابط روماني مخول بسلطة الاشراف على الشؤون الادارية والعسكرية في احد قواطع الحدود الطرابلسية (Limes Tripolitanus).

وتدل أسماء هؤلاء الترابنـة الواردة في النقوش التي عثر عليها في مـقبرة بئر دريدر على أنهم من الأهالي وربما كانوا من بين مشايخ القبائل التي تنتشر مضاربها في منطقة الحدود (IRT. 886 a,b,c,d,e,f, IRT.889, 865; Good child 1976, 68-69,70) وقد امـتدت سلطتهم في منطقة الحـدود هذه لتشمل الاشراف على الشؤون الدينيـة و القضاء (انظر (EL Mayer 1983,86-95, IRT. 886f, 877. و يرى قودشايلـد (1976, 70) أن التربيون كان يشغل وظيفة مساعد أمر قاطع الحدود في منطقة (Praepositus Limitus).

السطر 6/ 7 : بمسير BYMYSIYRIR قرأ ليـفى ديلا فيدا هذه الكلمـة على النحو التالي : BYMYST على أسـاس انها لهـجة أو صـفـة محـرفة لكلمـة MYNSYST= نصب.

أما فاتيونى (Vattioni, 1976, 545) فيرى انها كلمة BYMYFET وقد تبعته بولسيلى (Polselli, 1979) في ذلك ونسبـت كلمة BYMYFET إلى الكلمـة الفـينيـقيـة MPT= الرفعـة والاحترام "digmity" ولكنني أعتقـد انها تقرأ BYMSIYRIR حيث نجد هذه الكلمة تـكرر في نقوش فينيـقيـة على نصب تذكارية أخـرى عثر عليـها في مـوقع بئر دريدر. وقد ظهرت في صور مختلفة على النحو التالي:

1- BYMYSIYRIR (IRT 886a)

2- BMSIR (IRT 886b)

3- SIR (IRT 886d)

4- BYMSIR (IRT 886f)

5- BYMSIYRIR (IRT 886h)

ومن دراستنا لهذه النقوش نلاحظ ان هذا المصطلح بمسير، بمسيرير وسير يكون في بعض الأحـيان مسـبوقـا بكلمة تريبـونوس (Tribunus) ومتـبوعا بـكلمة عين ABAN (IRT 886f). وهذا دفـعنـا إلى الاعـتـقـاد بان مـصطلح Tribunus BMSIR مـعـادل للمـصطلح اللاتيني (Praepositus Limitis) والذي يرد في نقـوش طرابلس الرومـانيـة (انظر : IRT. 880) وكان من واجب البريبوزيستوس ليمـيتس العمل على حماية قاطع الحـدود المكلف بالاشراف عليـه مـثل قصـر ذويب الموجود في منـطقة الزنتـان باقليم طرابلس.

وكانت منطقة حدود طرابلس مقسـمة إلى اثنتى عشـر قاطعا وذلك كمـا جاء في تاريخ الاشـراف (Notitia Dignitatum, occ, 25, 31) ولكن كلمـة (BYMSIR) لم تكن دائما مـسبـوقة بكلمة تـريبونوس (Tribunus) مما جرنا إلى الاعـتقاد بانهـا تعنى نصب (Stele) (الميار 89،1983) غير ان هذا الاقتراح لم يكن مقنعا لعدة أسباب منها :

أولا : اننا نجد في هذه النقوش مصطلحـات أخرى تعنى أننا نجد في هذه النقوش مصطلحات أخـرى تعنى نصب مثل (Cooke 1903, n!58 .) (ABAN)، وارس (ERS) كمـا في بوينولوس (Poen. V. 947) و لا يوجـد ما يدعـو لتكرار كلمة نصب بصـورة متعاقبة في بعض هذه النقوش مثل :

(IRT 886a) BYMYSIYRIR ABAN

(IRT 886f) BYMSIR ABAN

(IRT 886h) BYMYSRIR ABAN

ثانيا : واذا لم ترد كلمة عين ABAN في اي نقش من هذه النقوش نجد كلمة ERS) (IRT. 886b بدلا منها واللتان تعنيان نصب وعليه فلا يوجـد ما يدعو إلى الاعتقاد بان كلمة BYMSIR تعنى نصب.

ثالثا : ان ترجمة BYMSIR ABAN على أنها نصب من لحجر غير مقنعة ولا يوجد ما يسنده.

وعليه يبـدو ان مصطلح BYMYSIRIR, BYMSIR . . . الخ يتكون من كلمتين (أ) = BYM-BM-BYN ابن (قـارون CIS i,1126، هوفـتـزر 1960، 37) . (ب) SIR أو SIYRIR : وهي قد تكون صـيغـة لكلمة sr وهي تعنى أميـر (أو شيخ قـبيلة)، (انظر هوفتزر، 5. 287، CIS؛ CIS i,294.5). وفي العبريـة نجد أن كلمة (SR) تعنى شيخ قبيلة، أمير، حـاكم وكذلك كلمة سيرر (SIYRIR). وقد يؤكد ذلك أنه عندما تدخل احـدى القـبـائل في خـدمـتـهم كـانت توضـع تحت اشـراف ضـبـاط رومـانيين برتبـة Amm.Marc.xxiv.21,35;cod. Theod. xi,30.62;) (Praefecti,Tribuni,decuriones) (St.Austine,epist.199; epist.46; Dig.occ. xxxiv.24. ومثل هؤلاء الضبـاط كان البعض منهم من رجال القبائل الليبية مثل ترابنة بئـر دريدر خاصة مشائخ القبائل الكبيرة التي تنتشر مـضاربها في منطقة الحدود قـرب أعالى وادي سوف الجين مثل قبائل مـيزيركار

وميكنى وبابار الواردة أسـماؤها في هذه النقوش (IRT. 886b, 886f, 886h). ونجد أن قبائل غدامس عندما تغير وضعها من قبائل مسالمة (Pactae) الى قبائل حليفة foedera-tae اطلق على مشائخهم أمراء (Princepes) أو صغار الملوك (reguli) وعلى الرغم من أن ألقابهم كانت وراثية الا أنهم كانوا يعـينون من قبل الحكومة الرومانية (قارن Tacit-us, Annals, iv; Plotemy, 1,8,5,1,10,2; Procop., Buildings, iv, 3, wars, iv, 7). وحيث ان هذا اللقب وراثي فعادة ما يحمله الابن الأكـبر لشيخ القبيلة (princips) والذي ربما كان يطلق عليه لقب أمير (BMSIR) = (BYMSIYRIR) = ابن الأمير. وعندما يخلف والده يبدو أنه يستمر في الاحتفاظ بهذا اللقب BMSIR.

وفي هذه النقوش نجد ان مصطلح BYMSIRIR, SIR قد استخدمها بنفس الطريقة:

(أ) – ما سـيقـاما بن إزاكوتريبـونوس أميـر (أو شيخ) MASICAMA BYN ISHV TRIBUNUS SIRB (IRT 886d)

(ب) – جوليـوس نصيف تريبـونوس، أمير (أو ابن أمـير) JULIUS NASIF. TRI-BUNUS BMSIR (IRT.886f) وقد يدل هذا علـى أن مصطلح BYMYSIYRIR, SIR= "أمير" أو "ابن الأمير".

وتدل نقوش بئر دريدر (IRT. 886b) على أنه قد يتم تـنصيب شيخ القـبيلة كأمـير حتى ولو لم يعين كـزيبونوس (Tribubus). غيـر أن هناك احتـمالا بتخـويله سلطات التريبون.

السطر 8: عبر = حجر (ABAN) (cooke 1903, 142)

السطر 8/ 9: -VSEB مـشتـقة من كـلمة نصب، أقـام، رفع (levi della vida, 1963a, 90 n° 49).

النقش رقم 2(= IRT 886b) (بئر دريدر) قودشايلد، دراسات ليبية 1976، 65.

ترجـمـة الـنـقـش:

"يوليوس مـاسثوالول بن كـرديدرى، الأمير (أو الشـيخ) النبيل المحتـد، (الحائز) على جـمـيع الفضـائل، من قـبـيلة (أو: عائلـة) مزيروخـان رئيس الشـؤون الادارية والقضائية، أقام له هذا النصب مكائيل".

الأسطر 1-4: عبارة عن مجموعة من الأسماء.

الأسطر 4/5: BMSIR= أمير (أو شيخ).

الأسطر 5/6: BL:BL SAMEIVV= سيد، زعيم (هوفترز، 1960، 40). SA-NEM= (أوSEM) (IRT.886f)؛ وردت في بوينولوس في صيغة سام (Poenulus, v. 1006) وهذه كلها صيغ محرفة عن SM الفينيقية والتي تعنى سام أو رفيع وكذلك وردت في بوينولوس (Poen.v. 1006) بمعنى رجل كامل (SAM = IS) (Sznycer 1967,142). وفي اللغة العربية رجل سام = رجل رفيع المقام. وفي النقوش اللاتينية وردت في صيغة سامو BAL SAMO = الفينيقية BL SM (CIL. 1,2407).

الأسطر 6/7: SABA/RE: هذه الحروف تقرأ ككلمة واحدة SABARE حيث وردت في نقوش فينيقية أخرى عثر عليها في طرابلس الرومانية (IRT. 886e, 889). SBRT =SBR (El Mayer, 1983, 91) حيث تعنى " كل" أو "جميع" (هوفترز 1960، 90 رقم 22).

الأسطر 7/8: MASDYTH: قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية MST "ميزه" (هو فترز 1960، 163 رقم 9)، وقد وردت في نقش فينيقي آخر من طرابلس M' S' (IRT. 318).

الأسطر 8/9: LE MISAIERVCHAN : الاداة LE اتخذت صيغ مختلفة (LI, LY, LU) خلال حقب زمنية مختلفة حيث تغيرت من LI كما في بوينولوس (Poen. v. 932) إلى LU التي استخدمت في العبرية وردت في صيغة LUL=" من" كما في (IRT.886h) "LVL BABAR". ويمكن استخدام LVL بدلا من بن (BYN) مثل بن صديق "byn sdq"، وهي تعنى " من أسرة أو قبيلة بن صديق (Levi della Vida 1963b) بن مكنى : IRT.886f)Mycnei). والصيغة الفينيقية LUL تستخدم في العربية في الصيغة LYL= LEL= لل = من، يخص = للعائلة ، للأولاد.

السطر 10: DNI: من الواضح انها منسوخة من كلمة DNY الفينيقية والتي وردت في بوينولوس في صيغة DNNI (Poen.v.998,1001) وترجمتها سيد (Master) (Sznycer, op. cit. 141) وهنا تعنى رئيس.

وقد وردت في نقش آخر DNY = رئيس (CIS 1,121.2).

الأسطر 10/ 11 : MSARASTHIE: وهي صيغة محرفة للكلمة الفينيقية Msrt= خدمة (أو ادارة) خاصة رعاية الشؤون والمؤسسات الدينية (هوفتزر، 196، 170، رقم 40).

الأسطر 11/ 12 : VY MYSORTHIM : وهي عبارة عن حرف عطف = و (Poenulus, v. 930). MYSORTHIM= قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية MYSRT= عدل، قضاء (Poen.v. 935؛ هو فتزر 1960، 150) ونجد أنها تتكر في نقوش فينيقية من بئر دريدر (IRT. 886e; 886f).

السطر 13 : MCHYL: اسم (Cooke, 1903, 76 n!25,).

السطر 14 : ERSS: ربما كانت صيغة محرفة للكلمة ERS = نصب تذكاري جنائزي (Poen.v. 917).

الأسطر 14/ 15 : V (SEB) : تعني أقسام رفع، "نصب" (Levi dela vida, 1963a,90. n!49,) وهي هنا تعنى "قد أقيمت".

قودشايلد دراسات ليبية 1976، 76

النقش رقم 5 (=IRT, 886e- بئر دريدر)

ترجمة النقش:

" جوليوس ابتواتيف ميزركار بن امرر بن كرديدرى، أمير (أو : ابن أمير) النبيل المحدد (أو : الحائز على جميع الفضائل) من قبيلة (أو : عائلة) ميزيرو خان، رئيس الادارة والقضاء. . . الرجل الذي. . . باركه الرب.

أقام (هذا) النصب ماخروس بن روقاتوس".

السطر 1 : هذا الاسم يتكرر في نقوش أخرى عثر عليها في موقع بئر دريدر (IRT. 886b; TRT. 886f).

السطر 2/ 3 : IBITUATIF: سم.

السطر 3/ 4 : MISI: هذه الأربعة حروف قد تكون جزءا من اسم MISIRKAR وهو يظهر في صور مختلفة في نقوش أخرى وجدت في موقع بريفلجيرى قرب سيدى على بن زايد (MASIERIKAR, IRT. 887a).

السطر 4/ 5: AM : هذان الحرفان قد يكونان جزءا من اسم Amrr والذي تكرر في صيغة YMRR في نقش فينيقي من وادي العمود في منطقة الحدود الطرابلسية Limes Tripolitanus (Levi della vida, 1964, Tripol.38.2-60-57).

السطر 5/ 6: CHYDIDRY اسم.

السطر 6/ 7: BYMSIYRIR : = أمير (انظر أعلاه).

السطر 8: عين (ABAN) وهي تعنى نصب تذكاري جنائزي.

السطر 8/ 9: BA- ربما تكون الجزء الأول من كلمة BAL= رئيس أو رجل (هو فتزر (Poen.v. 1027, 40, 1960) والصفة اللاحقة له SM= سام، رفيع وعظيم (Poenulus, v. 1006, 1027).

السطر 9: ARE : يبدو أن هذه الحروف الثلاثة هي الجزء الأخير من كلمة SA-BARE وقد وردت نقوش فينيقية أخرى عثر عليها في منطقة الحدود الطرابلسية (IRT, 886b, 889) وهي قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية SBR (El Mayer 1983, 91) وهي تعنى "كل" (هوفتزر 1960، 290، رقم 22).

السطر 10/ 11: MASADYTH: ربما تكون صيغة محرفة للكلمة MS = فضيلة (هوفتزر 1960، 163 رقم 9= Tripol. 32.6) وظهرت في نقش فينيقي آخر (IRT 886b).

السطر 11/ 12/ 13 : LE MISAIERVCHAN : LE + MISAIERVCHAN = من + "قبيلة" (أو : عائلة) ميزيروكان (انظر IRT. 886b).

السطر 13 : DNI: وهي الكلمة الفينيقية DONNI كما وردت في بوينولوس (Poen.v. 898) وتعنى رئيس وقد جاءت في نقش فينيقي آخر (IRT 886b).

السطر 13/ 14/ 15 : MSARASTHIE: ويبدو أنها صيغة محرفة لكلمة MSRT الفينيقية = ادارة (هوفتزر 1960، 171، رقم 40) وقد وردت في نقش فينيقي آخر (IRT. 886b).

السطر 15/ 16 : VYMYSORTH : VY + MYSORTH= و+ العدل.

الأسطر 16/ 17/ 18 : SY YS:YS = "رجل" (Poenunus,v. 935) SY= ضمير وصل (= الذي، التي) (Poen.v. 935).

BARRECILIM : تتكون من مقطعين BARREC.ILIM+ BARREC: مشتقة من
=BRK "يبارك" (قارن Poen.v. 931, Hoftzer, 1960, 44).

ILIM =elim= "اله" (Levi della vida, 1927,92-93 = 349a). وعليه فهي تعطى
المعنى " باركه الرب".

السطر 19 : VSEB= "أقام"، "نصب" (Levi della vida, 1963a, 90 n !49)

السطر 19 : SYLO: SYLO= له (Poen.v. 933 n Cooke, 1903, 220! 6, 80).

السطر 20: MACHRVS : Machrus: سم (انظر IRT. 869).

السطر 21: BEN ROGATE : ben:ben Rogatus = ابن. Rogatus- اسم ورد في
نقش آخر من طرابلس الرومانية (Levi della vida,1963a,83;1927, 108) .

النقش رقم 6 (TRT. 886f= بئر دريدر).

قودشايلد (دراسات ليبية 1976، 67).

ترجمة النقش:

"جوليوس نصيف تريبونوس أمير (أو شيخ) بن جيهان ريركان رئيس الادارة
والقضاء، السيد النبيل المحتد المقاتل العظيم بن مكنى المحاربة بن عبد اشمون العظيم
عاش سنة".

السطر 1 : JULIUS NASIF- اسم.

السطر 1/ 2: BYMSIR ABAN :BYMSIR = أمير (أو شيخ قبيلة) (انظر أعلاه).

ABAN= نصب (انظر أعلاه نقش رقم 1).

السطر 3/ 4/ 5: ابن جيهان ريركان : اسم.

السطر 5/ 6: BAL= رئيس MSARASTHIE - من الواضح ان THI هي جزء من
الكلمة MSARATHIE والتي هي بدون شك صفة محرفة عن كلمة MSRT- "ادارة"
(أو: خدمة) (انظر هوفتزر 1960، 171 رقم 40).

السطر 6/ 7: VY MYSYRTHIM:VY= و (Poen.v. 930) MYSYRTHỊM= عدالة
(Poen.v. 933; Vattieni, 1976).

السطر 7: BALوهي تعنى "رئيس" و"سيد" (CIS i,122؛ هوفتزر 1965، 40)

SEM(أو : SAM,SANEM) - كـمـا ورد فـي بوينولوس (Poen.v.1006, 1007) فان جميع هذه الصيغ محرفة عن كلمة SM- "سام"، "رفيع الشان" (المرجع نفسه؛ هوفـتــزر، 1965، 306). سنـزر (142، 1967) ترجم IS SAM التي جــاءت في بوينولوس (Poen.v. 1006) على أنها تعـنى "رجل كامل" (Homme parfait). وأيضا في العربيـة كلمة سام تعنى السـمو وعلو النفس. وفي النقوش اللاتينيـة نجد ان BAL SAMO = الفـينيقـية BLSM (CIL,2407). -RM : "عظيم" أو "بارز" (انظر SMM RMM) (في هوفتزر، مرجع سابق 280 رقم 32).

Ben Mycnei: BEN MYCNEI = اسم القبيلة أو العشيرة.

السطر8: SABSI: "جبس" أو "جندي" (Vattioni,1976, 547).

السطر 8/ 9: BEN MYCNEI: من عائلة أو قـبيلة مكنى - مـثل بن صديق BEN SDQ من قبـيلة أو عائلـة صديق كمـا جاء في نقش آخـر انظر (Levi della vida 1933, 468-469).

ان اسم قبـيلة ميكنى قـد يكون مشـتقا من اسم قـبيلة المكاى الليـبيـة التي شاركت القـرطاجـيين في طرد الاغـريق من وادي كـعام الذي كـان يسـمى في القـديم بنهـر "كنبس" "Kinps" حسبما يذكر هيرودوتس (v. 42).

السطر 9: Sabsy:SABSY= قد تصف هذه الكلمة أفـراد هذه القبيلة لما أبدوه أثناء خدمتهم العسكرية أو لحبهم للقتال وهم لا شك قد ورثوا ذلك عن أسلافهم الجرمنت والنامونيس الذين اشتـهروا بعدوانيتهم ومهـاجمتهم المستمرة لمعـاقل الغزاة من رومان ووندال شأنهـم في ذلك شأن القبـائل التي عاشت في نفس المنطقة في فتـرة متـأخرة حـيث نجـد الشاعـر اللاتيني كـوريبـوس Corippus يصف المحـاربين من قـبيلة هواره (Johannidos Ilagaus) (109 .2) بالقـسـوة والشـجـاعـة والذين أشـاعـوا الرعب في الاقليم كله مـعـتـمدين علـى بركات الهـهم قـرزل GURZIL في تحـقيق النصـر على أعـدائهم البـزنطيين خلال ثـورتهم عام 346م (انظر عـبـد الحـفيظ الميـار 1982). :V FATHSY: - و (Poen. v. 930).

FATHSY قد تكون صيغة محرفة لكلمة FHST = "ساحق" أو "قوي، مدمر" (انظر هوفتزر، 40. 226).

السطر9/ 10: (MUN) BEN AABS :BEN= ابن، AASMUN= Abd-ESMUN= عبد، اشمون - اسم.

السطر 10: ROSA: قد تكون مشتقة من الجذر RS= راس = وهي تعنى العظمة والرفعة (هوفتزر، مرجع سابق 283 رقم 15).

السطر 11/ 10: وهي عند هوفتزر (المرجع السابق ,163 n!2+) تعنى "قضى وقتا" وهي تعنى هنا "عاش" (انظر POLSELLI, 1979, 41)

السطر 11: (SAN) قد تعنى سنة... " والباقي غير واضح.

نقش قصر العزيز - وادي مردم (جنوب طرابلس) (CIL 8. 22664 = IRT. 893) (شكل 9). عثر على هذا النقش في قصر العزيز بوادي مردم في منطقة الحدود الطرابلسية الرومانية قام بالمحاولة الأولى لترجمة هذا النقش ليفى ديلا فيدا (A2,(1963),900) AUG.16 الذين أقر الصعوبة ترجمته. وأخيرا نشرت أولوين بروفان (LA 13-14) صورة واضحة لهذا النقش. وعليه نقترح أن تكون قراءة وترجمة النقش على النحو التالي:

1- VATIBAZCCFE

2- LNDRIITLDBI

3- AEMVLYBAIAE

4- BVNIODOSILIM

5- SEBIDITAMVSISAN

6- SILVAN USATIVXE

7- BCALAMDASMEN

8- VARIATZICAVRAM

الـتـرجـمـة:

"ويوا شـبـعـوص قـدم هذا القـربان لوالـده ولابنه عـبـد سليم، وأقـام شـيـشـان سيلوانوس هذه الأعمدة الثمانية والأروقة المعمدة التذكارية".

الـشـرح:

السطر 1: VIVA، اسم وقد تكرر في نقش آخر من طرابلس (IRT. 892.1)

السطر 1: SIBAVS، اسم.

السطر 1/ 2: FEL = أقام، عمل. هذا الفـعل، هو عبارة عن ترجمة حرفـية لفعل (P>L) (DISO,pp.231-32) وقـــد ورد فـي عـــدة نقـــوش مـن طرابـلس (IRT. 929.1,3;873.2;877.2).

السطر 2: NDR= "نذر" أو "قربان" (DISO 1965, 175 n!20).

الـسـطـر 2/ 3: LOBVHEM: L= ل، من أجـل (Levi della vida 1963,p. 78, DISO, 1965, 131). وقد وردت في نقش فينيـقي جديد - لاتيني من دواخل طرابلس (IRT. 826.1;828; Reynolds, 1955, 141).

OBVHEM : OBVHEM = "والده" تكررت في نسخ مختلفة في نقوش فينيـقية أخرى مـثل (OBVHYM) (IRT.828.1/2). كـراهملكوف (JSS 15,1970, 184) بين ان صيغة الاسم AB= اب في الفينيقية يظهر فيها الحرف المتحرك الطويل [U-]. كما في (ABUHOM) في اللغة الارمـية. ونضـيـف هنا أيضا كـما في العربيـة (أبوهم). وهنا اللاحقة الدالة على الملكية (em-) في (ABUHEM) تشبه (IM-)، في BINIM- ابنه. (انظر Poen.v. 936; IRT. 889.1)

وهكذا تترجم LOBUHEM= "والده" مثل L'MM "لامه" (CIS 1,151.5).

السطر 3: VIY : VIY= لاجل (ل) (Poen.v.930,938) وهي تتكرر في نقـــوش أخرى فينيقية جديدة - لاتينية (IRT.827.1 866.2;906.2).

السطر 3/ 4: BANEM= ابنه، وهي عبارة عن نسخـة مختلفة من BINIM "ابنه" (Poen.v. 936; IRT. 889.1).

السطر 4: BVNI: ليفي ديلافيدا (74,1963؟) قرأ هذه الكلمة على أنها BVNY "بنى" كما في (IRT.906) الا أن هذا يحتاج إلى اعادة نظر.

واعتقد فاتيوني (552,1976) انها تعني "ابنى" الا أنها لا تتسق مع المعنى العام للنص حيث ان مقدم الاهداء شخص ثالث. وهذا ربما يؤكده حقيقة ان البناءون في العادة يذكرون في الشواهد الجنائزية والاهداءات الفينيقية (Levi della vida, ibid.).

السطر 4: ABDSILIM= اسم مثل عبد ملكارت ورد في نقوش أخرى من طرابلس (IRT.246). ABD= خدم (DISO, 1965, 201).

ILIM= "الهى، مقدس" تكررت في نسخ مختلفة مثل ALM(IRT.349) وLM (IRT.318). وفي العربية ALIM= "اسم الاله". ويرد في النقوش الفينيقية الجديدة التي عثر عليها في طرابلس أسماء أخرى مثل:

MYTHUNILIM (IRT.873)

MUTHUNBAL (CIL 8, 1677b)

MUTHUMBAL (CIL 8, 1729b;IRT.294)

وهي صور مختلفة لكلمة MUTHUNBAL والتي وردت في نقوش فينيقية جديدة من طرابلس (RIV.TRIP.3, p. 111= IRT.294) وهي تعنى "عطية الله" وبالمثل NASI-LIM التي تعنى "قربان للرب" كما جاءت في نقش عثر عليه في حرم عين تونقا في تونس (CIL 8, 14950,14987,15078).

السطر 5: SE= ضمير وصل وهي تعنى الذي في حالة النصب (Sznycer, 1967, 127).

السطر 5: BVDقد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية BODI كما جاءت في بوينولوس (Poen.v, 939) والتي تعنى "بينما أنا". وفي اللغة العبرية نجد AD "نيابة عن" و لكننا نعتقد أنها تعنى "بواسطة" التي تناسب المعنى (قارن Szncer 1967, 101,108).

السطر 5: TM قد تكون مشتقة من جذر الفعل يتمم (DISO,1965,331,339)، ففي بوينولس نجد كلمة YTHMVM = يتمم (v.931).

السـطر 5: V: V SYSAN + V,SYSAN= و (Poen.v. 930). SYSAN= اسم ورد في نقش فينيقي جديد - لاتيني آخر من اقليم طرابلس (Renolds, 1955, 141).

السطر 6: [vs] ILVAN [s] ربما SILVANVS، وهو اسم لشـخص ورد في نقش فينيقي جديد- لاتيني من طرابلس (IRT. 338; 715).

الأسطر 6/ 7: VXEV صيغة محرفـة لفعل نصـب = أقام - شيد (Levi della vida. 1963, 90, n° 49).

السـطر 7: CAL= "كل" (DISO,1965,118,14= NP.32.9-IRT.318) ونجـــد في بويونولوس CHL= "كل" (v. 945).

السطر 7: ST= "هذه" (Poen.v. 930,937).

السطر 8: V ARIAT : V= و، ARIAT= قد تكون صيغة محرفة لكلمة - ARFAT رواق معمد (16!NP.13.2;IRT.p.12; DISO, 1965,222,n).

السطر 8: SICAVRAN = زكـرن = سكرن الفـينيـقيـة = للذكـرى (DISO,1965,78) وعليـه فان ARFAT SICAVRAN مثل MSBT SKR= شـاهد قبـر للذكرى (CIS 1,116.1).

المراجع الخاصة بالنقوش الفينيقية الجديدة الواردة في البحث

Bbliography

- Bartoccini, R. 1927. Africa Italiana 1: 232-236.
- Beguinot,F. 1949. Di alcune iscrizioni in caratteri latini e in lingua sconosciuta, trovante in Tripolitania. Rivista degli Studi Orientalia XXIV: 14-19.
- CIL. Corpus Inscriptionem Latinarum.
- CIS. Corpus Incriptionem Semitricarum.
- Cooke,G.A. 1903. A Text Book of North-Semitic Inscriptios. Oxford.
- di Vita, A. 1964. Il limes romano di Tripolitania nella sua concretezza archeologien e nella sua storien, Elmayer, A.F. 1983. The Reiterpretation of Latino-Punie inscriptions from Roman Tripolitania. Lybyan Studies 14: 85-95.
- Freidrich, J. 1970. Phonizische grammatik. Rome.
- Garbini, G. 1975. Dieci anni di epigraphia punica nel Magreb (1965-1974). Studi Magrebini 6: 1-13.
- Goodchild, R.G. 1950. The Latino-Libyan inscriptions of Tripolitania. Antiquaries Journal 30: 135-144.
- Goodchild, R.G. 1951. Roman sites of the Tarhuna plateau of Tripolitania. Papers of the British School at Rome 19: 43-77.
- Goodchild, R.G. 1954; la necropoli Romano-Libica di Bir Ed-Dreder. Quaderni di Archeologica della Libia 3: 91-107.
- Goodchild, R.G. 1976. Libyan Studies: Selected Papers of the Late R.G. Goodchild (Edited by J.M. Reynolds), London, Elek.
- Gratwick, A.S. 1971. Hanno's Punic speech in the Poenulus of Plaubus. hermes 99: 24-45.
- Hoftijzer, Ch. F.J. 1960. Dictionnaire des Inscriptions Semitiques de l'Ouest. Leiden. IRT. See reynolds and Ward-Perkins 1952.
- Krahmalkov, C.R. 1970. Studies in Phoenician and Punic grammar. Journal of Semitic Studies 15: 185-188.
- Krahmalkov, C.R. 1972. Comments of the vocalisation of the suffix of pronoun of the third feminine singular in Phoenician and Punic. Journal of Semitic Studies 17: 73-74.
- Krahmalkov, C.R. 1973. A reinterpretation of the Neo-Punic inscription IRT 889 from Tripolitania. Journal of the American Oriental Society 93: 61-64.
- Krahmalkov, C.R. 1976. A neopunic shaft tomb inscription from Roman Tripolitania. Michigan Oriental Studies: 57-63.
- Levi della Vida, G. 1927. le inscrizioni neopuniche della Tripolitania. Rivista della Tripolitania 3: 91-116.

- Levi della Vida, G. 1949. le inscrizioni neopuniche della Tripolitania. Rendiconti della Accademia Nazionali dei Lincei 8,4: 399-412.

- Levi della Vida, G. 1951. The Neo-Punic dedication of the Ammonium al Ras el-Haddagia. Papers of the British Schoole at Rome 19: 65-68.

- Levi della Vida, G. 1963a. Le inscrizioni neopuniche della Tripolitania. Oriens Antiquus 2: 3-94.

- Levi della Vida, G. 1963b. Le inscrizioni neopuniche della Tripolitania. Rendiconti della Accademia Nazionali dei Lincei 8, 18: 407-410.

- Levi della Vida, G. 1964; Le inscrizioni neopuniche di wadi el-Amud. Libya Antiqua 1: 57-63.

- Levi della Vida, G. 1967. le inscrizioni neopuniche della Tripolitania. Annali dell'Instituto Orientale di Napoli 17: 257-259.

- Polselli, G.C. 1976. Atti del'l Convegno Italiano sul vicino oriente antico. Coll. XIII, Roma (22-25 Aprille, 1976): 231-41.

- Polselli, G.C. 1979. A proposite di alcune iscrizioni Latino-puniche. Studi Magrebini 11: 37-49.

- Reynolds, J.M. 1955. Inscriptions of Roman Tripolitania: a supplement. papers of the British Schoole at Rome 23: 124-47.

- Reynolds, J.M. and Brogan, O. 1960. Seven new inscriptions from Tripolitania. Papers of the British school at Rome 28: 51-54.

- Reynolds, J.M. and Ward-Perkins, J.B. 1952. Inscriptions of Roman Tripolitania. Rome and London (=IRT).

- Schroder,P. 1869. Punischest texte poenulus dans die phonizische sprache, Hale.

- Sznycer,M. 1965. Groupe Linguistique d'Etude Chamito-Semitiques Comptes rendus 10-37-55.

- Sznycer, M. 1967. Les passagers Puniques en Transcription Latine dans le Poenulus de Plaute. Paris.

- Vattioni,F. 1966. Annali del' Universita di Napoli 16: 39-41.

- Vattioni, F. 1971. Excerta aramaica, Frustula epigraphica II. Epigraphica Aramaica 11: 173-90.

- Vattioni, F. 1976. Glosse Puniche. Augustinianum 16: 536-566.

مقــررات

مؤتمر الآثاريين العرب الثالث عشر

(6-12 جمادي الأولى 1416هـ / 1-7 أكتوبر 1995 ميلادي)

طرابلس - الجماهيرية العظمى

متابعة للسنة الحميدة التي درجت عليها مؤتمرات الآثار في الوطن العربي في الحرص على انتظام عقد دوراتها، وتلبية لدعوة كريمة تفضلت الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى بتوجيهها إلى الدول العربية، احتضنت مدينة طرابلس المؤتمر الثالث عشر للأثاريين العرب الذي انعقد بتعاون وثيق بين إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومصلحة الآثار في الجماهيرية خلال الفترة 6-12 جمادي الأولى 1416هـ/ 1-7 أكتوبر 1995 ميلادي.

استجابت لحضور المؤتمر المذكور (15) خمس عشرة دولة عربية، وحضرته (11) إحدى عشرة دولة منها، في حين تعذر على باقي الدول حضور المؤتمر، وقد مثلت هذه الدول وفود من المتخصصين في مجال الآثار، وتحديدا في الموضوعين الرئيسيين للمؤتمر حيث قدمت هذه الوفود دراسات قيمة ساهمت بفعالية ونجاعة في المناقشات التي دارت خلال جلساته. (انظر قائمة الدول والوفود المشاركة).

تم افتتاح المؤتمر في قاعة الاجتماعات بالفندق الكبير بطرابلس من طرف الأستاذة فوزية بشير شلابي، أمينة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتعبئة الجماهيرية، والأخ الأستاذ محمد الميلي، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبحضور الأخ م. البخاري حودة، أمين اللجنة الشعبية العامة للسياحة وثلة من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي ورجال الصحافة والإعلام والمثقفين والمفكرين العرب وخبراء الآثار.

وقد ألقت الأخت أمينة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتعبئة الجماهيرية كلمة في الجلسة الإفتتاحية رحبت في مستهلها بالوفود المشاركة في فعاليات هذا المؤتمر من أساتذة وخبراء ومهتمين بالآثار والتراث الحضاري بالوطن العربي من مختلف أنحاء الوطن العربي رغم المشاق والمتاعب التي واجهتهم من جراء الإجراءات الظالمة المفروضة على الجماهيرية العظمى والتي كانت سببا في عدم وصولهم في الموعد المحدد..

وقالت الأخت الأمينة في كلمتها لعل إنعقاد هذا المؤتمر في هذه الأيام بالذات على أرض الجماهيرية العظمى إذ يتزامن مع إحتفالاتنا بالعيد السادس والعشرين لثورة الفاتح العظيم يجعلنا نؤكد وبحق أن ما يميز إحتفالات هذا العام هو الجانب الثقافي، فقد احتفلنا خلال الأسبوع الأول من شهر الفاتح بالانتهاء من المرحلة الأولى من مشروع المكتبة القومية المركزية هدية الأخ قائد الثورة للمثقفين والمفكرين العرب، وقد سعدنا بحضور الأخ المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لهذا الحفل واستلامه لمفاتيح هذه المكتبة.

وأشارت الأخت الأمينة إلى أهمية مناقشة المؤتمر لموضوع المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي مشيرة إلى أنه بإمكان المشاركين في هذا المؤتمر الإطلاع على التجارب الحضارية التاريخية التي تؤكد قدرة المواطن العربي على مواصلة دوره الحضاري.

وألقى الأستاذ محمد الميلي، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة في افتتاح المؤتمر عبّر فيها عن الشكر والتقدير للجماهيرية العظمى لاستضافتها أعمال هذا المؤتمر والدعم والمساندة التي تقدمها للمنظمة من أجل أداء دورها بالرغم من الاجراءات الظالمة، موضحا أن هذا المؤتمر يعد من أهم المؤتمرات التي انعقدت على امتداد نحو نصف قرن.

وأضاف أن انعقاد هذا المؤتمر يتزامن مع الذكرى 25 لتأسيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتي احتفلنا بها من خلال الندوات والمعارض التي أقيمت بالمناسبة.

وأضاف أن انعقاد هذا المؤتمر يأتي بعد أن صادق المؤتمر العام للمنظمة على خطة تحديث وتطوير للنهوض بهذا المجال بمشاركة الخبراء والأساتذة المتخصصين في مجال الآثار من مختلف بلدان الوطن العربي.

وتمنى في ختام كلمته النجاح والتوفيق لأعمال المؤتمر.

ألقى بعدها الدكتور فهد عبد الرحمن الوهيبي مدير إدارة الآثار والمتاحف بالكويت كلمة أوضح فيها أهمية انعقاد هذا المؤتمر للتباحث في شؤون الآثاريين العرب، والعمل على إرجاع الآثار العربية التي نهبت ودمرت خلال المراحل التاريخية المختلفة.

وطالب في كلمته البلدان العربية بالتضامن لاعادة الممتلكات الأثرية والقطع والنقوش التي يزخر بها وطننا العربي والتي تعرضت للنهب والسرقة لإرجاعها إلى المتاحف العربية.

وألقى الدكتور فوزي إبراهيم زيادين مساعد المدير العام لدائرة الآثار بالأردن كلمة في الجلسة الإفتتاحية شكر فيها الجماهيرية العظمى لاستضافتها أعمال المؤتمر وقال اسمحوا لي بنقل تحيات الشعب الأردني إلى الشعب العربي الليبي وقائد ثورته.

وأضاف أن الأمة العربية تواجه تحديا ثقافيا من مختلف الدوائر في محاولة استعمارية للنيل من النهضة الثقافية التي تزخر بها الأمة العربية.

وأشاد بصلابة الشعب العربي الليبي وقوة عزيمته في مواجهة الصعاب ومقاومة الغزو الايطالي بعزيمة الإيمان القوي وقال لقد قاوم الاستعمار وبرز من بين صفوفه المجاهد عمر المختار الرمز المهم في الجهاد ضد الاستعمار.

وأشاد في كلمته بمجمع المتاحف بطرابلس موضحا بأنه مجمع ثقافي هام يبرز معالم الجماهيرية العظمى التاريخية.

وقدم الأخ رئيس مصلحة الآثار في الجلسة درعا يحمل شعار المؤتمر ومصلحة الآثار بالجماهيرية العظمى إلى الأستاذ محمد الميلي، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وخلال الجلسة الاجرائية تم انتخاب مكتب جديد للمؤتمر من السادة:

* الأستاذ علي إمحمد الخضوري (رئيس وفد الجماهيرية) رئيسا للمؤتمر
* الأستاذ ناصر حسين العبودي (رئيس وفد دولة الإمارات) مقررا عاما

وعضوية كل من السادة:

* الدكتور فهد عبد الرحمن الوهيبي (رئيس وفد دولة الكويت)
* الدكتور محمد المنجي النيفر (رئيس وفد الجمهورية التونسية)
* الدكتور فوزي زيادين (رئيس وفد المملكة الأردنية الهاشمية)
* الدكتور محمد عبد الحليم رزق (رئيس وفد جمهورية مصر العربية)

ثم عقد المؤتمر بعدئذ جلساته وفق (جدول الأعمال المرفق) واستمع إلى كل الدراسات والبحوث المقدمة وناقش القضايا المطروحة في جدول أعماله التالي:

1) في مجال المنشآت المائية التاريخية.

2) في مجال الرسوم والنقائش الصخرية.

3) مشروع النظام الأساسي لإتحاد الأثريين العرب.

4) المشروعات المقترحة على المنظمة للدورة (97-98).

5) توصيات عامة.

6) ملاحظات حول التصور المستقبلي.

وقد توصل المجتمعون إلى التوصيات التالية:

الموضوعان العلميان للمؤتمر

1 ـ المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي:

1- المحافظة على المنشآت المائية القديمة بتوثيقها وبالمخططات والصور ثم تسجيلها ضمن التراث الوطني واثباتها على الخرائط والمخططات الحضرية الحديثة.

2- اتخاذ التدابير العملية لصيانة هذه المنشآت وترميمها ودراستها ثم توظيفها في مشاريع ثقافية - سياحية تسمح بتمويلها.

3- المحافظة على الموارد المائية وخاصة الحمامات المعدنية وذلك بحماية منابعها من التلوث.

4- تبادل الخبرات والوثائق بين الدول العربية فيما يتعلق بالمنشآت المائية وتنظيم ندوات متخصصة تبحث في المياه العلاجية ونشر دراسات عنها.

2 ـ النقائش والرسوم الصخرية:

1- دعوة المنظمة والدول العربية إلى استحداث مراكز للنقائش والرسوم الصخرية في الدول التي لا تتوفر فيها مثل هذه المراكز، وتطوير المراكز القائمة في الدول العربية الأخرى.

2- دعوة الدول العربية إلى اعداد مسح شامل، وعمل خرائط مفصلة لتحديد أماكن النقائش والرسوم، وتزويد المنظمة بها للقيام بتخزينها في بنك المعلومات لديها لتستفيد منها الدول العربية عند الطلب.

3- دعوة الدول العربية إلى اعطاء الأولوية عند تنفيذ مشروعات خاصة بموضوع النقائش والرسوم إلى الاستفادة من الخبرات العربية وكذلك عند تنفيذ الحفريات المشتركة مع الخبراء الأجانب.

4- دعوة دوائر الآثار في الدول العربية إلى موافاة المنظمة بملاحظاتها حول (معجم ومصطلحات الآثار والتاريخ) فيما يخص النقائش والرسوم الصخرية للاستفادة من ذلك عند اعادة طباعة هذا المعجم.

5- دعوة الدول العربية لاستخدام وتوظيف أشكال وصور النقائش والرسوم الصخرية في مجالات الاعلان والدعاية والتعريف بالتراث الحضاري في المناسبات التي تستوجب ذلك.

3 ـ التصور المستقبلي لعمل المنظمة في مجال التراث الحضاري :

درس المؤتمر التصور المستقبلي لعمل المنظمة في مجال الآثار والتراث الحضاري في ضوء الوثائق المقدمة في هذا الصدد.

وهو يوصي بتنفيذ هذه الخطة المعتمدة من المؤتمر العام للمنظمة ومجلسها التنفيذي.

4 ـ الحفاظ على التراث الحضاري في فلسطين :

1 - التنسيق بين جميع الدول العربية ومنظماتها، وهيئاتها الثقافية بقصد القيام بحملة مضادة للإدعاءات الصهيونية وإبلاغ هذا البيان إلى جميع المؤسسات والمنظمات العالمية المختصة في مجال التاريخ والتراث والحضارة.

2- عقد ندوة علمية حول القدس وأصولها التاريخية العربية.

3- حث الدول الأعضاء على تدعيم مشروع صيانة القدس ومعالمها لتثبيت عروبة القدس والحيلولة دون نجاح العدو الاسرائيلي في مخططاته.

4- المحافظة على المخطوطات الفلسطينية والعمل على دراستها وبالتالي نشرها من قبل أصحابها الشرعيين.

5- المحافظة على المتاحف الفلسطينية، وتشكيل لجنة لتسجيل مقتنياتها ومن أهمها مخطوطات البحر الميت ومنع تسربها إلى متاحف العدو الاسرائيلي.

6- إيقاف الحفريات غير المشروعة في القدس والمدن الفلسطينية المحتلة لحماية آثار القدس الشريف.

7- المحافظة على آثار أريحا في تل السلطان، وقصر هشام وترميمها وكذلك المسجد العمري في غزة.

5 ـ مشروع (النظام الأساسي لاتحاد الآثاريين العرب):

1- يوافق المؤتمر على انشاء اتحاد للآثاريين العرب الذي يعتبر مطمحا من مطامحهم دعت الى انشائه المؤتمرات السابقة.

2- تكوين لجنة تأسيسية للاتحاد، للاعداد لجلسة يتم الدعوة اليها وتحديد مكانها وموعد انعقادها بالتعاون بين المنظمة ومكتب المؤتمر، تهتم بدراسة المشروع الأساسي للاتحاد بعد استشارة الوفود المشاركة للجهات المعنية في أقطارهم والحصول على تفويض منهم بذلك.

3- تتألف الهيئة الاستشارية من مكتب المؤتمر، ومن يرغب في الانضمام إلى هذا المكتب من الدول الأعضاء.

6 ـ التوصيات العامة:

1- دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تشكيل لجنة دائمة من الخبراء العرب لوضع نظام أساسي " لقائمة التراث العربي" على غرار اللجنة الدائمة لقائمة التراث العالمي، وتكون مهمتها النظر في الملفات المقدمة من الدول العربية لقبول مواقعها ضمن قائمة التراث العربي ومن ثم الدفع بها إلى قائمة التراث العالمي لتسجيلها.

2- يوصي المؤتمر المنظمة العربية بتزويد مشروع ترميم وصيانة المدينة القديمة في طرابلس بالجماهيرية العظمى بقائمة الأساتذة والفنيين المتخصصين في مجال الترميم والصيانة لامكانية الاستفادة منهم في تدريس بعض المواد المتخصصة بالمعهد.

3- دعوة الدول العربية لاستحداث جوائز لتشجيع العاملين في قطاع الآثار والمتاحف والمدن القديمة حفزا للباحثين في هذا الميدان.

4- دعوة المنظمة العربية إلى تحديث الدراسة التي قدمتها والخاصة بتوثيق خمسين سنة على مؤتمر الآثار، واضافة المؤتمر الثالث عشر اليها والعمل على طباعتها.

ويقدم المؤتمر الشكر للمنظمة العربية على ما بذلته من جهد في اعداد هذه الدراسة التوثيقية وما قامت باعداده من وثائق أخرى للمؤتمر.

5- دعوة المنظمة العربية إلى اصدار دليل جامع شامل لمراكز التراث الحضاري بالوطن العربي بغية توفير مرجع يفيد منه المختصون عند الحاجة إلى ذلك، والاستفادة من عمل هذه المراكز.

6- دعوة الدول العربية للانضمام إلى المنظمات الدولية التي تعنى بشؤون الآثار والمتاحف مثل أيكوم - أيكوموس - أيكروم، وغيرها من المنظمات الدولية.

وحث الدول العربية غير المنضمة إلى اتفاقية التراث العالمي إلى الانضمام اليها.

7- دعوة المنظمة العربية للعمل على ادخال اللغة العربية كلغة رسمية في المنظمات الدولية التي تهتم بالآثار والتراث مثل أيكوم - أيكوموس - إيكروم - واعتماد اللغة العربية كلغة عمل في مؤتمر (أيكوم) الذي سيعقد في استراليا عام 1997.

دعوة منظمة اليونسكو إلى الحرص على استخدام اللغة العربية كلغة أساسية في جميع الندوات والمؤتمرات والدورات التي تعقد بالدول العربية.

8- دعوة المنظمة العربية لرصد اعتماد مالي في ميزانية دورتها القادمة (97-1998) لعقد اجتماع لمكتب المؤتمر بكافة أعضائه، تتحمل الدول تكاليف سفر ممثليها في المكتب، على أن يكون ذلك خلال النصف الأول من سنة 1997 لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر الثالث عشر، والاعداد لوثائق المؤتمر الرابع عشر.

9- الالحاح على دوائر الآثار في الدول العربية لايلاء ما يردها من المنظمة منمراسلات، والاجابة عنها في المواعيد المحددة وبالدقة العلمية المطلوبة.

10- يسترعي المؤتمر انتباه الوفود العربية بأن المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) سوف تطرح اتفاقية لاهاي لسنة 1954، والتي تتعلق بحماية الممتلكات الثقافية أثناء نشوب نزاع مسلح، للنقاش بغية تعديلها ابان انعقاد المؤتمر العام لليونسكو الشهر القادم، ونظرا لأهمية هذا الموضوع فان المؤتمر يحث الدول العربية على ندب خبراء عرب مختصين ومتمرسين لحضور جلسات اللجنة المعنية وتنسيق جهودهم بما يكفل حماية الممتلكات الثقافية العربية زمني الحرب والسلم.

11- يوصي المؤتمرون العرب بوجوب دراسة الإتفاقية الدبلوماسية لإعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية والتي وقعت بالأحرف الأولى في روما بشهر

سبتمبر 1990 ميلادي دراسة عميقة وعدم إعتمادها إلا بعد أن تتأكد من عدم مسها لمصالح الدول العربية في إستعادة ممتلكاتها الثقافية.

7 ـ المشروعات المقترح تنفيذها على المنظمة خلال السنوات 96-97-1998 ميلادي :

1- اقامة دورة تدريبية في التنقيب عن الآثار بمدينة سلطان الاسلامية بالجماهيرية العظمى سنة 1996 ميلادي.

- أعرب وفد الجماهيرية عن استعداده في تحمل نفقات اقامة هذه الحفرية على أن تتحمل الدول العربية نفقة سفر مشاركيها، ودعوة الدول العربية لترشيح خبراء ومتدربين لهذه الحفرية على أن يحدد موعد اقامة هذه الحفرية بالتعاون بين المنظمة والجماهيرية.

2- اقامة دورة تدريبية في التنقيب عن الآثار العربية الاسلامية في القيروان سنة 1997-1998 ميلادي.

- أعرب الوفد التونسي عن احتضان دورة تدريبية في هذا الصدد بتحمل الجانب التونسي نفقات اقامة المشاركين فيها وتتحمل المنظمة تكاليف سفر المدعوين اليها من الدول العربية، ويتم تحديد موعدها بالاتفاق بين المنظمة والجمهورية التونسية.

3- تكوين فريق عربي لترميم واجهة قصر المشتى في المملكة الاردنية الهاشمية يتكون من أساتذة متخصصين ومتدربين من البلاد العربية في سنة 97-1998 ميلادي.

- أعرب الوفد الأردني عن استعداده لاحتضان فريق الخبراء والمتدربين المذكور على أن تتحمل المنظمة نفقات سفر الخبراء والمتدربين في حدود 3 خبراء و 5 متدربين، ويتحمل الاردن نفقات اقامة الفريق.

4- إقامة ندوات علمية في أكثر من دولة عربية في مواضيع مختلفة في مجال الآثار والصيانة وما إلى ذلك.

8 ـ مكتب المؤتمر:

انتخب المؤتمر مكتبا دائما له يتألف من كل من :

- الأستاذ على إمحمد الخضوري رئيسا
- الأستاذ ناصر حسين العبودي مقررا عاما
- الدكتور فهد عبد الرحمن الوهيبي عضوا
- الدكتور محمد المنجي النيفر عضوا
- الدكتور فوزي زيادين عضوا

- الدكتور محمد عبد الحليم رزق عضوا

على أن يستمر انعقاد هذا المكتب لمدة دورة كاملة إلى أن يقع انتخاب مكتب جديد.

9 ـ مكان وزمان عقد المؤتمر الرابع عشر للآثار:

أ- الموضوع المقترح:

* الاستفادة من التقنيات الحديثة في علم الآثار في الوطن العربي (المسح - التنقيب - الصيانة والترميم - المتاحف - المدن القديمة والمباني التاريخية)

* يقام على هامش المؤتمر معرض للأجهزة الحديثة المستخدمة في هذه التقنيات.

ب ـ مكان وزمان المؤتمر :

كلف المؤتمر المنظمة باجراء الاتصالات اللازمة مع الدول العربية لتحديد مكان عقد الدورة القادمة للمؤتمر.

ج ـ الوفود المشاركة :

يدعو المؤتمر إلى أن يكون مستوى تمثيل الدول بثلاثة أعضاء على الأقل من المتخصصين في الموضوع العلمي الرئيسي للمؤتمر وأن يرأس وفد الدولة المسؤول الأول عن قطاع الآثار في البلد، لضمان المستوى المطلوب للمؤتمر.

هذا وقد اختتم المؤتمر أعماله صبيحة يوم السبت الموافق 12 جمادي الأولى 1416هـ / 7 أكتوبر 1995ميلادية، بكلمات من قبل الدكتور محمد صالح الجابري، مدير إدارة الثقافة، ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي تقدم بالشكر الجزيل للمشرفين على المؤتمر وأعضاء الوفود المشاركة وتمنى لهم عودة ميمونة إلى أوطانهم، كما ألقى الدكتور محمد المنجي النيفر كلمة الوفود المشاركة شكر فيها الجماهيرية العظمى على ما وفرت من حفاوة الاستقبال وطيب الإقامة واختتم المؤتمر بكلمة الأخ علي إمحمد الخضوري، رئيس المؤتمر ورئيس وفد الجماهيرية العظمى عبر فيها عن سعادته باستضافة الجماهيرية للمؤتمر منوها بالوفود المشاركة في هذا المؤتمر. ووجه الحاضرون في خاتمة لقائهم برقية شكر وامتنان للأخ قائد ثورة الفاتح العظيم كما وجهوا بيانا دعوا فيه إلى رفع الحصار الظالم على الجماهيرية العظمى وبيانا آخر يشجب احتفالات الكيان الصهيوني بما يزعمه احتفالاته بالذكرى الألف الثالثة لإنشاء القدس.

بيان المؤتمر الثالث عشر للآثاريين العرب

حول الاحتفالات الإسرائيلية في القدس

إن علماء الآثار العرب المشاركين بمؤتمرهم الثالث عشر المنعقد في طرابلس العرب في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى في الفترة من 1 إلى7 أكتوبر 1995 ميلادي يؤكدون بأن الاحتفالات التي ستقام بمناسبة مرور ثلاثة آلاف سنة على احتلال الملك داود لأورشليم القدس يوضحون ما يلي :

إن هذه الاحتفالات تعتبر تحديا للعالم والشرائع الدولية لأن دخول العبرانيين المدينة المقدسة وخروجهم منها يعتبر فترة وجيزة بالنسبة لتاريخ المنطقة، إذ أنهم ساكنوا عددا من القبائل اليبوسية الكنعانية المستقرة فيها منذ عهد بعيد وتكلموا «بشفتهم» أي بلغتهم وكتبوا بحرفهم كما يدل على ذلك العهد القديم، ورغم محاولاتهم اليائسة لاكتشاف أي دليل أثري لهيكل سليمان في الحرم الشريف فإنهم لم يتوصلوا لأي دليل علمي.

إننا اليوم نواجه تزييفا صهيونيا استعماريا جديدا بكل أبعاده وبناء على الاتفاقيات والقرارات الدولية ونخص منها معاهدتي لاهاي ونيودلهي وقرارات اليونسكو بشأن القدس الشريف.

فإننا ندعو جميع الدول والهيئات والجمعيات والمنظمات العالمية لمقاطعة هذه الاحتفالات ونهيب بجميع الأوساط العلمية والمؤسسات الأثرية ـ التاريخية في العالم لاستنكار هذه المغالطة التاريخية.

إن علماء الآثار العرب الذين يعقدون مؤتمرهم الثالث عشر للآثار من 1 إلى 7 أكتوبر 1995 ميلادي، إذ يحيون وقفة الشعب العربي الليبي وتلاحمه وصموده في وجه الحصار الظالم المسلط عليه من قوى البغي والعدوان المعادية لمصالح الأمة العربية، يغتنمون مناسبة اجتماعهم هذا على أرض الجماهيرية العظمى للتوجه إلى

جميع مناصري العدل في كل مكان وإلى دعاة الحرية وحقوق الانسان وإلى كل الآثاريين في العالم، والمشتغلين بقضايا التراث والحضارة البشرية لمساندة شعبنا العربي في الجماهيرية والقيام بما من شأنه أن يعري النوايا السيئة المقصودة من هذا الحصار.

وإنهم إذ يعلنون مساندتهم المطلقة للشعب العربي الليبي الشقيق، ويبدون إعجابهم بشجاعته وقدرته على التحدي والمجابهة يندون بكل من يقف وراء هذا الحصار الذي حال مع الأسف الشديد دون مشاركة زملاء لنا في هذا المؤتمر، وحال دون حصول الشعب العربي الليبي ودوائره العلمية والفكرية على المواد الثقافية اللازمة لتنفيذ مشاريعه وتحقيق تقدمه العلمي.

هذا ويعبر المؤتمر عن ارتياحه وتقديره لكل الدول العربية والأجنبية التي أعلنت مساندتها للجماهيرية في المحافل الدولية، ويدعو هذه الدول إلى بذل المزيد من السعي والجهد للاسراع برفع هذا الحصار الذي لا يستهدف الجماهيرية وحدها وإنما يستهدف في أبعاده الكبرى الأمة العربية كلها والحيلولة دون تلاحمها وتوحدها وتقدمها.

مندوبو الدول العربية المشاركة في أعمال المؤتمر الثالث عشر للآثار في البلاد العربية

د. محمد عبد الحليم رزق	مدير عام آثار الوجه البحري	مصر
أ. منى المؤذن	أمينة المتحف الإسلامي متحف دمشق	سورية
د. فهد عبد الرحمن الوهيبي	مدير إدارة الآثار المتاحف	الكويت
أ. هادي محمد عبد الله الأمير	رئيس قسم المسح ـ المتحف الوطني باحث	الكويت
أ. سلطان مطلق الدويش	باحث رئيس قسم التقنيات الأثرية	الكويت
د. محمد المنجي النيفر	مدير بحوث والمدير العام المساعد للمتاحف	تونس
أ. خالد المودود	ممثل المعهد الوطني للتراث مكلف بالبحوث	تونس
د. مراد الرماح	ممثل المعهد الوطني للتراث ومكلف بصيانة القيروان	تونس
د. علي الخلاصي	مختص بالآثار الاسلامية ومكلف بالبحث الأثري	الجزائر
د. منير يوسف طه	مدير المركز الاقليمي لعناية الممتلكات الثقافية	العراق
أ. عبد الكريم عوده شفليه	مستشار بالسفارة الفلسطينية بالجماهيرية العظمى	فلسطين
أ. ناصر حسين العبودي	مدير إدارة الآثار بالشارقة	الإمارات
أ. عبد الرحمن حسن عبيد	المدير العام لدائرة الثقافة والاعلام	الإمارات
أ. ماجد عبد الله بوشلبيبي	المدير العام المساعد لدائرة الثقافة والاعلام	الإمارات
د. فوزي زيادين	مساعد المدير العام لدائرة الآثار العامة	الأردن
أ. فريد القاضي	مدير جمعية الحفاظ على مدينة جربة	تونس
أ. علي إمحمد الخضوري	رئيس مصلحة الآثار	الجماهيرية
أ. جمعة محمد العناق	المستشار الفني	الجماهيرية
أ. محمد الطاهر عريبي	النقيب العام للسياحة والآثار	الجماهيرية
أ. عبد العال مفتاح عون	مدير إدارة البحوث والمحفوظات	الجماهيرية
أ. عبد الله سعيد طروم	مدير الشؤون الإدارية والمالية	الجماهيرية
أ. جمعة السيفاو فرصع	مدير الشؤون الفنية والمتاحف	الجماهيرية

أ. المبروك عبد الله الزناتي	مراقب آثار صبراته	الجماهيرية
أ. إبراهيم الصالحين الطواحني	مراقب آثار بنغازي	الجماهيرية
أ. فضل علي محمد	مراقب آثار شحاب	الجماهيرية
أ. محمد إبراهيم المشاى	مراقب آثار الجنوب	الجماهيرية
أ. إشتيوي محمد مصطفى	مراقب آثار لبدة	الجماهيرية
أ. سعيد علي حامد	رئيس قسم البحوث التاريخية	الجماهيرية
أ. حسن شرلاله	اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم	الجماهيرية
أ. مصطفى حقية	مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس	الجماهيرية

وفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمؤتمر الثالث عشر للآثار

أ. محمد الميلي	مدير عام المنظمة	الجزائر
د. محمد صالح الجابري	مدير إدارة الثقافة بالمنظمة	تونس
أ. فايز عمار	رئيس قسم الاعلام بالمنظمة	سورية
أ. علي محمد السوري	مدير الشؤون المالية والإدارية	ليبيا

مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم